



الأقليات المسلمة في العالم

ظروفها المعاصرة ، آلامها ، وآمالها

المجلد الثاني




بسم الله الرحمن الرحيم



محتوى المجلـد الثانـى

صفحـة

الفصل الخامس : المسلمون في شرق آسيا والمحيط الهادي ٥١٣

☐ مسلمو الفلبين والمشكلات التي تواجه المنظمات الإسلامية
للحاج عبد الرحمن . ر . ت . لنزاج ٥١٥

☐ تقرير عن المسلمين في كوريا
للدكتور أبو بكر كيم ٥٣٥

☐ المسلمون في الفلبين ، كيف يرون مشاكلهم
للدكتور محمد فتحي محمود ٥٥٧

☐ العلاقة بين المنظمات الإسلامية في استراليا
للأستاذ سيد قنديل ٥٧٥

☐ وضع اللغة العربية في الأقليات الإسلامية
للأستاذ عبد العزيز عبد الستار تركستاني ٥٩١

☐ المسلمون الروهينجيون في أراكان ، مشكلاتهم السياسية في الماضي والحاضر .
للأستاذ نور الإسلام . ٦٠٧

الفصل السادس : المسلمون في الهند ٦٢٩

☐ المشكلات الثقافية للمسلمين في الهند
للأستاذ راشد شاز ٦٣١

☐ قضية مسلمي الهند ، دراسة عن المشاكل الاجتماعية والثقافية لمسلمي الهند
للأستاذ مسعود أحمد ٦٤٧

☐ قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند ، المشكلات والتحديات
للأستاذ في . عبد الكبير ٦٦٣

☐ التعليم الإسلامي في جنوب الهند ، مشكلات وحلول
للأستاذ مقبول أحمد سراج ٦٨٥

☐ المشاركة الإسلامية في التحول الاقتصادي الهندي
للأستاذ طاهر بيج ٧١١

☐ حالة المسلمين الهنود
للدكتور سيد خالد راشد ٧٣٣

□ حالة اللغة العربية في الأقلية المسلمة بالهند
للدكتور مقتدى حسن محمد ياسين ٧٥٩
□ طبيعة وحجم المشكلات الاقتصادية للمسلمين الهنود وكيفية حلها .
للأستاذ أبو ذر كمال الدين ٧٧٩

الفصل السابع : المسلمون في أفريقيا ٨١١
□ دراسة عامة عن الأقلية الإسلامية في ليبيريا
للأستاذ محمد خميلو ٨١٣
□ تحويلات الدخل كاستراتيجية للبقاء عند مجتمع الأقلية النوبية المسلمة في كينيا ـ نموذج اقتصادي
للأستاذ محمد . س . مكراس ٨٣٧
□ التعليم في موريشيوس مع التركيز على الجالية الإسلامية
للأستاذ هاشم مالك آمور ٨٥٩
□ حول الأقليات الإسلامية في أفريقيا
إدارة التوعية الإسلامية بوزارة الحج والأوقاف ٨٨٧
□ الأورومو الجالا ، دراسة تحليلية
للأستاذ حسن مكي محمد أحمد ٩١٣
□ أضواء على أوضاع المسلمين واللغة العربية في جنوب أفريقيا
للأستاذ عمر الصديق عبد الله ٩٤١
□ مشكلة تعليم المسلمين في أوغندا
للأستاذ عباس كيمبا ٩٦٧

الفصـــل الخامـس

المسـلمون في شـرق آسيـا والمحيـط الهـادي



مسلمو الفلبين
والمشكلات التي تواجه المنظمات الإسلامية

الحاج عبدالرحمن ر.ت. لينزاج

السكرتير العام لمجلس الدعوة الإسلامية في الفلبين



مسلمو الفلبين
والمشكلات التي تواجه المنظمات الإسلامية

عبدالرحمن ر.ت. لينزاج

هذه الورقة عبارة عن عرض صريح ومكشوف للبعد التاريخي الذى يواجهه مسلمو الفلبين فى سبيل حقهم فى الوجود والحياة ، والحملة المستمرة لإبعادهم عن الإسلام والعوامل التى تؤثر فى خصائصهم الماضية والحاضرة ، والعوامل المؤثرة فى علاقتهم بالفلبينيين المسيحيين فى مناطقهم ومشاركتهم وعدم مشاركتهم فى برامج التنمية الحكومية والعوامل التى تؤثر فى قيام منظمة إسلامية وأسباب الفشل والآمال التى يتطلعون إليها ، مع تقديم بعض التوصيات .

مدخـــل :

الفلبين هى إحدى دول العالم التى لا تزال تحول العصبيات الأسرية والقبلية والإقليمية والتكتلات الدينية دون قيام وحدة كاملة لسكانها فى عنصر واحد متجانس .

لقد شاركت عوامل كثيرة فى خلق هذا العائق الواضح ، وأدلها بالطبع هو حقيقة أن المجتمع القديم فى هذه البلاد كان يتكون من مناطق قبلية توحدت عن طريق صلة الدم بين الأسر والتزاوج فيما بينها ، ولكن هذا الأمر شائع لدى شعوب أخرى فى مناطق أخرى من العالم والتى تجاوزت فى آخر المطاف هذه الفوارق الاجتماعية البدائية وربما

كان استعمار الأسبان لهذه البلاد قد وطد التأثير العميق للقرابة الأُسرية حتى الدرجة التاسعة فى حياة الفلبينيين .

كما أوجد التأثير الإسبانى فى أهل الفلبين نوعا من التمييز بين الجماعة المتدينة من الأخرى ، ويجب أن يتذكر الإنسان أن إسبانيا التى عملت على نشر المسيحية وبخاصة الكاثوليكية ، شنت استعمارًا صليبيا فى سبيل نشر العقيدة الكاثوليكية فى أركان الأرض الأربعة ، ومن المهم أن نتذكر فى هذا المجال أن إسبانيا عندما جاءت إلى الفلبين كانت قد ذاقت مرارة الجرح الناتج عن وقوع الجزء الجنوبى من أراضيها تحت السيطرة الإسلامية والحكم الإسلامى عدة قرون ، لذا فقد عمدت إلى بذل كل جهد لإخضاع السكان المسلمين فى مندوناو وسولو الذين لم يستسلموا لهم وهذا أوجد خطًا فاصلا يميز بين المسلمين والمسيحيين من الفلبينيين ، ليس فى المناطق الجنوبية فقط بل فى جميع أرجاء البلاد .

وقد صعَّد قدوم الأمريكيين الموقف إلى حد ما وليس إلى القمة ، إذ أنه فى ظل حرية العقيدة لا يجوز أن يكون هناك اختلاف فى إتاحة الفرص أمام كل فلبينى أو فيما يتعلق بالحقوق الموروثة له ، ولكن المياه الغزيرة مرت تحت القنطرة إذ فقد المسلم الثقة فى المسيحى كعدو محتمل وخاف المسيحى من المسلم ، كأنه إنسان قاس متعطش للدماء لا يندم على اقتراف الخيانة أو الأذى .

وقد بذلت محاولات على مدى السنين الماضية لإلغاء الفوارق الدينية أو الاجتماعية ولتهدئة القلاقل والشكوك القائمة بين الفلبينى المسلم والفلبينى المسيحى حيث قامت الصعاب الأساسية نتيجة لتصور المسيحيين فى فهمهم الحقيقى للعقيدة الإسلامية ، فقليل منهم من يعى المبادىء الجميلة الموضحة فى القرآن مثل الأخوة العالمية لبنى الإنسان والحب الروحى الذى يجب أن يسود بينهم وإنكار ذلك يعتبر ضربا من الشر والمكابرة – كذلك تعظيم الإله الواحد الحق – وباختصار ، فإن المبدأ الأساسى الذى وضعه الله فى القرآن هو أننا نحب ونحترم جيراننا كأنفسنا وأن نكون إخوانًا عالميين فى ظل إله واحد وأن نؤمن بكل ماجاء به الأنبياء بما فيهم عيسى وما قاله فى الإنجيل . فالقرآن فى الواقع يوقر عيسى كنبى من أنبياء الله المرسلين ويضع الإنجيل وعدا على لسان المسيح بأن الله سيرسل فى الوقت المناسب آخر رسله محمدا ﷺ .

هذه إذن هى الحقيقة الوحيدة التى لا يمكن أن تنكر ، وبقدر ما يتعلق الأمر بالأخوة فإنه لا يوجد خلاف مطلقا بين القواعد الدينية فى المسيحية والإسلام فقد جاءت الأولى أولا وأكملت الثانية الدائرة .

ولكن العوامل العديدة التى تدفع الآن إلى سوء فهم أعظم بدلا من التوافق الكامل ، هذه العوامل ترجع إلى التاريخ الذى جاءت فيه المسيحية إلى تلك البلاد أول مرة فى ١٦ مارس ١٥٢١ م .

ولا يستطيع الإنسان أن ينكر أن السلطات الإسبانية حين أدخلت المسيحية بالقوة ، بخلاف سياستها « فرق تسد » التى أشاعتها بين الفلبينيين ، فقد استخدمت عدة وسائل واستراتيجيات لخلق سوء الفهم والفرقة بين المسلمين والمسيحيين .

الخلفية التاريخية :

يخبرنا التاريخ أنه منذ ٦٠٠ عام مضت ، وبالتحديد عام ١٣٨٠ شمسية[١] تم تسجيل دخول الإسلام رسميا إلى الفلبين على يد شيخ عربى يدعى كريم المخدوم[٢] والراجا باجويندا فى جزر سولو وجزر أخرى وهناك مؤرخون يقولون بوجود دليل يثبت أن الإسلام كان موجودا فى الفلبين قبل ذلك خلال القرن الثانى عشر الميلادى ، وكان مخدوم عالما عربيا و « داى » قام بممارسة الطب[٣] إلى جانب إدخال الإسلام فى سولو ومندناو فقبله الشعب وحكامه بدون تردد كعقيدة وأسلوب حياة ، وقيل إنه زار كل جزيرة وجعل الكثيرون يتحولون إلى الإسلام وفى كل مكان وتكاثر معتنقو الإسلام وانتشروا فى بعض أجزاء الأرخبيل ، ومات مخدوم فى جزيرة سيبوتو .

والراجا باجونيدا الذى قيل إنه أمير من مينانجكاباو وهى منطقة غنية فى وسط سومطرة (جزء من إندونيسيا الآن) جاء إلى سولو بعد عشر سنوات عبر زامبوانجا وباسيلان[٤]

بعد دخول الإسلام فى سولو وزامبوانجا وباسيلان اعتنق الإسلام داتو ماجونيداناو وكان يسمى وقتئذ كوتابوتو ، وكان كابونجسوان ماجونيداناو راجا مشهورا أقام فى ماجونيداناو ، وهو الشخصية الرئيسية التى أدخلت الديانة وأسلوب الحياة الإسلامية بين الأهالى .

كانت ماجونيداناو فى الحقيقة جذر الكلمة الذى اشتق منه اسم مندناو ربما لأن الحضارة الأولى التى جاءت إلى هذه المنطقة على يد الأسبان بدأت بين المسلمين فى ماجونيدناو[٥] ، وكان الراجا سليمان[٦] بين أول الراجات الذين قدموا إلى مندناو لإنقاذ البلاد من الحيوانات المفترسة . ولكن الدخول الحقيقى للإسلام كان على يد الشريف محمد كابونسوان فى حوالى نهاية القرن الخامس عشر (١٤٧٥ م)[٧] ، ومن هنا توسعت مملكة كوتابوتو ووضعت قوانين بين المسلمين عرفت بلائحة ماجونيداناو

القانونية[٨] أو « لوران » التى بنيت على « المناجاه » و « فتح القريب » و « تقريب الانتفاء » و « مرآة الطلاب » أصبح الكيان السياسى لماجويندناو وفيما بعد امتدت السلطنة حتى منطقة دافاو فى الجنوب الشرقى من منداناو ، وبعد فترة من الزمن دخل الإسلام فى لاناو وفى الجزء الشمالى من زامبوانجا وفى الساحل البحرى الآخر من منداناو .

وكانت هناك دلائل على أن المستوطنات المتقدمة التى كانت موجودة على طول سواحل جزر الفلبين كان يحكمها زعماء مسلمون يسمون الداتو أو الراجا حتى قبل قدوم الأسبان .

فمثلا كان يحكم مانيلا الراجا سليمان والراجا هومابون ، وكان يحكم بانجاسينان أمراء اردوجا ، وفى سيبو كان يحكم الداتو هومابون وفى مكتان حكم الداتو لابو - لابو وآخرون لم يأبه بهم لسوء الحظ المؤرخون القدامى عملاء المستعمرين .

الإسلام خلال حكم الأسبان :

كانت إحدى الحقب المظلمة والأكثر اضطرابا فى حياة المسلمين فى الفلبين تلك التى دامت خلال السيطرة الأسبانية على تلك البلاد من يوم ١٦ مارس ١٥٢١ حتى وقت أن قرروا بيع الفلبين للأمريكيين بمبلغ ٢٠ مليونا من الدولارات فى وقت ما من عام ١٨٩٨ م [٩] .

فخلال هذه الفترة التى دامت ٣٧٥ عاما حارب المسلمون من أجل العيش والبقاء لأن الاسبان استخدموا كل الجهود ليس فقط لاستعمارهم ولكن لتحويلهم إلى المسيحية ، وكان كل من يرفض المسيحية يعاقب فى الواقع ، وقتل البعض أو أجبروا على الأشغال الشاقة حتى أصبحوا مسيحيين .

وكان أول مسلم اعتنق المسيحية هو زوجة الراجا هومايون حاكم سيبو وبعد ذلك الراجا هومايون نفسه ثم صدرت له الأوامر كى يجبر شعبه على اعتناق الديانة الجديدة .

وكان أول فلبينى قاوم قوة الغزاة الأجانب هو الداتو لابو - لابو زعيم ماكتان وقتل فى المعركة فيرناندو دى ماجلان المعروف بأنه أول مستعمر أسبانى جاء إلى الفلبين .

كانت هذه بداية الغزو المستعمر للفلبينيين ، غزو جسدى واقتصادى وروحى ونجح الغزاة فى مناطق فيزاياس ولوزون ولكنهم فشلوا تماما فى مندناو وسولو .

ابتدع الأسبان أساليب واستراتيجيات عديدة لتنصير المواطن الفلبينى ولكسب المعركة ضد المسلمين ومارسوا سياسة « فرق تسد » واخترعوا روايات ومسرحيات وقصصًا ترمى إلى تشويه سمعة المسلمين وأطلقوا عليهم اسم « المورو » الذى يصورهم كشعب أمى وسيء

بلا إله وأنهم قتلة وأنه يجب على الفلبينيين المسيحيين ألا يختلطوا بالمسلمين ، ولا حتى يتصلوا بهم أو يعقدوا صداقات أو علاقات اجتماعية مع غير المسيحيين .

كتبوا كتبًا تاريخية وأدبية وفى الاجتماع والسياسة يشوهون فيها صورة المسلمين ويضعون المسيحيين كمحور ارتكاز حتى لا يتاح مجال لغير المسيحيين أن يقدروا أو يعترف بمكانتهم فى هذا المجتمع .

أنشأوا المدارس وبنوا الكنائس فى كل مكان ومارسوا التحويل الجماعى إلى المسيحية وفرضوا كذلك الأسماء الجديدة على الفلبينيين التى يجب أن تطابق أسماء القديسين الكاثوليك الذين يوقرونهم أو على الأقل تطابق الأسماء الأسبانية .

ولقد كان كل قطاع حكومى خلال تلك الأيام يفرض العقيدة المسيحية عمليًا وعلى الأخص العقيدة الكاثوليكية الرومانية فى مناطق لوزون وفيزاياس .

كان هناك فى واقع الأمر جزء من العقيدة المسيحية يمنع أى مسيحى من دخول أية كنيسة غير الكاثوليكية الرومانية وإلا تشطب أسماؤهم من سجل الكنائس المسمى « سجل المقربين السابقين » .

كان يلزم تعميد كل طفل يولد على يد قسيس طبقًا للطقوس الكاثوليكية التى تزعم إزالة الخطيئة الأصلية وعندما يكبر الطفل يلزم أن يمنح التثبيت الدينى على يد القسيس كذلك وعندما يبلغ ويتزوج يجب أن يتزوج فى كنيسة كاثوليكية رومانية وعندما يموت يجب أن يمنح بركات القسيس فى الكنيسة .

ومن جهة أخرى تجد المسلمين لا يملكون سبيلاً للتمتع بحرية العقيدة خلال العهد الأسبانى إلا فى الأماكن التى لم يتسلل إليها الأسبان أو المسيحيون خاصة فى جزر مندناو وسولو وبالاوان ، لذا استمرت مندناو وسولو وبالاوان فى ممارسة ديانتهم ونظمهم الاجتماعية بغض النظر عن الإدارة والسلطة التى يمارسها الغزاة فى فيزاياس ولوزون ، ولم يكن ذلك سهلا وآمنا كما نظن لأن الأسبان اعتادوا إرسال البعثات بين آن وآخر إلى جزر مندوناو وسولو وزامبوانجا وغيرها(١٠) ، ومن خلال استخدام الشعب الفلبينى المسيحى لكى يحارب الفلبينيين الذين لم يستسلموا لهم بعد ، ولكن تلك البعثات فشلت فى جولات عديدة حتى تمكن الأسبان من إقامة جذورها فى كاراجاو الجزء الشرقى من دافاو ومنطقة مندناو وتلك بداية التسلل المسيحى فى مندناو واستطاعوا أن يصلوا فى وقت متأخر إلى زامبوانجا حيث بدأوا التنصير الجماعى ، ولكن المسلمين بعد أن تحولوا إلى المسيحية حافظ معظمهم على إسلامهم بعد عودتهم من التحويل .

لذا كانت هناك عملية مستمرة لنزع المسلمين عن الإسلام على يد السلطات الأسبانية

كما سبق ذكره – خلال العهود – بدرجة كبيرة لدرجة أن الشخص الذى لا يرضى بالمسيحية من الناحية الواقعية فإن عليه أن يغير أسلوب حياته فورًا طبقًا للقوانين المسيحية – فمثلا – عليه أن يكون اشبينا لطفل احد الجيران المسيحية ويدعى فى عيد كل قديس ويشارك فى الموكب مرة فى كل فترة ويدعى للمشاركة فى احتفالات عيد المسيح فى عيد الميلاد وعيد القيامة ، ونتيجة لذلك فإنه أو الجيل التالى له لن يؤدوا الصلوات الخمس كل يوم ، بل مرة كل فترة وأحيانا يهمل صلاة الجمعة .

ويذهب أطفاله إلى المدارس ، ولكنها بالطبع تلك المدارس التى يديرها القساوسة الكاثوليك أو الراهبات أو المنظمات المسيحية حيث يدرسون الديانة المسيحية ويعتنقون الأسلوب المسيحى فى الحياة وغيرها عدا الإسلام .

وكان المسلمون خلال تلك العصور فى جهاد دائم فى سبيل وجودهم فى الفلبين ، وكان يوجد القليل فى ذلك الوقت من المعلمين الذين يدرسون التعاليم والقيم الإسلامية وكانت التعاليم المعروفة فى ذلك الوقت مبنية على أساس التعليم من أجل قراءة القرآن الكريم عدة مرات بدون فهم لأن الشخص الذى يعلم قراءة القرآن يعرف فقط كيف يقرأ ولا يعرف معنى النص العربى لذا فقد كانت المعرفة الحقيقية مبنية أساسًا على شرح الكتب القديمة التى كانت نادرة جدا وكان ذلك هو السبب فى أن الإسلام خلال تلك الحقبة كان كثير التغير والتداخل مع ممارسات الناس العملية فى مختلف المناطق .

الإسلام خلال العهد الأمريكى وبعد الاستقلال :

عندما فشل الأسبان فى إخضاع مندناو وسولو عقد الأمريكيون معاهدات مع داتووسلطنة سولو ومندناو مع وعد بحرية العقيدة وحرية التعبير والتعليم وغيرها بهدف كسب المسلمين بدلا من أن يكونوا منفصلين عن الفلبين ويكونوا جزءا من سيطرتهم واستعمارهم . وكان الأمريكان قد دعوا حقيقة خلال حكومة الكومنولث[١١] بعض زعماء المسلمين للمشاركة فى الحكومة الوطنية وكان من بينهم الحاج بوتو[١٢] ، ولم يكن منتخبًا بل كان معينًا كعضو فى مجلس الشيوخ ولم يكن إعفاءً من حركة إخراج المسلمين عن دينهم التى مارسها الامريكان والمسيحيون والتى اعتبروه بسببها أحد كبار مؤيدى الحركة الماسونية الحرة فى الفلبين قبل وفاته .

ومنح المسلمون فرصة لممارسة ديانتهم الخاصة ولكنهم اعتبروا كمادة لبحوث علمية واجتماعية وعوملوا كمواطنين من الدرجة الثالثة ليس فقط من قبل مواطنيهم – أى الفلبينيين المسيحيين – بل حتى من قبل القائمين بالحكم فى الحكومة واعتبروهم كما لم يزالوا مورو .

وأضحى كل شيء قدريًا حتميًا ، إذ أنه منذ البداية لم يكن الموضوع الأساسى هو جذب المسلمين إلى المسار العام للمجتمع الفلبينى ، ولكن اتضح أن الهدف الأساسى هو أن يهضم المسلمون التقاليد والعادات الخاصة بإخوانهم المسيحيين والتى فطن إليها معظم المسلمين وبالتالى ترددوا فى الاستجابة إلى النداء المتكرر بالوحدة الوطنية .

أنشأ الأمريكيون المدارس العامة وقام بإدارتها معلمون أمريكيون[١٣] وعين التوماسيون فى مختلف أرجاء الفلبين بما فى ذلك بعض أجزاء من مندناو .

ولم يجذب ذلك المسلمين فى البداية لأنهم يعلمون أن سياسة الأمريكان هى جعلهم يتآلفون مع الأساليب الأمريكية وأن يكسبوهم ليحولوهم إلى المسيحية ومع مرور الأيام فرض الأمريكيون القوانين الأمريكية وجلبوا البضائع الأمريكية والكتب الإنجليزية واستخدموا اللغة والثقافة الإنجليزية ، وهذا أحدث إلى حد ما اتجاها جديدا فى تفكير المسلمين فى مندناو وسولو حيث بدأوا يرسلون أبناءهم إلى المدارس ، ولم يذهب بالطبع فى البداية سوى عدد قليل من الأطفال الذكور المسلمين إلى تلك المدارس العامة وبقيت الفتيات المسلمات فى البيت لمجرد تعلم قراءة القرآن .

واستمر حوالى ٩٠ ٪ من المسلمين لا يرسلون أطفالهم إلى المدرسة خلال فترة حكومة الكومنولث ، وقرب نهايتها كان ٢٥ ٪ فقط من المسلمين قد أرسلوا أطفالهم الذكور إلى المدرسة ولكن حتى الصف الرابع أو السادس حسب الأحوال لأن هذا التعليم كان التعليم المجانى الوحيد المتاح .

لم تكن سنوات الدراسة تجربة طيبة مطلقًا للطفل المسلم أن يدرس فى هذا النوع من المدرسة لأنه كان يواجه مسبقا — وحتى فى أوقات التسجيل — إحساسا بعدم الأمان وإحساسا بالمعاملة كمواطن من الطبقة الثانية أو الثالثة وحتى داخل المدرسة إذا تم قبوله ، فأول شيء عندما يجد المعلم ان الطفل يحمل اسما مسلما — وعادة ما يكون من أصل عربى — أو يحمل اسما وطنيا فإن المعلم يقترح عليه اتخاذ اسم آخر داخل المدرسة مثل جون — بدرو — جوزى — صليب المسيح وغيرها .

ويستطيع الإنسان أن يتخيل بوضوح إحساس الطفل المسلم بعدم الأمان فى حجرة الدراسة التى يسيطر عليها المعلمون المسيحيون الذين هم مسيحيون إلى الأذقان ويدرسون الديانة المسيحية وسيشعر الطفل المسلم بعدم الأمان شعورا مزدوجا وخاصة وأن زملاءه الأطفال فى حجرة الدراسة تبدو عليهم الرهبة من الاختلاط بهم وكثير من الأطفال المسلمين الذين سجلوا فى هذه المرحلة يهربون من المدرسة فيما بعد أو يتظاهرون بأنهم كانوا فى المدرسة وإنما كانوا فعلا يلعبون خارجها .

ذلك هو السبب الذى جعل المسلمين ينتظرون وقتا طويلا حتى يحصلوا على المشاركة فى الحكومة أو فى رسم سياسات الحكومة أو حتى القيام بمشروع ناجح فى القطاع الخاص كى يعولوا أسرهم أو جماعتهم ، وفى الوقت الحاضر فإن الإخوة المسلمين من الفلبينيين غير مؤهلين فى الواقع للقيام بأعمال ذات نوعيات أو مؤهلات خاصة أو تدريب لأن معظم المسلمين غير مدربين وليس لديهم أية خلفية عن فرص العمل المتوافرة فى الشرق الأوسط .

وبعد استقلال الفلبين استطاع قليل من القادة المسلمين الذين تعلموا فى ظل العهد الأمريكى والذين استطاعوا شق طريقهم فى الكليات الجامعية هؤلاء إما التحقوا بالحكومة فى جهاز الخدمة المدنية أو اندمجوا فى السياسة ، وانتخب بعضهم واحتل البعض الآخر مراكز مرموقة فى الحكومة ولكن ذلك لا يعنى أن جميع المسلمين سعداء وراضون بهذه الأمور لأنه حتى مع ثبوت ذلك فإن المسلمين لا يزالون يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية وأسوأ من ذلك ماحدث من الغزو الاقتصادى الجانبى من مسيحيى لوزون وفيزاياس لمنطقتى مندوناو وسولو لتطوير الأراضى البكر الشاسعة ولاكتشاف موارد الثروة الطبيعية لهذه الأراضى المسلمة بمعاونة الحكومة ومن خلال المنح الحكومية وحمايتها .

واعتقد أغلب المسلمين أن الإدارة الحاكمة كانت تستخدم السياسيين المسلمين ضد المصلحة العظمى لمسلمى الفلبين .

ولا يرجع رفض المسلمين لأن يتعلموا على يد الأمريكيين أو على يد الحكومة الفلبينية فيما بعد الاستقلال يوم ٤ يوليو ١٩٤٦ م وكذلك عدم مبالاتهم الظاهرة بالتعاون والمشاركة فى برنامج الحكومة ، لا يرجع ذلك إلى خوف كل مسلم من أن يتنصر وإنما يرجع إلى افتقاد الثقة فى القيادة الوطنية والمحلية فى أن تساعد المسلمين على اكتشاف مواردهم الاقتصادية الطبيعية أو احترام المناسك المرتبطة بالوقت وممارساتهم وفوق كل ذلك تغير أسلوب الحياة الكامل للمسلمين وأى نوع من التعاون يتوقعه المرء من حكومة ترسم سياستها لاكتشاف كنوز أرض مورو ومندوناو وسولو على يد مسيحيى فيزاياس ولوزون ؟

لم تفرض القوانين لحماية هؤلاء المستشكفين تحت ذريعة برنامج التوسع الزراعى وبرنامج إصلاح اقتصادى آخر وإنما فرضت الأذى واضطهاد الشعب الذى عاش فى مندوناو لأجيال عديدة ومات فيها آباؤهم وأسلافهم دفاعا عن تلك الأراضى ضد الغزاة الأجانب على مدى القرون .

وإذا كانت مندناو تعتبر حقيقة فى الوقت الحاضر منطقة مسلمة فإن الأغلبية الحقيقية

من الشعب مسيحيون ففى المناطق التالية من مندناو سكان بأغلبية مسيحية[١٤] .

١ – سوريجاو ديل سور (الجنوبية)	٩٩ ٪
٢ – سوريجاو ديل نورث (الشمالية)	٩٩ ٪
٣ – اجوزان	٩٩ ٪
٤ – ميساميس اوكسيدنتال (الوسطى)	٩٨ ٪
٥ – ميساميس ارينتال (الشرقية)	٩٠ ٪
٦ – لاناو الشمالية	٩٠ ٪
٧ – زامبوانجا الجنوبية	٨٠ ٪
٨ – زامبوانجا الشمالية	٩٠ ٪
٩ – مدينة زامبوانجا	٧٠ ٪
١٠ – مدينة دافاو	٩٠ ٪
١١ – دافاو الشمالية	٩٠ ٪
١٢ – دافاو الجنوبية	٩٠ ٪
١٣ – دافاو الشرقية	٩٠ ٪
١٤ – جنوب كوتاباتو	٧٠ ٪
١٥ – شمال كوتاباتو	٦٠ ٪

والكثافة الإسلامية تتواجد فقط فى سولو ومدينة كوتاباتو ولاناو الجنوبية وباسيلان وتاوى – تاوى والتى ليست ١٠٠ ٪ مسلمة – هذا عدا بعض التجمعات الدينية الصغيرة فى مختلف المناطق المسيحية .

وأهل لوزون وفيزاياس ليسوا من الزوار أو التجار فى معظم المنطقتين بل هم مستوطنون مقيمون إقامة دائمة ، لذا يكون من السخرية أن يكون الأغنياء الذين اكتشفوا مندناو من لوزون وفيزاياس أغلبهم من أصدقاء الإدارة الحالية وهم الذين يحكمون مناطق وأقاليم مندناو فيما عدا مناطق الحكم الذاتى .

تشكيل المنظمة الإسلامية :

إن الفلبينى المسلم الواعى ببيئته والمتعامل مع مشاكل الأمة يشعر بالحاجة إلى التكاتف الإسلامى الحقيقى ، ويشعر بالحاجة الملحة إلى تنظيم إسلامى ذى أهداف وآمال مختلفة أغلبها حفظ التراث الإسلامى العريق من حملات ينظمها تارة أبناء الوطن وتارة المستعمرون .

ويحتمل أن يكون ذلك هو السبب الذى أدى الى تشكيل كثير من المنظمات الإسلامية ، ويسعى كل إنسان يملك المعرفة وطرق تشكيل المنظمات إلى أن ينشيء جمعية يرأسها بنفسه .

وأقدم المنظمات التى شكلت كانت جمعية الفلبين الإسلامية وهى الآن منظمة عاطلة وسجلت لائحتها فى ٢ مارس ١٩٨١ م رغم أنها انشئت عام ١٩٧٠ م ، واعتادت أن يدعمها كل المسلمين فى البلاد بما فيهم القادة الدينيون وحتى هؤلاء الذين لم يتلقوا تعليما غربيا وأدت عوامل كثيرة إلى الانهيار من بينها نوع القيادة التى وضعت المنظمة بين أيديها ، وكذلك الغيرة القبلية والمنافسة على الرئاسة لكسب السيطرة فى المنظمة وبالطبع ، وبشكل غالب نقص المعرفة بالفكر الإسلامى لدى القادة الذين تعلم أغلبهم الثقافة الغربية فقط وبالعكس تعلموا قراءة اللغة العربية فقط ولكن بدون معرفة الأساليب الفنية للثقافة الغربية والرسميات .

حين كانت جمعية الفلبين الإسلامية قائمة وهى تزعم أنها موجودة منذ ٥٠ عاما وبدون دليل ملموس على النجاح عدا فى المجال السياسى فقط ، قامت عدة منظمات أخرى لم يسجل معظمها لدى إدارة الضمانات والتبادل والصفة الرئيسية لهذه المنظمات هى أنها قصيرة العمر ، إذ تعيش فقط خلال الاجتماع التنظيمى وحتى يتم تعيين الموظفين ، وطبيعى أن يوجد القليل القادرون على عقد انتخابات فى السنوات التالية ويصبح الرئيس المسئول رئيسهم الدائم .

وهذا لا تسمح به القوانين الفلبينية بالطبع ولكن المنظمة غير مسجلة كذلك لدى إدارة الضمانات والتبادل لذا لاتوجد وسيلة تستطيع الحكومة بموجبها أن تمارس سلطتها على هذه المنظمة أو الجمعية .

توجد منظمات قليلة أنشئت قبل عام ١٩٥٠ م ولم تسجل ، وجميعها غير معروفة على وجه الخصوص وشكلها زعماؤها لأغراض سياسية وهذه المنظمات كانت صادقة وخاصة عندما يحين وقت الانتخابات المحلية أو القومية . وبعض المنظمات أنشئت بعد عام ١٩٥٠ ولكنها لم تسجل فمثلا « جمعية العائدين إلى الإسلام الفلبينية » التى أنشئت عام ١٩٥٦ م وسجلت فقط فى عام ١٩٧٨ م .

هذه المنظمة نجحت إلى حد ما ليس فقط فيما هو ثابت فى حضورها المستمر منذ إنشائها وحتى الوقت الحاضر ولكن فى إنجازاتها ويمكن أن نستنتج من الحقائق أن جميع المنشورات حول الإسلام التى تنشر وتطبع فى الفلبين تصدر بصفة عامة عن جمعية العائدين إلى الإسلام .

ويمكن إيجاز العوامل المؤثرة فى تشكيل منظمة إسلامية فى الفلبين فى الآتى :

(١) العامل السياسى :

العامل البارز خلال فترة الانتخابات والذى يستخدمه الزعماء لكى يظهروا أمام **وهو** السياسيين بأن لديهم الكثير من الأتباع وأنهم يلزمهم مبالغ من هؤلاء السياسيين من اعتمادات الحملة الانتخابية من أجل تكوين منظمة وأحيانا يصل مثل هذا الزعيم إلى حد تزوير قائمة بالأعضاء لكى يبدو كثير الأتباع ، ومثل تلك المنظمة تعيش حتى وقت الانتخابات فقط وتعود إلى السطح مرة أخرى عندما تعقد انتخابات جديدة ، ومجال آخر من مجالات العامل السياسى هو خلق مركز قوة لصالح الأعضاء فى شئون معينة يحتاجونها من الحكومة أو من بعض الإدارات بحيث يكون لهذه القوة حافز مؤثر .

(ب) العامل الدينى :

الجماعة الدينية هذا العامل بناء على حاجة الأعضاء لتقوية أنشطتهم الروحية ، **تستخدم** وهذا يحدث فى العادة لأغراض محددة مثل إنشاء مدارس إسلامية أو إنتاج مطبوعات أو أداء أعمال تبشيرية بالإسلام أو القيام بأنشطة الدعوة وما يماثلها .

(جـ) العامل الاقتصادى :

أحد العوامل التى تؤثر فى قيام المنظمات والجمعيات الإسلامية وهو نزع الموارد **وهو** من الأعضاء لإمكان مباشرة العمل أو الأنشطة ذاتية التمويل وكثيرا مانفذت من أجل تدريب العمال .

(د) العامل الاجتماعى :

الأنشطة الاجتماعية بين المسلمين نادرا ما كانت عاملا هاما فى تشكيل جمعية **إن** لأن الوظائف الاجتماعية للإنسان المسلم مرتبطة بأنشطته الدينية والروحية عدا القلة التى أشربت سياسات ومبادىء هيئات الليونز والجايسى وغيرها .

(هـ) العامل الثقافى :

الثقافية للمسلمين وخاصة هؤلاء الذين أتموا دراستهم فى الغرب هى فى **الأنشطة** العادة تلك الأنشطة التى تشكلها المنظمات الثقافية ومعظمها تقديم الأنشطة الثقافية فى شكل مسرحى ورقصات وإن كانت لا تعتبر منظمة إسلامية بشكل صارم

وهذا يجرى عادة من خلال البرامج الحكومية الخاصة بإبراز المسلمين كموضوع دراسة ثقافية لغير المسلمين أو للغرب .

المشاكل التى تواجه المسلمين فى الفلبين :

بعد الاستقلال مباشرة عام ١٩٤٥ ، كان يوجد فى الفلبين ، هذه التجمعات القبلية المسلمة فقط[١٥] :

أ – تاوسوج فى سولو .
ب – اوبيان فى تاوى – تاوى .
جـ – ياكان فى باسيلان .
د – سامبوانجان فى زامبوانجا .
هـ – ماراناو فى لاناو .
و – ماجويندناناو فى كوتاباتو .
ز – كالاجان فى دافاو .
حـ – بالاوان .

هذه التجمعات القبلية لها تقاليد وعقائد وممارسات مختلفة وكذلك شئون غريبة حتى من قبل دخول الإسلام . قد وجد الإسلام صعوبة فى تهذيب هذه الممارسات لدى اكثر التجمعات ، فيما عدا هؤلاء الذين تتوافر لديهم معرفة جيدة وإيمان عميق بالإسلام .[١٦] والنموذج المثالى لهؤلاء يمكن أن يشاهد حتى فى العصر الحاضر بمجرد أن تذهب إلى مكتب موظف مسلم فيستطيع الإنسان أن يلاحظ أنه إذا كان الموظف ماراناويا فكل إنسان تقريبا يعمل تحت إمرته فى مكتبه ماراناوى ، وبالمثل إذا كان الرئيس من قبيلة تاوسوج فكل مرؤوسيه تاوسوج ، وهذا ليس إسلاميا بالطبع ولكنه الخط الفلبينى التقليدى الذى كان النتيجة النهائية لاستعمار إسبانيا وأمريكا واليابان وجزئيا نتيجة لنقص المعرفة الإسلامية والإخلاص فى تطبيق المبادىء وطريقة الحياة الإسلامية .

هذه الاتجاهات ضارة بالطبع بوحدة المسلمين فى الفلبين وكذلك بنجاح التقدم .

وقد تأثرت المنظمات الإسلامية بعناصر التفرقة هذه ، وكذلك الأعمال الحكومية بما فيها الشركات الحكومية وصيانة المدارس والمساجد والمراكز لأن الجماعة القبلية لا ترغب – سواء عن علم أو من غير علم – فى أن تلحق أو تشارك فى العمل أو التكليف الخاص بالجماعة الأخرى ، أما فى القواعد الدينية فإنهم يتشاركون بالطبع فى المشاعر والأحاسيس ولكن الواقع يختلف .

ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء الذين ينتمون إلى القبائل الصغيرة مثل كالاجان وياكان أو حتى الداخلين فى الإسلام فإنهم يستطيعون أن يكيفوا أنفسهم مع أية جماعة من تلك الجماعات ، ولكن المشكلة هى أن معظم هؤلاء المنتمين إلى القبائل القائدة ينظرون إلى الداخل فى الإسلام على أنه مسلم غير أصيل وبالتالى فهو من الدرجة الثانية .

كل العوامل السابقة تواجه المنظمات الإسلامية فى الفلبين بصورة أساسية وقد يتضح المثال النموذجى لذلك من القضية الفعلية التى مازالت منظورة أمام المحكمة القضائية فى مدينة كويزون .

ففى عام ١٩٧٠ م لم يوجد مكان عبادة للمسلمين فى كل أرجاء مدينة مانيلا وكان يوجد بالطبع مقر المنظمة الإسلامية المسماة « جمعية العائدين إلى الإسلام » الفلبينية ولكنها كانت تعمل دون مسجد ودون أى مكان للعبادة عدا جراج تحول إلى مكان للصلاة بناء على مبادرة منهم وزيارتهم للدكتور أحمد أ. ألونتو .

جاء ممثل للمنظمة العالمية الإسلامية التى مركزها فى الشرق الأوسط إلى الفلبين ، وكان كريما جدا إذ أهدى قطعة أرض للمسلمين فى الفلبين كى يقيموا عليها مركزا إسلاميا وجامعة إسلامية ومستشفى وأية أغراض دينية أخرى وذهب هذا الموظف العربى إلى القادة السياسيين المسلمين فى الحكومة ورحب الجميع بالفكرة وبعد أن أجتمع القادة المسلمون الذين يشغلون مراكز محترمة فى الحكومة وافقوا على شراء قطعة أرض من الأموال التى ستدفعها هذه المنظمة العربية ولكن بشرط أن تكون باسم منظمة إسلامية جديدة قرروا هم إنشاءها .

أقامت هذه الجماعة منظمة جديدة ذات أهداف سامية لكى تكون المنظمة التى تظلل المنظمات الإسلامية المحلية المسجلة عام ١٩٧١ ، وأصبح معظم هؤلاء الموظفين أعضاء مؤسسين لهذه المنظمة الجديدة وتم شراء الأرض ، ولما كان معظم المؤسسين من السياسيين فقد نسوا أن يقدموا اللائحة الداخلية للجمعية الجديدة إلى إدارة الضمانات والتبادل بعد أن تم تسجيل المنظمة وبعد شراء الأرض باسم الجمعية ومن أجل أغراضها .

وفى الوقت الذى أصبحت فيه الأرض عاطلة عن العمل وكذلك المنظمة فقد كانت هناك تغييرات فى المناصب تمت على أسس اللائحة الداخلية التى قدمت ولكنها لم تعتمد حتى الآن من إدارة الضمانات والتبادل لسبب رئيسى وهو أن معظم أهداف الجمعيات المشروحة فى اللائحة الداخلية اعتبرت معادية وبالتالى غير شرعية لكى تنظر فيها الحكومة ولم يتابع أحد هذا الموضوع .

ولم تتملك المنظمة الأرض رغم أنها خالية منذ عام ١٩٧١ ، ولما كانت الأرض فى

نفس الوقت عاطلة ولا يوجد مايدل على أنها تستخدم فعلا فى غرض دينى فقد استمرت الحكومة فى فرض الضرائب على هذه الأرض والتى عجزت المنظمة المذكورة دائما عن دفعها ولو مرة واحدة بل لقد عجزت حقيقة عن الحصول على إقرار ضريبى باسمها وصادرت الحكومة هذه الأرض عام ١٩٧٩ م وباعتها فى المزاد العلنى (رغم أن القوانين الفلبينية تعفى الملكية الدينية من الضرائب ولكنها فى هذه الحالة لم يوجد مايدل على أن الملكية كانت مخصصة لأغراض دينية) وكان أمام الجمعية فترة سنة سماح لإصلاح الخطأ ولكنها لم تتخذ الخطوات لمحاولة إنقاذ الأرض وفى آخر يوم من فترة السماح استطاع كاتب هذه الرسالة رغم أنه ليس عضوا فى مثل تلك الجمعية وباعتباره محاميا فى مانيلا أن يأخذ المسألة على عاتقه فى سبيل مصلحة الإسلام ومسلمى الفلبين ، وقام بالاتفاق مع رئيس المنظمة برفع قضية فى المحكمة ضد حكومة المدينة فى مدينة كويزون وضد المشترى منازعا فى بيع الأرض وحكمت المحكمة لصالح الجمعية الإسلامية من خلال مناورات وخطط أثناء التقاضى حول التوفيق[١٧] .

لقد التزم المحامى الذى رفع الدعوى فى المحكمة بأن ينقذ الأرض كما أنه طلب من الحكومة بأن تعفى من الضرائب وعندئذ يجب من أجل ذلك أن يبنى مسجد ومركز إسلامى وقبل كل ذلك يجب تسوير الأرض ، وتم الاتفاق على أن تعلق الضرائب المقبلة إذا بنى المسجد والمركز والسور .

ومع ذلك فقد منح مجلس إدارة المنظمة المذكورة كاتب هذه السطور تفويضا فى القضية مع إدارة الأرض . لكن بعد إقامة عدد من المبانى عليها ، نشأت جماعة على رأسها زوجة عضو شيوخ سابق ينتمى إلى قبيلة فى ميندناو ، وتجاهلت التفويض واختارت موظفين جددا كما قدمت لائحة داخلية إلى إدارة الضمانات والتبادل متجاهلة اللائحة القديمة .
وادعى أعضاء الجماعة أنهم المسئولون عن الجمعية بل دعوا أعضاء السلك الدبلوماسي في سفارات البلاد الإسلامية لاحتفالات التنصيب وطلبوا أن تسلم المعونات والإصلاحات إليهم ، وألا يتحمل المحامي والمنظمة المفوضة لبناء المسجد أجور هؤلاء الموظفين الجدد .

وهكذا أصبحت الواقعة أساساً للدعوى القضائية التى مازالت منظورة[١٨] .

ولكى نلخص المشكلة الأساسية للمنظمة الإسلامية نقول :

أ – القائد المتكامل ونوعية القيادة التى يبديها .

ب – صلابة الأعضاء فى تنفيذ أهداف الجمعية أو فى الدعوة لانتخاب طاقم جديد من الموظفين فى حالة ما إذا رفض الموظفون الدعوة إلى الاجتماع أو الانتخاب حسب مقتضى الحال .

جـ – القصور فى المعرفة الصحيحة بالقيم الإسلامية والممارسات والحدود الإسلامية .
د – الغيرة والطمع بين الموظفين والأعضاء فى السلطة .
هـ – وفوق كل شيء نقص الالتزام التام بقضية الإسلام التى حارب جميع المسلمين من أجلها منذ قدوم الأسبان إلى هذه البلاد .

التوصيـــات :

لولا انعدام الثقة الظاهرى بين المسيحيين والمسلمين أو ثقة الحكومة فى المجتمعات الإسلامية البحته فى تنفيذ التقدم الحكومى ، فإن الخلاف الدينى الواضح يمكن أن يتحول إلى اندماج أو ترابط أو وحدة فى الهدف تسارع فى أن تطبع فى الأذهان لدى كلا القطاعين طبيعيا وجغرافيا ، المسلمين والمسيحيين الفلبينيين الناشئين من أصول جنسية واحدة ، أن عليهم – من أجل صالحهم المشترك – أن يعملوا سويا فى وفاق من أجل نجاح وتطوير رفاهيتم الاقتصادية وتقدمهم الاجتماعى ، ويجب إتاحة الفرص لجميع المؤهلين من إعطاء الأولوية بالطبع لأبناء المناطق إذا كانت بقية الشروط متوفرة بالتساوى ولكن ينبغى ألا يتحيز الإنسان ضد أى فرد لمجرد أنه مسيحى أو مسلم أو أنه من الأقلية والآخر من الأغلبية أو أنه قادم من مجتمع متحضر حسب وجهة النظر الغربية وهكذا .

إن الفلبين مهما يكن بلد صغير ، وإذا كان ثَمَّ تاجر فلبينى مسلم أكثر قدرة من غيره فلا يوجد سبب يمنعه من الاتجار فى سيبو أو مانيلا أو لاوج ، وبنفس المنطق فإن النجار البامبونجو مؤهل لممارسة مهاراته فى مدينة ماروای أو فى سولو إذ يجب ألا يوجد سبب سياسى أو اجتماعى يمنعه من ذلك ، ولكن هذه ليست القضية وينبغى ألا تكون القضية . بعد ذلك تبقى الحقيقة أن الطرفين قد جمعا الكثير ضد بعضهما البعض إما عن طريق استحضار الخلافات الماضية وبصفة أساسية بسبب جهل أحد الطرفين بأسلوب الحياة لدى الطرف الآخر أوفشل أحد الطرفين فى مراعاة حقوق الفرد لدى الطرف الآخر .

لقد قيل إن وطن الإنسان الحقيقى هو المكان الذى يرغب الإنسان أن يزرع فيه جذوره ويربى فيه أسرته ويساهم فى رفاهيته الاقتصادية بغض النظر عن وطنه الأصلى لأن مكان الميلاد ليس بقيد عليه فى رغباته فى الإقامة وتكوين جزء من كيانه الاقتصادى والاجتماعى .

وحيث أننا جزء من منظمات إسلامية فإنه يصبح أمرا أساسيا جدا وفى سبيل إزالة العائق الظاهر بين المنظمات الإسلامية فى الفلبين – أن يكون الإسلام كأسلوب حياة هو أساس إنشاء هذه المنظمات ونقطة الهداية لمؤسسيها وخاصة موظفيها .

ويجب أن يبنى أسلوب العمل والإجراءات فى إدارة هذه المنظمة أو الجمعية على أساس الأوامر القرآنية وكذلك أحاديث الرسول محمد ﷺ لأنه ما لم يتعرف الناس الذين هم وراء المنظمات على الأسلوب الإسلامى فى إدارة المنظمة معرفة جيدة ويمارسوا تلك المعرفة ، فإن مصير المنظمة وقدرها سوف تبتلعهما العوامل البيئية التى تؤثر على كيان المنظمة .

ولكى أوجز ، ينبغى على المنظمة الإسلامية لكى تنجح أن :

١ - يلتزم الأعضاء والموظفون التزاما تاما بقضية الإسلام .

٢ - يزود الأعضاء والموظفون بمعرفة كافية بالمبادىء الإسلامية والتعاليم الإسلامية والأسلوب الإسلامى فى التنظيم .

٣ - يتوفر لدى القادة معرفة عملية بالعمليات الإجرائية فى المنظمات الغربية من أجل تسجيلها وبقائها .

٤ - يرفض تماما الاتجاه القبلى وكذلك « الداتوى » ولا ينبغى أن يعيره القادة أو الأعضاء أدنى اعتبار .

٥ - يلتزم الأعضاء والموظفون بتخصيص جزء من واجبهم اليومى لأجل الأهداف الإسلامية إذ أن ذلك ضرورى فى مجتمع مثل الفلبين حيث المسلمون أقلية ، ويعتبر ذلك نشاطا مرتبطا بالمنظمة بقدر ما يفعل العضو أو الموظف حين يضحى بجزء من وقته لأداء الصلوات اليومية .

٦ - يكون العضو أو الموظف قادرا على المشاركة ولو بصورة غير مالية كأن تكون فى صورة أداء عمل أو مشاركته الفعلية فى مشروع خاص بالجمعية .

٧ - يراعى الموظفون وأعضاء الجماعة وبكل إخلاص الخطوط الإرشادية الإسلامية الخاصة باحترام كل عضو وكذلك الموظفين لمنع أي سوء فهم فيما بينهم كإخوة .

٨ - يكون الموظفون قادرين على خلق الثقة حتى لا تهتز الثقة والأمانة التى استقرت فيهم .

٩ - فوق كل شيء يجب أن يكون الموظف أو العضو مسلما مهديا حقيقة .

NOTES

1. Gregorio F. Zaide, **Philippine History,** P. 29; "Filipinos of Yesteryears," p. 282.

2. Cesar Adib Majul, **Muslims in the Philippines,** pp. 7, 53, 55, 62 and **Philippine History** by Gregorio F. Zaide, p. 29; **Filipinos of Yesteryears,** p. 282 .

3. Gregorio, F. Zaide, **Philippine History,** p. 38 .

4. Cesar Adib Majul, **Muslims in the Philippines,** P. 55; **Filipinos of yesteryears,** p. 282.

5. Gregorio F. Zaide, **Philippine History,** p. 29 and **Muslims in the Philippine** by Cesar Adib Majul, pp. 25, 26, 27, 32, 64, 66, 67, 70 & 71; **Filipinos of Yesteryears,** P. 282 .

6. Gregorio F. Zaide, **Philippine History,** p. 36 and **Muslims in the Philippines** by Cesar Adib Majul, pp. 73, 83; **Filipinos of Yesteryears,** pp. 288-289.

7. Gregorio F. Zaide, **Philippine History,** p. 29; **Filipinos of Yesteryears,** pp. 288, 292, 293, 294.

8. Gergorio F. Zaide, **Philippine History,** p. 36, Filipios of Yesteryears, pp. 299, 321 .

9. Gregorio F. Zaide, **Philippine History,** p. 168 .

10. Gregorio F. Zaide, **Philippine History,** pp. 67-68 .

11. Cesar Adib Majul, **Muslims in the Philippines,** P. 202 .

12. Cesar Adib Majul, **Muslims in the Philippines,** pp. 6, 11, 12, & 61 .

13. Gregorio F. Zaide, **First American Group of Teachers - Phil., p. 195 .**

14. Unofficial Statistics .

15. Gregorio F. Zaide, **Philippine History,** p. 93 .

16 . Cesar Adib Majul, **Muslims in the Philippines,** pp. 249-281 .

17. Michael Masture, et. al., vs. Potri Zorayda Tamano, et. al., **Civil Case No. 44360, Branch LXXXIX (89)** pending before the Regional Trial Court of Quezon City.

18 . Islamic Directorate of the Philippines vs. Potri Zorayda Tamano, et. al., **S.E.C. Case No. 002687** pending before the Securities and Exchange Commission.



تـقرير عن المسـلمين في كـوريا

الدكتـور أبو بـكر كـيم

تقرير عن المسلمين في كوريا

د. أبو بكر كيم

١ ـ الخلفية التاريخية للوجود الإسلامي في كوريا :

الإسلام دين جديد فى جمهورية كوريا ، ويعتقد أن المسلمين العرب جاءوا إلى كوريا لأول مرة فى أثناء حكم أسرة شن – وا فى القرن الثامن الميلادى ، وفيما يلى وصف تاريخى منقول من السجل عن تلك الزيارة المبكرة التى قام بها الزائرون من العرب لكوريا :

« فى سبتمبر من السنة السادسة عشرة لحكم الملك هيونج – جونج فى خلافة جو – ريو فى القرن العاشر الميلادى زار مائة عربى بلادنا وعرضوا ثقافتهم وحضارتهم على الكوريين » .

« وكان التجار العرب لا ينطقون كلمة « جو – ريو » نطقا صحيحا ومن ثم أطلق على بلدنا اسم كوريا ، ولا يوجد أثر لانتشار الإسلام ، آنئذ » .

« وقد شبت الحرب الكورية سنة ١٩٥٠ م ، وطلبت الأمم المتحدة من الدول المحبة للسلام أن ترسل جنودها للدفاع عن كوريا الجنوبية ضد الهجوم العسكرى الذى شنه الجنود الشيوعيون المتحدون من جهة الشمال . وقد كانت تركيا وهى دولة مسلمة بين الدول التى استجابت لطلب الأمم المتحدة فأرسلت جنودها إلى كوريا الجنوبية . وقد استطاع الجنود الأتراك نشر الدين الإسلامى بين الكوريين فضلا عن أداء واجبهم فى الدفاع عن كوريا الجنوبية ، واعتنق الكوريون الإسلام لأول مرة سنة ١٩٥٥ م . ونتيجة لذلك أرسلت تركيا اثنين من الأئمة إلى كوريا ، الشيخ/زبير كوجى والشيخ/عبد الرحمن وذلك لتعليم الكوريين الدين الإسلامى ، وبنى الجنود الأتراك مسجدا مؤقتا باستخدام خيمة قديمة يؤدى فيها الكوريون الصلاة ويتعلمون الإسلام . ومنذ ذلك التاريخ بدأ دين الله ينتشر فى كوريا ببطء شديد .

وفى السنوات التالية بلغت أنباء اعتناق بعض الكوريين الإسلام إلى الدول المسلمة المجاورة وقد أبدت منظمات وهيئات إسلامية عديدة إهتماما كبيرًا بهذا العدد الصغير من المسلمين الكوريين . وتأتى « ماليزيا » فى مقدمة تلك الدول . وفى سنة ١٩٦٣ بادر السيد داتو حاج نوح المتحدث باسم البرلمان الماليزى بزيارة كوريا على رأس وفد ماليزى للاطلاع على أوضاع المسلمين الكوريين الجدد ، ودراسة نشر الإسلام فى كوريا .

وبعد عودته إلى ماليزيا ، فتح مجالا للتعاون المتبادل بين المسلمين الماليزيين والمسلمين الكوريين ، ونتج عن ذلك دعوة أحد عشر كوريا من بينهم « ثلاث فتيات » على منح من حكومة ماليزيا لتعلم أصول الإسلام ومبادئه وذلك فى الكلية الإسلامية فى سيلانجور .

وفى سنة ١٩٦٥ زار السيد داتو حاج نوح كوريا مرة أخرى وتم تأسيس الاتحاد الإسلامى الكورى بناء على نصيحته ، وحتى اليوم لا يزال هذا الاتحاد قائما ، بل إنه المنظمة الإسلامية الوحيدة الموجودة فى كوريا والمعترف بها قانونا من الدولة. ويشعر المسلمون الكوريون بالعزة والاعتزاز بسمات هذا الاتحاد الفريدة المميزة .

وبعد عودته إلى ماليزيا قام السيد/تنكو عبد الرحمن الذى أصبح فيما بعد رئيسا لوزراء ماليزيا بمنح مائة ألف دولار ماليزى أى بما يعادل ٣٣٠٠٠ دولار أمريكى لدعم أوجه نشاط الدعوة الإسلامية فى كوريا . وقد أكدت هذه المساعدة المالية لدى المسلمين فى كوريا الأحلاف وروابط المحبة والإخاء التى تبرز واضحة جلية فى الإسلام . وقد شجعهم ذلك على العمل بجد أكبر فى نشر الإسلام ، وهكذا تقف ماليزيا على رأس الدول الإسلامية التى تدعم الإسلام والمسلمين فى كوريا ، ونحن نقدر هذا الموقف تقديرًا بالغا .

ومن الناحية الأخرى فإن باكستان هى الدولة المسلمة الأولى التى أتاحت الفرصة للمسلمين الكوريين فى الأيام الأولى بما فى ذلك أربعة عشر طالبا لتعلم أصول الإسلام ومبادئه ومعانى القرآن الكريم والحديث ، وعلاوة على ذلك فلا يمكن أن ننسى إسهام جماعة التبليغ من الباكستان وعملها على نشر الإسلام فى كوريا .

وبدأ الإسلام ينتشر فى كوريا بسرعة كبيرة عندما فتحت معظم الدول العربية والإسلامية الأخرى أيديها وقدمت دعمًا مخلصًا لإقامة مسجد ومركز إسلامى فى سيول عاصمة كوريا وذلك فى سنة ١٩٧٦ م .

٢ - المساجد والمراكز الإسلامية فى كوريا :

وفى مايو ١٩٧٦ م أتم اتحاد المسلمين الكوريين بناء أول مسجد ومركز إسلامى فى كوريا بالمساعدات المادية من الدول الإسلامية التالية ، المملكة العربية السعودية ، ليبيا ، والكويت وقطر والمغرب والإمارات العربية المتحدة ... إلخ وكانت أكبر المساعدات من رابطة العالم الإسلامى بالمملكة العربية السعودية وجمعية الدعوة الإسلامية فى ليبيا ، وقد شارك فى حفل افتتاح

المسجد الكبير والمركز الإسلامى فى سيول أكثر من خمسين وفدا حضروا من عشرين دولة إسلامية .

وقد مرت ثلاثون عاما منذ أن دخل الإسلام لأول مرة فى كوريا ومرت عشرون سنة على إنشاء الاتحاد الكورى الإسلامى . وقد كانت أوجه نشاط الاتحاد راكدة قبل إنشاء المركز الإسلامى والمسجد الكبير فى سنة ١٩٧٦ م وبعد إنشائهما وتشييدهما استطاع الاتحاد أن يحقق نجاحا ملموسا فى زيادة عدد المسلمين من ٣٠٠٠ مسلم إلى أكثر من ٣٠٠,٠٠٠ مسلم خلال عشر سنوات وقد نتج عن ذلك زيادة فى الإدراك والوعى بالإسلام فى كوريا من خلال وسائل الدعوة الفاعلة .

وقد افتتح المسجد الثانى بحمد الله وتوفيقه تعالى عام ١٩٨٠ فى مدينة بوزان ثانى أكبر المدن الواقعة جنوبى كوريا ، وبحضور أكثر من ٥٠ مندوبا من مختلف الدول الإسلامية ، وتمت تغطية تكاليف مبانى هذا المشروع من مساهمة الإخوة الكرماء فى ليبيا بصورة عامة ومن الدكتور على الفلاغ وزير المالية الليبى وقتئذ ، بصفة خاصة .

بالإضافة إلى ذلك أقيم حفل افتتاح المسجد الثالث والمركز الإسلامى فى يوليو ١٩٨١ وشاهده أكثر من ٤٠ مندوبا من الدول الإسلامية بما فيها الجزائر وأوغندة وبنجلاديش وباكستان والهند وإيران وتركيا وليبيا ومصر والمملكة العربية السعودية والكويت وقطر وهونج كونج وغيرها ويقع المسجد والمركز على بعد ٣٠ ميلا من العاصمة .

توجد بلدة صغيرة وسط حوالى عشرين قرية تسمى سسانج – يونج – دى يسكنها حوالى ٧٠٠ نسمة – اعتنقوا جميعا الإسلام منذ عامين وبدأ أحد رجال الدعوة فى القرية بنشر حقائق الإسلام فى القرى المجاورة .

وفى مايو سنة ١٩٧٩ زار كوريا سعادة الأستاذ محمد ناصر الحمضان العتيبى وكيل وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ، كما زار القرية ساسانج – يونج دى التى أطلقت على نفسها القرية الإسلامية وشجع المسلمين الجدد . وبعد عودته إلى الكويت زار القرية سعادة الشيخ إبراهيم الصقعبى قاضى الاستئناف بالكويت ووعد بأن يتحمل جميع تكاليف المسجد والمركز الإسلامى ، وقد تبرع بالأرض واحد من المسلمين المخلصين فى نفس القرية .

ويأمل الاتحاد أن يكون هذا المسجد الثالث نقطة تحول جذرى فى نشر تعاليم الإسلام بين المواطنين فى تلك المنطقة ، ونشر الإسلام نشرًا منتظمًا فى المناطق الريفية المجاورة فى أنحاء البلاد .

٣ – المنظمات وأوجه النشاط :

يعتبر الاتحاد الإسلامى الكورى هو المنظمة الوحيدة المعتمدة لدى الحكومة وقد تم تشكيل اتحادات ولجان وجمعيات أخرى عديدة تحت قيادة وتوجيه الاتحاد . من أجل دعم نشاط

الدعوة الإسلامية فى جميع أنحاء البلاد وللوصول إلى الشعب الكورى فى جميع ميادين الحياة ، على أمل أن يعتنق كل منهم الإسلام وأن يشكلوا حياتهم وفق المنهج الإسلامى .

والمنظمات الفرعية هى :

١ – جمعية الطالب المسلم .
٢ – جمعية الشباب المسلم .
٣ – جمعية السيدات المسلمات .
٤ – معهد اللغة العربية .
٥ – الأخبار الإسلامية (أسبوعية) .
٦ – قسم النشر والترجمة .
٧ – مدرسة يوم الأحد للأطفال .
٨ – لجنة الدعوة .
٩ – لجنة الشريعة .
١٠ – نادى تايكاواندو (نادى رياضى عادى) .
١١ – لجنة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الكورية .
١٢ – مؤسسة كوريا الإسلامية (كيان قانونى مسجل لدى الحكومة رسميًّا) .
١٣ – مسجد بوزان والمركز الإسلامى .
١٤ – مسجد كوانجو .
١٥ – مركز التربية الإسلامى – جدة .
١٦ – مركز التربية الإسلامى – الكويت .
١٧ – مؤسسة جامعة كوريا الإسلامية .

وأخذ الاتحاد الإسلامى الكورى يبذل جهوده لنشر رسالة الإسلام بالاتصال الإيجابى بالناس وإرشادهم كما أخذ ينظم المحاضرات وترجمة المؤلفات الإسلامية إلى اللغة الكورية ويوزعها بدون مقابل على الجمهور .

وجرى نشر الإسلام عن طريق بثه من خلال الصحف المحلية باللغتين الكورية والإنجليزية ، وكذلك من خلال الإذاعة والتليفزيون وإقامة معسكر الدعوة لتدريب الشباب بإشراف الندوة العالمية للشباب الإسلامى كذلك إقامة معارض الثقافة الإسلامية مثل القرآن والحديث والكتب الإسلامية الأخرى والفنون والتى تقام سنويا ، هذه كلها حققت منافع عديدة للدعوة فى كوريا .

وقام الاتحاد الإسلامى الكورى بنشر صحف ومجلات باللغتين الكورية والإنجليزية وترجمة ونشر ١٧ كتابا وكتيبا إلى اللغة الكورية بمعاونة صندوق التضامن الإسلامى ومنظمة المؤتمر الإسلامى وجمعية الدعوة فى ليبيا وغيرها .

وهذه بعض الكتيبات التى ترجمت إلى اللغة الكورية فى هذه السلسلة :

١ - المرشد فى الصلاة .

٢ - كيف تكون مسلمًا (إعداد جمعية الدعوة الإسلامية فى ليبيا) .

٣ - كتاب الإسلام للأطفال - الجزء الأول (إعداد المؤسسة الإسلامية فى المملكة المتحدة) .

٤ - ماهو الإسلام - الأفكار الأساسية تأليف محمد فضل الرحمن أنصارى باكستان .

٥ - الإسلام ، مبادئه الأساسية وخصائصه تأليف خورشيد أحمد .

٦ - الحلال والحرام فى الإسلام تأليف الدكتور يوسف القرضاوى .

٧ - موقف الإسلام من لحم الخنزير للحاج إبراهيم ما ، ماليزيا .

٨ - تعدد الزوجات فى الفقه الإسلامى للدكتور جمال أ. بدوى .

٩ ـ التعاليم الأخلاقية في الإسلام (إعداد اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية).

١٠ ـ المسيح في القرآن (إعداد اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية).

١١ ـ الإسلام دين فريد وعالمي بقلم سيف الدين ونشره اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا .

١٢ - ١٠٠ سؤال وجواب حول الإسلام أثارها الكوريون فى المملكة العربية السعودية .

١٣ ـ الحديث ترجمة الحاج صبرى سوه ، كوريا .

وفى مناسبة الاحتفال باليوبيل الفضى لذكرى مرور ٢٥ عاما على دخول الإسلام إلى كوريا قام الاتحاد بنشر رسالة اليوبيل الفضى مكونة من مقالات بقلم قادة المسلمين وعلمائهم بثوا فيها أفكارهم القيمة ونصائحهم وإرشاداتهم مما كان له أجمل الأثر فى الدعوة إلى الإسلام فى كوريا . وكذلك اليوبيل الفضى المصور لتاريخ الإسلام فى كوريا . وقد أسس الاتحاد الإسلامى الكورى فرعين له خارج سيول ومركزين تربويين خارجيين فى جدة بالمملكة العربية السعودية والكويت من أجل نشر الإسلام بين العمال والفنيين الكوريين فى الخارج حيث يوجد أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ عامل كورى يعملون فى المملكة العربية السعودية والكويت والعراق وليبيا وقطر ودولة الإمارات العربية ، اعتنق منهم ٧٠٠٠ الإسلام ويحظون بعناية وزارات الشئون الدينية فى كل دولة ، وجدير بالذكر أنه بمساعدة الحكومات الإسلامية المذكورة أقام الاتحاد الإسلامى الكورى المراكز الإسلامية والمدارس وأماكن العبادة فى بعض المدن لتعليم أهلها وتعريف الإخوة الداخلين فى الإسلام حديثا بالإسلام والشريعة الإسلامية وتم تعيين الأئمة والمعلمين بمعرفة الاتحاد والحكومات الإسلامية لكى يقوموا بتلك الواجبات .

ويجدر بنا أن نلاحظ وبصورة خاصة أن وزارة الأوقاف فى الكويت ومؤسسة دلة افكو أوليا

عناية عظمى ومعاونة لإنشاء المراكز الإسلامية فى الكويت وجدة بالمملكة العربية السعودية من أجل العمال الكوريين الذين تحولوا إلى الإسلام فى الكويت والمملكة العربية السعودية .

٤ ـ الحالة الاجتماعية للمسلمين فى كوريا :

رغم العدد القليل والتاريخ القصير ، للمسلمين فى كوريا فإنهم يعملون اليوم بجد ونشاط فى كل مشارب الحياة ، بعضهم تقلد مراكز مرموقة فى المجتمع كأساتذة ومحامين وأطباء وموظفى حكومة ودبلوماسيين واقتصاديين كما يوجد منهم الصحفيون والمهندسون والجنود ورجال الأعمال وغيرهم وطلاب الجامعات بنين وبنات وعمال وفلاحون ، جميعهم يبدون اهتماما بحقيقة وتعاليم الإسلام رغم الجهل بالإسلام السائد في كوريا .

الإسلام دين غير مفهوم في كوريا بسبب سوء النية وتشويه التعاليم الإسلامية على يد المثقفين الغربيين ، إذ أن معظم خريجي الكليات يعرفون جيداً أنه يوجد أكثر من ۳۰,۰۰۰ مسلم في كوريا ومعظمهم اعتنق الإسلام خلال السنوات العشر الماضية بعد إنشاء أول مسجد وأول مركز إسلامي عام ١٩٧٦ ولم يرفع أحد سيفاً واحداً لإجبارهم على الدخول في الدين الجديد وفي نفس الوقت لايزال بعضهم يصر على تصديق الخرافات التي تعلموها على يد معلميهم المستغربين ، وبالإضافة إلى ما سبق يدرس أكثر من ۱۰۰۰ طالب العربية والدراسات الإسلامية في أقسام اللغة العربية في أربع جامعات كورية .

كانت البوذية في الماضي هي الديانة التقليدية والدين الرسمي خلال حكم أسرة كو ـ ريو في القرن الثامن . ودخلت الكونفوشيوسية في الحياة الكورية خلال حكم أسرة لي لمدة ٦٠٠ عام ثم دخلت الديانة الكاثوليكية الرومانية منذ ٢٠١ عام رغم الاضطهاد الحكومي العنيف، ولكن كوريا الآن دولة علمانية لا يعتنق ٥٥٪ من شعبها أية ديانة ولا يوجد لديهم عبادة خاصة ، ومع ذلك فإن كثيراً من عاداتهم القديمة وتقاليدهم ودياناتهم الموروثة تشبه إلى حد كبير تعاليم الإسلام ، فإذا استمرت الجهود والنوايا لنشر تعاليم الإسلام في كوريا فإن مستقبل الإسلام فيها سيكون باهراً وواعداً ، وهذا التفاؤل مبني على الأسباب الآتية :

١) أن ٥٥٪ من الشعب الكوري لا ديانة له ولا عقيدة ولا يرتبط بأية تعاليم دينية ولا يوجد لديهم أية طقوس أو أية صلوات .
٢) أكثر من ٩٩٪ من الكوريين ـ رجالاً ونساء ـ متعلمون و٨٠٪ منهم نالوا تعليماً عالياً .

٣) كثيراً من التقاليد القديمة للشعب الكوري متفقة مع تقاليد الإسلام كما يشاهد في فكرة وحدانية الله .
٤) تاريخياً ــ لم تقم أية صورة من صور العداء بين كوريا والبلاد الإسلامية.
٥) تعتبر الحضارة والثقافة الكورية ــ إلى حدٍ ما ــ ذات أصل شرقي .

وهناك حقيقة معروفة جيداً هي أن ٣٨ جامعة و٦٢ كلية ذات برامج دراسية لمدة ٤ سنوات و١٤٥ كلية مهنية تنتمي إما إلى الارساليات التبشيرية المسيحية وإما إلى المنظمات البوذية ، وقد دخلت المسيحية البروتستنتية كوريا منذ ١٠٠ عام وطبقاً للاحصائيات الصادرة عن وزارة الثقافة والاعلام فإن عدد المسيحيين بما فيهم الروم الكاثوليك والنحل الأخرى يبلغ الآن ستة ملايين ويكمن السر الاستراتيجي وراء هذا النجاح البارز في الحقائق التالية :

توضح التقارير حول المسيحية وأنشطتها في كوريا أن البعثات التبشيرية ركزت كل جهودها منذ البداية على تربية الشباب الكوري على أسس المعتقدات المسيحية ولم يستخدم المسيحيون الكنائس في كوريا لزرع تعاليم المسيحية إلا في حالات نادرة جداً . فالكنيسة بالنسبة للكوريين مجرد مكان للعبادة لأن العامل الكوري أو رجل الأعمال الكوري لا يتوفر له وقت الفراغ الكافي كي يذهب إلى الكنيسة باستمرار ويستمع إلى قداس القسيس ، لذا فقد ركزوا جهودهم في إنشاء مدارس إبتدائية وثانوية وكليات وجامعات وقد تربى الطفل الكوري فيها منذ حداثته حتى تخرجه كشاب مسيحي بكل معنى الكلمة ، وعموماً فإن الوالدين أو الأسرة في كوريا لا تتدخل في الديانة أو الملة التي يختارها أبناؤهم .

وفى الوقت نفسه دعنا نتخذ مثالا من البوذية ، التى كانت ديانة الدولة فى كوريا لحوالى ١٠,٠٠٠ سنة قبل ظهور أسرة لى عام ١٣٩٢ ، لذا كان يوجد أكثر من ١٠٠٠ معبد بوذى على مستوى عظيم فى البلاد ، ولا يختلف الأسلوب البوذى فى نشر تعاليمه عن الأسلوب المسيحى فهو ينشيء المعاهد التعليمية من المستوى الابتدائى إلى المستوى الجامعى وينفذ المناهج الدراسية على أساس العقيدة البوذية ، ومع ذلك فإن المعاهد التعليمية المسيحية أكثر عددًا من البوذية وذلك يساعد المسيحيين على جذب كثير من البوذيين ليصبحوا مسيحيين من خلال مناهجهم المرسومة فى المعاهد التعليمية .

٥ ـ مشروع الجامعة الإسلامية الكورية :

تعتبر السنوات الأولى من عمر الاتحاد الإسلامى الكورى مرحلة تجهيزية تمهيد الطريق لنقطة انطلاقة حقيقية حين يصبح الاتحاد أكثر تجهيزًا وأكثر استعدادًا من الناحية الروحية

لتحمل مسئولية نشر تعاليم الإسلام خاصة فى بداية القرن الخامس عشر الهجرى والذى شهد حركة إحياء إسلامية عالمية

ولقد قرر الاتحاد أن ينشىء جامعة إسلامية فى كوريا لكى تصبح مركزا دينيا فى البلاد وخاصة للطلاب والشباب وقد أثبتت الخبرة والدراسات أن المعاهد التعليمية تستطيع أن تلعب دورًا مؤثرًا فى تشكيل الميول والاتجاهات لدى الناس وخاصة فى بلاد مثل كوريا التى كانت تهتم اهتماما عميقا برفع مستوى التعليم بين الناس .

أهداف الجامعة الإسلامية الكورية :

١ – إنشاء مؤسسة تعليمية للمسلمين الكوريين تنمى الروح الإسلامية فيهم وتوفر الجو التعليمى الإسلامى الصحيح لهم خلال حياتهم الدراسية لكى يتفهموا التعاليم الحقيقية للإسلام وسموه فوق العقائد الأخرى .

٢ – قبول أكبر عدد ممكن من الطلاب الكوريين سواء كانوا ينتمون إلى ديانة معينة أو كفرة وتعليمهم طبقا للتعاليم الإسلامية خلال سنوات الدراسة حتى يعرفوا جميع الأديان الأخرى وسمو الإسلام على كل تلك العقائد .

٣ – إنشاء قاعدة لمختلف الأنشطة الدينية كإدارة منظمات الطلاب والشباب ونشر الصحف والمجلات الإسلامية وتنظيم المحاضرات الدينية وإقامة المعارض بهدف توصيل رسالة الإسلام فى أجمل صورة بالإضافة إلى عرض الأفلام التى لا تتعارض مع تعاليم الإسلام .

٤ – تدريب خريجيها على نشر الإسلام بعد دراسة منهج خاص فى قسم الشريعة تحت إشراف أساتذة مسلمين ملتزمين حق الالتزام .

٥ – تخريج معلمين مسلمين أكفاء ومؤهلين لحمل مسئولية تدريس الموضوعات الإسلامية فى المستقبل ، وكذلك تدريس المقررات الأخرى المدرجة فى مناهج وزارة التعليم الكورية .

٦ – حيث أنه لا يتوفر معهد واحد تعليمى إسلامى عال فى الشرق الأقصى فإن الاتحاد يتحمل مسئولية تعليم الطلاب المسلمين الأجانب الوافدين من اليابان والصين وهونج كونج والبلاد المجاورة فى منطقة الشرق الأقصى وجنوب شرق آسيا بأن تمنحهم المنح الدراسية الكاملة كى تمكنهم من استكمال دراستهم فى كوريا .

٧ – أضف إلى ذلك أن هدف الجامعة الإسلامية هو تنظيم التبادل التعليمى بين الجامعة الإسلامية فى كوريا والجامعات فى البلاد الإسلامية كى تعطى الفرصة للطلاب الكوريين للتخصص فى الموضوعات الإسلامية واللغة العربية فى جامعات تلك الدول وبالعكس ، فقد يلحق طلاب تلك الجامعات بالجامعة الإسلامية فى كوريا للتخصص فى الاقتصاد والإدارة والإنسانيات وغيرها .

نقطة التحول فى المشروع :

زار صاحب السمو الملكى الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية فى المملكة العربية السعودية كوريا فى يوليو ١٩٧٧ م ، وبعد أن علم من المركز الإسلامى بسيول بمشروع الجامعة الإسلامية فى كوريا طلب سموه من الحكومة الكورية أن تمنح المسلمين الأرض اللازمة لإقامة الجامعة عليها ونتيجة لذلك تفضلت الحكومة الكورية وبتوجيهات سعادة (شون دوهو ان) رئيس جمهورية كوريا بمنح ٤٣٠,٠٠٠ متر مربع من الأرض تقدر بمبلغ ٣ ملايين دولار أمريكى بسعر السوق ، بل وأضافت الحكومة الكورية إلى ذلك إقامة طريق يبلغ طوله ثلاثة كيلو مترات يصل هذه الأرض بالطريق العام فى المنطقة لتسهيل الانتقال والاتصال بموقع الجامعة الإسلامية .

الاحتفال بحفر الأساس وتشكيل لجنة حكومية :

احتفل المسلمون فى كوريا مع إخوانهم الذين قدموا من مختلف البلاد الإسلامية بحفر الأساس للجامعة الإسلامية الكورية فى سبتمبر ١٩٨٠ وأولت الحكومة الكورية كل اهتمامها لهذه المناسبة وقدمت معاونتها الكاملة للضيوف بل وأكثر من ذلك فقد شهد المناسبة جميع الوزراء المعنيين وكبار موظفى الدولة والقادة العسكريون فى الحكومة الكورية .

عقب احتفالات حفر الأساس شكلت الحكومة الكورية لجنة رسمية لتتناول المشروع بجدية ولتقوم بعمل الدراسات اللازمة فى ضوء اللوائح والقوانين القائمة والخاصة بوزارة التربية وأوصت اللجنة بعدة تغييرات فى عدد من الاقتراحات الخاصة بالمشروع لكى تضمن سلامة الخصائص الإسلامية للجامعة وحرية تدريس المواد الإسلامية .

وتشكلت هذه اللجنة من سكرتير رئيس الجمهورية وسكرتير رئيس الوزراء وممثلى وزارات الخارجية والثقافة والإعلام والتعليم فى الحكومة الكورية إلى جانب أعضاء الاتحاد الإسلامى الكورى .

وفيما يلى التوصيات التى قدمتها اللجنة بخصوص الجامعة الإسلامية فى كوريا :

١ - رفع مستوى الجامعة إلى المستوى العالمى .

٢ - إعفاء جميع الطلاب من المصروفات الدراسية خلال السنوات الأربع الأولى .

٣ - توفير الإمكانات لكى يعيش جميع الطلاب داخل حرم الجامعة .

٤ - تشجيع هيئة التدريس على الحياة داخل حرم الجامعة .

٥ - قبول ٣٠٠ طالب فى السنة الجامعية الأولى على أن يزاد ٣٠٠ طالب آخرون فى كل سنة تالية .

٦ – بدء الدراسة من العام الجامعى ٨٧ على أساس أن يتم بناء المبانى اللازمة والتسهيلات فى ذلك التاريخ .
٧ – إشراف وزارة الداخلية والمملكة العربية السعودية على أعمال بناء الجامعة .
٨ – التنفيذ الكامل للمشروع فى فترة زمنية مقسمة إلى أربع مراحل .
٩ – قدرت التكاليف الإجمالية للمشروع بمراحله الأربع بمبلغ ٢٩ مليونا من الدولارات الأمريكية بما فى ذلك ثمن الأرض والمعدات والتجهيزات وتكاليف الصيانة والإدارة خلال السنوات الأربع الأولى .
١٠ – تشتمل التكاليف الإجمالية على مبلغ يضمن موارد منظمة لمقابلة تكاليف الإدارة والصيانة ابتداء من السنة الخامسة .
١١ – سوف تتحمل الحكومة الكورية ١٠٪ من التكاليف الإجمالية (ثمن الأرض المهداة من الحكومة الكورية يزيد عن هذه القيمة) .
١٢ – ستتكون الجامعة من ٣ كليات تنقسم إلى ٨ أقسام كالتالى :

(أ) كلية الدراسات الإسلامية :

١ – قسم الدراسات الإسلامية	٤٠ طالبا
٢ – قسم اللغة العربية	٤٠ طالبا
٣ – قسم الشريعة	٤٠ طالبا
	١٢٠ طالبا

(ب) كلية الاقتصاد والإدارة :

١ – الاقتصاد	٤٠ طالبا
٢ – التجارة الدولية	٤٠ طالبا
٣ – إدارة الأعمال	٤٠ طالبا
	١٢٠ طالبا

(جـ) كلية الإنسانيات :

١ – قسم اللغة الكورية والأدب الكورى	٣٠ طالبا
٢ – قسم اللغة الانجليزية والأدب الانجليزى	٣٠ طالبا
	٦٠ طالبا
المجموع	٣٠٠ طالب

وتشكل لجنة من أعضاء مجلس الجامعة وإخصائيين فى التربية الإسلامية من جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بالمملكة العربية السعودية وتحت إشراف الدكتور عبد الله عبد المحسن التركى مدير الجامعة لكى تقوم برسم مناهج الجامعة ، وعلى أية حال ، فإن المقرر يشتمل على دراسة القرآن والحديث وبعض المواد الإجبارية الأخرى مثل الفقه وسيرة الرسول ﷺ وغيرها وخاصة للطلاب الذين يدرسون الاقتصاد وإدارة الأعمال والإنسانيات واللغة . وقد بلغت الأموال التى منحت لهذا المشروع الجليل حتى اليوم من مايو ١٩٨٥ مليون دولار أمريكى منها ٤٠٠,٠٠٠ دولار أمريكى من المملكة العربية السعودية باسم الملك فهد بن عبد العزيز و ١٠٠,٠٠٠ دولار أمريكى من صندوق التضامن الإسلامى ومنظمة المؤتمر الإسلامى و ١٠٠,٠٠٠ دولار أخرى من جمعية الدعوة الإسلامية فى ليبيا و ٥٠٠,٠٠٠ دولار أمريكى من قطر وغيرها ، ولكى يتمكن كل الإخوة المسلمين فى العالم من أن يشاركوا فى إقامة هذه الجامعة فإن اللجنة تنتهز هذه الفرصة لتدعو جميع الإخوة المسلمين فى العالم أن يولوا اهتماما وعناية خاصة لهذا المشروع بتقديم الدعم المالى والتبرعات السخية وخاصة وأن حكومة جمهورية كوريا – وعلى خلاف البلاد ذات الأقليات الإسلامية – قد أبدت اهتماما عظيما بهذا المشروع وزودته بكل المعاونة الممكنة .

٦ – المشاكل التى تواجه أنشطة الدعوة الإسلامية فى المجتمع المسلم فى كوريا :

لقد أُهملت الأقليات المسلمة فى الشرق الأقصى لزمن طويل بلغ حوالى ١٤٠٠ عام من قبل إخوانهم ، ولم تكن كوريا استثناءً من ذلك ، ومعروف جيدًا أن الأقليات المسلمة تعانى المصاعب فى المجتمعات غير المسلمة وكذلك فى ظل الأفكار والمبادىء السياسية الغربية وقد تُركت هذه الأُقليات المسلمة تحت رحمة الجماعات الدينية وغيرها من الجماعات .

لذا يصبح من الضرورى استمرار البحث فى كل بلد من بلاد هذه المنطقة ، إذ أن كل بلد لها مشاكلها المختلفة ، ومع ذلك توجد أوجه شبه سوف تبرز بالتأكيد خلال إجراء البحث فى المستقبل القريب .

(١) المشاكل السياسية :

لا يوجد لفظ « الدين » فى الفلسفة الشيوعية لأن الشيوعيين ينكرون كل الأديان ووجود الخالق ، ويسمحون فى الواقع للدعاية الأخرى ضد الأديان بدون إعطاء الحق للجماعات الدينية الأخرى فى الرد على دعايتهم ضد الدين ، ولكن ، وبالرغم من كل أنواع الضغط من جانب الحكومة ضد الإسلام فإن التقارير المتوفرة تدل على أن المسلمين فى هذه المناطق لم يتركوا ديانتهم وعقيدتهم الإسلامية .

ومع ذلك فكثير من المسلمين فى بعض المناطق التى تمارس الاضطهاد ، قد نسوا ديانتهم وتعاليمهم الإسلامية وأسوأ الحالات هى التى يفترض وجودها فى كوريا الشمالية وهى الدولة التى

يعيش فيها ١٥ مليون كورى تحت العبودية الشيوعية .

لقد حان الوقت ليفهم المسلمون فى العالم متاعب هؤلاء الناس وأن يولوا اهتماما جادا لمشاكلهم وإلا فسوف يصيبهم الإحباط ، فهم محتاجون إلى التشجيع والمعونة المادية والمعنوية من العالم الإسلامى .

دعونى أولى اهتمامًا خاصا إلى ما يسمى بالتسامح الدينى فى البلاد الشيوعية مثل كوريا الشمالية حيث لا توجد أية ديانة ، إذ لا يسمح بوجود البوذية ولا المسيحية ولا الكونفوشيوسية ولا الإسلام بالطبع فى كوريا الشمالية ولا يوجد مكان فى العالم أسوأ من كوريا الشمالية وتصيبنى الدهشة باستمرار كلما تلقيت الأسئلة من كثير من الإخوة المسلمين يسألون كم مسلما وكم مسجدا فى كوريا الشمالية ؟ ولم نعد نرحب بمثل تلك الأسئلة البلهاء .

(٢) المشاكل التعليمية :

إن وضع التعليم الإسلامى الأساسى فى كوريا ليس مرضيًا إذ لا يوجد تعليم دينى فى المدارس الحكومية فى هذه المنطقة ، لذا يجب أن يكون هناك تركيز على التعليم الإسلامى لهذا السبب لابد من إعادة ترتيب وتنظيم برامج التعليم الإسلامية الموجودة . ولابد من المساعدات الإيجابية للمسلمين الراغبين في إقامة معاهد تعليمية إسلامية في هذه المنطقة وستكون إقامة الجامعة الإسلامية أعظم إدارة مؤثرة للدعوة الإسلامية في بلاد الشرق الأقصى مثل كوريا ، هذه الجامعة الإسلامية يجب أن تكون من باب فرض العين وفرض الكفاية .

(٣) المشاكل المالية :

وهى أصعب المشاكل التى تواجه كل أقلية مسلمة وبالتالى فإنهم يعانون موقفا ماليا صعبا لمواجهة نفقات المطبوعات وصيانة المساجد والمراكز الإسلامية وإدارتها وهكذا ، وبدون حل لتلك المشاكل لن يستطيعوا نشر برامجها أو تحقيق أهدافها .

إن الاستقرار المالى هو أهم وسائل الدعوة وبدون ضمان المورد المالى لن يستطيع إنسان أن يفكر فى قيام مشروع إسلامى طويل المدى فكل إنسان يعرف أن تلك المشكلة المالية يجب أن يحلها المسلمون فى بلاد الأقليات بأنفسهم ، ولما كان عدد المسلمين فى بلد مثل كوريا صغير جدا فإنه يستحيل علينا أن نقف على أقدامنا وحدنا فى هذه الفترة الحالية وحتى نستطيع الاعتماد على أنفسنا فلا يوجد وسيلة أخرى سوى الاعتماد على معاونة العالم الإسلامى .

(٤) المشاكل الثقافية والعرقية :

إن بلادا مثل كوريا واليابان والصين وهونج كونج قد تأثرت بالكونفوشيوسية فى عاداتها التقليدية لزمن طويل وبنفس الخلفية الثقافية ، فمثلا ينحنى الناس لوالديهم فى يوم السنة

الجديدة ، كما ينحنون لصور أجدادهم كذلك فى طقوس دينية ، وهذا لا يعنى صلاة بطبيعة الحال وإنما هو نوع من الاحترام لهم .

وفى نفس الوقت تعيش الأقليات المسلمة فى الشرق الأقصى فى بلاد ذات ديانات راسخة مثل البوذية والكونفوشيوسية والمسيحية ، وقد حققت المسيحية خاصة فى أقصى شرق آسيا إنجازات ملموسة فى عملها التبشيرى بسبب المعونة الهائلة من البلاد الغربية ، وتلك السيطرة الخاصة بالديانات القديمة الراسخة منعتنا من نشر الدعوة الإسلامية فى هذه المنطقة .

وفوق ذلك هناك سوء فهم للإسلام فى هذه المنطقة ، فما زال كثير من الناس يفهمون الإسلام على أنه دين الإكراه وتعدد الزوجات والعقوبة القاسية ، وحتى كتب المدارس الابتدائية والثانوية مليئة بتشويهات كثيرة للإسلام فمثلا يعتقد مؤرخون كوريون مشهورون اعتقادا جازما بأن الحملة الصليبية خلال العصور الوسطى إنما هى حرب مقدسة .

(٥) النقص فى الدعاة المؤهلين والمفكرين والكتب :

أ – إن الديانات الراسخة مثل المسيحية والبوذية هى المهيمنة فى كوريا ولذلك فلابد من توفير الدعاة الإسلاميين المؤهلين تأهيلا عاليا ، صحيح أن عدد المسلمين الجدد فى كوريا يزداد بمتوالية هندسية بعد أن اكتمل أول مسجد وأول مركز إسلامى عام ١٩٧٦ وبالتالى أصبح من المستحيل عليهم القيام بالتبشير الإسلامي بكفاءة من خلال عدد محدود من الدعاة ، ولدى الاتحاد الإسلامى الكورى خمسة دعاة موفدين من الدول الإسلامية ويصعب جدا على أية حال تغطية متطلبات نشر الإسلام على المستوى القومى بهؤلاء الدعاة الخمسة إذا ما وضعنا فى الاعتبار المعوقات الكثيرة أمام الدعاة فى كوريا مثل الضعف فى اللغة والفروق الاجتماعية والثقافية بينهم وبين الشعب الكورى لذا يتطلب الأمر تأمين دعاة مؤهلين ومدربين فى البلاد الإسلامية بقدر المستطاع لأنها الوسيلة المثلى لنشر الإسلام بأسلوب فعال فى الخطة طويلة الأمد . وبهذا الخصوص نأمل أن تدعو كثير من الدول الإسلامية شبابها الطلاب لدراسة الثقافة الإسلامية واللغة العربية فى تلك البلاد بهدف التنشئة الفعالة للدعاة المؤهلين للمستقبل وفى حالة إرسال الدول الإسلامية لدعاتها نفضل إرسال الدعاة ذوى التأهيل العالى ليس فى الثقافة الإسلامية فقط بل فى مجال الأديان المقارنة وأن يكونوا من ذوى الشخصيات والاتجاهات الجيدة والتى تعبر عن النموذج المثالى للمسلم .

ب – المفكرون الإسلاميون والعلماء :

وهم مطلوبون كذلك وبطريقة ملحة فى الشرق الأقصى بما فى ذلك كوريا فبدون هؤلاء المفكرين والعلماء فمن الذى يستطيع أن يدرِّس الثقافة الإسلامية بطريقة أكاديمية وعلمية كما أنه لا ينتظر

بدون هؤلاء أن تكون هناك دعوة مؤثرة ومستوى عال من التعليم الإسلامى للمثقفين بما فيهم طلاب الجامعات .

جـ - المشكلة الأخرى هى نقص الكتب الإسلامية والمؤلفات الإسلامية بما فى ذلك المصاحف وكتب الحديث ، ويتردد الكثير من الكوريين على المسجد والمركز الإسلامى يوميا يسألون ما هو الإسلام ، ويجيب عليهم الدعاة بالطبع ويتكلمون عن الإسلام باللغة الإنجليزية ويرغب الكوريون على كل حال فى أن يعرفوا الإسلام معرفة أكثر عمقا وبأسلوب علمى ويطلبون الكتب الإسلامية باللغة الكورية ولحل هذه المشاكل بدأ الاتحاد الإسلامى الكورى فى نشر سلسلة من المؤلفات الإسلامية بتجميع أو ترجمة الكتب الإسلامية المنشورة فى البلاد الإسلامية وهى عملية تستغرق الوقت الطويل والمال .

إلى جانب ذلك نحتاج إلى الكثير من الكتب فى الموضوعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الإسلامية ، ويعتقد الكثير من الكوريين أن الاتحاد الإسلامى الكورى هو مركز إعلامى للبلاد الإسلامية ومع ذلك سيكون من المستحيل بناء مركز ثقافى بدون معونات البلاد والمنظمات الإسلامية .

وإذا أخذنا فى الاعتبار ذلك الاتجاه الكورى الحديث نحو الإسلام مثل الاهتمام المتزايد بالعالم العربى والثقافة العربية منذ أزمة النفط فإنه يمكن تحقيق انتشار للنفوذ الإسلامى فى أنحاء البلاد .

وإذا استطعنا أن نجعل العمال الكوريين البالغ عددهم أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ عامل فى البلاد الإسلامية فى الشرق الأوسط يعتنقون الإسلام هم وعائلاتهم فسوف يكون ذلك نقطة انطلاق فى نشر الإسلام على المستوى القومى ، بالإضافة إلى ذلك الجهود التى يبذلها الاتحاد لإدخالهم فى حظيرة الإسلام عن طريق الاتصال بكثير من الشركات العاملة فى هذه المجالات وقد حققنا نتائج مثمرة من وراء هذا الجهد .

وأهم من ذلك جميعا تلك الحقيقة التى تقول إنه يوجد فى كوريا أكثر من ٢٠ مليونا من الكفرة مما يعطى آمالا واعدة فى انتشار الإسلام . وقد يكون من السهل استخلاص النتائج حول الموقف العام للإسلام ومستقبله فى كوريا .

وكما بينا فى الظروف والمواقف السابق شرحها ، فإنه يمكن تقييم الظروف الخارجية لنشر الإسلام فى كوريا على أنها جيدة فى كثير من الأحوال . فالمشكلة هى كيف نبسّط أعمال نشر الدعوة بأسلوب أكثر تأثيرا بالإضافة إلى التركيز الداخلى واللازم لهذا النوع من الظروف ، لذا يلزم وجود تركيبة افتراضية تتكون من الميل الروحى للجهاد فى سبيل نشر الإسلام من جانب مسلمى كوريا والمعاونة القوية المادية والمعنوية من جانب البلاد الإسلامية الكبرى فى أنحاء العالم .

إن الإسلام فى كوريا فى حقيقة الأمر يشبه شجرة تحتاج إلى كمية ضخمة من الغذاء والماء والشمس مع عمرها القصير البالغ ثلاثين عاما ، وفوق ذلك يفترض أنه إذا استمرت المعونات

الإيجابية من جانب الإخوة المسلمين من أنحاء العالم فإن شجرة الإسلام فى كوريا ستنمو مترعرعة مع نشر التعاليم الإسلامية فى أنحاء تلك البلاد ، ونأمل أن ينال الإسلام فى كوريا نقطة تحول جديدة فى انتشاره عن طريق معرفة ودراسة الأساليب الأكثر فعالية والطريقة المثلى لأعمال الدعوة الإسلامية من خلال المشاركة فى المؤتمرات والندوات الدولية .

٧ - استراتيجية أنشطة الدعوة فى المستقبل :

يوجد معنيان واضحان لمصطلح الدعوة الأول هو إعادة تعليم المسلمين والثانى هو تقديم الإسلام لغير المسلمين بهدف نشره بينهم بصورة عامة وأريد أن أركز على المعنى الثانى بناءً على تجربة الدعوة فى كوريا .

يمكن تفسير الدعوة الإسلامية بأنها التعبئة الكاملة لجميع الإمكانيات المادية والمعنوية لتعليم الإسلام . ويعتقد أن أفضل استراتيجية هى أن نتسلح بالإيمان القوى وأن نكون رجالا ونساء مثاليين فى المجتمع وأن يشارك كل فرد فى الدعوة بحماس وبأسلوب إيجابى ، وعلى أى حال فإن ذلك يحتاج إلى بعض المتطلبات الحاسمة والتنظيمات المحكمة وهذه يمكن تقسيمها إلى نوعين الأول هو البعد الداخلى والآخر هو البعد الدولى .

أ) البعد الداخلى :

- حتى يعتنق غير المسلمين الإسلام وحتى يمكن الحفاظ عليهم من الانحراف عنه يجب أن يكون هناك تصنيف انتقائى فعال لأهداف الدعوة ويلى ذلك إنشاء المنظمات التى تقوم بتنفيذ هذه الأهداف وبعبارة أخرى أنه يجب أن تُنشأ وتُدار بأسلوب نظامى كل منظمة ترعى الأطفال والطلاب والشباب وكبار السن والنساء .

إن الإدارة الفعالة وعمل هذه المنظمات سوف ينمى الإحساس بالانتماء ، ويدعم الوحدة ، ويعزز القمة المتجانسة للإسلام ، وبناء الشخصية الإسلامية للمسلمين الداخلين حديثا فى الإسلام من خلال الاتصالات الأفقية والتعاون الرأسى بين المنظمات المعنية .

٢ - تدبير الموارد البشرية المؤهلة تأهيلا جيدا : وهو أمر لابد منه ، ونستطيع من الناحية العملية أن نقسم الدعاة إلى فئتين - فئة المحترفين المتفرغين تفرغا كاملا والأخرى فئة الهواة المتعاونين بعض الوقت ، فبالنسبة للمتفرغين يجب أن يكونوا مؤهلين فى الأديان المقارنة واللغويات وعلم النفس والاجتماع كما ينبغى أن يكونوا مسلمين ذوى شخصيات حسنة تمتاز بالصبر والكرم والحماس والإنسانية ويقترح أن تقوم الجامعة الإسلامية التى تخرج الدعاة المحترفين بتدريس مناهج جامعية فى هذه الموضوعات ويجب التركيز على موضوعات الأديان المقارنة واللغة الخاصة بالمنطقة التى سيعمل فيها الدعاة .

ويجب علينا عند الحصول على الداعية المتطوع بعض الوقت ، أن نولى انتباهنا إلى قادة مختلف

المجالات الاجتماعية ، كأن نحاول ولو عن قصد أن نحصل على قادة سياسيين واجتماعيين وفكريين واقتصاديين وعاملين فى الصحافة ليعملوا فى الإطار الشامل للدعوة الإسلامية فإذا حولناهم إلى الإسلام نستطيع أن نبسط الدعوة الموسعة بين الناس عامة وبين المجتمع .
وأمامنا كمثال للنجاح فى تدبير الموارد البشرية المؤهلة تجربة الكنيسة الموحدة على يد الكاهن مون والملة البروتستانية للمورمون ، فعلى سبيل المثال يتكلم المبشرون فى الناحيتين المذكورتين اللغة الكورية بطلاقة قبل وصولهم إلى كوريا .

٣ – وكذلك لابد من تشغيل وإدارة فعالة لأساليب الدعوة البسيطة :
بيد أن كثيرًا من المجتمعات الإسلامية فى بلاد الأقلية اتبعت أساليب بسيطة فى الدعوة إلى الإسلام مثل الدعوة المباشرة وجها لوجه أو زيارة منزل غير المسلم أو الدعوة من خلال وسائل الإعلام أو إلقاء المحاضرات والمعاهد التعليمية وهكذا .
وحتى تزداد درجة تأثيرها . فلابد من المؤسسات المنظمة لأى مجتمع مسلم ولأساليب دعوته – ونجد الأمثلة الواضحة لذلك فى الكنيسة الموحدة والحركات الشيوعية وحركات الدعاية التى تتبعها الملل المسيحية الأخرى .

٤ – بالنسبة للناس الذين لا يعرفون أى شيء عن الإسلام فى بلاد الأقلية فإنه يجب خلق الحساسية للإسلام لدى هؤلاء القوم عن طريق الزيارات والأحاديث والمحاضرات التى يلقيها مشاهير المفكرين الإسلاميين أو القادة السياسيين أو الاجتماعيين أو المفكرين من البلاد الإسلامية وتستطيع المنظمات الإسلامية العالمية مثل OIC والرابطة الإسلامية للشباب WAMY تنظيم برامج خاصة حول خلق طفرة إسلامية فى بلاد الأقليات الإسلامية من خلال ابتعاث هؤلاء الناس .

٥ – يجب أن يكون هناك تركيز على التعليم الإسلامى فى بلاد الأقليات ومن أجل ذلك يجب إعادة تنظيم التعليم الإسلامى الحالى ، ليس فقط من أجل تعليم الأطفال المسلمين ولكن يجب أن تكون هناك معونة إيجابية للمسلمين فى المنطقة التى يراد أن تقام فيها معاهد تعليمية إسلامية ، وإقامة الجامعة الإسلامية سيكون أكثر الاستراتيجيات فعالية للدعوة فى بلد مثل كوريا نظرا للمستوى التعليمى العالى لشعبها .

٦ – وكلما كان الاهتمام بالمشاكل المالية كبيرًا فإنه لا يمكن أن نتجنب الاعتماد على مساعدة البلاد ذات الأكثرية الإسلامية فى الوقت الحاضر حتى نصبح مجتمعا يعتمد على نفسه ، ومع ذلك فلابد أن يحاول كل مجتمع مسلم فى بلاد الأقلية أن يقف على قدميه عن طريق الاقتصاد فى ميزانيته وتجميع الموارد المالية الممكنة من أعضاء كل مجموعة اجتماعية .

ب) الأبعاد الدولية أو الإقليمية :

١ – عقد مؤتمرات الشباب السنوية بما فيها من محاضرات وندوات ومعارض ...الخ ، تهدف إلى خلق الوعى بين الشباب المسلم من كل دولة حتى يمضى جزءا من إجازته فى مختلف البلاد

الإسلامية طلبا للأنشطة الثقافية والاجتماعية والتعليمية . وكذلك ليشغلوا أنفسهم فى عمليات مثمرة بقدر الإمكان وتعتبر هذه وسيلة عملية تجلب إلى شبابنا وبلادنا المعانى الحية والكامنة فى ثنايا وحدة الأمة وستجعلهم يشعرون بالمشاكل التى تواجه إخواننا فى الأجزاء الأخرى من العالم .

٢ – أهمية إنشاء المركز الآسيوى الإسلامى :

حتى نحقق نوعا من التنسيق بين المنظمات وبين المسلمين فى منطقتهم بتحمل واجبات توفير الدعاة ونشر المؤلفات الإسلامية فى لغة كل بلد وتبادل المعلومات على أبعاد مختلفة وتدريب الشباب وسيكون برنامج التدريب واحدا من البرامج الأكثر فعالية ليس فقط فى قضية إعادة تعليم المسلمين ولكن فى قضية تقديم الإسلام لغير المسلمين ، ويستطيع هذا المركز أن يقوم بدور مركز الإعلام لرجال الأعمال المسلمين فى هذه المنطقة إذ يمكنه تجميع الأموال من خلال الأنشطة التجارية بين المسلمين ، واستخدام تلك الأموال فى تنمية الدعوة فى هذه المنطقة ، كما يستطيع المركز أن يوفر القنوات المتماسكة والمحتكرة للموارد المالية من العالم الإسلامى .

٣ – يجب أن يدعم تبادل الخبرات الشخصية بين البلاد الإسلامية وخاصة بين بلاد الأقلية وبلاد الأكثرية فقد حاز المجتمع المسلم فى تركيا المزايا المتعددة فى الدعوة عن طريق التبادل فى الماضى ، فقد تم مثلا إنشاء مسجدين ومركزين إسلاميين ، حديثا فى كوريا عن طريق الهبة الفردية لكل مشروع نتيجة للاتصال الشخصى .

إن إقامة الجامعة الإسلامية الجارى إنشاؤها حاليا فى كوريا سوف يساهم فى توسيع الدعوة الإسلامية فى المنطقة الآسيوية فى المستقبل والجامعة سوف تكون كيانا علميا قويا للإسلام وقد بالعمل على إنشاء فروع أخرى للمعرفة كالفنون والعلوم التى تدرس وتعلم من المنطلق الإسلامى ذاته مولية العناية المركزة للمدارس الفكرية الإسلامية .

ومن الوظائف الأخرى للجامعة أنها ستقوم بتعليم اللغة العربية لغير المتكلمين بها وتدريب المعلمين المسلمين ورجال الدعوة على المستوى الراقى الملائم للإنسان ، وقد تلعب الجامعة دورا مشابها لذلك الدور الذى تلعبه جامعة اليجار فى الهند فى التنمية الكاملة للشخصية الإسلامية فى وقت حرج من تاريخ شبه القارة .

المستقبل الذى ينتظر الإسلام فى كوريا :

تقوم المنظمات أعضاء الاتحاد الكورى فى الوقت الحاضر بتقديم مئات من الخدمات لإخواننا المسلمين وأخواتنا المسلمات بنفس السماحة والديناميكية التى أبداها أعضاؤها المؤسسون فى زمن مبكر ، وكلنا أمل أن يستمر الاتحاد فى محاولاته لبناء المزيد من المساجد والمراكز الإسلامية فى مدن وقرى أخرى مناسبة من البلاد لكى نتمكن من توصيل رسالة الإسلام إلى عدد أكبر من الشعب الكورى .

وأهم المشروعات التى نتابعها هو إقامة الجامعة الإسلامية التى من أهدافها إقامة معاهد

تعليمية ليس للمسلمين فقط ولكن لغير المسلمين لتربية المسلم المثالى ولتزويدهم بالفهم الإسلامى الصحيح خلال حياتهم الجامعية حتى يمكنهم أن يتذوقوا القيم الحقيقية للإسلام ويمارسوا ما تعلموه فى حياتهم اليومية بعد التخرج .

لقد تأكد مشروع الجامعة الإسلامية من ناحية المبدأ بين رئيس جمهورية كوريا وملك المملكة العربية السعودية ، واستكمالا لهذا التأكيد تم توقيع الاتفاق من قبل اللجان العاملة وعلى المستوى الحكومى فى كلا البلدين عام ١٩٨٣ .

ونتيجة لذلك قدمت حكومة كوريا أرضا مساحتها ٤٣٠,٠٠٠ مترا مربعا للاتحاد الإسلامى الكورى بتوجيهات سعادة شون دووهان رئيس الجمهورية والتى نقدرها حق التقدير . وأنتهز هذه الفرصة لأن اتقدم بطلب متواضع لجلالة الملك فهد ملك المملكة العربية السعودية وقادة المسلمين فى العالم أن يدعموا هذا المشروع كى يتحقق فى القريب العاجل .

وهناك مشروع آخر نقوم بتنفيذه وهو ترجمة القرآن الكريم والسيرة النبوية (على صاحبها أفضل الصلاة والسلام) وكذلك المطبوعات الإسلامية والمؤلفات ذات الصلة بالموضوع ، إلى اللغة الكورية .

واليوم يتقدم الإسلام بحمد الله بخطى ثابتة فى كوريا ونأمل أن يلحق بنا الإخوة فى البلاد الإسلامية فى جهودنا حيث أن العطاء فى سبيل رفع شعلة الإسلام هو فى الواقع إلزام أدبى على كل المسلمين .

وإذا نظرنا إلى الجهود المستمرة والفعالة فى الدعوة فى كوريا فإن مستقبل الإسلام يبدو مشرقا وواعدًا .

وأريد أن أعبر عن صادق امتنانى وتقديرى القلبى لجميع المسلمين والمنظمات الإسلامية التى فتحت ذراعيها وقدمت معاونتها الإيجابية للمجتمع المسلم الكورى فى سبيل قضية الإسلام ، ومرة أخرى أقدم تحياتى وتمنيات مسلمى كوريا الطيبة لجميع الإخوة والأخوات المسلمين والمسلمات فى العالم .

وفى الختام ، أرجو أن أوصى بالاهتمام بمزيد من الدراسة الشاملة والعلمية لأحوال المسلمين فى بلاد الأقليات ، فقد كتب الكثير ونوقش الكثير حول أوضاع المسلمين والأقليات الأخرى ، وبعد ذلك ما هو الموقف :

لقد نفذ عدد محدود من الدراسات والبحوث بطريقة صحيحة ، وكخطوة أولى يمكننا أن نقدم حالة فردية جديرة بالدراسة لأقلية مسلمة فى منطقة معينة لكى نعرف المشاكل المختلفة التى تواجه الإصلاح وكذلك التحديات والفرص التى يجدونها فى محيطهم الجديد .

مثل تلك الدراسة قد تلقى ضوءا على كيفية تكييف قوانا المختلفة لمواجهة تحدياتنا ، وقد تنظر رابطة العالم الإسلامى فى أن توصى بتعيين شخص كورى عضوا فى مجلس المساجد ويقوم أعضاء

لجنة المجلس فى كوريا بدراسة أوضاع المسلمين برمتها من واقع ممارستهم لعقيدتهم وكذلك حالتهم الاجتماعية والاقتصادية فى مجتمع غالبيته من غير المسلمين ، وإذا كانت هذه التوصيات جيدة فيجب أن تأخذ بها رابطة العالم الإسلامى بجدية وأن تنفذها كعمل من أعمال الدعوة الإسلامية .

وعلينا أن نتذكر أن مناسبة الاحتفال بالقرن الهجرى الجديد هى وقت يتعين علينا فيه نحن المسلمين أن نعيد التفكير فى مستقبلنا بثقة وبصيرة لنعمل أكثر ولنقلل من الكلام ولنتبع المثل العليا للرجال الذين عاشوا طبقا لما اعتقدوا كى نحول الكلمات إلى أفعال .

لنتحرك فى سبيل الدعوة الإسلامية بروح الجهاد القوية ، فالإسلام ديننا ويجب علينا نحن المسلمين ألا نقف على الجانب الآخر من الدعوة ، فهذه هى الاستراتيجية الوحيدة للمستقبل .

ندعو الله العلى القدير أن يلهمنا إلى الطريق القويم ويمنحنا القوة لاتباع طريق الله ورسوله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام - آمين .



المسلمون في الفلبين
كيف يرون مشاكلهم؟

د. محمد فتحي محمود



المسلمون في الفلبين كيف يرون مشاكلهم؟

د. محمد فتحي محمود

مقدمة :

دخل الإسلام دين السلام إلى الفلبين قبل أن تطأ قدم أي غربي أرض هذه الجزيرة بقرنين كاملين وعندما وصل الاسبان إلى الفيليبين في عام ١٥٢١ كان الإسلام قد انتشر في لوزون ، الفيزاس ، وميندافلو . وفي مانيلا كانت توجد عدة مستوطنات إسلامية من بينها ما كان تحت قيادة راجاه لاكوندولا ، وراجاه ماتندا ، وراجاه سليمان محمود ، وفي باميانجا وهو إقليم آخر من أقاليم لوزون كانت توجد به أيضا مستوطنة صغيرة للمسلمين . وفي ميندناو تأسست سلطنتان إسلاميتان هما سولو وماجو نيداناو .

وحيث أن الإسلام قد دخل إلى الفيليبين عن طريق التجار العرب والماليزيين . فقد كانت مانيلا وباتاانجاس وسولو هي أول مستوطنات تخضع لنفوذهم . ومع ذلك – وعلى العكس من المسيحية والتي لها إرساليات نشيطة – يتجه الإسلام إلى التوفيق والتسامح تجاه الممارسات

---

* يستخدم المصطلح « المسلمون فى الفيلبين » إشارة إلى المجموعات الفيلبينية المسلمة بدلا من المصطلح « الفيليبنيون المسلمون » الذى وإن كان أكثر انتشارا إلا أنه تاريخيا غير صحيح . وهذا يعود إلى أن المصطلح « علم » والذى يعنى الفرد الذى يتبع دين الإسلام أو الفرد الذى يسلم أمره كاملا لمشيئة الله يسبق زمنيا المصطلح« فيليبينى من الفيلبين » .

والسبب المقنع لهذا الاختيار هو أن المسلمين في الإسلام أخوة بغض النظر عن الجنس ، واللون ، والبلد ، والأفكار السياسية ، وبمعنى آخر فإن المسلمين يعتقدون أنهم ينتمون إلى عالم الأخوة ، والمسمى بدار الإسلام أو العالم الإسلامي ، ومن ثم فإن أى مسلم فيلبيني مثلا هو بالتالى مواطن من مواطني العالم المسلم .

الأهلية والوطنية وخاصة في المجالات التي لا صلة لها بالعبادة كالفنون مثلا .

وقبل مجيء الإسلام إلى الفيلبين ، كان المسلمون يطبقون نظاما اجتماعيا سياسيا متطورا ، ونظاما للكتابة ونظاما تعليميا وكذلك اقتصاديًا متقدما . وتطورت الجمعيات الدينية – السياسية التى كانت تعمل على مستوى أعلى من مستوى القرية في شكل مجموعات أو تقسيمات سياسية قوية ، لأنها أصبحت ذات قاعدة عريضة . وقد أثبت الإسلام أنه قوة موحدة لتابعيه ، وكان هذا هو أحد الأسباب وراء فشل الاسبان في إخضاع المسلمين في الفيلبين . ولذلك فإننا مازلنا حتى اليوم نرى الكثير من الفنون والثقافة الإسلامية لازالت تحتفظ بطابعها الخاص على عكس الثقافات الأصلية للشعوب المستعمرة في فيساس ولوزون والتى قضى عليها تقريبا القساوسة الاسبان في أماكنها الدينية .

وفي القرن الخامس عشر كانت أرض « الملايو » في جنوب شرق آسيا التى تضم الفلبينيين تمثل مجموعة مؤلفة من عدة إمارات تتجر معا ، ولها صلات ثقافية كبيرة . وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك عدة زيجات تحالف بين عائلاتهم الحاكمة . وفي ذلك الوقت كانت « ملقا » هى أشهر امبراطورية في المنطقة ومركزا للدراسات الإسلامية ، وبجانب العديد من سكان غرب آسيا ، كان يزور هذه المنطقة تجار من يورنيو ، وسولد ، وبعض أماكن من الشرق الأدنى مثل « مالاجاش » كما أن كثيرا من الإمارات الإسلامية نشأت مع اضمحلال امبراطورية ماجاهيكا الهندوكية التى كانت تتمركز في جاوا الوسطى . وكانت سولو هي إحدى هذه الإمارات . وكان التجار المسلمون – وبينهم العرب – يأتون لسولو منذ القرن الثالث عشر ، إن لم يكن قبل ذلك . وكانوا يتوقفون سويا مع التجار الصينيين في سولو في طريق سفرهم من يورنيو إلى الصين .

والسلطنة في سولو ، مثل سلطنة ماجونيدتو في جزيرة ميند ناو ، كانت قائمة على نفس المبادئ السائدة في أي سلطنة عربية ، حيث يملك السلطان جميع السلطات والحقوق التي يتمتع بها الخليفة ، ومع ذلك كانت سلطنة سولو تحكم في ضوء العادات والقوانين المحلية بعد تعديلها حتى لا تتعارض مع القوانين والمفاهيم الإسلامية ، وقد سنت بعض القوانين التي أعلنها الشريف أبو بكر بهدف الحفاظ على هذا التآلف .

ومن ثم نستطيع أن نتبين أن انتشار الإسلام في الفيلبين يمكن أن يعزى إلى الدور الهام الذى لعبه في سياسات المنطقة . وقد اكتسب هذا الدور السياسي أهمية أكبر منذ بداية القرن السادس عشر وماتلاه مع بداية ظهور الأوربيين على المسرح ، وكان البرتغاليون والاسبان أو الأوربيون قد وفدوا إلى المنطقة ليس فقط بغرض احتكار تجارة التوابل بل أيضا لنشر المسيحية ، وفي الواقع كان وصولهم إلى جنوب شرق آسيا من نواح كثيرة امتدادًا للصراع القائم في أوروبا بين المسيحيين

والمسلمين والذى استمر لعدة قرون ، وانتقل بالتالى إلى المحيط الهندى ، وبعد أن استولى البرتغاليون على ملقا بمدة قصيرة أرسلوا أول إرسالياتهم إلى أهل ملقا . ويمكن أن نصف القرن ونصف الذى تلا ذلك بأنه كان سباقًا بين الإسلام والمسيحية لتغيير دين سكان هذه المنطقة .

ومع نزول فيرناندو دي ماجلان (المكتشف البرتغالي الذي عمل لحساب أسبانيا) في الفلبين عام ١٥٢١ م دخلت الأرخبيل بالتدريج تحت الحكم الأسباني وظلت كذلك حتى عام ١٨٩٨ م حين انتقل الحكم إلى الولايات المتحدة طبقا لنصوص معاهدة باريس . وقد جاء الاسبان كما جاء البرتغاليون ليحولوا سكان الفلبين إلى المسيحية وإلى رعايا الملك الاسباني . وبالطبع فقد سقطت المستوطنات الإسلامية في مانيلا ، والتي كانت تحت حكم راجا ماتندا وراجا سليمان ، في أيديهم في ١٥٧١ م . وقد شن الاسبان لعدة قرون حروبا ضد المسلمين في ميندناو وسولو بهدف إخضاعهم لكن دون جدوى . كما حاول الحكام الاسبان غزو بروناى ، وهي مستوطنة إسلامية ، في عام ١٥٧٨ م و ١٥٨١ م . وفي ١٥٩٦ م قتل سكان بويان الحاكم الاسباني الجديد لميندناو الذى قاد شخصيا جيشًا ضد المسلمين . وبعد ذلك بمدة قصيرة ، ترك الاسبان مؤقتا مراكزهم في الأراضي التي يسكنها المسلمون في الفلبين .

ومحاولات الاسبان المبدئية لغزو وتنصير المسلمين أدت إلى سلسلة طويلة من الحروب المعروفة باسم حروب عورد التي انتهت فقط بانتهاء الحكم الاسباني في الفلبين . وفي ميندناو وسولو استمر إصرار المسلمين على المقاومة المستمرة للاسبان ، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل ، أكثرها وضوحا هي أن السلطنات الإسلامية كانت تمثل هيئات سياسية مركزية أكثر تعقيدا من نوع المنظمات البارانجية البسيطة التى كانت على شكل قرى قائمة فى شمال الفلبين . وكان بعض السلاطين يحكمون عدة مستوطنات تزيد عن العشرين عن طريق حكام خاضعين لهم ، ومن ثم كان فقدان إحداها يعنى بالضرورة فقدان الأخرى . وهنالك عامل آخر هو أن الإسلام كان يمثل نقطة تجمع ومصدرا للتعاون والتوحد . وكما كان الحال فقد انصهرت عوامل الوطنية واتحدت تماما مع الواجبات الدينية ، وأصبح الدفاع عن الأرض والوطن والأسرة واجبا إسلاميا . وأصبحت المقاومة ضد الاسبان دفاعا عن الإسلام ذاته .

ومما سبق يتبين أن المسلمين في الفلبين بدأوا يواجهون مشكلات متعددة الجوانب تجاه الحكومة حين أتى الاسبان ، ليس فقط بهدف إخضاع المسلمين بل أيضا بهدف تحويلهم إلى المسيحية . وقد بدأوا ذلك بهمة فى عام ١٥٦٥ م وعلى مر السنين بل وحتى حين وصلت القوى الأجنبية الأخرى – الأمريكية واليابانية كانت مشكلات المسلمين في الفلبين لازالت تؤرق الحكومة وتقلقها .

لقد شهدت السنوات الأولى لاستقلال الفلبين ازدياد حدة مشكلات المسلمين وهى تتفاقم

لرفضهم إرسال أبنائهم إلى المدارس خوفا من أن يتحولوا إلى المسيحية .

« وحين قدم الأمريكيون نظامًا عالميًا للدراسة الابتدائية ، رفض معظم المسلمين إرسال أولادهم للمدارس خوفا من أن يتحولوا إلى المسيحية . وحين قدمت الهيئات الأمريكية منحا دراسية لحثهم على ذلك ، استمرت العائلات الرئيسية القيادية في رفض إرسال أولادها للمدارس ، وبدلا من ذلك أرسلوا أولادهم بالتبنى إلى هذه المدارس لإرضاء الأمريكيين .

ونتيجة لمستوياتهم المعيشية المنخفضة ، وسوء الصحة والعلاج ، وارتفاع نسبة الأمية فقد كان تقدمهم ضعيفا جدا . ولكن الأسوأ من ذلك هو تعميق العداوة الدينية والثقافية بينهم ، وكان الأسبان قد بثوا هذه العداوة ورعوها متقصدين ذلك تحت شعار سياسة « فرق تسد » .

إن المشكلات الدائمة المزمنة للمسلمين في الفلبين قد روّعت الحكومة ومن ثم فقد قامت بعدة دراسات في محاولة للتعرف عليها لإيجاد الحلول لها . وعلى ذلك فإن ما يسمى « بالمشكلة الإسلامية » أصبحت موضع اهتمام رسمى للحكومة . وبالرغم من أن الحكومة أرادت فعلا حل مشكلات المسلمين ، إلا أنها كانت معوقة بسبب العوامل والظروف السائدة مثل أزمة القيادة بين المسلمين ، والاهتمام الكبير بالسياسة ، والجهل بالثقافة الإسلامية بوجه عام . ونتيجة لذلك أمكن فقط تطبيق اجراءات رأب الصدع . وفي كل مرة يشكو فيها المسلمون ، تتخذ الحكومة أشكالا جديدة من الإصلاحات ليس إلا ، ثم تهملها فيما بعد .

ومن ناحية الحكومة ، فقد تمت عدة دراسات لما يسمى « مشكلات بورو » . أقر واحدة منها مجلس الفلبين السابق . وحديثا قامت مؤسسة خاصة ، وهي مؤسسة الفلبين إنكور يودشيه بما اعتبرته دراسة متعمقة في مشكلات المسلمين في الفلبين . وبالإضافة إلى هذه الدراسات ، فقد تم إعداد عدة أبحاث حول مشكلات المسلمين في الفلبين قام بها خبراء وأفراد عاديون . وهنالك أيضا أبحاث فردية قام بها العلماء المسلمون حول جوانب خاصة من مشكلة المسلمين .

من الملاحظ أنه بالرغم من كثرة الأبحاث العديدة التى قام بها القطاع الحكومي ، والمجموعات الخاصة، والأفراد، أو وكالات البحث فيبدو أن هناك اتفاقًا عامًا حول الشكل الخارجي لمشكلة المسلمين ، إلا أن المشكلة الأساسية ليست واضحة تماما وبمعنى آخر فإن المشكلات الهامشية أو الأعراض الخارجية واضحة تماما ، أما لب المشكلة فغير معروف ، ومن هنا ينشأ الاختلاف في الحلول المقترحة ، ويعود هذا كما يبدو إلى نقص في الإطار النظرى الذى يجب أن ينظر من خلاله إلى المشكلات الأصلية للمسلمين لتفهمها وحلها .

الإطار النظرى :

هذا الإطار يعتمد على حقيقة أنه حتى وصول الأسبان كان « الموروبون » في ميندناو وسولو كانوا قد اكتسبوا من خلال دخولهم للإسلام إحساسا راقيا بالمجتمع الديني ارتقى بقيمهم الأصلية وتقاليدهم وأخلاقياتهم ووجدوا فى الإسلام قوانين جديدة ، فالنظام السياسي فى الإسلام أكثر تطورا من النظام البارانجي الذى كان سائدا حتى مجيء الأسبان والذى كان مطبقا فى أماكن مختلفة من البلد ، كما تعلموا نظاما جديدا للكتابة ، واكتسبوا قبل كل شئ نظرة أخلاقية جديدة تجاه الحياة اتبعوها دون فقدان لحريتهم أو شخصيتهم الثقافية . ويجب التأكيد على أن الإسلام فى حد ذاته نظام حياة يشمل جميع نواحي الحياة للإنسان وينظمها .

وهنالك ثلاثة أسباب رئيسة تكمن وراء مشكلة المسلمين . وأول سبب هو تاريخ طويل لمحاولات فرض سيادة أجنبية على المسلمين الشغوفين بحب الحرية . وبالإضافة إلى هذه المحاولات ، فقد كانت هنالك محاولات دائمة على الأقل في عصر الاستعمار الأسباني لتحويل المسلمين إلى المسيحية ، ويمكن تسمية المسلمين في الجنوب التابعيين المتعصبين للإسلام حتى إن البرنامج السياسي العسكرى الذى طبق آنذاك لفرض هذه السيادة اتخذ طابعا دينيا ، ويبدو فى الحقيقة أنه بقي في إطار جميع النوايا والأغراض بالقدر الذى يهم المسلمين كان هنالك اندماج بين مطامع المستعمرين الدينية والسياسية وبين فرض سيطرتهم ، وقد ساعد كل هذا على تحولهم إلى النصرانية ، وذلك التحول إلى النصرانية ربما يكون قد فتح الأبواب إلى فرض السيطرة عليهم . وبمعنى آخر فإن العامل الأول الرئيسي لمشكلة المسلمين ربما لا يكون موجودا أصلا ، وعلى ذلك فلولا محاولات فرض السيطرة الأجنبية على المسلمين لما كان هناك مشكلة للمسلمين .

ويكمن السبب الثاني في خضوع المسلمين لمحاولات استعمارهم وتنصيرهم ، ونشأت المشكلة من طبيعة خضوع المسلمين لذلك . وعلى الرغم من أن الإسلام هو دين السلام إلا أن المسلمين ملزمون دينيًا بمقاومة كل الجهود التى تسعى لتحويلهم عن دينهم . ولقد انتشر الإسلام بالوسائل السلمية ، والإسلام يدعو للوحدة والسلام ضمن إطار مفهوم الأخوة العالمية ، ولكن إجبار الناس على دين معين أو إكراههم على التحول عن دينهم أمر غير مقبول يواجه مقاومة شديدة في الإسلام . ومن المتوقع بأن طبيعة المقاومة غالبا ما تعتمد على شكل هذا التدخل أو الإكراه – وعندما استخدم المستعمرون القوة لتحقيق أغراضهم ، رد عليهم المسلمون بكل قوة ، واعتبر المستعمرون هذا التحرك المضاد وهذه المواجهة من جانب المسلمين « مشكلة » .

إن السبب المبدئي أو الأساسي للمشكلة الأولى (من وجهة نظر المسلمين) وسبب المشكلة الثانية (من وجهة نظر المستعمرين) قد أفسح الطريق للمشكلة الثالثة وهذه هي المشكلة التي

ينبغي أن تنظر من خلالها إلى برامج الحكومة في الجنوب ، وأن نحللها في ضوء ما يريده المسلمون . فالمسلمون يريدون التكامل الثقافي والديني ، وقد حاربوا من أجل هذا التكامل ودافعوا عنه لأنهم تحققوا من أن جهود المستعمرين والحكومات الموالية موجهة لاجتثاث شخصيتهم كشعب وللنيل من مقومات عزتهم وفخرهم المشروعة .

ويتناول موضوع هذه الدراسة المصدر الثالث « للمشكلة » كنتاج فرعي للسببين الأولين .

وكما نرى من الرسم البياني رقم (١) كانت البداية التاريخية للمشكلة حين حاول الأسبان فرض سيادتهم في مندناو وسولو وتحويل المسلمين إلى المسيحية .

ويجب أن نتذكر أن سياسة « التعالى » التى اتبعها الأسبان تجاه المسلمين نبتت من قدرتها على طرد « الموريسكيين » من شبه الجزيرة ، ومن نجاحها في إخضاع السكان الأصليين في مناطق مثل امريكا اللاتينية ، ومن ثم ، فقد سلموا بأن المسلمين في جنوب الفيلبين سوف ينحنون أمام حدة وقوة أسلحة توليدو » وهذا الاتجاه السافر نتج عنه أغلى مغامرة استعمارية قامت بها أسبانيا . حيث قام الأسبان بفرض ضرائب باهظة على الفيلبينيين المسيحيين تمويل حروب « الموريسكيين » وإجبار السكان على الالتحاق بالقوات الأسبانية ، وقد فسر المسلمون هذه المشاركة (المفروضة قسرا) من جانب المسيحيين الفلبينيين كعمل عدائي نتج عنه عداوة لمدة طويلة ، وكراهية وشك . ومن الناحية الأخرى أهمل الفيلبينيون المسيحيون المواطنين المسلمين حتى أن دور المسلمين في تاريخ الفلبين وحتى وقت قريب ، كان دورا تافها لا يكاد يذكر ولازال المصطلح « مورو » يستخدمه الفيلبينيون المسيحيون حتى الآن بمعنى مهين ومجحف . إن مشكلة المسلمين في أوائل هذا القرن لم تتعد السبب الثاني . وهذا الإطار ظل مستمرا . ومع وصول الأمريكيين أضيف إليه بعد ثالث . وبموجب شروط معاهدة باريس ١٨٩٨ م ، ترك الأسبان الفيلبين للولايات المتحدة . وكان على الأمريكيين أن يؤكدوا سيادتهم مبدئيا باستخدام السلام في الأقاليم التي سلمت لهم بما في ذلك ميندناو ، سولو ، وبالوان التي يسكنها المسلمون الذين لم يعترفوا بالحكم الأسباني . ومنذ أن عرفوا بنوايا الأمريكيين ، قام المسلمون بمقاومتهم قدر استطاعتهم وذلك فيما يعرف الآن باسم حملة « التهدئة » فى مندناو وسولو .

إن المواجهة المسلحة بين قوات الحكومة (والتى كان معظم أفرادها من الفيليبينيين المسيحيين) وبين المسلمين انتهت حتى تم تأسيس الكومنولث – وقد احتج المسلمون على إدراجهم في الأقاليم التي وعدت بعض السلطات الأمريكية أن تجعلها أمة مستقلة عند انتهاء فترة الكومنولث ولكن دون جدوى . وخلال هذه الفترة بدأ الرئيس الراحل كيوزون سياسته في استيعاب المسلمين واستيطان ميندناو بسيل ضخم من الفيليبينيين المسيحيين .

وقد قاوم المسلمون ذلك برفق وظل هذا الأسلوب في المقاومة مستمرا حتى أعلنت الجمهورية

عام ١٩٤٦ م . ولقد نتج في آخر الأمر صراع بين المسيحيين وقوات الحكومة من ناحية وبين المجموعات المسلمة من ناحية أخرى . وكان هذا الوقت هو الذى طبقت فيه سياسة توحيد الأمة وتكاملها وكانت القرون الأربعة من المقاومة ضد نوايا وأعمال الحكومات المختلفة قد تركت المسلمين فى حالة من التخلف مقارنة بالمسيحيين الفيليبينيين . وهذه الحالة من الحرمان عجلت بتنفيذ برامج ومشروعات تهدف إلى تحسين النماء الاجتماعي – الاقتصادى والسياسي للمسلمين وتطويره حتى يمكن دمجهم بسهولة وبسرعة ضمن الكيان السياسي للفيليبينيين .

ويجب عند هذه النقطة ملاحظة أنه منذ أن بدأ الأمريكيون سياستهم في « الجذب » من خلال سياسة كيوسون في الاستيعاب ، وحتى سياسة توحيد الأمة وتكاملها ، بدأ الرؤساء السياسيون المسيحيون العمل من منطلق أن المسيحيين هم فيليبينيون أولا وقبل كل شيء . وقد كانت هنالك أسس لهذا الافتراض من بينها مشاركة المسلمين في العمليات السياسية . وفي ذلك الوقت بدأت جذور سياسة مقاومة المسلمين تختفى بالتدريج من عقول صانعي السياسة والإداريين . ولم يكن من المدهش أن برامج الحكومة والمشروعات اعتبرت وسائل لحل مشكلات اجتماعية وثقافية . واقتصادية وسياسية خاصة ،وسميت في مجملها باسم مشكلة المسلمين . وفى ذلك الوقت ظهر السبب الثالث للمشكلة ، وهو ما يتعلق بالتساؤلات حول ملاءمة وكفاية الحلول المعروضة لحل نواح معينة من مشكلة المسلمين .

إن عدم وجود التطابق بين رؤية الحكومة لمشكلة المسلمين ورؤية المسلمين أنفسهم قد ظهر حين اعتبر السياسيون والإداريون أن المسلمين فيلبينيون أيضا ولكنهم تخلفوا عن الفيليبينيين المسيحيين فى مضمار التقدم لنقص الفرص والمصادفات التاريخية . والرسم البيانى رقم ١ يوضح ذلك . إن الخطوط الثابتة للرسم البياني تؤكد خط الحكومة في التفكير ، في حين أن الخطوط المتقطعة تمثل رؤية المسلمين . وكلا الرؤيتين متماثلتان في مجال تفهم السبب التقريبي لحالة الحرمان التي يعيشها المسلمون . ومع ذلك ، وبسبب ما تفرضه الحكومة بالنسبة للتبعية السياسية للمسلمين ، فإنها ركزت على برامج مشروعات موجهة لحل مشاكل معينة للمسلمين . ومن الناحية الأخرى فقد اعتقد المسلمون أن اتجاه الحكومة لإخضاعهم بالإضافة إلى سياسة الأسبان فى استعمارهم وتنصيرهم . والسياسة الأمريكية لدمجهم ، وسياسة حكومة الكومنولث التى يسيطر عيها المسيحيون والجمهوريون لاستيعابهم اعتبروا كل ذلك تهديدا لمفاهيم السياسة التقليدية ، ولتكامل ثقافتهم ودينهم ، ولقد كانت الرغبة الغالبة فى الحفاظ على هذه القيم والعادات هى السبب فى هذه المقاومة ، وهذا يعنى أن ملاءمة كفاية برامج ومشاريع الحكومة إنما يقيسها المسلمون بمدى إمكانية تحقيقها لهذه الرغبة في حين أن مقياس السياسيين والإداريين لهذه الكفاية ليس بهذا العمق . ويبدو أن هذا هو الأساس في اختلاف وجهات النظر حول ماهية ومفهوم المشكلة .

وهذا الاختلاف يمكن توضيحه بالرسم البياني التالي . فالحكومة ترى أن مشكلة المسلمين تنحصر فى نطاق جوانبها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية الأساسية ومكونات كل منها والتي تتداخل جميعها الواحدة مع الأخرى . والمسلمون ينظرون إلى هذه الجوانب والمكملات ليس فقط كعناصر مترابطة بل كعناصر متصلة اتصالًا وثيقًا ببعض المفاهيم .

المشاكل الأساسية للمسلمين في الفليبين :

على الرغم من أن العديد من الدراسات قد أجريت فعلا على ما يسمى بمشكلة « مورو » إلا أنه يبدو أن الكثير منها قد فشل في إدراج الأمثلة الخاصة بالسوابق التاريخية لهذه المشكلات أو فى عمل تقييم دقيق وشامل للدوافع الاجتماعية والثقافية ، والنفسية للمسلمين . والسبب المرجح لذلك هو أنه يسهل الأخذ بالسوابق التاريخية والدوافع كشيء مسلم به ، أو قد يعزى ذلك لانعدام وجود إطار عريض وواضح للمفاهيم بحيث يمكن إدراج هذه السوابق التاريخية والدوافع الاجتماعية والثقافية والنفسية .

وهكذا فإن المسلمين في الفيلبين كانوا موضوعا لا لدراسات الأجانب فقط بل أيضا موضوعا لدراسات أشخاص يعرفون عنهم الشيء الكثير . وعلى ذلك فلم يقم أحد بسؤال المسلمين الذين يعرفون ما هي مشاكلهم عما يجب اتخاذه لحلها وكأنهم كمٌّ مهمل . ولذلك ظلت مخاوفهم وتطلعاتهم وتوقعاتهم وطموحاتهم فى طي الكتمان .

وحين سأل المؤلف عن أكثر المشكلات حدة في المناطق الإسلامية – حتى يتمكن المسلمون أنفسهم كمجموعة من الإفصاح عن مشكلاتهم وعن الحلول التى يرونها مناسبة لها – تعرف المسلمون في كل من سولو ، كوتاباتو ، لاسينو ، ديل نورته ، وزامبوانجا ديل سور على ثمان مشكلات أساسية قائمة ، وهذه المشكلات يمكن تقسيمها إلى ثلاثة جوانب ، اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية .

والجانب الاقتصادي يظهر بوضوح في فقر العديد من المسلمين نتيجة للبطالة أو لنقص في التوظيف بجانب عدة عوامل أخرى . كما أن هناك ثلاثة عوامل تساهم في وجود هذه المشكلة ألا وهي نقص المصانع في مناطق المسلمين ، ونقص في المتخصصين ، ونقص في المعرفة التقنية . وكما سبق أن ذكرنا آنفا فإن ذلك قد نتج عن وجود نظام للتعليم غير ذى صلة بالمسلمين كما نتج عن التزمت الذى يمارسه بعض المسلمين ضد المؤسسات المسيحية . وهنا يكمن التناقض الذى يؤدى إلى تفاقم مشكلات المسلمين . والواقع أن نقص المصانع فى مناطق المسلمين في ميندناو وسولو لا يعزى لعدم استقرارية الإدارة فقط بل يرجع أيضا لنقص المهارة التقنية بين المسلمين . ومن المسلم به أن أحد العوامل التي يأخذها الصناعيون في الاعتبار عند اختيار أحد المواقع لإقامة مصنع ما هو بالضرورة توفر الأيدى العاملة الماهرة .

وهناك مشكلة اقتصادية أخرى هى تتمثل في قلة الإنتاج الزراعي . وهنالك عدة عوامل تساهم فى هذه المشكلة . الأول هو نقص رأس المال . وهو بالتالى ذو جانبين — الأول عدم وجود مؤسسات إقراضية في مناطق المسلمين بالإضافة إلى الشروط المجحفة التى تضعها مؤسسات القروض مع التحيز ضد المقترضين المسلمين ، والثاني وهو الأهم لأنه يساهم في ضعف الإنتاج الزراعي فإنه يرجع إلى ملكية الأراضي . وهذا يذكرنا مباشرة بمشكلة الاستيلاء على الأراضي « والتى يرى المسلمون أن عددا كبيرا من المسيحيين استطاع الاستيلاء عليها » بسبب درايتهم بثغرات القانون .

وقد بدأ « الاستيلاء على أراضي » أسلاف المسلمين مع تدفق المستوطنين في لوزون وڤيزاياس بناء على دعوة وتعضيد حكومة الفلبين الفعال والذى بدأ مع إدارة حكومة الرئيس الراحل مانيول كيزون خلال فترة الكومنولث . ومع ذلك تفاقمت المشكلة بعد الحرب العالمية الثانية فبسبب تزايد عدد المستوطنين أصبح صعبا على المسلمين الذين انتزعت أراضى أسلافهم ، أن يحصلوا على أراضٍ زراعية جيدة ، وهذه الصعوبة تفاقمت ببناء المصانع على أراضٍ كانت مخصصة للزراعة أصلًا . وقد أصبح « الاستيلاء على الأراضي » مشكلة متفجرة ومعقدة حين حاول بعض المسلمين الذين انتزعت أراضي أسلافهم أن يستعيدوا هذه الأراضي بعد مرور فترة طويلة ، وبعد أن قام مشتروها أو المستوطنون المسيحيون باستصلاحها ، وكانت النتيجة هي المواجهة المسلحة بين الفريقين .

ومما يثير السخرية أن نجد في مثل هذا الوضع أن يدعى كل من المسيحيين والمسلمين أنهم ينشدون العدل ، ولكن على أسس قانونية مختلفة قائمة على نظم قانونية مختلفة . ولم يكن الأمر ميسوراً بهذه الدرجة لو أن الأراضي الصالحة للزراعة كثيرة ومتوفرة ، ولكن الملاحظ أن الحصول على أراضٍ زراعية أصبح أمرا صعبا بسبب التصنيع ولأسباب أخرى ، ومن المفارقات أيضا أنه بالرغم من نمو التصنيع ، لم يحصل المسلمون على نصيبهم من الفوائد الناتجة عنه كاتساع مجال فرص العمل مثلا ، بل على العكس فإن التصنيع حرمهم من الاستفادة من وسائلهم التقليدية في المعيشة ألا وهي الزراعة . وهنالك ثلاثة عوامل أخرى ساهمت في ضعف الإنتاج الزراعي وهي عدم توفر الماشية ، ونقص المعرفة ، ونقص فرص تسويق المنتجات المنزلية الزراعية . فالعامل الأول حرم الفلاحين المسلمين من حيواناتهم العاملة ، وهو أمر حساس نظرا للصعوبة البالغة التي يواجهونها للحصول على قروض لشراء الآلات الزراعية ، والعامل الثانى كان نتيجة لنقص العاملين فى الإرشاد الزراعى والذين كانوا في استطاعتهم — لو رغبوا فى ذلك — أن يتوجهوا إلى مناطق المسلمين للقيام بهذا العمل . والعامل الثالث نتيجة لنقص شبكة الطرق في ميندناو وسولو ونقص مشاركة الفلاحين المسلمين في البرامج التعاونية .

والعامل الثالث فى الناحية الاقتصادية لمشكلة المسلمين هو نقص في موارد الدخل الإضافـي . وهنالك ثلاثة عوامل معينة تحدد هذا العامل . فالمسلمون في الجنوب مشهوررون بأعمال النحاس ، الصدف ، النسيج وبعض المهارات المنزلية ، غير أنه من الواضح أنهم لا يستطيعون الحصول على دخل كبير من هذه المهارات ، وقد يعزى ذلك لنقص معرفتهم بالاستثمار أو التجارة ، بالإضافة إلى نقص في ضبط نوعية منتجاتهم المنزلية ، والتي كان علاجها ممكنا لو أن موظفي الحكومة العاملين بالترشيد قد أرشدوهم لمثل هذه التقنيات . ولسوء الحظ فإن العاملين بالترشيد قلما يذهبون لمناطق المسلمين .

وقد يكون نقص رأس المال سببًا في تخلف الصناعات الكوخية في مناطق المسلمين . والمشكلة الثالثة هي ما يعتبرها المسلمون « احتكار الصينيين وبعض رجال الأعمال المسيحيين لبعض الأعمال » ومن المرجح أن هذا يشير إلى خضوع بعض الأنشطة التجارية لغير المسلمين مثل «معدات المنازل ، تجارة الجملة بيعا وشراء ، وحتى تجارة التجزئة التي يحكمها وسطاء » والمسلمون خاصة فى سولو ، زاميرانا ، وبالوان ، قد اعتادوا على نظام المقايضة ، ومن المرجح أنهم يحصلون دائما على الحد الأدنى للصفقة عندما تترجم المعاملات التجارية إلى أرقام مالية . وإن نقص معلومات المسلمين عن الأسعار الوطنية والدولية ، ووضع العرض والطلب ، وكذلك عدم معرفتهم ببعض المهارات والمعلومات التجارية الأخرى ، كل ذلك يضيرهم بوضوح وخاصة عند مقارنتهم برجال الأعمال الصينيين المسيحيين ، مضاف لذلك أن نقص رأس المال العامل يمنعهم من تخزين بضائعهم انتظاراً لأسعار أفضل .

والمشكلة الاقتصادية التي تم اختصارها فيما تقدم ، تصبح أكثر وضوحا عند ربطها بالناحية السياسية . ويمكن القول بأن المعارضات والشكوك السائدة والناتجه عن ضغط المسيحيين والحكومة ذات الأغلبية المسيحية تجد أقوى تعبير لها في أمور تتصل بالجانب السياسي للمشكلة ، ومن جهة أخرى نستطيع القول بأن صراع المسلمين السياسي قد تسبب فى خلق أوضاع جعلت الجوانب الاجتماعية – الثقافية والاقتصادية تصبح أكثر أهمية بالنسبة للتعريف المعاصر للمشكلة .

الجانب السياسي :

هذا الجانب من المشكلة يمكن تلخيصه بما يعتبره المسلمون « مشكلة » نقص الصلة أو التوحد مع الحكومة ، أو ما يعبر عنه كثير من المسلمين بأن حكومة الفيلبين هي حكومة غربية وبالتالى يضطر المسلمون لإطاعة أوامرها أو ما تمثله .

إن درجة العصيان التى أبداها المسلمون ليصبحوا مواطنين تختلف من فرد لآخر ومن جماعة لأخرى . وهي تبدأ من مقاومة بعض المسلمين لتعريفهم بالمصطلح « فيلبيني » بسبب مضمونه ومفهومه الاستعمارى المهيمن ، إلى المطالبة بمنح السيادة الذاتية في مناطق المسلمين ، أو إلى الرغبة في نوع من الحكومة الاتحادية ، وحتى المطالبة بالانفصال عن الفلبين . وربما تكون الحركة الانفصالية هي التي أدت إلى تدهور السلام والنظام في ميندناو والذى يؤكد الموقف الخاطئ تجاه قوات الفيلبين المسلحة هذه الأشياء التي وجدها المسلمون « مشكلات » في حد ذاتها . وقد وجدوا أيضا عددا من المشكلات المعينة المتصلة بإدارة الحكومة وبرامجها والتي تعتبر في الوقت نفسه « دليلًا » — وقد شكوا من التمثيل غير الكافى للمسلمين في الحكومة واستشهدوا بخمسة مواقف ، الأول هو أنه حتى في المناطق التى تسكنها الأغلبية المسلمة تقليدا تم انتخاب عدد من المسيحيين أكبر من المسلمين لمناصب الحكومة المحلية ، والثاني تعيين عدد من الموظفين المسيحين في وظائف حساسه بمكاتب الحكومة التي تختص بشئون المسلمين ، والثالث تعيين دبلوماسيين مسيحيين في الدول الإسلامية ، والرابع التمثيل غير الكافى للمسلمين في الوظائف الهامة بالقوات المسلحة في الفيلبين ، والخامس هو ندرة اختيار المسلمين للقيام ببعض الوظائف الهامة بالحكومة .

والموقف الخامس يبدو أنه خارج عما سبق ، غير أننا بالتحليل الدقيق نجد غير ذلك ، فأولا إذا لم يهتم المسلمون الذين يشغلون مناصب حكومية هامة بمصالح ورفاهية شعبهم ، فالأخير لا يمكن له أن يقول إنه ممثّل تمثيلا كافيا في الحكومة . وثانيا ينطبق نفس القول إذا ما « أساء المسلمون المنتخبون أو المعينون في وظائف هامة استخدام وظائفهم حتى بين شعبهم » .

وفي رؤية لمشكلاتهم الخاصة ، يشكو المسلمون أيضا من نقص في التنفيذ الكامل لقوانين سنت لتطوير المسلمين ، ويعزى هذا جزئيا إلى عدم إخلاص الموظفين المسيحيين ذوى الصلة في تخطيط أو تنفيذ السياسات الخاصة برفاهية المسلمين وفي هذا الصدد يكون للموظفين المسيحيين والمسلمين دخل في ذلك . غير أن الأهم هو أنه يصعب القول بأن المسلمين مخطئون لوضع اللوم كلية على الحكومة في مثل هذه المخالفات .

الجانب الاجتماعي - الثقافي :

ان « المشكلة » الحالية تحت هذا الجانب هي ما يعتبره المسلمون الإعداد غير الكافي للحياة الحديثة ، والتفسير النفسي لذلك هو ، الصعوبة في التكيُّف مع الحياة الحديثة » وكثير من المسلمين مازالوا ملتزمين بالمعتقدات التقليدية والتي هي في صراع مع متطلبات الصحة الحديثة .

وواحد من أسباب وجود هذه المشكلة الأساسية هو صلتها النفسية بالجوانب الاقتصادية والسياسية والعداوات القديمة وسوء الفهم القائم بين المسلمين والمسيحيين والذى تغذيه المواجهات المتجددة . والمشكلة « الاجتماعية – الثقافية » القائمة مرتبطة نفسيا بالجانبين الآخرين من المشكلة بالنسبة للمسلمين . فالمسلمون في الفلبين بوجه عام يعتقدون أن دينهم يجب أن يكون وسيلة لتطوير الوطن وللتوحد . وهذا يعنى أن هنالك على الأقل شريحة من المسلمين تعرف أن الإسلام والتطور والوحدة الوطنية لا يتعارضون ، ومن ثم فإنها لا تستطيع فهم ما يجعل بعض القادة المسيحيين يتفوهون بعبارات مهينة لهم . والمضمون أعمق من ذلك وهو أنهم يرغبون في تنسيق العمل مع المسيحيين في حالة اقتناعهم بإخلاص الآخرين في قبولهم كأعضاء في الجسم السياسي . ولسوء الحظ فإن إخلاص الحكومة والمسيحيين قد كانا محل الاختبار عدة مرات لكنه فشل . إن تغذية عدم الثقة بين المسلمين خلقت مشاكل أكبر .

والجانب الاجتماعي – الثقافي للمشكلة له جزءان أساسيان ، واللذان عرفهما المسلمون فعلا كأساس « المشكلة » واحد منهم هو فشل المسلمين في تطويع بعض عاداتهم التقليدية مع متطلبات التطور . والمسلمون أنفسهم لهم تفسيرات نفسية لذلك منها الاعتقاد بأن المسلمين ، ثقافة ، ودينا ومجتمعا ، يخالف مجتمع المسيحيين . وهم يرون أنهم يتمتعون بثقافة وحضاره أغنى وأقدم وأكثر قيمة ، وعليه فهنالك الرغبة في الحفاظ على الثقافة والمجتمع والتقاليد الإسلامية بأى ثمن . وأخيرا هنالك الخوف من أن تكون للمسيحيين خطة لتنصيرهم بكل الوسائل الممكنة بما في ذلك الوسائل القوية كالتعليم مثلا بغية الوصول إلى هذا الهدف .

وهنا يمكن رؤية الخسارة التي سببها المستعمرون الأسبان والقساوسة ، والأغلبية العظمى من المسلمين تتفق على أن المحاولات الأسبانية لردهم عن دينهم أدت إلى فقدان الثقة بالمسيحيين وبمؤسساتهم . وفي الواقع يرى بعض المسلمين حتى الآن أن المدارس وسائل لتنصير المسلمين » .

وهذا يؤكد القول في الإطار النظرى بأن المقاومة الإسلامية نابعة من بعض المفاهيم المعينة وقد أدت بهم إلى موقف يسمى « متخلفا » ومعنى ذلك أنه إذا لم يقم المسلمون بإزالة هذه المخاوف أو المفاهيم سيظلون متخلفين » وستظل المشكلة قائمة بدورها .

ومن سوء الحظ أن بعض العوامل قد ساهمت في فشل المسلمين في تكييف بعض عاداتهم التقليدية مع متطلبات التطور أو في تأكيد هذه المفاهيم مباشرة . وأحد هذه العوامل من وجهة نظر المسلمين هو نظام التعليم الذى يرون أنه غير ذى صلة باحتياجاتهم لفشله في مقابلة متطلباتهم وأهدافهم وآمالهم . ومعنى ذلك أن نظام التعليم الذى تقدمه الحكومة يعتبر غير ذى

صلة . والنوايا الخفية هنا هي أن يظهروا للمسلمين وجود أشياء متعددة حسنة في الحياة الحديثة ترتبط بالمسيحية ، وأنه من أجل التنعم بمثل هذه الأشياء عليهم أن يتبعوا طريق المسيحيين .

وثمة تفسير آخر محتمل في نقص الصلة الملحوظ هو أن « العديد من المدرسين ومديرى المدارس المعنية في المناطق الإسلامية ينقصهم التدريب الجيد » وهذا يعنى أن هؤلاء المدرسين ومديرى المدارس لم يحددوا نظام التعليم ليكون أكثر نفعا من وجهة نظر المسلمين – وهذا معضد ضمنيا بحقيقة أن المسلمين يشجبون النقص في المدارس التجارية ومدارس التدريب المهنى والمدارس الفنية . كما سنرى فيما بعد ، فإن لهذا آثاره الكبيرة فيما يختص بالجانب الاقتصادى للمشكلة .

ولم تخفف وطأة المشكلة نقص الصلة في نظام التعليم نظرا لأن المدارس الإسلامية التقليدية (مدرسة) هي أيضا غير ذات صلة بتطلعات المسلمين ، والكثير من هذه التطلعات اقتصادية . وهذا قد يعزى – كما أوضح المسلمون أنفسهم – إلى أن المعلمين في هذه المدارس يحتاجون إلى إعادة تدريب فى مستويات التعليم الأرقى لكى يلحقوا بالتطورات التعليمية الحديثة ، ونستطيع أن نستنتج من ذلك أن المسئولية الكبرى للمدرسة جامدة محددة أو للحفاظ على النظام ، ولم تتحول إلى أداة للتغيير الاجتماعى .

وهنالك أيضا إحساس بين المسلمين بأن العلماء المسلمين المبتعثين إلى الدول العربية يجب أن يتم اختيارهم بدقة بالغة للتأكد من أن أفضل الموجودين قد حصلوا فرصة لتطوير أنفسهم . وفقط أولئك الذين باستطاعتهم تمثيل مصالح المسلمين بشكل أفضل في مجال التطور يمكن إرسالهم للخارج للحصول على تدريب أكبر . ومن الملاحظ أيضا أنه حتى بين المسلمين أنفسهم توجد بعض الحزازات ومن ثم فإن نظام القيادة أصبح ضعيفا حيث أن أولئك الموفدين للخارج ليسوا بالضرورة أفضل الموجودين .

والجزء الأساسى الثاني من الجانب الاجتماعي – الثقافي للمشكلة هو ما يعتبره المسلمون مشكلة بمعنى نفسي ، وهو تخوف المسلمين من تغريبهم عن دينهم . وهذا العامل يرتبط ارتباطا وثيقا بالجزء الأول .

ويرتبط بذلك كله « الخوف من أنهم يخرجون من منازل أجدادهم ، وفي هذا المجال هنالك اعتقاد بأن الحكومة الفلبينية وعملاءها مصممون على إخراج المسلمين من مجتمعاتهم وعلى تفريقهم في جميع أنحاء البلاد .

وقد يعدون ذلك موضعا للسخرية غير أن له معنى عند المسلمين بسبب خوفهم من وجود

خطة مسيحية لتحويلهم عن الإسلام . وهذا الخوف القائم بدأ بتجاربهم مع المستعمرين ومن ثم فبينما هم يستطيعون القول بأن الحكومة قد لا يكون لها موقف رسمي تجاه تنصيرهم أو إبادتهم ، فإنهم يصرون على أن هنالك بعض موظفى الحكومة ذوى الشأن الذين يعضدون هذه النظرة .

وهم يستشهدون على سبيل المثال بأقوال المسئولين الرسمية السابقة والتى تدرجت من « أن مورو ميت هو فقط المورو الجيد » إلى « دعونا نحول المسلمين للمسيحية لتحل مشكلة مورو » .

كل هذه المخاوف التى تملأ نفوس المسلمين تظهر بوضوح كيف أن رد فعل الحكومة تجاه مشكلة المسلمين يتخذ شكلا دون الوصول إلى أن (الحكومة) فشلت في اكتشاف الأسس النفسية للمشكلة . وقد يعزى السبب في ذلك إلى أن للمشكلة ما يزيد عن أربعمائة سنة ، وأنه خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة تراجعت مقدماتها التاريخية ومسبباتها إلى الوراء حتى أن السياسيين والحكومة تناسوها كلية . وقد حاولت الحكومة أن تكوّن نظره شاملة عن المشكلة ، بينما كان المسلمون ينظرون إلى المشكلة من وجهة نظر ونقاط لا تتصل بما هو واضح ظاهر فقط بل تذهب إلى الأسس النفسية لها . وقد نتج عن ذلك اختلاف رؤية المشكلة عند كلا الطرفين .

إن إنشاء هيئة التكامل الوطني ، وجامعة ميند ناو الأهلية ، وهيئة تطوير ميند ناو يؤكد محاولة الحكومة لتنفيذ برامج عريضة مؤسسة على الرؤية الأساسية للمشكلة . وتقييم الحكومة بأن هنالك حاجة لبرنامج ضخم ذى واجهة عريضة لحل مشاكل المسلمين « كان صائبا إلى حد ما ، غير أن نقاط ضعفه الأساسية هي عدم مقدرته على التعرف على حقيقة المشكلة وهي أن المسلمين راغبون في التطور الاجتماعي – الاقتصادى – السياسي ، وكذلك في الحفاظ على وحدة وتماسك تقاليدهم الاجتماعية والدينية والسياسية .

توصيات :

قدمت عدة توصيات لحل مشكلة المسلمين من عدد من الدراسات والأفراد الذين يولون الموقف في ميندناو وسولو اهتمامهم ويمكن اعتبار هذه الدراسة نقدا فقط إذا لم تقدم اقتراحات مؤسسة على الملاحظة . كما أنها لا تهدف لتقديم برنامج كامل مفصل ، فالخبراء بالحكومة في موقف أفضل للقيام بذلك من أجل شعبهم .

وربما – كخطوة أولى تستطيع الحكومة أن تقرر القوانين الشخصية بالنسبة للعلاقات العائلية والممتلكات ، فالقوانين الإسلامية التقليدية ستسود بينهم : ويرتبط بذلك تنشيط وتقوية طرقهم التقليدية في فض الخلافات وتطبيق مبادئ العدل ، بالإضافة إلى الاعتراف بأن الصفات

والعادات الإسلامية يمكن أن تؤدى إلى توحيد المفاهيم التى تتضمن الأسس التى ترتكز عليها مشكلة المسلمين ، وبجانب ذلك يمكن تنظيم الاستفادة من الأنظمة المختلفة ، والذين على دراية كاملة بمشكلة المسلمين عليهم دراسة الكيفية والأسباب التى أدت إلى خرق أو تقوية القوانين القائمة ، (بما في ذلك ، المراسيم) وكذلك دراسة أخلاقيات المسلمين ، ومذاهبهم الدينية ، وقيمهم وثقافتهم بوجه عام . وعلى الأساتذة أن يتشاوروا بين الحين والآخر مع العلماء والقادة المحترمين بهدف التعرف باستمرار على أحاسيس غالبية المسلمين فيما يخص القوانين القائمة والمستقبلية ، وبهذه الطريقة فإن الحساسيات الناتجة عن الاعتراف بنظامين قانونيين مختلفين يمكن تقبله إن لم يكن بالإمكان تجنبه كلية .

والتوصية الثانية هي الإسراع بعودة المسلمين إلى أراضي أجدادهم ، والأصل أن يؤدى ذلك إلى تقليل تخوفهم من أن الحكومة تعمل على إخراجهم من أراضيهم وتفريقهم في كل إنحاء البلاد . والحكومة الفلبينية يجب أن تؤمن وتحافظ على حريتهم وحقوقهم التقليدية خاصة في استقلال واستخدام المصادر الطبيعية فى ميندناو وسولو وهذا قد يساعدهم في إرساء وإقامة صلاتهم التقليدية وروابطهم الاجتماعية والتي يقوم عليها بناؤهم السياسي . وعلى الحكومة أن تبدأ بالإسراع في تنفيذ الخطط الاقتصادية والمشاريع تحت بنك الأرمانة بالفلبين بما في ذلك إقامة فروع في المناطق الاستراتيجة في ميندناو وسولو . وفي المناطق التى لا يتوفر لها خدمات بنك الأرمانة الفلبينية ، ويجب تشجيع البنوك الزراعية لخدمة الشعب بالتعاون مع البنك الوطنى الفلبينى ، وبنك التنمية الفلبينى وجانب إلى جانب مع هذه الإصلاحات يجب توفر القروض من أجل صناعة السياحة وتطويرها ، وبعض الصناعات الحيوية الأخرى . وقد يكون من الضرورى تقديم الحوافز لرجال الأعمال الراغبين فى استغلال أموالهم فى ميندناو وسولو بشرط استخدام عدد مناسب من المسلمين . وأن يتعهدوا أيضا بتقديم برامج تدريسية للمسلمين غير المهرة . كما يجب إجبار الصناعات الحكومية والخاصة القائمة فى مندناو وسولو على توظيف عدد مناسب من المسلمين والمجموعات الثقافية الأخرى . كما يجب إعادة فتح باب التجارة التقليدية ،والموانيء التجارية في مندناو وسولو للتجارة الخارجية والمحلية بهدف تشجيع اقتصاد المسلمين وكذلك البلاد طبقا لقانون الدولة ، وبنية الحكومة الداخلية يجب أن تعطى أهمية كبيرة ودعما ماليا من أجل تطوير خدمات الطرق الحالية والنقل فى مندناو وسولو كما يمكن تطبيق بعض الوسائل الأخرى للإسراع في التطوير الاجتماعى – الاقتصادى إذا تم إنشاء جهاز إدارى سياسى يستطيع أن يؤكد إشراك المسلمين .

ومن الصعب اختيار الأفراد للتعيين فى الوظائف المختلفة بالعمل الإدارى ، على كل المستويات فى المناطق المسلمة التقليدية . وقد اقترح أنه عندما يكون ذلك ممكنا فعلى الحكومة أن تقدم

للمسلمين كل فرصة للمساعدة فى تسيير أمور الحكومة والمشاركة فى تنفيذ برامج مخططة على مختلف مستويات شعوبهم بمساعدة كل من الخبراء المسلمين والمسيحيين لتخفيف إحباطهم وشعورهم بالأسف لكونهم غير ممثلين بشكل كاف فى الحكومة والنظام الدينى والذى به تكون كل الإدارات التنفيذية والمكاتب والوكالات الأخرى وحدات موظفين فقد يكون طريقا لمساعدة المسلمين فى التعرف على الجهد المطلوب لإدارة الحكومة وبرامجها الانتخابية .

ونجاح هذا المخطط يعتمد على برنامج إرشادى مزدوج ، واحد للمسيحيين على المستوى الإقليمى والمحلى والمدنى والبلدى ، والآخر للموظفين المسلمين والعمال على مختلف مستويات الإدارة . وهذه البرامج الإرشادية يجب أن تصمم بحيث تدخل فى أذهان العمال بأنهم وكلاء يعملون بنظام العميل والذى يعتمد إلى درجة كبيرة على ولائهم ورغبتهم فى العمل يدا بيد مع كل من المسيحيين والمسلمين .

إن دمج وتنسيق كل برامج الحكومة يجب أن يمتد إلى التعليم (العام – والمدرسة التقليدية) والهدف هنا هو إقامة نظام لتطوير المصادر الإنسانية (والذى قد يتضمن برامج التدريب على المهارات) يكون متوافقًا مع أهداف وتطلعات كل من المسلمين والمسيحيين . وهذا قد يعنى الاحتفاظ بعلماء المسلمين ومراجعة المناهج فى المدارس العامة والمدرسية .

إن أقسام الدراسات الإسلامية فى جامعة الفلبين وجامعة ميند ناو الأهلية يجب أن تقدم لهم المساعدة الكاملة فى جهودهم فى سبيل أن يزرعوا فى نفس الفلبينى من الشعور والتقدير والاعتراف بثقافة وحضارة عالية ممثلة بالمسلمين فى بلده ، فى مند ناو ، وسولو وبالوان ، ولهذا الغرض ، فإن العرب والدول الإسلامية الأخرى قد يطلب إليها أن تمد يدها لدعمها الفنى ، والمالى ، إن الحفاظ على السلام والنظام يجب أن يكون مسئولية الهيئات الإقليمية التي يجب أن تساعدها قوة بوليس (متضمنة في ذلك البوليس الفلبيني) تتكون من كل من المسلمين والمسيحيين . وبوجود موقف مستقر ، فإن الهيئات الإقليمية والأقل مستوى يمكن أن تدرس مشاركة أكبر للمسلمين في الجهود الاقتصادية غير التقليدية حينما يكتسبون وسيلة المهارات المتطلبة لمثل هذه الجهود . وفي هذا الطريق يحدونا الأمل في أن المسلمين والمسيحيين سيعتبرون أنفسهم شركاء في تنمية هذا البلد ويجب أن نؤكد هنا أنه لا توجد مواضع دينية تمنع المسيحيين والمسلمين من المعيشة معا بوئام فكل من المسيحية والإسلام هو دين السلام والحب ، حتى أنه إذا اتبع المسلمون والمسيحيون دينهم ، فإن الخوف وسوء الفهم اللذين ازدادا خلال أربعة قرون من المعاناة يمكن تغييرهما تدريجيا في ظل الوئام ، والتفاهم والتعارف من أجل هدف مشترك ، وأخيرا ، فإن هذا يعنى (فلبين أكثر تقدما حيث يجد المسلمون في الجنوب جنتهم التي يتطلعون إليها) .

العلاقة بين المنظمات الإسلامية في استراليا

سيد قنديل



العلاقة بين المنظمات الإسلامية* في استراليا

سيد قنديل

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

١ - مدخل :

﴿ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات ـ آية ١٣)

يقرر الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة أكثر من حقيقة، الأولى أن الجنس الإنساني خلق وينتمى إلى أصل واحد لذا ليس هناك مجال للتمييز فى الإسلام على أساس الجنس الذى يمايز بين الناس فى الملامح واللون واللغة أو أى شيء آخر وكذلك لايوجد تمييز على أساس القبيلة التى تمايز بين الناس فى المنطقة الجغرافية التى يعيشون فيها وهو ما يعرف بالقوميات فى العصر الحديث .

* قامت الندوة باختصار هذا البحث . بحيث يتلاءم مع خطة الكتاب .

ويؤكد رسول الله ﷺ هذه الحقيقة الواضحة فى كلمتين : « كلكم لآدم » .

والحقيقة الثانية أن الجنس الإنساني يجب أن يتعارف ، وهذا التعارف يعنى أن يصبح التعايش والعمل التعاونى وتبادل المنافع والتجارة وحرية الحركة للناس والمتاع أمرا طبيعيا ويصبح هو القاعدة وليس الاستثناء بين الشعوب والقبائل ، ولكن الله سبحانه وتعالى يضع الأساس لمثل ذلك التعاون ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة ـ آية ٢) . وقد يتساءل الإنسان ، ومعه حق عن الصراعات الحتمية والاختلافات بين الشعوب والقبائل فضلا عن الخلافات بين الجماعات والأفراد ، حمدا لله ، فإن الدنيا في الإسلام قاعدة لتسوية الخلافات مبنية ـ ومستمدة من نفس المصدر ـ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ـ هذه القاعدة تعتبر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مرجع التحكيم النهائي ﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمرِ مِنكُمْ فإن تَنَـٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوه إلى اللهِ والرَّسُولِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ (النساء ـ آية ٥٩) ، والقاعدة مبنية على أساس روح المودة والأخوة على كل المستويات وعلى مستوى الأسرة كما نرى : ﴿ وإنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِها نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا والصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ (النساء آية ١٢٨) ، وعلى مستوى الخلاف الأوسع الشامل للجماهير الكثيرة فمن المطلوب تطبيق نفس الأسلوب مرة أخرى أي الصلح ﴿ وإن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فإن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُواْ الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ ، فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوْا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (الحجرات ـ آية ٩ ـ ١٠)

وحين يتصل الأمر بغير المسلمين فقد أمرنا الله ألا نقاتل الذين لم يقاتلونا فى الدين أو يخرجوا المسلمين من ديارهم ، وفوق ذلك فقد أمرنا أن نبر هؤلاء ونقسط إليهم .

﴿ لَا يَنْهَـٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِنَ دِيَـٰرِكُمْ أن تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة ـ آية ٨) .

وعندما نقاتل لابد أن يكون ذلك فقط من أجل هدف مثل : إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ﴿ وقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّى لاَتَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (البقرة ـ آية ١٩٣) .

وعاد الرسول ﷺ لتأكيد ذلك بقوله : « لتكون كلمة الله هى العليا » .

والحقيقة الثالثة هى أن التصنيف الوحيد المقبول للتمييز هو المدى الذى يكون الإنسان

فيه مقبولا عند الله سبحانه وتعالى وهذا مقرر على الأساس الأوحد والوحيد وهو التقوى أو الطاعة .

هذه المقدمة كانت ضرورية تماما فى البداية وسوف تعتمد المناقشة الأوسع الآن أساسا على آيات من كتاب الله القرآن وسنة رسوله ﷺ .

٢ - المنظمات الإسلامية فى استراليا :

توجد ثلاث منظمات إسلامية رئيسية فى استراليا ، وسوف نوضحها هنا باختصار .

أ ـ الاتحاد الاسترالى للمجالس الاسلامية .

التشكيل :

الاتحاد الاسترالى للمجالس الإسلامية يمثل إلى حد بعيد أكبر منظمة إسلامية ، وتشكيل هذا الاتحاد ودستوره يماثل ماهو موجود فى المجتمعات الغربية ، وعلى مستوى المجتمع توجد جمعيات إسلامية عديدة منتشرة فى أرجاء البلد ، بصورة عامة فهى مؤسسة على أسس قومية أو لغوية ضيقة مثل الجمعية الإسلامية اللبنانية ، والمصرية ، والتركية ، واليوغوسلافية ، والهندية ، والباكستانية .

وعادة يكون لكل جمعية رئيس ونائب رئيس وسكرتير وأمين صندوق وأعضاء تنفيذيون آخرون .

وعلى مستوى الولاية يوجد مجلس إسلامى للولاية يضم مندوبين من الجمعيات الفردية منتخبين لعضوية المجلس مثل جمعية نيوثاوث ويلز ، والجمعية الفيكتورية ، والمجلس الإسلامى لغرب استراليا .. وغيرها ، وتشكيل المجلس مماثل لتشكيل الجمعية .

وعلى المستوى القومى فمن بين المجالس الإسلامية يوجد الاتحاد الاسترالى للمجالس الإسلامية ، وله رئيس ونائب رئيس وسكرتير وأمين صندوق وحشد من الموظفين الآخرين .

ويمثل الدستور ، على جميع المستويات وفي أرجاء الاتحاد ، القيم الإسلامي نظريًا ، وفي الواقع يجرى اتخاذ القرار بنفس الأسلوب الذي يتخذ في أي منظمة استرالية .

وكما نعلم جميعا ، وبدون الدخول فى الاختلافات الفقهية ، هناك إجماع بين علماء المسلمين على أنه يجب اتباع الشورى فقط فى القضايا التى لايوجد بخصوصها حكم خاص فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولكى نوضح ذلك نورد مثالا ، فهناك مسلمون لا يلجأون إلى الشورى حول ما إذا كان يسمح بالربا فى أعمال المنظمات الإسلامية ، والربا حرام بأمر القرآن والسنة .

المشاركة فى العلاقات :

نظراً لمكانة الاتحاد الاسترالي للمجالس الإسلامية فإنه يعتبر الممثل الرسمي لمسلمي استراليا لدى الحكومة الاسترالية والبلاد الإسلامية ، وقد أفلح في الحصول على هبات للعمل في عدة مجالات إسلامية في استراليا ، فالإعانات لتعيين الأئمة والمساهمة في بناء المساجد الجديدة والمدارس وتقديم بعض أنواع البرامج التعليمية الإسلامية والعربية في المدارس الاسترالية توضح بعض مجالات العمل القليلة البراقة في تاريخ الاتحاد الاسترالي للمجالس الإسلامية ، وفوق ذلك يدخل المسلمون من مختلف الجنسيات تحت مظلته ، وبذلك يحافظ على الواجهة الإسلامية في المجتمع الاسترالي .

ب ـ جماعة تبليغ :

التشكيل :

إنــه لمنعش للنفس أن ننتقل إلى هذه الجماعة من المسلمين الذين يعملون فى صمت من أجل انتشار التوعية الإسلامية بين مسلمى استراليا إنهم يعملون طبقا لأسلوب العمل الذى يمارسه كبار السن منهم فى الهند وكما هو معروف جيدا فإنهم يشجعون الرجوع إلى سنة رسول الله ﷺ مع التأكيد على تجنب أية قضايا خلافية مثل السياسة واختلاف المذاهب والجدال ، فبدلا من ذلك يركزون على خلق جو الطهارة والتقوى والإيمان العميق بالله سبحانه وتعالى .

إن جهود هؤلاء الناس موفقة بشكل لا ينكر وخاصة بين المسلمين الذين عاشوا طويلا بعيدا عن الإسلام ولهم معرفة ضحلة بالمبادىء والممارسة الإسلامية ، فهم يشجعون الناس على الخروج من حالة الانشغال بالأمور الدنيوية لفترة من الزمن – ثلاثة أيام كل شهر ، ٤٠ يوما فى السنة و ٤ شهور فى العمر ، وذلك كي يصلوا إلى درجة أفضل من الإيمان واليقين ، على الرغم من أنهم ليست لديهم منظمة رسمية بالمعنى الحرفى للكلمة ، فإنهم منظمون تنظيما جيدا ويطيعون أميرهم ويتخذون قراراتهم بالشورى على كل المستويات بما فيها التشاور مع كبار السن فى الهند .

وليس غريبا أن نجد جماعات تسافر إلى مسافات بعيدة على نفقتها الخاصة كى تزور مدنا وقرى فى جميع أرجاء أستراليا ، كما تأتى جماعات كثيرة من وراء البحار إلى استراليا على فترات من الزمن لكى تزور المسلمين فى استراليا ، والمساجد هى مراكز أنشطتهم .

المشاركة فى العلاقات :

رغم إخلاص جماعة التبليغ الذي لا ينكر ، فإنه يوجد قصور في منهجهم ، إذ يركزون على قسم من سنة رسول الله ﷺ مثل ارتداء لباس السنة واستخدام السواك أكثر من تركيزهم على القضايا الكبرى في الإسلام مثل الجهاد الذي يقصرون معناه على عملهم بين المسلمين . بينما الإسلام دين كامل وأسلوب شامل للحياة .

جـ ـ اتحاد الجماعة الإسلامية (استراليا)

التشكيـل :

منظمة صغيرة إلى حد ما لكنها مؤسسة جيدة برزت على المسرح الإسلامى بدرجة كبيرة وإيجابية من القبول من جانب مسلمى استراليا ، وكان اسم المنظمة الأصلى معروفا جيدا بين منظمة الطلاب على مستوى العالم بـ « الاتحاد الاسترالى لجمعيات الطلاب المسلمين » .

ومنذ سنوات قلائل قرر أصحاب الاتحاد توحيد صفوفهم فى شكل حركة إسلامية وشكلوا لجنة لوضع دستور جديد يوسع العضوية من أكثرية طلابية ماليزية بحيث تضم غير الماليزيين وغير الطلاب ، وهذا التغيير أوجب الاسم الدارج « اتحاد الجماعة الاسلامية – استراليا » .

يتشكل الاتحاد من جمعيات الطلبة المسلمين الفردية فى الجامعات الاسترالية والمعاهد والكليات والمدارس ، وأعيد تسمية كل منها إلى الجماعة الإسلامية (موناش) مثل موناش جماعة الجامعة .

وطبقا للدستور الجديد يرأس كل جماعة أمير ومجلس شورى وهؤلاء ليسوا مجرد هياكل زينة بل يمثلون فى الواقع جهدا حقيقيا لتبنى مبادىء الإسلام فى أمور مثل الانتخابات واتخاذ القرارات والنشاطات والالتزام بالقيم والآراء الإسلامية التى جرى إحياؤها حديثا وينتخب أعضاء الجماعة أعضاء مجلس شورى الجماعة فى اجتماع عام وأعضاء مجلس الشورى ينتخبون بدورهم الأمير من بينهم ، وعلى مستوى الاتحاد ينتخب الأمراء وأعضاء مجلس الشورى لكل الجماعات أعضاء مجلس شورى الاتحاد وهو الذى ينتخب أمير الاتحاد من بين أعضائه ، ولا يسمح بعمل دعاية أو تعبئة انتخابية ، وهذه لا تمارس بالمرة .

المشاركة فى العلاقات :

تشتمل النشاطات على مستوى الجماعات على اجتماعات الأسرة حيث تنفذ برامج مخططة جيدا فى المعرفة الإسلامية والتربية، وتعقد الاجتماعات داخل الجماعة كما تعقد الندوات والأحاديث فى مختلف القضايا الإسلامية والاحتفال بالمناسبات الإسلامية هو أحد الأمثلة للمجهودات التى تبذل فى سبيل التعليم والتدريب الذاتى ، وتعقد اجتماعات سنوية على مستوى الاتحاد فى خلال أجازة نصف العام ، ولما كان الاتحاد يمول من أعضائه فقد تمكن من أن يحفظ استقلاله بنجاح ، وحيث أن الاشتراكات الخاصة بتمويل مختلف النشاطات ترد من خارج المنظمات فإن الاتحاد حريص على عدم الخضوع لنفوذ هذه الاشتراكات .

ومع ذلك فإن هذا لا يعني أن الاتحاد خال من القصور والنقص ، اذ أن له نصيبه المعتاد من المشاكل ، بعضها الاهتمام الزائد بمناصب القيادة وهذا يرجع أساسا إلى حقيقة أن غالبية الأعضاء هم من الطلبة الماليزيين المقيمين مؤقتا فى استراليا ويوجد بين بعضهم عنصر التعصب القومي ، ويوجد انطباع بين الكثيرين بأن الماليزى لايساعد ، ويضاعف الاتحاد الآن جهوده لجذب عدد أكبر من الأعضاء وخاصة من المقيمين فى استراليا ، وهذا الأمر سوف يملأ الثغرة فى الوقت المناسب وبطريقة طبيعية ويوفر الاستمرارية اللازمة ويعمل على اقرار التوازن في الاتحاد .

٣ – العلاقة بين المنظمات :

المجالات السلبية للعلاقات :

استطاعت الجهود المخلصة لكثير من العاملين المسلمين أن تقلل من الثغرات الموجودة بين المنظمات ، ومع ذلك هناك مجالات سلبية معينة فى العلاقات داخل كل من المنظمات الثلاثة وكذلك فيما بين بعضها البعض وعلى درجات متفاوته ، وللامانة ، فإن هذه المجالات السلبية فى شتى الطرق تظهر انعكاسا للوضع المزري للأمور فى الامة الإسلامية كلها ، والوضع فى استراليا أكثر خطورة حيث توجد فيه العناصر السلبية التالية :

ا – الانعزالية :

وهى أكثر بروزا بين المجتمعات ذات القوميات المختلفة فهناك قليل من الاتصالات – إذا حدثت اساسا وعلى سبيل المثال بين الالبانيين والاتراك ،

وبين العرب والهنود وبين الباكستانيين وهكذا ، وكان هناك لفترة من الزمن رفض واضح بين المنظمات الثلاثة لعمل نشاطات اسلامية مشتركة منظمة .

ب - المصلحة المكتسبة :

كان هناك مراكز قوى على مستوى القيادة المختلفة تحاول الحفاظ على مصالحها المكتسبة داخل المنظمات وفى مثل هذه الحالات لا يمكن تلافى حدوث الخلافات والانشقاق داخل المجتمع المسلم ، وكلما ارتفع مستوى القيادة كلما كان الانشقاق أكثر عمقا والخلافات أكثر قبحا .

جـ - الأئمة :

إذا افترضنا أن الأئمة عنصر يعمل على وحدة المجتمع ، فإنه من دواعي الألم المتكرر أن نرى بعض الأئمة أكثر اهتماما بارضاء دافعي أجورهم ولا يشركون المجتمع المسلم فى الشئون الجارية للامة ، ولا يربطون الإسلام بالأحداث والقضايا اليومية للمسلمين فى استراليا وفى كل مكان ، وبدلا من ذلك يهدرون الاجتماع الأسبوعى القيم لأداء صلاة الجمعة فى التحدث فى الخطبة عن موضوعات لا تتصل بقضايا الامة .

هؤلاء الائمة الذين لا يتناولون في خطبتهم قضايا الإسلام ، يخلقون جيلا يظن أن الإسلام هو مجرد حضور صلاة الجمعة والتبرع ببضعة دولارات بين آن وآخر . أما مباديء الجهاد والدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة وضرورة إرجاع الخلافة فقد أصبح ذلك حراما في نظر هؤلاء الأئمة ، فالأرض الإسلامية تسلب وتحتل ، ويذبح المسلمون ، ويضربون حتى الموت ، وتغتصب النساء ، ويحرق الأطفال ، وتسوى مدن بكاملها بالأرض ، وتستخدم الأسلحة الكيميائية ضد المدنيين الأبرياء ، ويموت الملايين جوعا ، ويصبحون مجرد أخبار تسمع أو تشاهد أو تقرأ ، كل ذلك دون أن يرتجف قلب أو تنساب دمعة أو يتوتر عصب ، ويرى هؤلاء أن مثل تلك القضايا لا تناقش مطلقا خلال الخطبة والمناسبات الأخرى التي يجتمع فيها المسلمون معا ، والنتجية هي نقص في الإحساس الثمين بالانتماء إلى الأمة .

المجالات الإيجابية للعلاقات :

وعلى الجانب الإيجابى ، يوجد على أية حال إحساس متنام بين الأعداد المتزايدة من مسلمى استراليا بالحاجة إلى مزيد من الوحدة بين المسلمين ، وربما نتج هذا الإحساس عن التوتر بين المسلمين فى جزء منه كنتيجة للأحداث خارج استراليا ، مثل الحرب الضروس بين العراق وإيران ، والحرب المستمرة فى لبنان ، وأهمية أن تقف الامة بكاملها فى وجه الغزو الروسي لأفغانستان ، والاحتلال المستمر للمسجد الأقصى فضلا عن فلسطين بكاملها ، فهذه بعض الأمثلة القليلة .

وهذا التوتر ناتج عن أسباب داخل استراليا ، ومن دواعي الأسف أن المسلمين فى استراليا لهم الحرية فى أن يقيموا شعائر الإسلام بأسلوب أفضل مما كانوا يمارسونه فى أوطانهم السابقة ، مع حرية الكلام والتنظيم والتظاهر والدعوة ، وهو ماكان محرما عليهم فى كثير – إن لم يكن فى جميع الأوطان السابقة – ومع أن المسلمين يشكلون نسبة ملحوظة من السكان فليس لهم وزن مناسب في المستويات الاجتماعية والاقتصادية والمهنية والسياسية، فالحقوق البسيطة مثل الحصول على إجازة وقت أداء صلاة الجمعة ، أو الاحتفال بالعيد لم يسمح به رسميا ، وعليهم أن يرتبوها على المستوى الشخصى ، والحديث عن تطبيق الشريعة فى الزواج والطلاق أو الميراث ليس إلا مجرد أحلام ، وتعليم أبنائنا وبناتنا طبقا للإسلام يواجه دوما عقبات فوق الطاقة .

٤ – مقترحات الحل :

الأهـداف

إن المشاكل التى تواجه مسلمى استراليا ليست مقصورة بأى شكل على استراليا فالمرض الذى يصيب الأمة بأكملها ينعكس على استراليا بل على كل مكان فى الواقع ، والعلاج مرة أخرى ليس قاصرا على استراليا ، ومع ذلك فقبل الانتقال إلى الحلول يجب أن نكون على بينة تامة مما نطمح إلى تحقيقه ، أى أن نعرف ماهى أهدافنا إذ أنه من الضرورى أن نتأكد من أن الأهداف واقعية وقابلة للتنفيذ ، ويمكن التعبير عنها فى مجموعة من الأهداف المحددة المعنى جيدا بحيث تنفذ فى أزمنة محددة مسبقا بإذن الله ، كما يلزم أن نتأكد من أن الحلول المقترحة مجدية ، ويمكن إيجاز أهداف مقترحاتنا للحلول كالآتى :

(أ) ان يتوحد مسلمو استراليا تحت قيادة واحدة تستطيع التحدث باسمهم داخليا أمام الحكومة والموظفين والهيئات والمنظمات الأخرى ، وخارجيا أمام البلاد والهيئات والمنظمات الإسلامية وراء البحار ، وهذا يمكن إنجازه خلال فترة من سنتين الى أربع سنوات .

(ب) العمل نحو الاستقلال المالى عن الموارد الخارجية عن طريق عدة سبل من بينها المساهمات المنظمة من مسلمى استراليا وإنشاء أعمال إسلامية تدر دخلا ، ومشروعات وصفقات استثمارية مشتركة وهذا يمكن إنجازه خلال فترة من ٣ – ٥ سنوات .

(جـ) زيادة التعليم العربى والإسلامى فى المدارس الحكومية والخاصة فى أرجاء استراليا وتوفير أماكن للطلاب المسلمين فى المؤسسات التعليمية لمراحل ماقبل المدرسة

الابتدائية والثانوية ومرحلة المستوى الثالث وهذا يمكن إنجازه خلال فترة من ١٠ - ١٥ سنة .

(د) إعداد عدد كاف من الأئمة المحليين المؤهلين جيدا وكذلك من المعلمين المسلمين الأكفاء لكى يشغلوا المناصب التعليمية والتدريبية اللازمة الآن وفى المستقبل ويجب إعطاء تأكيد كاف لاحتياجات قطاع البنات فى كل المستويات ، وهذا ينبغى أن يكون نشاطا مستمرا .

(هـ) التفاوض مع الأجهزة الحكومية وغيرها من الأجهزة المعنية بشئون المسلمين فى استراليا من أجل تطبيق القوانين الإسلامية (الشريعة) وهذا يشتمل على الحصول على الامتيازات الواجبه للمسلمين فى تطبيق الإسلام فى مجالات مثل الزواج والطلاق والميراث وأداء الفروض الإسلامية والمراسم فى حالات المواليد ومنتجات الأطعمة الحلال وحالات الوفاة ، وهذا يجب إنجازه فى أقرب وقت ممكن .

(و) وأخيرا، المشاركة الفعالة فى المجتمع الاسترالى على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والاكاديمية والفنية والمهنية بحيث تقدم القيم الإسلامية فى كل تلك المجالات وغيرها بهدف نشر الإسلام وتعميم القيم والمعايير الإسلامية بين المجتمعات غير الإسلامية فى استراليا ، وهذا نشاط ينبغى أن يكون مستمرا .

الوسائل والسبل :

بصورة عامة ، يوجد عدة طرق لتحقيق أى هدف ، وعند الحديث عن الأهداف صار التأكيد على الواقعية والجدوى ، وبديهي لايوجد حل سحرى واحد لمشكلات المسلمين فى استراليا وفى أى مكان فى العالم ، ورغم ذلك فقد سمعنا ولمرات متكررة أن ما اصاب الأمة هو نتيجة مباشرة لترك كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ونسمع مرارا وتكرارا أن الطريق الوحيد للخروج من هذا الوضع المؤلم الذى عليه الأمة اليوم هو الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعلى أى حال فهذا أمر يسهل قوله ويصعب فعله ، فإذا كنا جادين يجب أن تترجم هذه النصيحة أو تحلل إذا شئتم لكى توضع فى خطوط إرشادية يستطيع مسلمو اليوم أن يتبعوها وأن ترجع بهم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

العوامل المدمرة :

لقد شاركت عدة عوامل فى الوضع المتدهور الحالى لمسلمى استراليا فإذا كنا واعين بتلك العوامل فقط فهل لنا أن نأمل فى العثور على الطرق والوسائل لمواجهة أثارها المدمرة ، والعوامل الرئيسية هى :

(أ) تجاهل الاسلام :

هذه الحقيقة الواضحة المؤلمة قد أهملت وأسقطت من قبل العديد من المصلحين ، فكثير من المسلمين لا يعرفون ببساطة مايكفى عن الاسلام حتى يقتنعوا بحيويته وقدرته على حل مشاكلهم المادية والروحية ، والإسلام عند الكثيرين منهم لا يطلب أكثر من الصلاة ، والصيام وإدخال الإسلام في مجالات أخرى من مجالات حياتهم ، هو ببساطة « أمر غير واقعي » .

(ب) اللامبالاة الطاغية بين كثير من المسلمين حيال القضايا الإسلامية ، سواء الداخلية أو الخارجية ، هذه اللامبالاة تكمن وراء فشل كل المحاولات لتنبيه هؤلاء المسلمين للأخطار التى لا تهدد المسلمين فقط بل وتهدد الإسلام ذاته .

(جـ) تدخل المصالح الخارجية فى الشئون الداخلية لمسلمى استراليا أدى إلى كثير من حالات الانشقاق والتخريب والصراعات العلنية بين المسلمين ، هذا التدخل لا يمارسه موظفو السفارات فقط بل تمارسه الأحزاب السياسية والحكومات بل حتى الهيئات والمنظمات الإسلامية .

(د) القصور فى الحكم الشرعى الإجماعى الواضح المعنى ، وكذلك القصور فى إعطاء الفتوى فى كثير من مشاكل الحياة اليومية التى تواجه المسلمين الذين يعيشون فى مجتمعات غير إسلامية وهذا يتراوح بين منتجات الأغذية الحلال إلى الأسرة وتأمين الملكية وكذلك الشراء من خلال الإجراءات المالية ، فلو وجدت مثل تلك الفتوى فإنها ببساطة غير متوفرة للمسلم الذى لايعرف .

(هـ) الأئمة الذين يؤدون واجباتهم الدينية بدون حماس أدى وضعهم إلى عزوف الكثير من المسلمين عن المساجد فحرموا أنفسهم بذلك من أهم مصدر ممكن للإصلاح .

اقتراحات للحلول :

كما سبق أن قلت لايوجد حل سحرى للمشاكل التى تواجه المسلمين فى استراليا ويلزم وضع استراتيجية جيدة التخطيط ، ويمثل الزمن أحد العوامل الهامة فى البحث عن الحلول، وسوف تساعد المقترحات التالية إن شاء الله تعالى فى هذا البحث ، والتوقيت السليم أساسى فى إيجاد حل متكامل للمشكلة .

(أ) يجب تشكيل مجلس شورى مشترك يمثل كل أنحاء استراليا من المسلمين المخلصين أهل الثقة المحبوبين من أغلب الناس والذين تتفق شخصياتهم وأساليب حياتهم مع السلوك والأخلاق الإسلامية على أن تقوم لجنة تحضيرية بتعيين أعضاء

مجلس الشورى ، وتشكل هذه اللجنة من مندوبين للمنظمات الرئيسية الثلاث ، وقد تأتى المبادرة الأولية للدعوة لتشكيل هذه اللجنة التحضيرية من واحدة من المنظمات ، وأقترح أن يقوم بذلك اتحاد الجماعة الإسلامية نظرا لأنها مؤلفة من مسلمى استراليا .

إذا تشكلت اللجنة التحضيرية عليها أن تجهز قائمة بالأعضاء المعينين لمجلس الشورى على أن يجرى تجميع هذه القائمة من خلال التشاور الموسع بأقصى درجة ممكنة بين المسلمين على جميع المستويات ، وشرط الضمان للمعين هو أن يكون مقبولا بالإجماع من جميع أعضاء اللجنة ولهؤلاء الأعضاء أن يحددوا عدد أعضاء المجلس ، ومع ذلك أقترح أن يكون التمثيل الجغرافى عن الولايات والمناطق على أساس كثافة السكان وبطريقة تعطى تقديرا متناسبا للمحليات المختلفة فى أنحاء استراليا ، ومع ذلك علينا أن نذكر أنفسنا بمبدأين أساسيين فى الشورى فى الإسلام :

١ – لايوجد شورى حول قضية لها حكم جلي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أى لا اجتهاد فى موضع النص .

٢ – لاإقرار ضد ما أُقر به فى كتاب الله أو سنة رسوله الله ﷺ ، أى لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

(ب) تنتهى مهمة اللجنة التحضيرية بعد تشكيل مجلس الشورى ، وعندما يعقد هذا المجلس أول اجتماع له يختار الاعضاء أميرا من بينهم وأقترح أن تجرى عملية اختيار الأمير بنفس الأسلوب الذى يتبعه الاتحاد ، وهذا المجلس سيكون مساويا لأهل الحل والعقد ، ووظيفته المضى فى إنماء وترسيخ الاستراتيجيات والسياسات لتحقيق الأهداف التي سبق شرحها ، وحتى ينال حيوية وسلطة مؤثرة يجب أن يكون المجلس مقبولا كأعلى جهاز يقود المسلمين فى استراليا . فقراراته واجبه التنفيذ من خلال أوسع مدى للشورى بين الجهات الإسلامية المعنية وكذلك بين الافراد ، فمتى صدرت القرارات يجب أن يقبلها جميع المسلمين وعلى كل المستويات وهذا يقتضي ليس فقط الاختيار الواعى لأعضاء مجلس الشورى فى المقام الأول بل والالتزام المسبق من جانب المنظمات الثلاث بتأييد ومساندة قرارات مجلس الشورى .

(جـ) يجب الترحيب بالمنح الخارجية بشرط مراعاة عدم الخضوع لأى نفوذ ، فأية هبة للمنظمات يجب أن تكون خالصة لله سبحانه وتعالى لا أن تكون مرتبطة بالمديح المستمر لهذه الدولة أو تلك ، ويجب أن يحاول مسلمو استراليا ، وعلى المدى الأطول أن يكون لديهم اكتفاء مالى ذاتى مما يبعد النوع السيىء من القيادة عن الانجذاب لبريق الذهب .

(د) وعلى المدى القصير يجب دعوة ذوى المكانة من المجاهدين والدعاة من مختلف

جبهات الأمة المحاربة ، لكى يوقظوا مسلمى استراليا من غيبوبتهم وسباتهم العميق على أن يقيم هؤلاء الدعاة والمجاهدون أطول مدة ممكنة حتى يصلوا إلى أكبر التجمعات فى أرجاء استراليا ، وعلى المدى الطويل ، فإن إعداد الدعاة من أهل استراليا والمختارين جيدا وبعناية من العناصر الملتزمة التزاما جيدا والتى تلقت تعليما وتدريبا مخلصا على يد العلماء الأكفاء ، هذا الإعداد سيبقى الدرع الواقى ضد غروب شمس الإسلام هذه البلاد .

(هـ) سيكون أهم واجب يقوم به الدعاة المدعوين من الخارج والائمة والعاملين المسلمين فى استراليا هو القيام بحملة مركزة لتعبئة المسلمين لمساعدة أنفسهم ، وأى ثمن لن يكون غاليا فى سبيل توحيد المسلمين من كل المشارب فى استراليا لكى يدافعوا عن الإسلام والمسلمين وخاصة الأجيال الشابة ، وليقفوا ضد المصير المفجع للإسلام فى الأندلس وأوروبا وجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية فى روسيا .

(و) إذا أمكن توحيد المسلمين روحيا فإنه يمكن توحيدهم تنظيميا ، ويجب أن تبرز عن المنظمات الكثيرة الحالية منظمة قوية جيدة التنظيم تستطيع أن تمثل المسلمين فى استراليا تمثيلا صادقا ، ومثل تلك الهيئة تستطيع أن تتفاوض حينئذ ومن موقع قوة لمنح حقوق المسلمين فى هذا المجتمع ، إذ يمكن فى ظل الوزن الثقيل للجماهير المسلمة الموحدة المعبأة جيدا ، أن تمارس ضغوطاً سياسية واقتصادية واجتماعية للحصول على الحقوق التى تستأهلها فى هذه البلاد الرائعة الحرية والصادقة التسامح .

(ز) ولكى تبدأ الكرة فى الدوران ، يمكن أن توزع هذه الورقة على المنظمات الأخرى على كل المستويات ، ولا يحق لأية منظمة أن ترفض هذا النداء للاتحاد بين المسلمين ونأمل أن يمارس الانتشار الواسع المدى وعلى كل المستويات ، ضغطا على القادة الرافضين حتى يلتزموا بذلك النداء .

٥ - خاتمـة :

إننا نقدم فى هذا الموضوع الهام الخاص بالعلاقة بين المنظمات الإسلامية فى استراليا ، إطارا للمناقشة مستمدا من كتاب الله « القرآن » وسنة رسول الله ﷺ ، وقدمنا عرضا موجزا للمنظمات الإسلامية الرئيسية الثلاث ، والمجالات السلبية فى العلاقات مثل الانعزالية والمصالح المكتسبة والأئمة المرتزقة والملامح الإيجابية للمسلمين التواقين للوحدة من أجل الوصول إلى الحقوق التى طال انتظارها فى هذا المجتمع .

ثم قدمت أخيرا اقتراحا بإنشاء مجلس شورى مشترك ورسمت التفاصيل حول تعيين أعضائه على أن يترك أمر الصيغة والشروط الخاصة بالعضوية للجنة التحضيرية من داخل المنظمات ، ونأمل بإخلاص أن تؤدى هذه الورقة إلى صيانة وازدهار المبادىء والقيم الإسلامية لخير مسلمى استراليا فى الدنيا والآخرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



وضـع اللغـة العربيـة
في الأقـليات الإسـلامية

(دراسة تطبيقية لتجربة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
متـمثلـة فـي الـمعهـد العـربـي الإسـلامي فـي اليابـان)

عبدالعزيز عبدالستـار تركستـاني

محاضر بكليـة الدعـوة والإعـلام
جامعـة الإمـام محمـد بن سعـود الإسـلامية



وضع اللغة العربية في الأقليات الإسلامية

عبدالعزيز عبدالستار تركستاني

مقدمة

إن تعاليم الإسلام لن تغيب عن الناس ولسوف تبقى ثابتة رغم نزولها باللغة العربية فقط ، ولقد صار ذلك أمرا ثابتا ، فهذه التعاليم مسجلة فى القرآن الكريم الذي نقله جبريل عليه السلام عن رب العزة جل وعلا ثم نقله خاتم الأنبياء محمد رسول الله عن جبريل ونقله الصحابة الكرام عن الرسول ﷺ ثم تتابعت الأجيال تنقله عبر العصور حتى بلغنا مثلما نزل منذ أربعة عشر قرنا ، وسنورثه نحن لغيرنا وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وفى العصر الحديث سجله المسلمون ترتيلا .. وسيستمر المسلمون على ذلك .. فالمسلم متعبد – ليس فقط بفهم القرآن وتطبيق أحكامه بل بتصحيح نطق ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من الأئمة القراء عن الرسول ﷺ – فنزول القرآن باللغة العربية لا يتناقض مع عالميته ، قال الله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء ـ آية ١٠٧) وقال تعالى أيضا ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف ـ آية ١٥٨) .

ولقد أدرك أعداء الإسلام أهمية اللغة العربية وارتباطها بالدين الإسلامى فحاولوا أن

يثبتوا أن الإسلام خاص بالعرب فقط وحاربوا ومايزالون يحاربون نشر اللغة العربية .. لأنهم يعلمون علم اليقين أن نشر اللغة العربية هو أخطر وسائل الدعوة الإسلامية .

ولقد اختار الله سبحانه وتعالى الأمة العربية لحمل هذه الرسالة فكان لابد أن ينزل الوحى بلغتها حتى يفهم العرب منها ماينزل إليهم ويحيطوا به ومن ثم ينقلونه إلى كل الآفاق ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف ــ آية ٢) . ولكن نزول القرآن باللغة العربية لا يمنع من تنوع لغات الناس وممارسة الدعوة بلغات مختلفات فقد رأينا أن مختلفي اللغة في العصور القديمة كانوا يتفاهمون بواسطة الترجمة والمترجمين .

إن تعليم اللغة العربية منهج متكامل لنشر الإسلام وذلك إذا أحسن الإعداد والتخطيط له وتوفر الإتقان والإخلاص في التنفيذ ، ومن هنا جاءت فكرة إنشاء معاهد لتدرس اللغة العربية لغير الناطقين بها فى مختلف بقاع العالم وتبنت هذه الفكرة الكثير من الجامعات العربية والإسلامية .

موقع اليابان الجغرافى

تتكون اليابان من أربع جزر رئيسية كبيرة هى جزيرة هونشيو وشكوكو وهوكايدو وكيوشو ، بالإضافة إلى مجموعة من الجزر الصغيرة ، وتقع مابين بحر اليابان في الغرب والمحيط الهادي في الشرق ، هذا وتبلغ مساحتها حوالي ٣٧٠ ألف كيلومترا مربعا ، أى حوالي عشر مساحة المملكة العربية السعودية ، ويتميز مناخها بوضوح فصول السنة ، الربيع والخريف والشتاء والصيف وحصولها بالتساوي .

الأديان والمذاهب فى اليابان

تكفل الحكومة اليابانية الحرية في المعتقدات والأديان والدستور الياباني الذي صدر عام ١٩٤٦ م ينص على الآتى : (ولهم الحرية الكاملة في الإسهام في النشاطات والاحتفالات والعبادات الدينية ، وإن الحكومة وكذلك مؤسساتها لايجوز لها التدخل في شئونهم أو الشئون التعليمية الدينية الأخرى) .

وأكثر السكان بوذيون وشنتويون وعددهم أكثر من ٨٦ مليون ثم المسيحيون وعددهم مايقارب ٨ مليون ثم تأتي بعض الديانات الأخرى ثم المسلمون وعددهم التقريبي ٣٠ ألف .

إن تاريخ النصارى في اليابان يتعدى الآن أكثر من أربعمائة سنة ولهم نشاط كبير

جدًّا ، ففي مدينة طوكيو وحدها مايقرب من سبعمائة كنيسة ويأتيها البشر من كل أنحاء العالم ويقومون بتعليم اللغة الانجليزية والفرنسية والاسبانية في المدارس والكليات والجامعات التابعة للكنائس .

فالمبشر المسيحى يتعلم اللغة اليابانية لمدة سنتين قبل مجيئه لليابان ، وفي اليابان يتفرغ أيضا لدراسة اللغة اليابانية لمدة سنتين أخريين في المعاهد التابعة للكنائس وفي المدارس ومعاهد تعليم اللغة وبعد ذلك يقوم مجلس الكنائس المحلي بتوزيع هؤلاء المبشرين على المدن والقرى الصغيرة ويفرغونهم تفرغًا تامًّا ، والملاحظ هنا أنه لاتخلو أى مدينة أو قرية من عدة كنائس مهما كانت صغيرة[1] .

اللغة العربية والإسلام فى المجتمع الياباني

يعرف الكل مدى أهمية اللغة العربية وكيف انتشرت بانتشار الإسلام من الصين شرقًا حتى أقاصى افريقيا غربًا ، ولقد أسهم المسلمون الذين استوطنوا الكثير من البلدان البعيدة غير الإسلامية في نشر اللغة العربية – لغة القرآن – في تلك البلدان وذلك حتى يتم فهم القرآن الكريم .

وفي اليابان ولموقعها المميز في أقصى الشرق يختلف الوضع قليلا حيث أن الإسلام دخل إلى اليابان عن طريق غزو اليابانيين للدول المجاورة .. كالصين الشعبية مثلا .. حيث تعرف اليابانيون هناك على الإسلام[2] ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فلقد قامت التجارة أيضا بدور مهم حيث كانت هناك حلقات وصل تجارية بين اليابان ودول جنوب شرق آسيا كالهند .

وقد دخل إلى الإسلام الحاج أحمد أريجا الياباني خلال عمله بالتجارة مع الهند ثم ذهب إلى الحج عام ١٩٠٢ م كأول حاج ياباني[3] .

تعليم وانتشار اللغة العربية

ولقد بدأ الاهتمام بدراسة اللغة العربية في المجتمع الياباني بعد أن بدأت الدول العربية تأخذ وضعا ممتازا في المجتمع الدولي ، وقد لعب البترول والتجارة الدوليان أهمية بالغة في إيجاد الصلات بين البلاد العربية واليابان .

وتبعًا لذلك فكرت الكثير من الشركات اليابانية ذات العلاقة بالدول العربية أن تفتح فصولا لتدريس اللغة العربية داخل الشركات ليتمكن موظفوها من استخدام اللغة العربية في التجارة والتعامل مع العالم العربي وكان الغرض الرئيسي في البداية من انتشار اللغة

العربية هو هدف اقتصادي بحت ولكن بمرور الزمن تعددت أوجه الاهتمام باللغة العربية وأصبح هناك بعض اليابانيين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي بدأوا في دراسة اللغة العربية لفهم القرآن الكريم وأداء الشعائر الاسلامية .

ومن هذا المنطلق بدأ الطلاب المسلمون الذين جاءوا إلى اليابان لتلقى علومهم العالية فى مجالات التقنية والمجالات الفنية فى تدريس اللغة العربية بطرق بدائية جدا وببدايات متواضعة ، وبعد انتشار بعض الجمعيات الإسلامية مثل جمعية مسلمى اليابان والمركز الإسلامى بدأ الاهتمام الفعلى بتدريس اللغة العربية بطرق منظمة .

لقد كان للحرب العربية الإسرائيلية فى رمضان ١٣٩٣ هـ دورًا كبيرا فى إثارة اهتمام اليابانيين باللغة العربية ومحاولتهم التعرف على الثقافة العربية الإسلامية .

ولقد عمدت شركات البترول ذات العلاقة بالدول العربية بالإضافة إلى بعض الشركات الأخرى ذات المصالح المشتركة وبعض الجامعات والمعاهد إلى فتح فصول واقسام للغة العربية ، وبدأ الاهتمام الفعلى لدراسة وتدريس اللغة العربية وفتح بعضها أقساما وشعبا دراسية لها ، وأصبحت بعد فترة من الزمن تأخذ الوضع الطبيعى مثلها مثل أى لغة أجنبية أخرى ، وهنا أستطيع ان ألخص عملية تدريس الثقافة الإسلامية بصفة عامة واللغة العربية بصفة خاصة على الشكل التالي :

١ – تدريس اللغة العربيــة	فى الجمعيات الإسلامية والمراكز الإسلاميـة وفروعها داخل اليابان .
٢ – تدريس العلوم الإسلامية	فى هذه الجمعيات نفسها .
٣ – تدريس اللغة العربية وآدابها للمتخصصين .	فى عدد من الجمعيات والمعاهد المتخصصه .

وفى الإحصائية الأخيرة ١٩٨٤ م التى صدرت عن وزارة التعليم العالى اليابانية وجد الاهتمام باللغة العربية وقد ازداد ازديادًا واسعًا خاصة خلال العشر سنوات الأخيرة وأصبحت اللغة العربية تمثل اللغة الخامسة فى اليابان بالنسبة للغات الأخرى ، الانجليزية والفرنسية والاسبانية والصينية .

تأثير اللغة العربية على اليابانى المسلم :

ذكرنا سابقا كيفية حصول الرجل اليابانى أو المرأة اليابانية على دروس اللغة العربية سواء عن طريق الجامعة أو المعاهد المتخصصة أو عن طريق الجمعيات

الإسلامية وسنحاول هنا أن نشرح كيف أن هذه اللغة قد أسهمت إسهاما فعالا في إدخال الكثير من اليابانيين للإسلام .

أولا: كما هو معروف أن اللغة العربية والثقافة الإسلامية توأمان لا ينفصلان وبعد دراسة الياباني لبعض الكلمات أو سماعه لبعض التعابير مثل (إن شاء الله) ، (الحمد لله) ، وغيرها يبدأ اهتمامه بمعنى الألوهية والوحدانية يساعده فى ذلك فراغه الروحي الكبير الخالي عادة من وجود أى إله . وهذا بالتالي يقوده إلى السؤال عن عظمة الله سبحانه وتعالى وعن السبب الذي يجعل الرجل العربى المسلم يستخدم هذه الكلمات كل لحظة في حياته اليومية .

وأود هنا أن أورد لكم مثلا حيًّا على ذلك .. ففي إحدى المناسبات كان هناك حوار بين تاجر ياباني وتاجر مسلم كرر فيه التاجر المسلم إن شاء الله أثناء حديثه باللغة الوسيطة وهى الانجليزية مما حدا بالياباني للسؤال عن معنى (إن شاء الله) فكانت تلك فرصة لكى يعرّف فيها التاجر المسلم بدينه وكانت هذه هى البداية حيث أصبح الياباني بعدها مسلما ولله الحمد .

ثانيا : يعانى الكثير من المسلمين الذين دخلوا الإسلام في اليابان من جهلهم التام بمعاني القرآن الكريم ويجدون في دراسة اللغة العربية متنفسا وحيدا لمعرفة أمور دينهم ، ولقد لمست ذلك شخصيا خلال حضوري للكثير من الندوات والمجالس للإخوة اليابانيين .

وقد بدا ذلك واضحا خلال محاورتى للكثير من المسلمين اليابانيين الذين حضروا المخيم الإسلامي الأول الذي أقيم تحت رعاية الندوة العالمية للشباب الإسلامي في طوكيو ١٤٠٤/١٤٠٥ هـ .

ثالثا : لقد كان القرآن الكريم ولازال سببا مباشرا في إقبال الكثير من اليابانيين على الإسلام ليس فقط بمعانيه العظيمة ولكن عن طريق سماعهم لقراءته وتجويده .

وهناك بعض اليابانيين هداهم الله للإسلام بعد سماعهم للأذان سواء من المسجد العام أو عن طريق وسائل الإعلام المسموعة والمرئية ، فهم يستغربون جدا حلاوة هذا الصوت وكأنه حلم جميل لا يلبث أن يتحول إلى حقيقة بعد دخولهم للإسلام .

تجربة جامعة الإمام فى تدريس اللغة العربية في اليابان .

إن لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تجربة رائدة وفريدة في نقل تعاليم الدين الحنيف واللغة العربية إلى مجتمع مادي لا ديني مثل المجتمع الياباني ، وسوف نتحدث هنا حول النقاط التالية :

أ - لماذا كانت هناك حاجة لإنشاء المعهد العربي الإسلامي في اليابان .
ب - ماهي أهداف هذا المعهد .
جـ - ماهي أقسام المعهد .

أ - لماذا كانت هناك حاجة لإنشاء هذا المعهد :

الشعب الياباني كما هو معروف من أكثر شعوب العالم ارتفاعا في مستوى التعليم ومن الناحية العلمية فإن السبب الأساسي في اهتمام اليابانيين في تعلم اللغات هو تطوير أنفسهم .. حيث لمسوا كيف أن الترجمة تسهم بدور رئيسي في نقل الحضارات من دولة لاخرى .

وقد يقول قائل إن ملاحقة اليابانيين لدراسة اللغات الاجنبية هى غالبا ماتكون للحصول على مكاسب مادية واستخدامها في التجارة مع الدول المستهدفة وهذا صحيح حيث استطاعوا أن يسخروا هذا العلم الذي يملكون في السيطرة التجارية على العالم وفي كسب احترامهم كدولة متعلمة تصل نسبة التعليم فيها إلى ١٠٠ ٪ .

ولقد اتضح لليابانيين - كما أسلفت سابقا - وبسبب الأحداث الأخيرة في العالم العربي والإسلامى أن دراسة اللغة العربية أمر حيوى مثلها مثل اللغات الأجنبية الأخرى .

ودراسة اللغة الأجنبية ليس أمرا جديدا في اليابان وذلك بالنسبة للغة الانجليزية والالمانية والفرنسية ، أما بالنسبة للغة العربية فإن ذلك مايزال في مراحله الأولى بالرغم من وجود الكثير من المدارس والمعاهد التى تقوم بذلك ولكن غالبا مايكون ذلك على أيدي أشخاص غير مؤهلين للقيام بهذه المهمة الخطيرة .

وكان لابد من إيجاد مؤسسة علمية تقوم على أسس علمية تحت تمويل مادي منتظم ومدرسين متخصصين في ذلك . هذه المؤسسة هى المعهد العربي الإسلامي في طوكيو التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية والذي افتتح في شهر صفر عام ١٤٠٢ هـ .

ب - أهداف المعهد العربي الإسلامي :

المعهد العربي الإسلامى في اليابان هو امتداد للجهود الجبارة والمستمرة التى تبذلها المملكة العربية السعودية في سبيل رفع لواء الإسلام وإعلاء كلمة الله ونشر لغة القرآن متمثلة بقول الله تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُم ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران ـ آية ١٠٤) .

ولا عجب فعلى الأرض المباركة للحرمين الشريفين نزلت آيات الله ومن بين أبنائها يخرج رسول الله ﷺ وأضاء برسالته السماوية العقول والقلوب وأخرج الناس من الظلمات إلى النور .

وليس غريبًا أن تواصل تحقيق تلك الرسالة الآن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، هذه الجامعة التى ولدت عملاقة ونشرت معاهدها وبعثت برجالها لنشر الدعوة الإسلامية وتعليم اللغة العربية في كل مكان .

وقد جاءت فكرة معهد اليابان حرصا من جامعة الإمام على رعاية شئون المسلمين في ذلك البلد ونشر الدين الإسلامي وتعليم اللغة العربية ولقد تلقت موافقة حكومة المملكة العربية السعودية على إنشاء هذا المعهد والذي تتبلور أهدافه فيمايلي :

١ - التعريف بالإسلام ومساعدة الراغبين في الاطلاع على الثقافة الإسلامية .

٢ - نشر اللغة العربية وتعليمها لغير الناطقين بها .

٣ - بذل الرعاية للمسلمين من أهل اليابان وتلبية الحاجات الدينية والثقافية لهم وللمسلمين المقيمين هناك .

٤ - متابعة كل ما يكتب عن الإسلام ومايصدر من دراسات إسلامية فى اليابان والقيام بترجمة الصالح منها إلى اللغة العربية والقيام بترجمة الدراسات الإسلامية المفيدة إلى اللغة اليابانية .

٥ - إعداد أبناء رجال البعثات السياسية الإسلامية ومن فى حكمهم لمتابعة الدراسة عند رجوعهم إلى البلاد الإسلامية عن طريق تدريسهم المناهج المناسبة .

٦ - توثيق روابط الصداقة مع الشعب اليابانى وتعميق معرفته بالمملكة العربية السعودية خاصة والعالم العربى الإسلامى عامة .

جـ - أقسام المعهد العربي الإسلامى :

١ - قسم الإعداد اللغوي .
٢ - قسم البحوث والترجمة .
٣ - قسم الدعوة .
٤ - قسم تعليم أبناء الجاليات العربية والإسلامية (مدرسة ابتدائية ، تعليم القرآن الكريم) .

وسوف أتحدث هنا عن القسم الأول فقط وهو قسم الإعداد اللغوي والذي ينقسم إلى شعبتين .

١ - شعبة تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية :

وهى تختص بتأهيل الدارسين المسلمين من أبناء اليابان وغيرهم تأهيلا يمكنهم من

الالتحاق بالمعاهد والكليات العربية الإسلامية ومدة الدراسة فيها سنتان دراسيتان . ويمنح الدارس بعد نجاحه فى المستوى الأخير شهادة (دبلوم الإعداد اللغوي في اللغة العربية والدراسات الإسلامية) .

وهذه الشعبة حتى الآن لم تفتح بسبب قلة الطلاب المسلمين حتى نهاية العام الدراسي السابق ١٤٠٤/١٤٠٥ هـ ولكن افتتاح هذه الشعبة سيكون إنشاء الله خلال السنتين القادمتين على أكثر تقدير .

أ – شعبة تعليم اللغة العربية :

وهى تختص بتأهيل الدارسين المسلمين وغير المسلمين من أبناء اليابان وغيرهم تأهيلا يمكنهم من التعامل باللغة العربية مع أهلها أو لمواصلة الدراسة بها للوقوف على آدابها وحضارتها ومدة الدراسة بها سنتان دراسيتان وعدد المستويات الدراسية أربعة . ويدرس الطالب فيها اللغة العربية مطعمة بالثقافة الإسلامية المبسطة ويمنح بعد نجاحه في المستوى الرابع (شهادة النجاح في قسم الإعداد اللغوي – شعبة اللغة العربية) .

وهذه الشعبة في المعهد العربي الإسلامي في اليابان افتتحت فعلا وبدأ التدريس فيها مع بداية تأسيسه حيث كان عدد الطلاب المنتظمين في الدراسة في عام ١٩٨٢ م سبعين طالبا بدورة واحدة .

ونظرة سريعة الآن إلى عدد الطلاب في هذا القسم نجد أنه خلال الفصل الدراسي الأول عام ١٩٨٤ – ١٩٨٥ م ارتفع العدد إلى أكثر من أربعمائة طالب وطالبة بدورتين مسائية وصباحية وأصبح عدد الطلاب المسلمين فيهما أكثر من خمسة عشر طالبًا منتظمًا يمكن لهم الالتحاق بالشعبة الأولى الخاصة بتعلم اللغة العربية والثقافة الإسلامية بحول الله تعالى قريبا .

ولتطبيق متطلبات الشعبة الثانية قام المسئولون في المعهد تحت إشراف الجامعة الأم بوضع خطة دراسية تتمشى والهدف الحقيقي الذي أنشىء من أجله المعهد .. أورد لكم بيانا بعدد ساعاتها والمواد التى تدرس فعلا خلال المدة المطلوبة لعله يستفاد منها عند افتتاح معاهد مماثلة في بلدان أخرى .

شعبة تعليم اللغة العربية :

الخطة الدراسية
للبرنامج الصباحـى

المواد الدراسية	عـدد الساعـات			
	المستوى الاول	المستوى الثاني	المستوى الثالث	المستوى الرابع
القرآن الكريم	١	١	١	١
الحديث الشريف	١	١	١	١
التاريخ والبحوث الإسلامية	١	١	١	١
محادثة	٤	٤	٣	٣
قـراءة	٣	٣	٣	٣
قواعد اللغة	٢	٢	٢	٢
التعبيـر	٢	٢	٢	٢
الترجمـة	١	١	١	١
الإملاء والخط	٣	٣	٢	١
الأدب والنصوص	—	—	٢	٢
البلاغـة	—	—	—	١
عـدد الساعـات	١٨	١٨	١٨	١٨

بعض المشكلات التى تواجه الدعوة الإسلامية واللغة العربية مع بعض الحلول

يواجه نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية كثيرا من المشاكل وإليك بعضًا منها :

أ – المشكلة الأولى :

الكفاءات البشرية التى تقود الحركة الإسلامية في اليابان ..

اليابان كغيرها من الدول البعيدة عن أنشطة الدعوة الإسلامية المنظمة تعانى للأسف الشديد من عدم وجود الدعاة المتفرغين للعمل الإسلامى المخطط والمدروس أسوة

بأتباع سائر الأديان ، فاليابان لايوجد فيها إلا داعية واحد متفرغ تفرغا كاملا .. تصوروا داعية واحد متفرغ لأكثر من مائة وعشرين مليونا من البشر ؟؟؟

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن عدد المدرسين المؤهلين لتدريس اللغة العربية وآدابها وعلوم الدين الإسلامي في ضوء منهج علمى متكامل لا يتجاوزون الخمسة مدرسين .

ولا شك أن العنصر البشري المؤهل للدعوة والعمل الإسلامي في تصوري يكون مشكلة أساسية في كل الأقليات الإسلامية ولكن المشكلة في اليابان أوضح وأكثر إلحاحا .

إن جميع الهيئات الإسلامية والحكومات المعنية بالأمر مسئولة مسئولية مباشرة عن إيجاد هذه الكفاءات المتخصصة في مجال الدعوة وتعليم اللغة العربية حيث نستطيع من خلال هذه الكفاءات الوصول إلى الهدف المنشود بحول الله .

ب - المشكلة الثانية :

القدوة الحسنة :

فالقدوة الحسنة التى أعنيها هنا ويرغب كل مسلم يعيش في اليابان هو التمثل بالخلق الإسلامي الرفيع علما وعملا وهذه فعلا مشكلة كبيرة في اليابان ، فلا تتوفر القدوة الحسنة في أغلب القائمين على العمل الإسلامي والذين يتولون تدريس اللغة العربية .

إن الشعب اليابانى بصفة عامة من ناحية ثقافية يعتمد جميعه على القدوة الحسنة سواء في مجال الدراسة أو العمل أو في أى مصلحة أخرى وأستطيع أن أطلق عليه لقب (الشعب المتجانس) ، وهو فعلا شعب متجانس يشد بعضه بعضا ويقتدى بعضه ببعض حتى وصلوا بهذه الطريقة إلى ماوصلوا إليه من تقدم علمى رفيع .

إن أكثر المشكلات التى تواجه المراكز الإسلامية في اليابان هى أن الشباب اليابانى الذي يريد أن يدخل الإسلام يركز أيضا كغيرة من أبناء جلدته في البحث عن أشخاص (قدوة) يعتمدون عليهم في تحصيل المعلومات الأساسية لفهم معنى الإسلام وللأسف فالكثير قد فقد دينه وارتد في بعض الأحيان والعياذ بالله والسبب الأول والأخير هو هذه المشكلة .

جـ - المشكلة الثالثة :

قلة المراكز الثقافية والتعليمية الإسلامية :

لو نظرنا إلى خريطة اليابان الجغرافية بما فيها من مدن رئيسية وقرى وأقاليم لوجدنا أن عدد المراكز الإسلامية وتجمعات الشباب المسلم قليلة جدا .

إن وجود المعهد العربي الإسلامي ولله الحمد أصبح خيرا وبركة على المسلمين هناك وياحبذا لو كان هناك أكثر من معهد عربي إسلامي .

وعلينا استثمار صلاتنا الاقتصادية مع اليابان في تدعيم نشر الإسلام واللغة العربية وبهذه المناسبة أرفع مطلبا لتنظيم مؤتمر يشارك فيه نخبة من رجال العلم والفكر المسلمين لمعالجة أمر الدعوة الإسلامية فى اليابان واقتراح برامج وأنشطة لدفع عجلة الدعوة الإسلامية وتدريس العربية .

خاتمــة

إننى هنا ومن خلال تجربتى الشخصية خلال السنوات الخمس التى قضيتها فى بلاد اليابان أكرر رجائى بالقول إن الوضع الإسلامي العام في اليابان يحتاج إلى جهد مكثف ومنظم مع متابعة شديدة كمتابعة الكيمائي لبرج تقطيره ساعة بساعة ، فأمة اليابان أمة الساعات والدقائق بل حتى الثواني محسوبة لهم وعليهم ، ووضع اليابان يقتضي تكثيف الجهود والالتفات إليها أكثر فأكثر .

إن وجود اللغة العربية وتدريسها في اليابان لهو نصر كبير للعرب والمسلمين بحول الله تعالى ، وإننى متأكد من أنه لو أن هناك أكثر من معهد ياباني ملتزم ومنظم تحت رعاية دولة إسلامية فإن اللغة العربية ستكون بلا شك مفتاحًا قويًا وكبيرًا إن شاء الله في إدخال اليابانيين إلى الإسلام أفواجا .

إن اليابانيين ينتظرون منا – نحن المسلمين – الكثير والكثير ويعلقون علينا آمالا عظاما .. فهاهم في أحد أمثالهم المشهورة بين الشباب يقولون : (إن القرن الواحد والعشرين هو قرن المسلمين) ، ونحن عنهم غافلون فهل نحن لهم سامعون ولآمالهم محققون ..

اللهم إنى قد بلغت .. اللهم فاشهد ..

الهوامـــش

١ - التقرير الدوري عن نشاط الدعوة الإسلامية في جنوب شرقي آسيا - مكتب الملحق الديني بجاكرتا التابع لرئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٠ هـ ص ٦ ، ٧ .

٢ - محاضرة الدكتور صالح السامرائي حول تاريخ الإسلام في اليابان ١٤٠٣ هـ .

٣ - الدكتور/ صالح السامرائى في محاضرة له حول تاريخ الإسلام في اليابان ١٤٠٣ هـ .

المراجـــع

نظراً لقلة المراجع الموجودة في هذا المجال فلقد اعتمد الباحث على تجربته الشخصية طيلة إقامته باليابان والإشراف على تدريس اللغة العربية .

١ – استفتاء شفوي بين المدرسين وطلاب اللغة العربية وبعض الدعاة باليابان .

٢ – الخطط الدراسية التابعة للمعهد العربي الإسلامي بطوكيو .

٣ – حديث شفوي مع الشيخ أبو بكر موريموتمو رئيس منظمة الثقافة الإسلامية بطوكيو .

JAPAN MUSLIN ASSOCIATTON - ITS BRIEF
INTRODUCTION AND ACTIVITIES, 1980 p,p,2.3

٤ – التقرير السنوى العام للمركز الإسلامي في اليابان ٧٦ – ١٩٧٧ م .

٥ – تقارير لبعض أساتذة الجامعات الذين زاروا اليابان في فترات الصيف للأعوام ٧٥ – ١٩٧٦ م .

٦ – محاضرة للدكتور صالح السامرائي بالمعهد العربي الإسلامي بطوكيو باسم (تاريخ الإسلام في اليابان) ١٤٠٣ هـ .

٧ – وزارة التعليم العالي الياباني التقرير السنوى ١٩٨٤ م (باللغة اليابانية) .

٨ – التقرير الدوري عن نشاط الدعوة الإسلامية في جنوب شرق آسيا ، مكتب الملحق الديني لجاكرتا التابع لرئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ع المملكة العربية السعودية – ١٤٠٠ هـ .

٩ – دليل المعهد العربي الإسلامي بطوكيو ١٤٠٢ هـ .

المسلمون الروهينجيون في أراكان مشكلاتهم السياسية في الماضي والحاضر

نور الإسلام



المسلمون الروهينجيون في أراكان
مشكلاتهم السياسية في الماضي والحاضر

نور الإسلام

ينحدر مسلمو الروهينجيا مباشرة من أصول مغربية وفارسية وتركية وبنغالية . ويرجع أصلهم العرقي إلى النصف الأول من القرن السابع بعد الميلاد . وقد دخل العرب هذه المنطقة من جنوب شرقي آسيا يحملون إليها التجارة والإسلام .

وتأسست أول مملكة إسلامية في أراكان على يد سليمان شاه في عام ١٤٣٠ بعد الميلاد ، وظل المسلمون يحكمون أراكان قرابة أربعة قرون قبل أن يخلعهم البورميون في عام ١٩٤٤ م ، حيث خضعوا بعد فقدانهم السلطة السياسية لسخط القوات المعادية ، التي دأبت على تدبير المؤامرة تلو الأخرى لإبادة المسلمين . وتمثلت سياسة الزعماء الوطنيين البورميين سواء قبل الاستقلال أو بعده في إدامة الهيمنة البورمية على سائر جماعات الأقليات الوطنية من خلال التوحيد العرقي عن طريق صبغها بالصبغة البورمية والبوذية وما يعرف بالطريق البورمي إلى الاشتراكية . ولكن العقبة الكؤود التي اعترضت طريقهم في أراكان تمثلت في جماعة متماسكة من الروهينجيين المستمسكين بحضارتهم وعاداتهم ، لذا شن النظام العنصري الحاكم عمليات مسلحة منظمة على المناطق التي يقطنها المسلمون وحدها بحجة إجراء تحريات بمقتضى قانون الهجرة كما سن قانونا جديدا يتسم بالخبث والضرر بشأن حق المواطنة في عام ١٩٨٢ ، وسيتم تطبيقه على الروهينجيين قريبًا جدًا بهدف تحويلهم إلى أجانب . ونتيجة لذلك تم طرد نصفهم تقريبا بينما أصبح الباقون مشردين داخل الدولة وغرباء في بلادهم .

مقدمـــة :

كان مسلمو الروهينجيا في أراكان الذين يشكلون حوالى نصف إجمالى السكان المسلمين فى بورما أصحاب دولة مستقلة ذات سيادة لقرون عدة ، كما كانت لهم حضارتهم المميزة ، ومع ذلك لم تتح الفرصة مطلقا لبقية مسلمى بورما للتمتع بمثل هذا الوضع المستقل لأنهم يعيشون فى شتات ، ولغرابة وضعهم من العسير عرض مشكلات الأقلية المسلمة في بورما على أنها كل متماثل . ويقتصر هذا البحث في مضمونه على استعراض مشكلات الروهينجيين التى تمثل أكبر تحدٍ لوجودهم . وفي الواقع أن استمرار بقاء الروهينجيين يعنى استمرار وجود الإسلام فى بورما .

إن المشكلات التى تؤرق الروهينجيين اليوم تمتد لها جذور عميقة فى الماضى . وقد بدأت المشكلة الحقيقية بعد هزيمة الأراكانيين فى عام ١٧٨٤ بعد سلسلة من الحروب المستمرة خاضها ضدهم البورميون، وتبين أن أسباب هذه الاعتداءات البورمية هى فرض السيطرة على السكان وعلى فائض إنتاجهم وعلى الطريق المستخدمة فى التجارة أو فى الغزو كما ورد فى المفهوم الدينى لملك بورما مثل « شاكارا فارتان » الحاكم البوذى الكونى الذى أعلن بدء عهد دينى جديد . وكانت النتيجة المترتبة على ذلك هى بروز الحاجة إلى إدارة بورمية مركزية جديدة تحكم المناطق والتى بدونها ستكون النتيجة الحتمية هى استمرار الثورات رغم تنمية السبل البيروقراطية التى ترمى إلى تحقيق هذا الهدف على أساس مستمر [١] .

وتحقق الطموح التاريخى للملوك البورميين عن طريق فرض القوة البورمية على جميع الطوائف من خلال التوحدات العرقية [٢] ، وقد اتبع الحكام البورميون الحاليون نفس سياسة الهيمنة البورمية من خلال توحيد جميع الطوائف العرقية عن طريق فرض الصبغة البورمية والبوذية والقومية وما يعرف بالطريق البورمى إلى الاشتراكية إلا أن العقبة الكؤود التى اعترضت طريقهم فى أراكان تمثلت فى وجود طائفة الروهينجيا المتماسكة التى تشكل تكتلا مترابطا فى هذه المنطقة الاستراتيجية الحدودية ولازالت تحتفظ بكيانها الثقافى الاجتماعى المميز . وهكذا انتهج البورميون سياسة إبادة الروهينجيين بطريقة نظامية ومحددة من خلال مخططات مختلفة مما أسفر عن نزوح حوالى نصف إجمالى عددهم البالغ ٢,٥ مليون نسمة تاركين البقية الباقية تعانى تشردها داخل الدولة . ومن الضرورى فى ظل هذا الوضع توضيح الخلفية التاريخية للروهينجيين والخطط المختلفة التى اتبعتها النظم الحاكمة المختلفة قبل الاستقلال وبعده .

الخلفية التاريخية :

ينحدر الروهينجيون كما أسلفنا القول من أصول عربية ومغربية وتركية وفارسية ومغولية وأفغانية ويرجع أصلهم العرقى إلى النصف الأول من القرن السابع بعد الميلاد وتعتبر

أراكان التى كانت تعرف قديما باسم روهانج موطن أسلاف الروهينجيين [٣] وهى أيضا وحدة طبيعية جغرافية تفصلها تلال « أراكان يوما » عن بقية أنحاء بورما .

وكانت فى الماضى البعيد أرضا هندوسية . ويسجل التاريخ الزمنى لها صفا طويلا من الملوك يمتد إلى عام ٢٦٦٦ قبل الميلاد ، ومن أكثر ممالكها ثبوتا مملكة رانفاتى التى ازدهرت فى بداية العهد المسيحى . وتلت رانفاتى فيسالى فى عام ٧٨٨ بعد الميلاد وهى مملكة حكمتها أسرة شاندرا الهندوسية وكانت مدينتهم توجد فى فيسالى التى تبعد ٥٠ ميلا عن نهر ليمرو .

ويفيض التاريخ بإسنادات صحيحة ودلائل مباشرة على إقامة مستوطنات فى أراكان على أيدى العرب بعد ٥٠ عاما من قدوم الإسلام فى عام ٦١٠ بعد الميلاد [٤] . ويقول ار . بى . سمارث إن التجار العرب كانوا على اتصال وثيق بسكان أراكان فى فترة مبكرة ترجع إلى عام ٧٨٨ بعد الميلاد ، وإنهم أدخلوا دين الإسلام مبكرا فى هذا التاريخ ، كما كان ميناء رامرى الواقع جنوب أراكان اسما مألوفا لدى العرب المسافرين عن طريق البحر فى هذه العصور القديمة [٥] .

وانتشر الإسلام سريعا خلال القرون التالية حتى أنه بقدوم القرن الثالث عشر تناثرت المساجد الملفتة للنظر والتى عرفت باسم بدر مقام على الساحل الممتد من أسام حتى مالايا . ولا شك فى أن تأثير الدين الإسلامى هو الذى أدى إلى هداية النساء اللاتى كن أكثر تحجبا فى أراكان عن بورما [٦] . وامتد النشاط التجارى للعرب خلال هذه الفترة إلى الأندمانز والنيكوبارز وساحل أراكان ومالايا وسومطرة وجاوة . ووصل الإسلام إلى هذه المناطق دون أى دعم سياسى وظل راسخا لعدة قرون بعيدا عن الغليان الذى صاحب غزو محمود للهند [٧] .

وبعد مرور فترات على استيطان المسلمين وتدفق البوذيين الماجيين من (ماجارا مابيهار ، الهند) وقع غزو مغولى على أراكان أنهى حكم أسرة شاندرا فى عام ٩٥٧ بعد الميلاد . ومن ثم اختفت الهندوسية إلى الأبد من ولاية فيسالى الشرقية . « كانت القرون الخمسة التى تلت وصول البورميين التيبت إلى أراكان عصرا يتسم بالظلمة ولكن بعد تحول البلاد تجاه الغرب مرة ثانية خلال القرن الخامس عشر ، بدأت نهضة ثقافية أحدثت ذروة التاريخ الأراكانى [٨] . ومع اختفاء الهندوسية تداخل المغول مع السكان الأصليين وهم مسلمو الروهينجيا والبوذيين خلال هذه الفترة الفوضوية التى امتدت خمسمائة عام .

وبقدوم القرن الثالث عشر ، غزا الإسلام قلوب وأرواح الناس فيما بين ساحل الأطلنطى الأفريقى والبنغال ونشر أقوى مبادىء سادت هذا العصر ، وبالتالى تزايد عدد ونفوذ المسلمين فى أراكان إلى حد قيامهم بتشكيل سلطنة خاصة بهم فى عام ١٤٣٠ بعد الميلاد [٩]

على يد الملك سليمان شاه بمساعدة إلياس شاهى سلطان نصر الدين شاه جاور . وكان البورميون قد طردوا الملك سليمان قبل ذلك بأربعة وعشرين عاما وقضى هذه السنوات الوسيطة فى بلاط جاور يتعلم أفكارا ثورية فى مجالات الحساب والعلوم الطبيعية والتى أسهمت مقترنة بالإيمان التوحيدى فى تحقيق النجاح الإسلامى . ولم تستطع المجتمعات الطبقية الإقطاعية الآسيوية الصمود إلى ما لا نهاية كما أنها عجزت عن إيقاف المد المتجه شرقا لهذا التحالف الهائل الذى جمع بين الإيمان والعلم[١٠].

ويعد الملك سليمان شاه هو مؤسس أسرة مركو الحاكمة والتى اتخذت من مروهونج عاصمة لها . واستطاع أحد خلفائه وهو زابوك شاه (١٥٣١-١٥٥٣) تحقيق الرخاء لمروكو (الإمبراطورية الأراكانية) التى امتدت حتى تاناسا بريم (بورما السفلى) . إلا أن سليم شاه (١٥٩٣ - ١٦١١) قام بدمجها ، وتحولت أراكان إلى سلطنة وأقيم بلاطها على غرار جاور وريلى واتخذ ملوكها لقب بادشا ، وأصبحت الفارسية هى اللغة الرسمية حتى عام ١٨٤٥ بعد الميلاد .[١١] وكان أحد الشروط الأساسية لتولى الملوك السلطة والجلوس على العرش هو تخصصهم فى الدراسات الإسلامية[١٢] . كما نقش على العملات والأوسمة والشعارات ، عبارات وكلمات مثل كلمة[١٣] . وأقيموا الدين »[١٤] التى تؤكد حكم الله على الأرض . ومع ذلك جابهت السلطنة الإسلامية بأراكان هزيمة فى عام ١٧٨٤ على أيدى البورميين الذين حكموا البلاد على نحو غريب الأطوار مدة ٤٢ عاما فقط .

كان سقوط أسرة مروكو الحاكمة ضربة قاصمة للروهينجيين إذ أن كل الماديات والثقافات المستمدة من الإسلام قد دمرت تماما كما تم قتل المئات من الروهينجيين بوحشية . وانتهج البورميون سياسة إضفاء الصبغة البورمية والبوذية التى تركت ميراثا للحكام البورميين الحاليين . ومرة أخرى ولت البلاد وجهها تجاه المشرق حتى احتلها البريطانيون فى عام ١٨٢٤ . وبعد الانفصال عن البريطانيين حصلت الهند وبورما إلى جانب أراكان على الحكم الذاتى الداخلى فى عام ١٩٣٧ ثم حصلت على استقلالها فى ٤ يناير سنة ١٩٤٨م .

السياسة البورمية والأقليات الوطنية :

يستهدف الطموح التاريخى للملوك البورميين مثلما هو الحال أيضا بالنسبة للحكام البورميين الحاليين تحقيق التوحيد العرقى لجميع الطوائف ، حيث يعتقدون من وجهة نظرهم أن هذا هو السبيل الوحيد لتحقيق الهيمنة البورمية وإدامة حكمهم على الأقليات . وقد انتهج الزعماء الوطنيون البورميون المختلفون سياسات متفاوته إزاء مسألة الوحدة الوطنية إلا أن سياستهم تجاه الأقليات واحدة لم تتغير .

فى مؤتمر بانجلونج التاريخى الذى عقد فى سنة ١٩٤٧ حصلت الأقليات على وعد بممارسة

حقها فى فرض سلطتها فى مناطقها وفى حماية لغاتها وثقافاتها فى مقابل الانضمام طواعية إلى البورميين لتشكيل اتحاد سياسى وأن يقدموا ولاءهم للدولة الجديدة . وجاء إعلان سياسة « وحدة فى التنوع » على لسان اونج سان زعيم الاستقلال الذى اعتقد أن هذا هو السبيل الوحيد لتحقيق إجماع بين الأقليات من أجل إنجاز الاستقلال(١٥) . ومع ذلك كان واضحا لديه أن البورميين سوف يسودون فى نهاية الأمر هذا الهيكل الجديد ، فى حين كان اونو والخلفاء الأخرين لاونج سان يعتقدون بإمكانية استعادة الوحدة الوطنية من خلال تطور واستخدام لغة مشتركة ونظام تعليم مشترك ونشوء ثقافة وطنية . كما اعتقدوا أن الفروق والخلافات القائمة بين أفراد الشعب سوف تنسخ الطريق أمام نشوء كيان واحد يعتمد بشدة على اللغة والثقافة والتقاليد البورمية(١٦) .

وعلى مدى الأربعة عشر عاما التالية من الحكم الدستورى ، أعطى هؤلاء الحكام اعترافا للأقليات من خلال احتفالات يوم الوحدة ، واختاروا اثنين من رؤساء الاتحاد الثلاثة من بين الأقليات ، إلى جانب إجراءات أخرى أخذت صورة الاعتراف بمبدأ « وحدة فى التنوع » ، ومن ناحية أخرى ظهرت رانجون كمركز للحكومة واجتذبت العاصمة نشاطات التعليم والأعمال والصناعة والزعماء الوطنيين من بين الأقليات حيث انخرطوا فى الثقافة البورمية(١٧) ، علاوة على ذلك كان حكم الولايات يتم من خلال الإدارة المركزية وأنشطة العسكريين والحزب الحاكم مما جعل حكمها الذاتى اسميا أكثر من كونه حقيقيا . ويقول لينوكس ميلز إن اتحاد بورما من الناحية الاسمية عبارة عن اتحاد فيدرالى إلا أنه فى الواقع يخضع لحكم بورما تماما أى لحكم البورميين سكان مملكة افا القديمة الذين يعيشون فى السهل المحيط برانجون التى تتفوق على الولايات الأخرى من حيث الثروة وعدد السكان(١٨) . وعندما أنشىء الاتحاد فى ١٩٤٧ أقنع الزعيم البورمى اونج سان الآخرين للانضمام إليه فى مقابل إقامة ولايات تتمتع بشبه حكم ذاتى وبالحق فى الانفصال . وتستهدف سياسة الحكومة الاتحادية توحيد جميع مواطنى بورما فى نظام بورمى موحد وفرض الديانة البوذية(١٩) . ويقول كليفورد جيرتز : إن تحالف اتحاد الشعوب المناهضة للفاشية يحكم ولاية اتحادية اسميه ، فى ظل معارضة ضعيفة وإن كانت قاسية . وتعتمد سلطته أساسا على التودد المباشر للتفاخر الثقافى للبورميين فى حين تخضع الأقليات لنظام دستورى معقد شديد التميز يحميها نظريا من الهيمنة البورمية(٢٠) . وكانت عملية فرض الصبغة البورمية لأقليات ، تهدد ثقافتهم وكينونتهم مما أدى إلى تمرد عناصر من هذه الأقليات ، واختار بعضها منهجًا ثانيًا وهو المطالبة بإجراء إصلاحات دستورية أو بحق الانفصال(٢١) .

وقبل إجراء الندوة الاتحادية فى الثانى من مارس ١٩٦٢ ، استولى نى ون قائد الجيش على مقاليد السلطة إذ أدرك حتمية الاستجابة من جانب أونو لمطالب الأقليات طبقًا لبنود

الدستور ، ولم يشأ نى ون أن يحدث ذلك على حساب السيادة البورمية فجاء إلى السلطة إثر انقلاب غير دموى .

وقد تم خلال حكم الجيش المحافظة على مظهر الاتحاد الفيدرالى فى حين أصبحت الأمة دولة وحدوية . وبذلت محاولات عديدة لإقناع الأقليات بوعود زائفة مختلفة وادعاءات أخرى . وعلى الرغم من ذلك فإن الكلمات والاحتفالات لم تعادل الاتجاهات القومية فى الحكم العسكرى والتعليم والسياسات الأخرى التى تناقضت مع فكرة الوحدة فى التنوع[٢٢] . وفى عام ١٩٧٤ تمت الموافقة على الدستور الاشتراكى الجديد للبلاد من خلال ما أسموه باستفتاء شعبى عام . وبينما كانت تتم صياغته ، قال نى وين « إن اتحادنا عبارة عن كل منسجم بمعنى أن أى مواطن بورمى يمكنه المشاركة فى أى من المجالات السياسية والاقتصادية والإدارية والقضائية كما أن بوسعه اختيار الدور الخاص به » وعندما يتحقق ذلك ، قال نى وين « لن نكون بحاجة إلى حكومات منفصلة داخل الاتحاد » . ومن الواضح أن منظوره للمستقبل كان فى ظل دستور يؤكد التداخلية والقومية[٢٣] وكانت الأيديولوجية الرسمية المسماه الطريق البورمى إلى الاشتراكية مجرد ستار لتحقيق هدفهم الحقيقى .

ومن بين الجوانب الأخرى لسياسة الوحدة القومية استغلال التقاليد الرمزية فقد كانت حيوية الإدارة لا تقاس بما تملكه من سلاح فقط بل من خلال تحركاتها التى تحمل دلالات معينة وهو الجانب الأكثر أهمية والذى تمثل فى إقامة المعابد التقليدية المتعددة الأدوار والأبراج البوذية الهرمية التى أمتدت فوق الأراضى البورمية[٢٤] . وكان اقتران وين مع ملوك بورما الذين ينتمون إلى السلالات الحاكمة الكبرى تعبيرًا قويا عن سعى الثورة للوحدة الوطنية . كما تعكس أنشطة وين فى الترويج للبوذية » ، شأنه فى ذلك شأن أونو ، التوقعات الشعبية لما يجب أن يفعله حاكم بوذى صالح فى دولة ذات أغلبية بوذية ساحقة[٢٥] .

التآمرات المناوئة للمسلمين :

أصبحت القوى المناهضة للإسلام نشطة للغاية منذ بداية القرن الحالى. ولأسباب مختلفة تراوحت بين العداء التاريخى والتعصب الدينى الأعمى والتآمرات المحسوبة جيدا ، كان مسلمو أراكان هدفا لعملية إبادة أسفرت عن قتل مئات الآلاف من الأبرياء ونهب ممتلكاتهم ويمكن سرد بعض الحوادث الفاضحة الدالة على التآمرات المناوئة للمسلمين قبل وبعد استقلال بورما فيما يلى :

مؤامرات ما قبل الاستقلال : دور حزب ثاكين وبرنامج ١٩٤٢

قام البورميون خلال الثلاثينات أثناء خضوعهم لقيادة حزب ثاكين القومى وخوضهم معارك من أجل الاستقلال ، بتوطيد العلاقات مع الزعماء الماجيين فى أراكان . واستغل البورميون الموقف السائد فى غرس العداء للروهينجيا فى أذهان الماجيين بدافع إحداث تقسيم دائم بين الطائفتين اللتين تتعايشان فى سلام .

وعندما منحت بورما الحكم الذاتى فى عام ١٩٣٧ سقطت الإدارة الداخلية للبلاد فعليا فى أيدى البورميين ، ومنذ ذلك الحين دأبت القوى المناهضة للمسلمين على البحث عن اللحظة المناسبة لتوجه ضربتها فى الصميم للمسلمين[٢٦] . وفى عام ١٩٤٢ عندما انسحبت الحكومة البريطانية من أراكان الشمالية ولم يكن اليابانيون قد احتلوها بعد نشأ فراغ إدارى ، واستغلالا لهذا الموقف الفوضوى قام الماجيون المزودون بالأسلحة النارية على أيدى البورميين بتنفيذ مخطط ضد المسلمين أدى إلى قتل حوالى مائة ألف منهم وتشريد نصف مليون آخرين[٢٧] .

مؤتمر بانجلونج ومسلمو أراكان

فى عام ١٩٤٧ عشية الاستقلال عقد الجنرال اونج سان مؤتمرًا فى بانجلونج (ولاية شان ، بورما) للحصول على اتفاق عام فى الرأى بين جميع الأقليات بشأن مستقبل بورما بعد الاستقلال ، وتم حرمان الروهينجيا عن عمد من حقهم فى التمثيل المشروع فى حين مثل الماجيون وحدهم شعب أراكان بأكمله . ولم يثر الماجيون خلال المؤتمر أى اعتراض حول إبقاء أراكان تحت إدارة الحكومة المركزية على الرغم من وضعها الاستقلالى السابق فى حين أقامت جميع الجماعات الوطنية الأخرى ولايات تتمتع بالحكم الذاتى . كما تمتع بعضها بحق الانفصال .[٢٨] وكان إذعان الزعماء الماجيين نتيجة لاتفاق سرى بينهم وبين اونج سان ينص على منح حق الانتماء لأراكان للماجيين وحدهم فى الوقت الذى جرد فيه المسلمون من أى سلطة . وبالتالى حصل الماجيون على حق الانتماء لأراكان فى عام ١٩٧٤م على يد نظام نى وين[٢٩] .

التسجيل فى قوائم الانتخابات العامة الأولى لبورما ومسلمو أراكان

تم إعلان التسجيل فى قوائم الانتخابات العامة الأولى لانتخابات الجمعية التأسيسية الجديدة على مستوى البلاد فى ١٩٤٧م وقد استبعدت السلطات البورمية عن عمد المسلمين وخاصة فى أراكان من ممارسة حق التسجيل بزعم أنهم مواطنون مشكوك فى صحة مواطنتهم.

مؤامرات ما بعد الاستقلال

عقب استقلال بورما مباشرة ، قامت محاولة جديدة لإرهاب المسلمين وتشتيتهم . وتمركزت القوة الإقليمية البورمية التى تشكلت حديثا على يد البوذيين الماجيين فى أراكان تحت قيادة كياو أوو وهو نائب مفوض ماجى وقامت بنهب قرى المسلمين وقتل عدد كبير من الروهينجيين وإحراق منازلهم مما أسفر عن تشرد آلاف الروهينجيين وهروب حوالى ٣٠ ألف آخرين إلى باكستان الشرقية وقتذاك . وسرت حالة من عدم الأمان فى مناطق المسلمين ولم تتوافر حامية من أى نوع من جانب السلطات التى تدير شئون البلاد .

وعندما لم يجد الروهينجيون بديلا ، حملوا السلاح فى الخمسينات ، ومن ثم انتهجت الحكومة سياسة مزدوجة تقضى بالتهدئة والقمع فى الوقت نفسه . ومن خلال الوعود الزائفة نجح النظام البورمى الحاكم فى تجريد المجاهدين من سلاحهم . ونتيجة لاستسلام الروهينجيين فى ١٩٦١ واستيلاء الديكتاتور العسكرى الجنرال نى وين على السلطة فى ١٩٦٢ أصبح الروهينجيون يوصفون بأنهم أجانب مما جعلهم عرضة لاضطهاد قاس .

العمليات العسكرية

شنت ١٢ عملية عسكرية كبرى على الأقل منذ عام ١٩٤٨ على المناطق التى يقطنها المسلمون بحجة إجراء تحريات بمقتضى قانون الهجرة مما أدى إلى خضوع المسلمين لعهد ساده الإرهاب . ويوضح الجدول رقم (١) هذه العمليات المسلحة تفصيليا .

جدول رقم (١)

العمليات المسلحة فى أراكان

الرقم	اسم العملية	مكان العملية	المجموعة المتأثرة بالعمليـــة	السنة
١ –	عمليـة القـوة البورميـة الإقليمية	أراكان الشمالية	المسلمون	١٩٤٨
٢ –	العملية المشتركة للهجرة والجيش .	أراكان الشمالية	،،	١٩٥٥
٣ –	عملية الشرطة العسكرية الاتحادية .	،، ،،	،،	١٩٥٥
٤ –	عملية الكابتن هتين كياد .	المناطق المتاخمة لبنجلاديش	،،	١٩٥٩
٥ –	عملية شوى كيوى	جميع أنحاء أراكان	،،	١٩٦٩
٦ –	عملية كيوى جان	،،	،،	١٩٦٩
٧ –	عمليات ميات سون	،،	،،	١٩٧١
٨ –	عملية الميجور اونج ثان .	أراكان الشمالية	المسلمون	١٩٧٣
٩ –	عملية سابى	جميع أنحاء أراكان	،،	١٩٧٤/ ١٩٧٨
١٠–	عملية نجامين	،،	،،	١٩٧٨/ ١٩٧٩
١١–	عملية جالون	،،	،،	١٩٧٩/ حتى الآن
١٢–	عملية شوى هينثا	،،	،،	،،

كانت عملية نجامين أكثر العمليات ضراوة وقد بدأ تأثيرها منذ فبراير ١٩٧٨ وأسفرت عن نزوح حوالى ٣٠٠ ألف من الروهينجيين من أراكان إلى بنجلاديش وأصبحت مصدرا للقلق حتى للأمم المتحدة[٣٠]. واضطر النظام البورمى تحت ضغط المجتمع الدولى إلى سحب هؤلاء المواطنين البورميين إلا أنه لم يتم حتى الآن توطينهم بشكل لائق[٣١]. وفيما يلى معلومات إحصائية حول اضطهاد الروهينجيين (١٩٤٢– ١٩٧٦) .

الجدول رقم (٢)
اضطهاد الروهينجيا – أرقام إحصائية للفترة من ١٩٤٢ إلى ١٩٧٦

الرقم	الجرائم	على وجه التقريب	ملاحظات
١ –	تدمير المستوطنات	٦٩٢	في جميع أنحاء المنطقة
٢ –	نزوح – طرد	نصف مليون	،،
٣ –	مذبحة	مائة ألف	تكثفت فى عام ١٩٤٢م
٤ –	الإحراق العمد	خمسة آلاف	فى جميع أنحاء المنطقة
٥ –	اغتصاب	١٥٠٠	،،
٦ –	قتل	خمسة آلاف	أغلبها على يد القوة البورمية الإقليمية وهي حاليا فى تزايد يدعو إلى القلق.
٧ –	اعتقال الروهينجيين	ثلاثة آلاف	اغلبها فى أراكان، مونجدو، بوثيدونج، اكياب، راتيدونج، انساين، مولين، برومى، ماندلاى، ولاية شان.. الخ.
٨ –	أ–تدمير المساجد والمكتبات والمدارس.	٦٠٠	
	ب–تدنيس الكتب المقدسة	مائة ألف	
٩ –	مصادرة أراضى الوقف والممتلكات المرهونة	ألفين	(مناطق) .
١٠–	مصادرة أراضى وممتلكات .. الخ		تبلغ قيمتها ملايين من الكيات.
١١–	المنقولون من الأجهزة الحكومية والمنظمات المؤممة	عشرة آلاف	
١٢–	المفقودون	عشرة آلاف	التبرير الحكومى هو أنهم غادروا البلاد
١٣–	العاطلون والعاملون بأجور هزيلة	١٥٠ ألف	

المصدر : مجلة بشيترا الشهرية الصادرة فى بنجلاديش عام ١٩٧٨ م .

البرنامج الدفاعى للجنرال مين جونج :

بموجب هذا المخطط القمعى تم اقتلاع العديد من القرى الروهينجية ومصادرة أراضيها وتوطين مهاجرين بوذيين غرباء فيها ، والهدف من وراء هذا المخطط هو تحويل مناطق الأغلبية المسلمة إلى مناطق أقليات .

وبالرغم من طرد حوالى نصف التعداد الإجمالي للسكان فإن الروهينجيين المتبقين في البلاد وعددهم ١,٣ مليون نسمة لازالوا يشكلون أغلبية مطلقة فى أراكان الشمالية حيث يمثلون ما بين ٧٠ ، ٨٠ فى المائة من إجمالى السكان فى المنطقة . وكان عدد السكان الروهينجيين فى إقليم اكياب عام ١٩٢١ [٣٢] ، ٢٠٨٩٦١ نسمة . وتقول « نظرية مالتوس » إن عدد السكان يتضاعف كل عشرين عاما ومن ثم يبلغ عدد السكان الروهينجيين حاليا فى إقليم إكياب وحده ٢٠٠٦٠٢٥ نسمة لذلك فإن تعداد السكان الروهينجيين فى جميع أنحاء أراكان فى عام ١٩٨٥ م يزيد بالتأكيد عن ٢,٥ مليون نسمة ، علاوة على أن تعدد الزوجات والزواج فى سن مبكرة يعززان معدل النمو السكانى للروهينجيين فى حين ينخفض معدل النمو كثيرا بين السكان البوذيين بسبب الزواج الأحادى وتأخر سن الزواج والامتناع عن الزواج وممارسة عملية تحديد النسل . ولكن الاحصاءات السكانية الحكومية تظهر عن عمد عدد السكان الروهينجيين أقل كثيرا من حقيقته . إن التناقض القائم بين التقرير الحكومى السرى والإحصاء الرسمى يثبت عدم أمانة النظام الحاكم ، (انظر جدول رقم ٣ ، ٤) .

جدول رقم (٣)
معلومات إحصائية عن تعداد السكان الروهينجيين
فى ثلاث مدن فى أراكان الشمالية

اسم المدينة	١٩٤٣	١٩٥٣	١٩٦٣	١٩٧٢
مونجدو	٢٥٨٨١٤	٢٨٤٦٤٥	٣٨٣١٦٤	٣٤٤٥٨٢
بوتيدونج	١٥٨٢٣٠	٢٧٤٠٥٣	٢٠١٤٥٨	١٨١٦٠٣
راتيدونج	٢٥٠٩٢	٢٧٦٠١	٥٠٣٦١	٣٥٤٩٧
الإجمالـــى	٤٤٢١٣٦	٥٨٦٢٩٩	٦٣٤٩٨٣	٥٦١٦٨٢

جدول رقم (٤)
الإحصاء الحكومى الرسمى لسكان أراكان فى ١٩٦١

الرقم	المدينة	الإجمالى	بوذيون	مسلمون	هندوس	مسيحيون	آخرون
١ –	اكياب	١٠٤٥١٦	٥٤٧٤٩	٤٧١٢٠	٩٥٦	١١١	١٥٨٠
٢ –	راتيدونج	٦٧٩٢٥	٥٦٦٠٤	١١٢٦٤	٤٧	—	١٠
٣ –	بوتيدونج	١١٧٨٢٥	٥٦٠١٧	١٠٢٠٩٥	٦٧٦	—	٣٠٣٧
٤ –	مونجدو	١٨٩١٦٠	٦٢٦٣	١٨٠٩٠٦	٨٤٣	١	١١٤١
٥ –	بوكتاو	٥٧٧٠٣	٤٩٣٣٤	٧٣٢٦	٤٣	—	—
٦ –	منبيا	٧١٧٢١	٦٣٩٠٧	٤٧١٩	٥٠٥	٩٥	٢٤٩٥
٧ –	بوناجيانت	٥١٧٢٨	٥١٤٤٣	٢٧٠	١٥	—	—
٨ –	مايوهونج	٨٤٩٩٠	٧٣٩٩٨	٧٠١٤	٢٢	—	٣٩٥٦
٩ –	كيوكتاد	٩٦٠١٥	٨١٢٢٧	١٤٤٩٩	٢٨٤	١	٤
١٠ –	كياوكيو	٨٥٠٦٦	٨٢٥٦٦	٢٠٣٨	١٨٦	١٩٢	٨٤
١١ –	رامبرى	٦٨٧٠٦	٦٦١٩٠	٢٥١٦	—	—	—
١٢ –	مان اونج	٤٦٩٣٩	٤٦٩٢٢	١٧	—	—	—
١٣ –	نيوبون	٤٨٧٠٣	٤٣٤٥٨	١٢٦٨	٧٠	٣٤٦	٣٥٤٣
١٤ –	آن	٤٧١٢٣	٣٦٩٢٨	٣	—	٣٣٠	٩٨٦٣
١٥ –	ساندواى	٦٥٩٩٢	٥٨٥٩١	٦٨٣٥	٣٦	٥٣٠	—
١٦ –	تونجوب	٥٥٧٩٩	٥٩٤٥٦	٤٠	٨	١٣٤	١٦١
١٧ –	جـوا	٣٥٠٦١	٣٤٥٩١	٣٠٧	—	٦٠٣	—
	مقاطعة أراكان	١٢٩٥٤٧٢	٩٢٢٢٤٤	٣٨٨٢٢٧	٣٦٩١	٢٣٤٣	٢٥٨٧٤

إلغاء المنظمات الاجتماعية الثقافية الروهينجية

قام النظام البورمى الحالى من جانبه بإلغاء جميع المنظمات الاجتماعية الثقافية الروهينجية بما فيها الرابطة المتحدة للروهينجيين والاتحاد الثقافى الروهينجى واتحاد الطلبة الروهينجيين بجامعة رانجون . كما ألغى برنامج اللغة الروهينجية الذى كان من المعتاد إذاعته مرتين أسبوعيا من الإذاعة البورمية فى رانجون فى أكتوبر ١٩٦٥م .

الاعتقال التعسفى والعمل الاجبارى والسجن لمدد غير محدودة

يتعرض الآلاف من الروهينجيين للاعتقالات التعسفية وللعمل الإجبارى كما أعلن عن تجريد بعضهم من المواطنة وإيداعه فى السجن إلى أجل غير مسمى بعد إجراء محاكمات صورية . ويضم السجن المركزى فى رانجون حوالى ٥٠٠ من الروهنجيين الذين يعانون فى سجنهم منذ عام ١٩٥٤ دون اتهام قانونى .[٣٣]

تقييد حرية الحركة

تم تقييد تحرك الروهينجيين داخل البلاد على نحو خطير منذ ١١ أكتوبر ١٩٦٦ حتى أنهم لا يستطيعون الانتقال من مركز للشرطة إلى مركز آخر دون تصريح حكومى وبذلك تحولت القرى والمدن فى المناطق الإسلامية إلى معسكرات اعتقال .

التدنيس والانتهاك :

تعرض عدد كبير من المساجد والمدارس إما للتدمير[٣٤] أو للإحراق[٣٥] أو للاستئصال[٣٦] . وتحول العديد من أراضى الوقف ومقابر المسلمين إلى أراض ترعى فيها الماشية والخنازير وإلى مراحيض عمومية[٣٧] . كما تم تمزيق الكتب المقدسة وإحراقها أو استخدامها فى تعبئة السلع ، وبذلك شنت حملة تشويه نظامية على الإسلام .

الاضطرابات الطائفية :

وقعت حوادث متكررة لأعمال الشغب المناهضة للإسلام والمسلمين فى أجزاء مختلفة من أراكان بصورة متعمدة ، نفذتها عناصر مناوئه للإسلام مما أسفر عن مقتل مئات الروهينجيين ونهب ممتلكاتهم .

الجدول رقم (٥)
أعمال الشغب المناهضة للمسلمين فى أراكان

الرقم	المدينة المتأثرة	السنـــــة
١ –	اكياب	١٩٦٧ ، ١٩٧٦
٢ –	كيوبيو	مارس ١٩٨٦
٣ –	ساندواى	١٩٧٨ ، ١٩٨٤
٤ –	تونجوب	مايو ١٩٨٤
٥ –	جوا	مايو ١٩٨٤
٦ –	رامرى	مارس ١٩٧٦
٧ –	بوتيدونج	١٩٧٦ ، ١٩٧٨ ، ١٩٨٤ ، ١٩٨٥
٨ –	مونجدو	١٩٦٧ ، ١٩٧٦ ، ١٩٧٨ ، ١٩٨٥
٩ –	شيدوبا	مايو ١٩٨٤

التمييز فى المعاملة :

يتعرض مسلمو أراكان منذ الاستقلال تمييز نظامى فى المعاملة على أسس دينية سياسية حيث لا يسمح لهم بالمشاركة فى الحكومة المنتخبة والأجهزة الحزبية ، ولا يوجد هناك عضو واحد من الروهينجيا فى البرلمان الذى يتكون من حزب واحد هو حزب هلوتاو ويتألف من ٥٠٠ عضو ، كما أنه يحظر عليهم الانضمام إلى الجهاز العسكرى علاوة على حرمانهم من التعيين فى الوظائف المدنية العامة منذ عام ١٩٦٢ م[٣٨].

قانون المواطنة لعام ١٩٨٢م :

شرعت سلسلة من القوانين السوداء التى تستهدف الإضرار بالروهينجيين على وجه الخصوص كان آخرها قانون المواطنة الصادر فى ١٩٨٢ م[٣٩] والذى يتصف بالتعصب والضرر والتعنت ويحدد هذا القانون الجديد ثلاثة أنواع من المواطنة كاملة ، جزئية ، التجنس ، وينص الجزء الثالث من الفصل الثانى الخاص بالمواطنة على أن جميع الجماعات العرقية التى استقرت فى بورما قبل عام ١٨٢٣ م تم تصنيفها « وطنية » أما أولئك الذين قدموا خلال فترة الاستعمار البريطانى وتقدموا بطلب الحصول على المواطنة بموجب قانون المواطنة الاتحادية الصادر فى ١٩٤٨ فقد صنفوا « مواطنين ملحقين » فى حين أن أولئك الذين لم يتقدموا بطلبات للحصول على المواطنة بموجب القانون المذكور فيمكن اعتبارهم « مواطنين مجنسِّين » ويعد الباقى جميعا « أجانب » ولكن الجزء الرابع من هذا القانون ينص

على أن قرار تحديد ما إذا كانت أى جماعة عرقية وطنية أم لا فهو مسئولية « مجلس الدولة » الذى يعد أعلى جهاز سياسى بالحكومة .

وبالتالى وتبعا لهذا القانون المتعصب والمتميز تم استبعاد الروهينجيين من فئة « المواطنين » بادعاء أنهم مستوطنون بعد عام ١٨٢٣ على الرغم من استيطانهم الذى امتد قرونا فى أراكان . والآن واستنادا إلى هذا الأساس الذى لا وجود له يتم إرغام الروهينجيين على المطالبة بمواطنة التجنس بهدف تحويلهم إلى أجانب ، وقد صيغ هذا القانون بدهاء شديد حتى أنه إذا طالب الروهينجيون بهذه المواطنة فإنهم لن يستطيعوا إنجاز الإجراءات المعقدة اللازمة . وقد استبعد القانون صراحة المواطنين بالتجنس من الانضمام إلى الجهاز العسكرى والمشاركة فى الحكومة المنتخبة والأجهزة الحزبية ، كما أنهم محرومون من ممارسة أية أنشطة اقتصادية .

خاتمـــة :

جاء الإسلام إلى أراكان منذ عصر الخلفاء الراشدين وهو الآن يمر بفترة محنة حيث بلغ الحال بالمسلمين نتيجة السياسة المتعمدة إلى امتهان أعمال الحطابين وحمالى المياه ، وقد انتهج الحكام البورميون السابقون نفس هذه السياسة حيث دأبوا على طمس لغتهم وثقافتهم ودينهم لأنهم كانوا يتطلعون إلى المستقبل بخوف وشك .

والآن يتعرض بقاءوهم لخطر حقيقى حيث تبذل جهود جبارة بالفعل لتصفيتهم تماما ، فقد تم حرمانهم كلية من شغل مواقع صنع القرار بل من جميع الأنشطة القومية بما فيها الوظائف الاجتماعية الثقافية والأعمال المختلفة والحرف الاقتصادية ، علاوة على ذلك يعيشون بصفة دائمة فى حالة عدم أمان خوفا على حياتهم وممتلكاتهم بسبب عمليات القتل والتمييز والتفرقة التى تمارس على نطاق واسع من وقت لآخر على مرأى من الأجهزة المسئولة عن تطبيق القانون . وبرغم ذلك يظل الروهينجيون فى أراكان جزءا نشطا من الأمة الإسلامية . ومن الملاحظ دون أدنى شك أن الإسلام فى أراكان استطاع أن يظل دينا متأصلا فى مواجهة أسوأ أنواع التعصب الأعمى وحيث تتعرض القيادات الإسلامية فى أغلب الأحيان للتصفية الجسدية . كما كان يسمح للسلطات الحكومية والعصابات الإجرامية من المتعصبين الدينيين بالاستيلاء على أراضى المسلمين وأماكن العبادة والمقابر بالقوة بعد ذبح الروهينجيين مما أسفر فى النهاية عن هجرة حوالى نصف إجمالى تعدادهم السكانى . وهم يخضعون الآن لظروف تتعارض بشكل صارخ مع جميع معايير القوانين الدولية ومبادىء حقوق الإنسان الأساسية وحرياته ، ولا تختلف كثيرا عن الظروف المصاحبة لمحاكم التفتيش الإسبانية ، حيث يتمثل أملهم الوحيد الباقى الآن فى الهروب من المصير الأندلسى . ومن ثم فإن إيجاد حلول فعالة لهذه المشكلات السياسية الملحة التى تواجه الروهينجيين أمر لا يحتمل التأجيل . وقد استنفذوا حتى الآن جميع سبل العلاج المحلية المتاحة من خلال القنوات المختلفة إلا أن كل ذلك لم يلق

سوى آذان صماء من جانب الحكام البورميين المتعنتين . ولما لم يكن هناك من بلاء آخر ، اضطر الروهينجيون فى نهاية الأمر إلى شن الجهاد فى سبيل الله ضد قوى الطغيان .

وفى ظل هذه الأوضاع المضطربة السائدة يوصى بمنح منظمة تضامن روهينجيا التى تقود الجهاد فى أراكان جميع أشكال الدعم المادى والمعنوى فى نضالهم العادل ، كما يوصى بممارسة الضغوط الدبلوماسية على النظام البورمى الاشتراكى من جانب الدول المحبة للسلام والعدل فى العالم وخاصة الدول والمنظمات الإسلامية حتى يستعيد الروهينجيون حقوقهم الثابتة المغتصبة .

NOTES

1 . Daivd I Steinberg, "Constitutional and Political Bases of Minority Insurrections in Burma", in **Armed Separatism In South East Asia** edited by Lim Joo- Jock and Vanis published by Regional Strategic Studies programme, (Institute of south East Asian studies: Singapore, 1984), page-55.
2 . Dr. Sardesai, **South East Asia Past and Present** (the University Press Ltd. in association with Vikas publishing House pvt. Ltd., India.) Page-105.
3 . M.A. Rahi, Reader in History; **Social and Cultural History of Bengal,** Vol. I, Vol. I, 1201-1576,(University of Karachi, Pakistan; Historical Society, 30 New Karachi Co-operative Housing Society, Karachi-5.)
4 . Shamsuddin Ahmed (Alig.), Advocate, Supreme Court, Bangladesh; **Glimpses into the History of Burmese and Chinese muslims** 1976; **A Short political History of the Rohingyas** 1976 and Manuscript "**Chinese Muslims**" Chapter 4, p-54, 1984.
5 . R.B. Smarth; **Burma Gazetteer:** Akyab District, Vol. - II, page 19.
6 . Hervey; **Outine of Burmese History,** p - 90.
7 . Nafis Ahmed, M.A., Ph. D. (London), Professor of Geography, Universtiy of Dacca; **Muslim Contribution to Geography,** P-122, (Sh. Muhammad Ashraf, Kashmir Bazar, Lahore, Pakistan.)
8 . **Burma the Golden** designed and photograhed by Gunter Pfannmuller - Written by Wilhelm Klein First Edition (Apa Productions HK. Ltd. for the Bookseller Co.. Ltd., Bangkok) page - 94.
9 . Times Atlas of World History: Arakan - District of SW Burma Islamic state p. 133/2, 3; Edited by Geoffrey Barraclough, (British Council Library, Chittagong, Bangladesh.)
10. **Burma the Golden** page - 94.
11. **Burma Gazetteer,** Akyab Dist., Vol. - 1, page 38
12. **Journal of Burma Research Society** Vol. 2, page 493
13. G. E. Hervey, **Outline of Burmese History,** page - 92
14. **The Advent of Islam in Burma -** A research paper submitted by Lt. Col. Zeya Kyaw Htin Ba Shin - President of Burma Historical Commission at Azad Bhavan, New Delhi in 1961.
15. "Minority Proplems in Burma since 1962" by Josef Silverstein in **Military Rule in Burma since 1962 page** - 51, Edited by F. K.

Lehman, the Institue of South - East Asian Studies Heng Mui Keng Terrace, Pasir Pangang Singapore 0511. Republic of Singapore.

16. Ibid. page 51
17. Ibid. page 53
18. Lanox A. Mills: **Southeast Asia: Illusion and Reality in Politics and Economics,** (Universtiy of Minnesota, U.S.A., 1964.) 1965, p. 29.
19. Dr. Muinuddin Ahmed Khan, **Muslim communities of Southeast Asia** page 57.
20. Clifford Geertz, "The Integrative Revolution Primordial Sentiments and Civil Politics in the New states". in **Old societies and New States. the Quest for Modernity in Asia and Africa** edited by clifford Geertz (New York: the Free Press. 1963) p. 136.
21. See for example, Roger M. Smith, ed., **Southeast Asia, Documents of Politeical Development and Change** (Ithaca: Cornell University press 1974). pp. 129-130; 131-132.
22. **Military Rule in Burma Since 1962,** 0.55.
23. Ibid. page 56.
24. David I. Steinberg "Constitutional and political Bases of Minority Insurrection in Burma" in **Armed separatism in S.E. Asia.** p. 56.
25. Jon Wiant "Tradition in the service of Revolution: the political symbolism of Taw-Hlan-ye khit" by in **Military Rule in Burma Since 1962,** Edited by F.K. Lehman p. 72.
26. "The Rohingya refugee in Bangladesh: Historical Perspectives and Consequences"—a paper ready by Dr. K. Maudud Elahi, Associate professor and Chairman, Department of Geography, Jhangirnagar Universtiy in a symposium on Problems and Consequences of Refugee Migrations in Developing World held in Winnipag, Manitoba, Canada, 29 August to Ist September, 1983.
27. Khalilur Rehman, pleader, **Qaumi Halat Musalman -e- Burma -o- Arakan; Karballa -e- Arakan** in Urdu Akyab, Burma.
28. **Armed Separation in Southeast Asia,** p. 60.
29. **Constitution of the Socialist Rebublic of Union of burma 1974,** Under Section 30/5.
30. **Bangladesh Red Cross society 1978** as quoted in: kamaluddin 1983.
31. **Arabia -- The Islamic World Review --** March, 1983, Chapter on "Muslim left at the Mercy of Rangoon", by Aslam Abdullah. Abdullah.
32. Akyab Gazetteer Vol.B.
33. Amnesty International has already questioned the Burmese government about these prisoners.

34. For example -- The Madarassa Darul Uloom of Taung Bazar, Buthidaung, The Mosque at Ambari - Akyab, Kyauknimaw and Gw have been uprooted.

35. For example -- The Bazar Mosque at Buthidaung main township, and the main mosque of Ramri and Gwa were demolished.

36. For example -- the Madrassa at Kyaukpyu township, Tongup were burnt down in 1976 and 1984.

37. For example -- the cemetery of Maungdaw; the cemetery of Ngakura Maungdaw township, the cemetery of kyauktaw, the waqf land of Pauktali Mosque, Akyab, the Jama Mosque of Akyab.

38. Diplomats of Muslim countries witnessed Burmese cheroot wrapped With Quranic Scriptures during 1978 refugee influx into Bangladesh.

39. **The Muslim World League Journal** -- Vol. 10, July/August, 1983. No. 10, "The Dilema of Arkanese Muslims" by Shamsuddin Ahmed (Alig.); also appeared in **Magazine medinah** October, 1983.



الفصــــل الســـادس

المســلمون في الهنــد



المشكلات الثقافية للمسلمين في الهند

راشد شاز



المشكلات الثقافية للمسلمين في الهند

راشد شاز

ملخص

مدخل :

أهمية الكيان الثقافي للمجتمع – المشكلات التى يواجهها المسلمون اليوم – مفهوم حركة الإحياء الهندوسي تحت مسمى أنها ثقافية وطنية – الثقافة الهندية والثقافة الهندوسية – سياسة الدولة الثقافية – منافسة الثقافة الهندية باسم القومية – رعاية الدولة للاتجاهات نحو الثقافة الهندوسية – إنكار مساهمة المسلمين في الثقافة الهندية – تحليل محاولة حرمان المسلمين من تراثهم الثقافي – سياسة الدولة اللغوية وحركة الإحياء الهندوسي – دور وسائل الإعلام – رؤية لمسرح الأمور – التقرير الاستعراضي للمرأة المتعلمة المسلمة – إعادة تفسير لاستعراض آخر فى الموضوع – المشكلة الحقيقية للنساء المسلمات في الحفاظ على الثقافة الإسلامية – الوصول إلى حل – نقد للمحاولات التي قام بها المثقفون المسلمون حيال المرأة مثل شاه ولى الله – شاه إسماعيل – سيد أحمد شهيد – الدكتور إقبال والشيخ المودودى – الحل في الهند الحديثة – إقامة معاهد ثقافية وتحقيق الأوضاع الحقيقية لخير أمة (أفضل أمة) .

المدخل :

لما كان المسلمون في الهند أقلية فإن أعظم مشكلة تواجههم هي مشكلتهم الثقافية والتي تسمى بصورة عامة بأزمة الشخصية أو أزمة الكيان ، فلا يتم الاعتراف بالجالية بمجرد عقيدتها أو مبادئها فحسب ولكن بالبروز الفعلي للمثل التى تعتنقها لذا فهي تشكل ثقافة واضحة ومستقلة في حد ذاتها .

والمظهر هام مثل الحقيقة نفسها ، وكان اتجاه الرسول عليه السلام نحو هذه القضية هو التأكيد على الممارسات الخارجية للأمة المسلمة والمحاولة المقصودة لتحقيق طريقة مميزة في الحياة تؤكد هذه الحقيقة .

ومشكلة الحفاظ على الشخصية الثقافية للإنسان في حالة الهند أكثر تعقيدا وحساسية ، فالهند أشبه بمحيط واسع يتلقى عددا من روافد مختلفة الأجناس والثقافات والأديان وفى خضم هذا المحيط يحدث حرمان الفئات الخاصة من هويتهم الحضارية وقد أثَّر الرأى القائل بوحدة الأديان بفعالية في استيعاب مختلف الثقافات والأديان في ديانة وثقافة هندوسية شعبية ، وفي الحقيقة استطاعت جماعات دينية قليلة فقط أن تنال الاعتراف بأسمائها في الهند الحديثة ، وأكثر من ذلك ، فقد البعض وجودهم الثقافي المستقل ، رغم احتفاظهم بكيانهم الديني في معنى ضيق محدد وحيث أنهم أصبحوا هنودا فقد أصبحوا أكثر قبولا لدى الهندوس أكثر من المسلمين الذين مازالوا يحاربون من أجل شخصيتهم المتلاشية . لقد كانت الأقلية المسلمة هي الوحيدة التي رفضت الانصهار في الثقافة الهندية العامة ومازالت تحارب من أجل هذه القضية باعتبارها قضية مبدأ .

لقد اتخذت المشكلة شكلا آخر بعد الاستقلال وبعد التقسيم ، إذ أصبح المسلمون الآن لامجرد هيبة سياسية مفقودةفحسب بل تعين عليهم مقاومة الضغط الثقافى للأكثرية ، إذ بذلت محاولات ملحة ومقصودة لفرض ثقافة الغالبية على الأقلية المسلمة وازداد هذا الجهد عنفا في السنوات الأخيرة وقد تم ذلك على أية حال باسم القومية الهندية والعلمانية الهندية والثقافة الهندية .

وهذا البحث يهدف إلى تحليل القضية الحقيقية وتقديم الحقائق واستنباط النتائج من البيانات وقد حاولت كذلك أن أعطي تفسيرا للبيانات التي جمعها دارسون آخرون بارزون حول الموضوع ، وعلى أية حال فقد بذلت محاولات واعية لكيلا نندفع في المسائل الخلافية والكلام الكثير الذي قيل عن القومية والعلمانية الهندية . لقد ركزت الضوء على المشكلة الحقيقية فقط من خلال الحقائق والأرقام ، كما خصصت جزءا معقولا من البحث لاقتراح خطوات حول كيف تستطيع الأقلية المسلمة في الهند أن تستعيد ثقافتها التي تبدو لي معرضة لتهديد خطير اليوم .

المفهوم الإحيائي الهندوسي :

إن خوف المسلمين من فقدان شخصيتهم الثقافية أو الدينية ليس خيالا ، فالهند بلد ديمقراطي والديمقراطية تعني ممارسة حكم الأغلبية وعلى حد قول أحد الإحيائيين الهندوس : « من المحتم أن يبرز أسلوب الحياة الهندوسي في جميع مجالات الحياة الهندية[١] » ولا يعتبر ذلك طائفية . كما يؤكد أن « العلمانية لا تعني أنه يجب على الهندوس أن ينتزعوا أنفسهم من شخصيتهم ، وإذا كانت الهند دولة علمانية فإن ذلك لا يلغي حقيقة أن أغلب السكان من الهندوس[٢] » وقد تكررت نفس الآراء على لسان جماعات المثقفين والمتدينين الهندوس[٣] ، وشعارهم « هندوسي هندي هندوستاني »[٤] ، ويعتبرون أن أهل كل الثقافات والديانات غير الهندوسية أجانب حيث لا أصل لهم في الهند ، فالمسلمون أجانب يمارسون أسلوبا غريبا في الحياة وثقافة معادية للهند[٥] ، والهند بالنسبة لهم دولة هندوسية وهدفهم الأسمى الوحيد هو إحياء المجد الشامل والعظمة لراشتر الهندوسي الكبير[٦] ، لذا فالأبطال الوطنيون هم فقط الذين يمجدون الجنس الهندوسي بينما الآخرون خونة وأعداء للأمة[٧] والطريق الوحيد أمام المسلمين وغيرهم من الأقليات في الهند – وحسبما هو مقترح – هو اعتناق الثقافة واللغة الهندوسيتين والتمسك بتوقير الديانة الهندوسية واحترامها وعدم تبني أية أفكار سوى تمجيد الجنس والثقافة الهندوسيتين .[٨]

إن محور الصراع الأساسي بين المجتمعين الكبيرين في الهند هو القضية الثقافية حيث الأغلبية الهندوسية ستترك زبانية الطائفية تحكم حتى يحب المسلمون هذه البلاد وثقافتها ويقبلون منهج حياة الأغلبية فيها[٩] ، ومن المفضل أن تلاحظ كيف تنطق لغة البلاد وثقافتها في نفس الوقت ، وحسب هذا الرأي فإن حب الهند يعني حب الثقافة والديانة الهندوسية ، فهم يعتبرون الهندوسية والهند شيئًا واحدا . وبدون الهندوسية تصبح الهند لا شيء سوى مجرد تعبير جغرافي عن الماضي[١٠] ويصبح السؤال ما إذا تعين على المسلمين اعتناق أسلوب الحياة الهندوسي والذي يتضح منه وجوب التخلي عن الإسلام أو يجب عليهم أن يكونوا قساة في حياتهم ، وهذا الأخير ينتج صراعات وشغبًا لأن « هؤلاء المتعصبين صغار العقول وأصحاب الأفق الضيق الذين يتشدقون بالديمقراطية والعلماء عاجزون كلية عن مجرد التفكير في أمور الدنيا أو أمور هذه البلاد العظيمة »[١١] ، وتبقى المشكلة بلا حل ، فلا الهندوس يبدون تسامحا تجاه قضايا الأقليات الحساسة ولا المسلمون راغبون في ترك شخصيتهم الدينية والثقافية .

سياسة الدولة الثقافية :

قد يقال في هذه النقطة إن هذا الرأي المتطرف يمثل طائفة من المجتمع الهندوسي فقط وإنه لا الدولة ولا الأغلبية الهندوسية تفكر بهذا الأسلوب ، والآن فلنفحص سياسة الدولة في هذا الشأن . لقد أعلنت الهند دولة علمانية ومصطلح العلمانية في المفهوم الهندي يفترض أنه

يعنى أن الدولة بهذا المفهوم لن يكون لها دين ولكنها ستراعي عدم التفرقة في رعايتها مختلف الأديان في الهند . واتجاه التسامح هذا والمساواة يعتبر اتجاها روحانيا[١٢] ولكن الدولة شعرت – وفى نفس الوقت – بالحاجة إلى تشجيع الثقافة القومية في الهند ، كان ذلك بالطبع مؤامرة ضد الأقليات بأن تفرض الثقافة الهندوسية على الأقليات غير الهندوسية ، وتذكر نشرة حكومية أن الحاجة إلى الإحياء الثقافي تعنى أن الأمراء والمصالح الإقطاعية السابقة لم يعودوا قادرين على الاحتفاظ بها ، وأن الحكومة المركزية قد تولت الإشراف على الفن والثقافة[١٣] والحقيقة هي أن تعبير الثقافة القومية في بلد علماني فيه ثقافات متعددة – يبقى بلا تعريف ، فالهند بلد ذو ثقافات متعددة وهذه الثقافات لها شخصياتها المستقلة ، وإذا كنا لا نملك اختيار ديانة قومية نظرا لتعدد الفرق الدينية في البلاد فكيف نختار ثقافة قومية بدون إلحاق الضرر بالعلمانية الهندية ، إن الدين والثقافة لا ينفصلان ونظرية الثقافة القومية تقتضي إلغاء طبيعة المجتمع الهندي ذات الثقافات والديانات المتعددة فمثل هذا الرأى الخاص بالثقافة القومية يتجاهل ليس فقط السنوات الألف من الحكم الإسلامي في الهند والإسهام الذى قدمته للحضارة الهندية بل يؤدى إلى وهن الحضارة الهندية الحقيقية المركبة من نسيج حضارى عريض القاعدة[١٤] ومن إنتاج طبيعي لمدنيتين عظيمتين ، الهندوسية والإسلامية ، فهي تنفي الطبيعة الحقيقية المركبة للثقافة الهندية وكذلك حقيقة أن ما قاله نهرو من أن « بعض الحافز الداخلي نحو التوليف »[١٥] كان دائمًا الدافع البارز إلى التأخر الطويل في تطوير الثقافة الهندية ، وهذا في نظري جريمة كبرى ضد هذه البلاد .

لم يكن خوف المسلمين من مساواة الثقافة الهندية أو القومية بالهندوسية أو الثقافة الهندوسية مجرد افتراض أو هلوسة، بل هو خوف عميق الجذور في الواقع، لقد نصحوهم بقبول الراما والماهابهارات كأناشيد لهم وأن ينظروا إلى راماكريشنا وشيغاجي أبطالا قوميين وأن يشجبوا الشخصيات التاريخية الإسلامية كما لو كانوا خونة وغزاة أجانب وطلب منهم أن يتركوا الأسماء العربية[١٦] ، ففكرة الثقافة الهندية لا تدع مجالا للاعتراف بالمساهمة الإسلامية. فإذا أحس المسلمون أنهم غرباء في مثل هذا الجو الثقافي الهندي العلماني فربما يكون ذلك خطأهم، كيف يقبل المسلم تلك الكتب الهندوسية كملاحم قومية وهي التي تخون كل معنى لكلمة «قومي» والتي تتناقض بشكل مباشر مع فلسفة الإسلام في الحياة، وكيف يطلق على هذه الشخصيات التاريخية شيغاجي وأمثاله لقب الأبطال الوطنيين الذين عملوا لمخالفة مثلنا الأصيلة؟ فحتى الترجمة الهندية الصحيحة لأسمائهم تعنى أحيانا ما يفسد الماضى الحضاري الإسلامي في الهند كله، فإذا طبعنا الخاتم السنسكريتي على الإسلام في الهند فسوف يعنى بوضوح انهيار روحه الأساسية، وإلى جانب ذلك فإن هذا الاتجاه يتجاهل كلية حقيقة أن

« الثقافة الهندية » ليست هندوسية ولا إسلامية ولا أية ثقافة أخرى بالمرة ، بل إنها صهر لها جميعا(١٧) .

إن التأكيد على عبارة ثقافة قومية في بلد علماني مثل الهند ، كما هو مفترض أن يكون ضروريا للمواطن كي يبني أصالته ، يتطلب الانتباه ، إذ أن مصطلح قومي تعنى لا قومي في المفهوم الهندى لأنه يعجز عن الاعتراف بالطبيعة التركيبية للهند ويلغى العناصر الهندية المختلفة من الهند ، كما يتجاهل تشكيلة الهند وثروتها من التراث الثقافي والديني واللغوي ، وهؤلاء الذين يتكلمون عن القومية والثقافة القومية أو اللغة القومية يجب أن يردوا إلى الصواب لأنهم غير قوميين في أصدق وأكمل معنى للكلمة .

كثيرا ما يثير الجدل في موضوعات القومية والثقافة القومية الاضطراب وسوء الفهم ، فهذه الروح القومية دفعت الناس إلى اعتبار المعابد الهندوسية « كنوزا غنية بالفن » و« مستودعات حضارتنا القديمة »(١٨) وقد أنفقت حكومة الدولة مبالغ قدرها ٤٠٠٠٠٠ روبية على تجديد ٦٢ معبدا في مدراس(١٩) فهل يمكن فصل المجال الثقافي لهذه المعابد عن شخصيتها الكلية والإحساس بالانتماء إلى جماعات دينية معينة ؟ كيف يمكن اعتبار أماكن العبادة الهندوسية هذه شعارا للثقافة الهندية أو القومية بينما المسلمون أو الجماعات الدينية الأخرى لا يسمح لهم حتى بدخول هذه الأماكن المقدسة ؟ وإذا كانت هذه المعابد كنوزا قومية للفن والعمارة حقا لماذا تغلق أبوابها أمام المسلمين ؟ أليسوا من مواطني هذه البلاد ؟.

ويمكن سرد عدد من الأمثلة الذكية لنبين سياسة الدولة الخاصة بالإحياء الثقافي المقصور على فئة معينة واستعادة «الطريقة الهندوسية في الحياة والتي أصبحت طي النسيان»(٢٠) وسأحاول رغم ذلك أن أتقيد بعدد قليل فقط، ففي أول عهد الاستقلال أصبح واضحا لجميع المسلمين أن العلمانية خداع وتضليل وحتى خطب الشيخ آزاد بعد الاستقلال مملوءة بإحساس التحرر من الخداع حتى بدأ يتحقق ماذا تعنى كلمة القومية والثقافة القومية فى الواقع(٢١) ويلاحظ سريفيفاس كيف كان الاستقلال علامة انبعاث الهند بالنسبة للأغلبية(٢٢) كما يلاحظ وبتأكيد خاص دور راديو كل الهند الذى بدأ إذاعة موسيقى تعبدية كل صباح والهاريكاتا بين آن وآخر(٢٣) وأصبحت أول كومباميلا بعد الاستقلال شبه مظاهرة لإحياء العقيدة، وتجمع أكثر من خمسة ملايين شخص على ضفاف نهر الجانجز لكي يغطسوا في الماء المقدس، وكانت النشوة التي أصابت الناس بعيدة عن الوصف. وكان رئيس الهند وكبار الشخصيات بين هؤلاء الحجاج(٢٤) ثم يوجد رمز آخر أكثر أهمية للإحياء الثقافي وهو تجديد معبد سومناذ الذى يقول البعض إن الغزاة المسلمين حطموه في القرن الحادي عشر، وأقسم سردار باتيل نائب رئيس وزراء الهند وقتذاك ألا يستريح حتى يعاد بناؤه واجتمع

عدد قليل من وزراء الاتحاد مع لجنة تجديد المعبد واشترك وزير الخارجية في هذه العملية بل اشترك رئيس الهند نفسه في الاحتفالات الرسمية التي أقيمت عند انتهائه[٢٥] ويبدو أن نيل الاستقلال كان استعادة للهندوسية ، ومن أجل ذلك فرض نظام للضريبة غير المباشرة في ولاية أوتار براديش وبدون تمييز بين العقائد الدينية ، وقد أجبر المسلمون الذين يعرفون حرمة بناء أماكن لعبادة الأصنام أو المساعدة في بنائها ، أجبروا على دفع هذه الضريبة الدينية[٢٦] .

ويلاحظ د.أ. سميث ذلك الفشل من جانب الدولة حين تميز بين الثقافة الهندية والديانة الهندوسية ويشير إلى « التمثال الحجرى الضخم لفيشنو المستلقى عند مدخل رئاسة مفتش عام الشرطة في بانجلور » فهذا التمثال ليس له مفهوم في مصطلح فن النحت الهندى سوى أنه موضوع ديني[٢٧] ، وأكثر من ذلك فإن اللغة السنسكريتية تفترض أنها أساس الوحدة الثقافية والخلفية للثقافة الهندية[٢٨] . وقيام الحكومة الهندية بتأسيس الهيئة المركزية للغة السنسكريتية لنشر هذه اللغة يلقى الضوء على سياستها الثقافية الحقيقية الواقعية . ومرة أخرى ، يعجز المؤيدون للثقافة القومية واللغة القومية عن معرفة الوجه المتستر وراء القناع إذ أن عمارة الأمة (المتعلقة بالمعابد التاريخية) واللغة القومية (السنسكريتية الهندية) لا تمثل كل الثقافة الهندية في أبرز معاني الكلمة لأنها تمثل فقط طبقة الكهنة في المجتمع الهندوسي والذي يفضل أن يطلق عليه اسم الثقافة البراهمينية واللغة البراهمينية ، لقد كان إحساس الفقير والهندوسي من غير الطبقة المنبوذة والذين يفترض أن يصبحوا « شوترا » أن أماكن العبادة هذه لا تخصهم لأنهم لم يسمح لهم مطلقا بدخول « كنوز الفن والعمارة »[٢٩] الهندية وبنفس الطريقة كانت اللغة القومية – السنسكريتية الهندية مرتبطة بطبقة الكهنة الهندوسية في شمال الهند وربما يكون من الظلم أن تفرض بالقوة ثقافة مجتمع صغير كهذا يمثل ٦ ٪ فقط من مجموع السكان ، وهذا الاتجاه لا يوضح فقط سياسة الدولة حيال إحياء الهندوسية بل يتجاهل المشاعر الأصيلة للهاريجانز والجماعات المتأخرة الأخرى التي تشكل الأغلبية داخل الجماعة الهندوسية .

لقد نتج عن إحياء اللغة الهندية والثقافة البراهمينية رد فعل وصراع في الجنوب ، وموقف مفجع في البنجاب أطلق عليه اسم معركة الدين من أجل السياسة ، فاللغة هي إحدى أهم سمات الحضارة والدين لأنها في معظم الأحوال تمتد أصولها إلى بعض الوثائق الدينية القديمة . ودوائر الدين والثقافة واللغة تتقاطع مع بعضها البعض في مختلف النقاط ، وأمامنا حالة إسرائيل حيث يجرى إحلال العبرية محل الآرامية ، فبعد مرور عشرين قرنا ظلت خلالها العبرية لغة ميتة اعتبروها اليوم ثقافة يهودية ، وإحياء اللغة السنسكريتية أو الهندية المسكرتة يعنى إحياء الثقافة والحضارة الهندوسية بينما اللغة الأوردية التي تحمل طابع الإسلام في الهند والتي هي لغة المسلمين الهنود كادت تتلاشي من هذه البلاد[٣٠]، لقد كان عدد الطلاب الذين

حضروا امتحان الشهادة الثانوية باللغة الأوردية عام ١٩٤٧ في ولاية اوتاربراديش بنسبة ٤٨ ٪ وقد تناقص هذا العدد إلى لا شيء بعد الاستقلال لأن الحكومة أصدرت تنظيمًا جديدًا يقضي بأن يجرى تعليم الأطفال باللغة الهندية وحدها[٣١]. وفي سنة واحدة فقدت ولاية اوتاربر اديش ٥٧ مدرسة من بين ١٠٧ مدرسة «لقد اختفت أو أغلقت أو تحولت إلى مدارس هندية»[٣٢] وأبعد الأطفال المسلمون عن الاهتمام بتراثهم الثقافي ولم تسمح لهم حكومة الولاية بتلقى تعليمهم الابتدائي بلغتهم الأم، بل أجريت لهم عملية غسيل مخ في المدارس الابتدائية حيث يجرى تعليمهم مواد تتعارض مع الإسلام تحت اسم التراث الثقافي والقومية الهندية[٣٣]. ويقوم مدير التعليم وكبار موظفي الولاية بتأليف مثل تلك الكتب المدرسية[٣٤]. وقد قيل، وبصورة عامة، إن المسلمين حين يحتفظون بلغتهم الثقافية فإنهم لا يقطعون أنفسهم فقط من الحياة العامة بل إن هذا العبء الزائد يعوق طريقهم في نظام تعليمي متنافس، وهذا الرأى يرى كذلك أنه يجب على المسلمين أن ينسوا ماضيهم ويرضوا بالوضع الحالي ويتوقفوا عن الكلام عن ثقافتهم ولغتهم، وهذا الاتجاه يتجاهل ببساطة حقيقة أن المجتمع يفقد صفته الاجتماعية إذا تعرضت شخصيته الثقافية واللغوية للخطر، والمسلمون الذين يعرفون اللغة الأوردية يهتمون بالحفاظ عليها حية لأن كتابتها قريبة من الكتابة العربية وتساعد الأطفال على قراءة القرآن، وكذلك لوجود كمية هائلة من المؤلفات الإسلامية بهذه اللغة وحدها، إن ضياع الأوردية تعنى للمسلمين ضياع الكثير من المؤلفات الدينية والثقافية. وربما كان المهاتما غاندى قد أحس بالتعقيدات الناتجة عن استخدام لغة قومية واحدة فقد كتب «يجب أن يقوم المؤتمر صلبا كالصخر، ولا يجرؤ على الاستسلام بخصوص قضية وجود لغة إفرنجية في الهند، فلن تكون أوردية متفرسة (عن الفارسية) أو هندية متسكرتة (عن السنسكرتية)، بل يجب أن تكون منظومة جميلة من الصيغتين وتكتب بحروف إحداهما، دعونا ألا نترك الكتابة الأوردية»[٣٥]. ورغم أن الدستور وجه ضربة قاتلة للغة الأوردية حين نص على أن «لغة الدولة الرسمية ستكون الهندية بالحروف الديغناجارى»[٣٦]. وقد رفض المسلمون ذلك حتى أن زعيما وطنيا مثل مولانا أزاد لم يتمالك نفسه قائلًا: «من البداية وحتى النهاية لقد طغى ضيق الأفق بشدة»[٣٧] وبالرغم من أن الدولة علمانية فقد توافرت بهذه الطريقة فرصة كافية لنمو الثقافة الهندية ولإحياء الهند العلمانية. فإذا ما شعر المسلمون وفي مثل هذا الوسط الثقافي بأن تبنى اللغة الهندية يقتضي إلغاء كل مساهمتهم في الثقافة الهندية وأنها لن تضم العقلية الإسلامية وإذا وجدوا الثقافة الهندية غريبة عن ثقافتهم فلا لوم عليهم عندئذ.

ومن المفيد أن نلاحظ أيضًا الأسلوب الذي تقدم به الثقافة الإسلامية والإسلام في وسائل الإعلام فالقضية الثقافية مثل قانون الأحوال الشخصية[٣٨] ووضع المرأة في المجتمع المسلم[٣٩] والطريقة الإسلامية في العبادة[٤٠] وفعاليات التبشير الإسلامية[٤١] يتم تقديم كل ذلك في

وسائل الإعلام فيعطى صورة عن المسلمين مختلفة تماما عن حقيقتهم ، فالإسلام يقدم في صورة مشوهة سواء في فيلم تلفزيونى [٤٢] أو في الإذاعة أو في الصحافة .

إن المسلمين جماعة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر أكثر من كونهم مجرد مجموعة فهذا الواجب الدينى الذى يؤديه المسلمون أوجد حنقا وغيظا لدى غير المسلمين. ويذكر الشيخ الندوى أنه في الماضي القريب برز مولانا عبيد الله باتيالوى الشيخ عبيد الله سندى وسناء الله أمراتسارى والدكتور إقبال وشيخ التفسير أحمد على، كلهم برزوا أساسا من الشعب الهندوسي ولكن المسلمين يشعرون الآن بصعوبة ضخمة في نشر عقيدتهم، وكان من المفروض أن يؤدى التحول الجماعي للهاريجانز فيميناكشيبودام إلى تهديد مستقبل الهندوسية في عقر دارها، وذلك ليس قاصرا على الإسلام، فعندما اعتنق آلاف الهاريجانز البوذية عام ١٩٥٦ ، راقبت الدولة هذا الحادث الخطير وألغيت الامتيازات التعليمية وغيرها مما كان ممنوحا لهم من حكومة الولاية [٤٣] ، ويبدو أن حكومة الهند حامية الهندوسية وتحاول إحياء الثقافة الهندوسية والطريقة الهندوسية في الحياة وتميز بصرامة بين الهندوسية والمجتمعات الدينية الأخرى.

رؤية من المسرح (منظر من المسرح)

والآن فلنحلل ما يحدث في مشاعر الهنود المسلمين ، ومن المطلوب أن نلقى ضوءا كافيا على ما يرد فى عقولهم حيث إن ذلك لن يفيد في تشخيص الحالة الحقيقية فقط ، بل سيساعد في اقتراح مخرج من الطريق المظلم الذى تفرضه الثقافة الهندوسية ، لقد جرى استفتاء للسيدات المسلمات في جامعة عليكرة الإسلامية وحددنا الاستفتاء بحيث يكون داخل أسوار الجامعة لأن الجامعة هي قلب الثقافة الإسلامية في الهند أولا ، ولأنها ثانيا تمثل المسلمين من جميع ولايات الهند تقريبا ، ومن جهة ثالثة كان ذلك أمرًا ملائمًا لنا من الناحية العملية ، ويبين الاستفتاء الحالة المضطربة لعقول المستفتين لأن معظمهم عاجز عن الحديث بوضوح في مختلف القضايا ، فهم يريدون الاحتفاظ بشخصيتهم الثقافية وأن يظلوا مسلمين بكل معنى الكلمة ولكنهم يواجهون عشرات المصاعب في المجال العلمي . على سؤال : « **هل أنت موافق على أى تعديل في قانون الأحوال الشخصية الإسلامي** » أجابت ٥٥ فتاة من بين ١١٥ فتاة بـ(لا) ، ٤٥ قلن نعم وامتنعت ١٤ فتاة عن إجابة السؤال ، وعلى جزء آخر من نفس السؤال وهو **ماهي التغييرات التي تقترحينها** ؟ أجابت سبع فتيات من ٤٦ باقتراح إلغاء الزواج بأكثر من واحدة . وأربع فتيات اقترحن معارضة وقوع الطلاق المتكرر بلفظة واحدة واعتباره طلقة واحدةواقعة، وفتاتان تطلبان حرية أكثر للنساءأما الباقيات فلم يكن لديهن أية اقتراحات، وكانت ٣٣ فتاة من بين ٤٦ مرتبكات في موضوع البحث عن إسلام توافقي ، وعلى سؤال : **هل تعتبر القرآن مرشدًا كافيا للمرأة المسلمة** ؟ قالت ١٠٣ من ١١٥ (نعم)، ٤ قلن : (لا)، ٨٢ منهن قلن (لا) في البداية ثم صححن قولهن بقول (نعم) مما يعكس حركة

اهتزاز فكرى لديهن ، وست فتيات فقط من بين ١١٥ كن قانعات بالوضع الحالي للتعليم والباقيات وعددهن ١٠٩ كن غير راضيات ، ٣٢ فتاة قلن : إنهن مسلمات في أصدق معنى للكلمة بينما الباقيات – ٨٣ كن مدركات لحقيقة أنهن مسلمات غير صادقات ولكنهن راغبات في أن يصبحن مسلمات صادقات ، وعلى سؤال عن الحجاب أجابت ٨٣ فتاة من ١١٥ أنه إسلامى وأشارت ١٦ من ٨٣ إلى أنه فات زمانه ، و٨ فتيات قلن : إن الحجاب من اختراع المشايخ ، وامتنعت ٢٤ عن الإجابة ، وجميعهن يعتبرن أن الإسلام مازال أسلوبا واقعيًّا للحياة وعارضن الزواج بين المسلمين والهندوس . وكلهن لسن على استعداد لترك الثقافة الإسلامية التقليدية من أجل التكامل القومي ، وقد أدانت ١٨ فتاة بمرارة – من بين ١١٥ ، سياسة الدولة الخاصة بالتكامل القومي رغم عدم وجود سؤال عن ذلك في الاستفتاء .

يعكس الاستفتاء الحالة المتقلبة للعقل المسلم ، والمشكلة ليست أنهن غير راضيات عن الإسلام فجميعهن يرغبن أن يكن مؤمنات صادقات ، ويعتبرن الإسلام منهج حياة معاصرة وعارضن التزاوج بين الهندوس والمسلمين وكن حريصات بشدة على ثقافتهن ولكن المشكلة أنهن يلقين صعوبة عملية في ممارسة الإسلام في مجتمع يحكمه الهندوس ، وفي ظل سياسة الدولة الخاصة بالتكامل القومي والمحكمة المدنية الموحدة .

ويبين استفتاء المستر هارمان[٤٤] حول نفس الموضوع أن المسلمين يحرصون بشدة على شخصيتهم الثقافية ، إذ عارض ١٦٢ مسلما من ٢١٤ اقتراح أن يتخذ المسلمون نفس ألقاب الهندوس ، وقال ٣٠ « لا أستطيع القول » و ٧ امتنعوا عن الإجابة عن هذا السؤال ، بينما وافق ٨ على الاقتراح ، وفي إجابة على سؤال : « **هل تعتقد أن المسلمين والهندوس يجب أن يتخذوا أسلوبا مشتركا في الحياة ؟** » أجاب ١٥٨ من ٢١٤ بكلمة (لا) و ١٨ قالوا (نعم) و ٣٣ قالوا : « لا أستطيع الإجابة » و ٥ امتنعوا عن الإجابة عن هذا السؤال ، ولكن لا ينبغي أن يؤخذ كل ذلك كحجة للقول بأن المسلمين انفصاليون وأنهم يعوقون طريق التكامل القومي ، والحقيقة أنهم مدركون لشخصيتهم الثقافية أكثر من نظيرهم الهندوس الذين يشكلون الأغلبية في البلاد والذي يجرى إحياء أسلوبهم في الحياة بكل الوسائل الممكنة ، فإذا كانت كل هذه الإشارات مجرد انعكاسات للانفصالية المسلمة ، ألا يوجد نفس الاتجاه بين الهندوس ؟ وكيف نفسر حقيقة أن الغالبية الهندوس لا يرغبون في السماح للمسلمين باللحاق بإحدى الطوائف غير الهندوسية[٤٥] ؟

الوصول إلى حل :

ويتصل بهذا الموضوع أن ننظر إلى محاولات المثقفين المسلمين الذين جاهدوا في سبيل الحفاظ على الشخصية الثقافية والدينية للمسلمين الهنود ، فقد يقودنا التقييم والنقد

لمحاولاتهم إلى اتباع استراتيجية جديدة في هذا الخصوص ، فإن ضخامة المشكلة والإحساس بها أمر قديم يرجع إلى أيام مجدد الألف الثاني . وتنبأ شاه ولي الله بموقف أكثر صعوبة للمسلمين بعد انهيار الحكم الإسلامي للهند ، لذا فقد نظم حركة للحفاظ على الشخصية المسلمة وإعادة أسلمة المسلمين في الهند وإرجاع المسلمين إلى حظيرة الدين وحذر المسلمين « ألا يضيعوا تراثهم الثقافي تحت ضغط القوى المحلية »(٤٦) والسبب كما يقول قريشي « قد يرى الشخص برؤيته الثاقبة الخطر الكامن فى تنازل المسلمين عن جزء من ثقافتهم وتشبههم بالسكان المحليين وإن ذلك يؤدى إلى انصهارهم في الوسط المحلى »(٤٧) كان محاولة شاه ولي الله نجاحا باهرا وعرف المسلمون كيف يتصرفون في الموقف المتغير ، كما أن حركة المجاهدين بزعامة سيد أحمد شهيد هدفت إلى مقاومة تأثير الهندوس الثقافي على المسلمين الذين بدأوا وقتئذ في ممارسة الكثير مما يتفق مع الهندوسية وحدها»(٤٨) ، ومحاولة طبع هذه الحركة بطابع وطني أو النظر إليه باعتباره عدوًّا للبريطانيين إنما هي سوء تفسير للتاريخ وتشويه للحقائق وحتى نفهم حركته جيدًا يلزمنا أن نعيد النظر في آرائه وأفكاره المسجلة في **الصراط المستقيم** ، وأثبت شاه إسماعيل في **تذكير الإخوان** قائمة طويلة بممارسات الهندوس التي انتشرت بين المسلمين رغم أنهم كانوا جميعا ضد الشريعة(٤٩) ، لقد استهدفت الحركة التدمير الشامل لمجمع الآلهة المشكل من المعتقدات المضطربة التي جمعت آلهة شبه مقدسة من عقود عديدة الأديان وعديدة الثقافات(٥٠) وفي المرحلة الثانية من الحركة اقترح سيد أحمد حلا عمليا لهذه المشكلة الضخمة ويبدو أنه كما لو كان قد اخترع نظرية ثقافية خاصة به في ذلك الوقت . فرغم أن الكثير من كتاباته ليس متوفرا (عدا بعض الخطابات التي هي كذلك في غير حالتها الأصلية) فإن محاولاته لإنشاء دولة إسلامية صغيرة تبين أنه وجد ثلاثة أمور أساسية لازدهار الثقافة الإسلامية مثل : دار الإسلام كمركز ثقافي وديني على أن يجتهد المسلمون الهنود خارج هذه المنطقة في إمداد المركز بالقوة ونشر أفكاره ، ويبدو أن الدكتور إقبال أخذ يردد نفس المشروع فيما بعد مع تعديل بسيط عندما اقترح إنشاء جيوب ثقافية ذاتية الحركة للمسلمين في شبه القارة الهندية وتحدث إقبال فقط عن « خلق الهند المسلمة داخل الهند »(٥١) ومن الخطأ أن نعتبره مؤسس وطن منفصل لأنه لو كان يريد ذلك لأصبح مناقضا لمبادئه ، لقد كانت غلطته الفادحة أنه نظر إلى المشكلة برمتها نظرة اقتصادية لا حل لها سوى « دولة مسلمة مستقلة »(٥٢) وتبنى الشيخ المودودى فكرته بأن ترك غير المسلمين يمارسون شعائرهم وفي نفس الوقت يجرى تقديم الإسلام لهم كحل أكثر واقعية لمشكلات الإنسان ، يقول : « إنه كنزكم (الهندى) الذي فقدتموه على مدى التاريخ الطويل »(٥٣) .

إن حل المشكلة في الهند يكمن في تبنى الاستراتيجية الواقعية الخالدة للنبي عليه الصلاة والسلام والتي اتبعها المسلمون على مدى العصور مع شيء من التعديل بما يجعلها أكثر فعالية في

عصرهم مع الاحتفاظ بروحها الحقيقية ، فالإسلام ديانة تبشيرية والمسلمون مبشرون ودعاة للرسول . وطبيعة الإسلام هذه توضح أن المسلمين فى عهدهم الأول اضطروا للعيش كأقلية حيث أثروا فى المجتمع وحولوه إلى المبادىء الإسلامية – هذه الاستراتيجية لا تحتاج إلى عون خارجي للحفاظ على شخصية المبشرين ، فالذي يقوم بالوعظ يدعو الناس إلى منهج في الحياة بإدراك أن يضع نظاما محددا على ألا يتأثر هو بالآخرين ، والمسلمون مهددون بضياع شخصيتهم الثقافية إذا قرروا مجرد العيش كمجتمع وليس كجماعة وعظ « خير أمة » ، لقد سبق أن أوجد الاتجاه الشيوعي الذي تزعمته المنظمات الإسلامية عداء شديدا بين المسلمين والهندوس وعطل عمل الدعوة بين الهندوس وولد قدرا كبيرا من سوء الفهم للإسلام وحتى نصل إلى نتائج ذات قيمة مثل الاعتراف بالثقافة الإسلامية في ظل حكومة علمانية لا يجوز أن يكون على حساب المجهودات المبذولة في سبيل نشر الدعوة الإسلامية .

ومع ذلك فإن المشكلة أكثر تعقيدًا لأن المسلمين يتعين عليهم أن يضطلعوا بالتبشير دون أنانية وألا يطالبوا بشيء لأنفسهم على أن يحاولوا في نفس الوقت المحافظة على حقوقهم مهما عفا عليها الزمن. والأسلوبان لا يتعارضان في الحركة فموقف الرسول عليه الصلاة والسلام في صلح الحديبية مثال لهذه الحالة . فصلح الحديبية كان علامة رد فعل ضد ضغط لا إسلامي ولكنه لم يحط الروح التبشيرية للإسلام فإذا أردنا أن نجنى شيئا قيما وعظيما علينا أن نتجاهل السفاسف والأمور ذات الأهمية الأدنى كما يقول إقبال : « يجب ألا تهتم بالدول والأمم البعيدة عن سيطرتك ولكن عليك أن تهتم بحكم الله » .

لقد ارتبطت المشكلات الثقافية للمسلمين الهنود بدرجة قوية جدا بطبيعة ثقافة الأغلبية التي تعين عليهم أن يعيشوا في ظلها ، ويجب إنشاء مؤسسات ثقافية كي تعد المبشرين المسلمين للعمل في جميع أرجاء الهند وكي تخدم كمراكز للثقافة الإسلامية . وستقوم هذه المراكز بالمساعدة على توجيه جهودهم التبشيرية وكذلك تزويدهم بفهم أفضل وأصدق للإسلام ، ويقوم أحد هذه المراكز وليكن الإدارة الرئيسية بدور المحور المركزي بينما تقوم المراكز الأخرى الصغيرة بنشر الفكر الإسلامي الحقيقي بين الإخوة غير المسلمين وإعادة أسلمة مسلمي الهند ، وتبين خبرتي الشخصية في هذا المجال أن الأغلبية غير المسلمة في الهند تحترم الإسلام بعمق ويعتبرونه الطريق الإلهي العملي الوحيد للحياة[٥٤] لقد كانت السياسات الشيوعية للمنظمة الإسلامية هي التي أوجدت الصعوبة أمام هؤلاء كي يدرسوا الإسلام دراسة ودية ، لذا يجب تجنب الأفكار الشيوعية ويجب أن يتوقف المسلمون عن العيش كمجرد جالية في الهند بل ينبغي عليهم أن يؤكدوا ذاتهم الحقيقية بأنهم خير أمة فقد خلقوا من أجل الناس وليس من أجل أنفسهم فقط ، على ألا يظل ذلك مجرد شعار ومبادىء فحسب .

NOTES

1 . S.K. Ghosh, **Muslims in Indian Democracy,** (New Delhi, Ashish Publishing House, 1984), p. 153.
2 . Ibid., p. 162.
3 . Grish, mathur, **"Communal Violence: A Study in Political perspective Secular Democracy",** (Annual Number 1968), p. 43.
4 .Golwalkar, M. S. **Bunch of Thought.** bangalore, Vikram Prakashan, 1966. Also see Golwalkar's book **'We or Our ationhood** Defined', 1947.
5 . Ibid, Op. Cit. p. 28.
6 . Ghouse Mohammad, Secularism, **Secularism, Society and Law in India,** Delhi, Vikas publishing House, 1973, p. 52.
7 . Bhupesh Gupta, **Secular Democracy,** (April 1970), p. 70.
8 . Mohammad, Ghouse, **Secularism, Society and Law in India,** Op. Cit, p. 52.
9 . Golwalkar, **The Motherland,** August 20, 1972. Also see Jamia Bribhushan, **Muslim Women in Purdah and out of it,** Delhi (Vikas Publishing House, 1980) p. 105.
10. Annie Besant, approvingly quoted in **Organizer** (Delhi, October 25, 1965) pp. 1, 15.
11. Jawaharlal, Nehru, **Jawaharlal Nehru's Speeches 1945-53** (Publication Govt. Division, of India) Delhi, p. 309.
12. Radha Krishnan in **"Introduction" to Abid Husain,s: Qaumi Tahzeed Ka Masaela,** (New Delhi, Taraqqi Urdu Board, 1981), p. 7.
13.India: A Reference manual (Delhi Publication Division Govt. of India 1956) p. 309.
14. K. G. Saiyidain, **Education Culture and the Social Order.** (Bombay Asia Publishing House, 1952) p. 108. Also see **Speeches of Maulana Azad 1947-55. Publication Division, Govt. of India, pp. 225-9. R. S. Abid Husain's The National Culture of india,** (Bombay Jaico Publishing House, 1956) pp. 23-25.
15. Jawaharlal, Nehru, **The Discovery of India.** (New York. John Day Company, 1946) p. 366.
16. V. G. Deshpande, **Why Hindu Rashtra?** (New Delhi; All India Hindu Mahasabha, 1949) pp. 10-11.
17. Quoted in D.E. Smith, **India As a Secular State,** (New York, Princeton Universtiy press, 1963) p. 377.
18. **The Hindu,** madras, Jan. 24, 1961.
19. Ibid Jan. 24, 1968. Also see **The Administration Report of the Hindu**

Religion and the Charitable Endowments (Administration Dept., Govt, of madras). 1957-58.
20. K. G. Saiydain, Op. Cit. p. 126.
21. Abulkalam Azad, **Constituent Assembly Debates** Vol. 9, pp. 339.
22. M. N., Srinivas, **Social Change in Modern India** (Bombay, Allied Publishers, 1966) pp. 128-30.
23. Ibid p. 123.
24. K. Panikkar, **The Foundation of New India,** (George Allen and Unwin, 1963) pp. 245-6.
25. K.M. Munshi, Quoted in Mohammad Ghouse, **Secularism, Society and Law in India,** (Delhi, vikas Publishing House, 1973) p. 48.
26. D. E. Smith, Op. Cit. p. 385.
27. Ibid, p. 389.
28. K. M, Panikkar, **The State and the Citizen,** (Bombay, Asia Publishing House, 1956) p. 90.
29. D.E. Smith, Op. Cit. p. 388.
30. The names of Hindu auhors appeared only after the first half of the 18 th century when Urdu came to acquire court patronage. Also, see Masud Husain Khan's article in **The Aligarh Magazine - Special Naumber Problems of Muslims in India** (Aligarh, Muslim University Aligarh, 1984) p. 72.
31. Op. Cit. p. 425.
32. **The Fifth Report of the Commission for Linguistic Minorities,** (New Delhi, Govt. of India Press, Ministry of Home Affairs, 1963).
33. A. A. Nadvi, **Muslims in India,** (Lucknow, Academy of Islamic Research and Publications, 1960) pp. 128-30. Also see Moin Shakir, **Muslims in Free India,** Chapter 6.
34. Director of Education, Govt. of U.P. (Ed.) **Basic Hindi Reader Vth Book, (Lucknow, 60) pp. 3-4.**
35. M. K. Gandhi, (Harijan, August 10, 1947).
36. The Constitution of India, Article 343 (i) 2.
37. Constituent Assembly Debates, Vol. 9, p. 1339.
38. **Organizer, No. 25,** (Nov. 6. 1983) p. 20, Also, see **Indian Express, Express Magazine,** (October 23) 1983.
39. M. C. Menon, in his **Editorial Note** in Huidustam Times. July 20. 1983.
40. **Organizer No. 21,** October 9, 1983.
41. Trishna Guha in **Organizer No. 21,** (October 9, 1983) p. 15. Also, see Veer Savankar quoted in **organizer No. 22,** (October 14, 1983) p. 6.
42. The Film industries often produces such movies which misrepresent Islamic culture and create doubts in Islamic values. The films **Nikah,**

khana -e- Khuda, Moghal Azam are cases in point.

43. D. E. Smith, Op. Cit. p. 332.

44. S. Harman, **Plight of Muslims in India,** 2nd ed. (London, D. L. Publication, 1977).

45. Ibid, p. 176-92.

46. Quoted in A. D. Maztar, "Shah Waliullah, An Eminent Scholar of Muslim India", **National Commission on Historical and Cultural Research,** (Islamabad, 1979) p. 213.

47. Ibid, Quoted from Tafheemat Vol. 11, p. 213.

48. Mohd. Sayyid Ahmad Heyatullah: **A Study of the Religious Reform Movement of Sayid Ahmad of Rai Bareli,** (Lahore, Shiekh Mohd. Ashraf Kashmiri Bazar, 1970) p. 123.

49. Ibid, p. 123.

50. Aziz Ahmad, **Studies in Islamic Culture in Indian Environment,** (Oxford, Clarendon press, 1964) pp. 212-213.

51. Aziz Ahmad, & Grunebaum, G. E. Von, **Muslim Self-Statement in india and Pakistan 1857-1968,** (Germany, Otto Hawassowitz, Wzesbaden, 1970) p. 149.

52. Ibid, p. 151 **(Iqbal in a letter to Jinnah; dated May 28, 1937).**

53. A. A. Maudoodi, **Jamaat Islami Ki Dawat,** Maktaba Jamaat Islami Rampur, 1952, p. 6. Also, see his book **Islami Seyasat,** (Delhi, Maktaba Islami, 1979) pp. 4-5.

54. See my article: **Some More News on the Problems of Muslims in India,** (The Aligarh Magazine (1984) - Special Issue) p. 136.

قضية مسلمي الهند
دراسة عن المشاكل الاجتماعية والثقافية لمسلمي الهند

مشهود أحمد



قضيـة مسـلمي الهنـد
دراسـة عن المشـاكل الاجتماعيـة والثقافيـة لمسلمي الهنـد

مشهـود أحمـد

ملخـص

يشكل المسلمون في الهند أقلية . وكغيرهم من الأقليات في العالم كله فإنهم خاضعون للتعصب الذى تمارسه الأغلبية والحكومة ، وقد ساعد في زيادة هذا السوء سلبية المسلمين أنفسهم وتخلفهم في المجالات التعليمية والاقتصادية والسياسية . وبالإضافة إلى ذلك فهم منقسمون إلى شيع وملل وطوائف متنازعة متناحرة . وقد غزت المجتمع الإسلامي القيم الثقافية والاجتماعية الأجنبية لابتعاده عن الخلق . وحيث إنهم يمثلون نسبة محترمة من الأمة الواحدة ، فهم بحاجة إلى العناية وإلى حلول كونية وأرضية يجب البحث عنها لتحريرهم من المشاكل المعاصرة .

مقدمــة :

كغيرها من الأقليات في العالم أجمع ، تعمل الأقلية المسلمة على النضال من أجل « حقوقها الإنسانية المشروعة » . وحسب ما ينص عليه دستورها ، فإن الهند دولة علمانية اشتراكية ، ولقد كافح الجيل الأول من السياسيين ونجحوا في تحقيق الأهداف الموضوعة في الدستور . والحقيقة أن الهندوس يمثلون الأغلبية والمجتمع الذى يشكلونه ينفي روح هذه الأهداف . ويعاني المسلمون أشد المعاناة لوقوعهم بين قوتين اجتماعيتين وسياسيتين مختلفتين للغاية . وقد أصبح حالهم مزريا إلى درجة لفتت أنظار العالم .

فهويتهم الثقافية يتم تحطيمها ، وانتماؤهم الديني هو موضع تساؤل ، كما يعانون من التفرقة في الوظائف والتعليم . وباختصار فهم لا يعاملون معاملة الند للند . وقد عملت قرون عديدة من الانحلال الاجتماعي على تفشي الجهل والأمية والخرافات بينهم . وهم أيضا يواجهون مشاكل الركود الثقافي الاجتماعي .

ويؤمن المسلمون الهنود أشد الإيمان أنهم متمسكون بتعاليم الإسلام الأصيلة فيما يتعلق بالنظام الاجتماعي وأهداف المجتمع . وهو اعتقاد يقوم على أسس باطلة . وهناك أمثلة عدة توضح أن المجتمع الإسلامى قد انحرف انحرافا واضحا عن النظام الاجتماعي الإسلامي . ولقد عمل احتكاكهم الطويل بالمجتمع الهندوسي ، والحكم الاستعمارى في الهند ، ومرحلة ما بعد الاستقلال ، والحركات العلمانية والاشتراكية ، عمل هذا كله على تغيير شكل النظام الثقافي الاجتماعي للمسلمين . إذ غزت المجتمع الإسلامي قيم ثقافية معينة غريبة عن الإسلام . وللحق فإن جوهر المشاكل التي يواجهها المسلمون في الهند إنما يعود إلى فشلهم في إدراك روح الشرع الإسلامي . وجماعة المسلمين بأكملها لم تنفتح إطلاقا على روح الإسلام الحق ، وهم يتعلقون بدينهم تعلقا لايختلف كثيرا عن التعلق بالخرافات الشعبية والقيم والمعتقدات والمشاعر والتعصب التي جاءتهم عن طريق غير طريق الإسلام والتي تقف في وجه أية محاولة للتغيير الاجتماعي . وينقسم المسلمون إلى مجموعات متنازعة لا يعدها حصر ، وبالذات الوطنيون العلمانيون وعامة المسلمين التقليديين .

والمجموعة الأولى : إما أن ترفض أو تطالب بالتغيير في أحكام الإسلام الأساسية ، بينما تستمر المجموعة الثانية في التمسك بتقاليدها ، وعاداتها ، ومعتقداتها الخرافية .

هذا هو الوضع المؤسف والبائس لحال المسلمين الهنود الذى يدعونا لتحليل أوضاعهم الثقافية والاجتماعية التي هي نتيجة للسياسات الوطنية الخاطئة ، وبسبب قرارات و صلاحات الجهاز الإدارى . ولقد كانت التغيرات الاجتماعية البنيوية التى مرت بها المجتمعات الإسلامية نتيجة التشبع بقيم وأفكار وعادات وتقاليد أجنبية عاملا هاما ساهم في مأساتهم الحالية .

الموقف التاريخي :

لايمكن تحليل المأساة الحالية لمسلمي الهند بطريقة مقبولة إلا إذا أخذنا في اعتبارنا المواقف التاريخية المختلفة التي نمت في ظلها التوجهات النفسية للهندوس والمسلمين على حد سواء . ومنذ القرن التاسع عشر واجه المسلمون في شبه القارة الهندية أزمتين كبيرتين : ثورة ١٨٥٧ م وتقسيم الهند عام ١٩٤٧ م .

وكان ذلك عندما انتهز العالم الغربي كل فرصة ليرفد تكنولوجيته وعلمه الجديدين . ولكن العالم الإسلامي لم يكن قد أفاق بعد من الغفلة التي فرضها عليه تخلف العصور الوسطى . ولقد كانوا من الناحية السياسية أسوأ ضحايا الفوضى ، ومن الناحية الاجتماعية سلبيين إلى حد ما ينظرون إلى الخلف دائمًا .

وللمرة الأولى في تاريخ الهند قامت السلطة الاستعمارية البريطانية بفرض مكانة سياسية أدنى للمسلمين ، وبذا فقدت نخبتهم وضعها المتفوق[١] . وهكذا حدث تغير جذرى في التركيبة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المسلم ، وفشل التيار الإسلامي العظيم في الهند في أن يحافظ على تدفقه بنفس العنفوان والثقة. ويمكن تلخيص العوامل[٢] التي تسببت في هذه التغيرات كالآتي : (أ) توقف استقدام المسلمين وذلك من الأشقاء المسلمين خارج الهند . (ب) تردى الطبقات العليا المسلمة في الفقر وامتزاجها بالطبقات الاجتماعية السفلى (جـ) تراجع التعليم الإسلامي على كل من المستويين الكمي والكيفي (د) تقبل العلماء لما تقوم به العامة ، وانطفاء مشكاة العلم التي يحملونها ، إذ سقطوا هم أنفسهم في شباك التأثيرات المحيطة بهم (هـ) الإحساس بالمرارة الذى شعرت به الطبقة المسلمة الحاكمة سابقا تجاه البريطانيين الذين استلبوا الحكم منها وبالتالي تجاه كل الحضارة الغربية التي يمثلونها .

ولفترة السبعين عاما الأولى من القرن التاسع عشر ، أظهرت الطبقات العليا المسلمة العداء لنظام التعليم الغربي . وبعد ذلك ، ونتيجة لجهود سير سيد أحمد خان وجهود آخرين مثله بدأ المسلمون في تقبل التعليم الغربي ، لكنهم ظلوا متخلفين عدديا عن باقي الجماعات الأخرى . وكذلك فإن المسلمين لم يهتموا في العصور الوسطى بالتجارة أو الصناعة بسبب الطبيعة الإقطاعية للمجتمع في ذلك الوقت مما زاد في تخلفهم عن باقي الجماعات .

وما إن انتشر التعليم بين المسلمين ، حتى بدأوا في المشاركة في كل الأنشطة وأصبحوا جزءا من الأمة الهندية . وقد تلاحموا مع الجماعات الأخرى في القضايا التي تتعلق بالمصلحة الوطنية . وكانت رغبتهم أن يروا البريطانيين وهم يغادرون الهند بأسرع ما يمكن . ولكن بعد ذلك ، سرى التيار الانفصالي المبنى أساساً على فكرة أن «النخبة المسلمة لا يمكنها أن تقبل بوضع أقلية للإسلام في الهند الحرة»[٣] ولقد عمدت الحركات التي قام بها الهندوسيون على تقوية ذلك الاتجاه.

«ولقد أحس المسلمون بالقلق تجاه النبرات التي وجدوها في التوجهات الايديولوجية لكل من «كلاك» و «لاج بات راى» ، وأيضاً «غاندي» ، الذين استخدموا العديد من الرمزية الثقافية والاجتماعية في الافتراضات الايديولوجية المنبثقة عن الهندوكية الجديدة . (٤) «وافتراض أن غاندي كان له هدف مزدوج هو تحقيق الاستقلال وانقاذ الهندوكية هو افتراض معقول» (٥) . وحتى اتجاه المؤتمر الذي كان يعبر من قبل عن **وطنية علمانية** «أصابه التغير» (٦) ومنذ أوائل عشرينيات هذا القرن بدأ المؤتمر في اتخاذ موقف يتسم بالنفاق والانفصام بين سياساته وأعماله.[٧] وهناك أسباب تاريخية لفرضية أن الحركة الوطنية الهندية هي أصلاً نتاج التعصب الهندوكي ، والذي نظر إلى كل من هو غير هندوسي على أنه أجنبي ، وأن كفاحهم في سبيل الاستقلال كان موجهاً في الحقيقة للإطاحة بكل ما هو غير هندوكي. وإذا نظرنا إلى الموضوع من وجهة نظر اجتماعية، لوجدنا فعلاً أن أعمالهم كانت موجهة لتحقيق هذه الأهداف ، ومما يؤسف له أن الوطنيين والعلمانيين المسلمين لم يستطيعوا أن يتفهموا ذلك . والانفصام ما بين السياسة والعمل الذي ميز المؤتمر قبل وبعد الإستقلال يعكس الطبيعة الكامنة في مفهوم الوطنية والعلمانية . وحالياً يجري النقاش حول أن العلمانية الهندية هي أساساً نتاج العلمانية الهندوكية . وبالرغم من أن معظم المسلمين الهنديين الوطنيين العلمانيين في ما بعد الاستقلال فشلوا في أن يصلوا إلى تفهم جوهر السياسة الهندية، فإن بعضهم الآن يرى المشكلة في إطارها الصحيح.[٨] ومن الناحية الاجتماعية هناك شيء واحد يجب إضافته هنا ، وهو أنه «كان هناك اتجاه للتوفيق بين الإسلام والهندوكية» وان لم يكن هناك تقبل متبادل على الاطلاق . وهذا الموقف يقوم على خلفية اجتماعية نفسانية للانعزال الثقافي السياسي لكل من التيارين الكبيرين في الهند، والمستمر حتى الآن» (٩).

وبعد تقسيم الهند في عام ١٩٤٧م ، وجد المسلمون الهنود أنفسهم في نفس الموقف الذي وجدوا أنفسهم فيه بعد ثورة ١٨٥٧م . وكان الشعور بالمهانة والانكسار يعم الجميع . وقد جذب التقسيم العديد من الزعماء المسلمين الاصلاحيين إلى باكستان وترك تحالفاً هجيناً من العلمانيين والسلفيين في المؤتمر لتمثيل الجماعة الإسلامية» (١٠) ، وكما ذكرنا سابقاً، فإن الحكومة تظهر انفصاماً بين السياسة والتنفيذ بسبب التزاماتها الأخرى المتعددة والآن بدأت تظهر أزمات أعمق في نموذج «دولة الرفاهية» الهندي.[١١] ويجري العمل على تنفيذ الخطة في الهند عن طريق «التعبئة الثقافية للجهاز الاداري» وعلى اظهار صورة للنموذج البيروقراطي للتنمية الاجتماعية وإنها لملهاة حقاً إذ أن تمثيل المسلمين في الجهاز البيروقراطي أقل من ثلاثة بالمائة . وهذا في حد ذاته يوضح ببلاغة ما آلت إليه الخطط العديدة التي تهدف صالح المسلمين.

الموقف الحالي :

بعد أن قمنا بعرض مختصر للتطور التاريخي للتوجهات الثقافية والاجتماعية والنفسية يمكننا الآن أن نقوم بتحليل الموقف الحالي على ضوء التحليل السابق .

النظام الاجتماعي الهندى ، كما ينص الدستور ، هو نظام علماني بطبيعته مختلف في أساسه . ولقد أشار علماء الاجتماع مرارا إلى أن الترتيبات الهيكلية على نسق النماذج الغربية في مجتمعات غير غربية يعطى نتائج لا يمكن التنبؤ بها وتختلف تماما عن التجربة الغربية[١٢]. ويمكن تفسير الاختلاف بالرجوع إلى اختلاف الموارد واختلاف البيئات المادية والاجتماعية . والهند مثال على ذلك . والعديد من الأحداث التي لا يمكن التنبؤ بها هي شيء عادى هنا .

وينبغي علينا هنا أن نستخدم مؤشرات اجتماعية لعرض أحوال المسلمين في الهند ، ولتحليل أسباب تلك الأحوال ، وأنواع (أو أنماط) المؤشرات الاجتماعية المقترحة هنا يمكن تقسيمها إلى أربعة أنماط أوسع :[١٣]

١ - مؤشرات وصفية : تتمركز أساسا حول « توزيع العدل » .
٢ - مؤشرات متعلقة بالسياسة والأهداف وبتحديد أكثر متعلقة بنتاج البرامج .
٣ - مؤشرات تحليلية متعلقة بالمتغيرات الإضافية لتفسير وشرح الظواهر الكامنة .
٤ - مؤشرات متعلقة بالتغير الاجتماعي ، خاصة تغيرات البنية الاجتماعية ، والقيم والمؤسسات الاجتماعية .

وسوف نعمد إلى استخدام أول مؤشرين لتقييم « الحالة الظاهرة » لجماعة المسلمين ، والمؤشرين الباقيين لتوصيف « الحالة الكامنة » للجماعة .

وقد تم الحصول على البيانات المستخدمة من مجلة « الهند المسلمة » وغيرها.[١٤]

الحالات الظاهـرة :

١ - يحتاج كل مجتمع إلى تأمين حفظ ونقل الثقافة . ومن وجهة نظر توظيفية ، يمكننا أن نسأل : ما هي وظيفة التعليم في المجتمع ككل ؟ وكما قال دوركهايم « لا يمكن للمجتمع أن يبقى إلا إذا كانت هناك درجة معقولة من التجانس بين أعضائه ، ويعمل التعليم على استمرار هذا التجانس ويثبت في عقل الطفل من البداية أوجه التشابه الجوهرية التي تتطلبها الحياة الجماعية » . ويدفع التعليم الفرد إلى استبطان قيم وتقاليد المجتمع . ويقدم المجتمع في نفس الوقت ، الأفراد المهرة الذين يحتاجهم المجتمع للعمل في الأنشطة المختلفة . وتقوم المدارس والكليات بوضوح بأداء هذا الدور كأدوات لحفظ ونقل الثقافة.[١٥] وسوف نقوم الآن بتقييم أحوال المسلمين الهنود من هذا المنطق .

بيانات الوضع التعليمي (١٦) للمسلمين:

إشارة إلى تسجيل أبنائهم في المدارس فإن البيانات تظهر انحداراً تدريجياً في نسبة أبناء المسلمين فيما يتعلق بالتعليم العالي . وبالنسبة للتعليم الأولى ، تم مسح ٤٥ منطقة في ١٢ ولاية كانت نسبة أبناء المسلمين فيها ١٢,٣٩٪ .

أما بالنسبة للتعليم الثانوي فقد تم مسح ٣٨ منطقة في ١١ ولاية وكانت نسبة المسلمين ١٠,٧٪ . وأظهرت نتائج امتحانات المدارس العليا في ٨ مناطق ما نسبته ٤٪ وأظهرت خمس مناطق ما نسبته ٢,٤٩٪ من مجمل أبناء المسلمين ، وذلك بالنسبة للصف الثاني عشر . وبالمثل بالنسبة لطلبة الهندسة حيث مثلوا ٣,٤١٪ في تسع جامعات بينما مثلت الكليات الطبية ما نسبته ٣,٤٤٪ . والصورة العامة توضح النسبة المرتفعة للتسرب بين الطلبة المسلمين . والأسباب عدة . وطبقاً لاحصائية جمعية حمدادر التعليمية ، هناك أربعة عشر سبباً ، من بينها «موقف اللامبالاة من قبل الأسر فيما يتعلق بتعليم الأبناء» ، والذي يأتي في أول القائمة .

ومن بين ٤٣٠ مدرسة يتم إدارتها بواسطة المسلمين ، تقوم ٣٧,٧٪ منها فقط بتزويد الطلبة بتعليم ديني . ومن المؤسف أيضاً أن عدد الكليات الإسلامية لا يتعدى ٦٨ كلية من مجموع كلي يصل إلى ٣٦٣٣ كلية أي ما نسبته ١,٩٪ من المجموع الكلي.[١٨]

المسلمون في العلم والتكنولوجيا :

الحقيقة أن وجود ٥ مسلمين فقط في الأكاديمية الهندية للعلوم يوضح تماماً تخلف المسلمين في العلوم والتكنولوجيا ، وحالهم بالنسبة للأكاديمية الوطنية للعلوم ليس بأحسن حالاً إذ لا تتعدى نسبتهم ١,٥٪ من عدد العاملين أو بعبارة أخرى ٧ فقط من مجموع ٤٧٠.

وتخلف المسلمين تعليمياً هو حقيقة لا جدال فيها . ولكن هذا ليس كل شيء ، فسياسة الحكومة وتنفيذ البرنامج بواسطة جهازها البيروقراطي أيضا يعوق تقدمهم. والمذكرة[١٩] التي قدمها إتحاد المؤسسات التعليمية للأقليات إلى اللجنة التي شكلتها الحكومة لدراسة مشاكل الأقليات تظهر بوضوح أن معاهد الدراسة التي تستعمل اللغة الأوردية تعاني من التعصب ضدها . والتمثيل الضعيف للغاية للمسلمين في لجان اعداد الكتب الدراسية هو سبب آخر للنفور ، لأن المسلمين يشعرون ، وهم على حق في ذلك ، أن العديد من الحقائق التاريخية والاجتماعية قد تم تشويهها وذلك لأسباب طائفية .

الوضع الاقتصادى :

هناك علاقة توظيفية بين التعليم والاقتصاد . ففي عصرنا هذا يقوم التعليم بإعطاء الناس الشهادات التي يحتاجونها لشغل الوظائف المختلفة ، ويستجيب لحاجة المجتمع . ولأن وضع المسلمين التعليمي هو وضع مزرٍ فإن وضع المسلمين الاقتصادى وضع مزرٍ هو الآخر .

وتوضح الدراسة التي قام بها جوبال كريشنا حول الأوضاع الاقتصادية للمسلمين أن ٥٧,١٪ من السكان المسلمين يدخلون في المجموعة الاقتصادية التي تحصل على دخل أقل من ٢٥٠ روبية ، وأن دخل ٢٩,٧٪ منهم يتراوح بين ٢٥١ روبية و ٧٠٠ روبية ، وأن ١٣٪ منهم هم فقط الذين يحصلون على دخل أعلى من ٧٠٠ روبية . وقد قام أيضا بتصنيف الوضع الوظيفي للمسلمين وغيرهم إلى خمسة أنواع . وتظهر النتائج أن ٣٢,٣٪ من المسلمين هم من الطبقة السفلى ، و ٢١,٦٪ من الطبقة المتوسطة ، و ١٧,٦٪ من الطبقة المتوسطة العليا ، و ٠٠,٧٪ فقط من الطبقة العليا . وهذا يكفى لتوضيح الوضع البائس الذى يعيش فيه مسلمو الهند .

وللحق فقد كان وضع المسلمين الاقتصادى البائس هذا هو السبب في كثير من التغييرات والتعديلات التي قامت بها الحكومة فيما يتعلق بنظم الضمان الاجتماعى وذلك بغرض مجاراة أوضاع المسلمين . ولكن جهاز تنفيذ السياسة نفسه هو جهاز غير عادل ، وقد نجح في إفساد كل محاولة لمعالجة وضع المسلمين . وهم غير مسموح لهم حتى بالفرص المتكافئة . وتعاملهم الإدارة المحلية معاملة امرأة الأب بسبب تعصبهم .

وحصول المسلمين على الخدمات بأنواعها المختلفة لا يكاد يصل إلى ٣٪ ، إذ يحصل المسلمون على ما نسبته ٤,٩٣٪ فقط وذلك بالنسبة لمجمل الأنواع المختلفة فى قطاع الخدمات على مستوى الولايات والحكومة المركزية . ويشير تقرير د . جوبال سينج[٢٠] « أن موظفي مكاتب العمل في المستويات الدنيا لا يقومون بأعمالهم بأمانة ويحاولون تثبيط همة الباحثين عن العمل إذا كان هؤلاء من الطبقات الفقيرة في الأقليات » . وهذا التعصب موجود على جميع المستويات . ونتيجة للتمثيل الضئيل جدا لأعضاء الأقليات وذلك في مجالس إدارة المؤسسات العامة والمالية والقطاع العام ، فإن سياسات التعيين لا تساعد الأقليات إطلاقا . وتشير البيانات أن هناك ١٩ عضوا في مجلس إدارة مصرف احتياط الهند ، وذلك بالإضافة إلى ١٩ عضوا في المجالس المحلية و ٢٧ موظفا رئيسيا . ومن كل هؤلاء لا يتعدى تمثيل المسلمين أكثر من اثنين أو ما نسبته ٣,٠٧٪ من العدد الكلى . وبالمثل فإن الإحصائيات المتعلقة بـ ١,٠٨٦ شركة عامة محدودة المسئولية . أن هناك ١٦٢ مديرًا مسلما فقط وذلك من مجموع ٩,٠٥٦ مديرا ، أو ما نسبته ١,٧٨٪ من العدد الكلي . ومن أصل سبع شركات تمت دراستها ، يتضح أن مديرى العموم المسلمين يشكلون ما نسبته ٠٠,٧٣٪ فقط من العدد الكلي[٢١] .

الإسكان والتخطيــط :

واقع الأمر هو أن المسلمين والمنبوذين – الذين يشكلون فقراء المجتمع – لا يستطيعون أن يستفيدوا من المميزات المتاحة لهم. «وبالنسبة لهم فالمدارس والمستشفيات ومراكز التدريب هي أشياء لا وجود لها. ولا توجد خطة محدودة لمساعدة هؤلاء الناس. وتحليل البيانات المتعلقة بالإسكان يظهر بوضوح أن أغلب أعضاء الأقليات وخاصة المسلمين لم يحصلوا على سكن في المراكز الحضرية . وتظهر إحصائية لـ ٢٢ منطقة في ٩ ولايات أن ٢,٨٦٪ فقط من عدد المساكن الكلي الذي شيدته الحكومة قد تم بيعه إلى المسلمين .

الدين والسلامة الشخصيــة :

في الهند لا يمر يوم إلا هناك نزاع دموى طائفي . وتوضح النتائج التي تم تجميعها على مدى ثلاثين عامًا مضت أنه على مدى ١٠,٩٥٠ يوم كانت هناك ٨,٩٤٠ حادثة من التصادمات الطائفية ، أو أن هناك احتمالا نسبته ٧٨,٪ أن يحدث هذا التصادم يوميا وفي أى جزء في أجزاء البلد ، سواء كان قرية صغيرة نائية أو مدينة كبرى . وعدد المسلمين الذين قتلوا في الفترة من ١٩٧١ م إلى ١٩٨٠ م يوضح أنهم يشكلون ما نسبته ٦٢,٦٥٪ من عدد القتلى الكلي . وتظهر هذه النتائج بوضوح أن جهاز الحكومة قد فشل في حماية أرواح المسلمين فشلا ذريعا . وكل ما تستطيع المحاكم أن تفعله هو أن تقدم تعويضا ذريا لأسرة القتيل . ويشير عدد التوترات الطائفية إلى انهيار النظام الاجتماعي في الهند . والشغب الطائفي هو في الغالب أمر يتم التخطيط له[٢١] والهدف من ذلك هو تحطيم اقتصاد المسلمين في الهند وتشويهه طيلة حياتهم . وقد ازداد تعرض التجار المسلمين للهجمات ، وخاصة في الأماكن التي يتنافسون فيها مع نظرائهم الهندوكيين.[٢٢] وهناك سبب آخر يشير إليه البروفسور امتياز أحمد وهو يرجع إلى أن ارتفاع أسعار الأراضي في المدن الكبيرة يعد عاملا مشجعا للقيام بوضع اليد عليها بصورة غير قانونية ، وهي أرض في معظمها إما ملكية حكومية أو مخصصة لأغراض دينية.[٢٣]

والواقع أن اللوم لا يقع فقط على الأفراد ولكن على الجهاز الحكومي بأكمله لسلوكه غير المسئول بالمرة . وتوضح إحصائية عن المساجد والمقابر فى البنجاب وهاريانا أنه من أصل ١١,٧٦٦ مسجدا يوجد ٩,٦٢٠ مسجدا تم الاستيلاء عليها بطريقة غير قانونية ، وهو ما يشكل ٨١,٧٦٪ من العدد الكلي . ونفس الحال بالنسبة للمقابر إذ أن هناك ٥٠٩٦ مقبرة تم تأجيرها من أصل ١٢,٥٥٦ مقبرة أى ما نسبته ٤٠,٣٦٪ ويبلغ عدد المساجد الكلي الواقع تحت سيطرة الأثار كما جاءت إحصائية الهند ٢٦٥ مسجدا في ١٧ ولاية . كما يتم حرمان المسلمين من حقهم في ممارسة شعائرهم الدينية وذلك بطرق مختلفة . وهناك جدل طويل حول « قانون الأحوال الشخصية للمسلمين » حيث تتعارض باستمرار بنود الدستور التي تنص على حرية العقيدة مع

غيرها . وباستمرار يتم القول عمدا إنه لا يجوز السماح للمسلمين بأن يعيشوا وفق قوانين الشريعة ، وإن عليهم أن يظهروا ولاءهم للدستور الهندى .

وأكثر من ذلك ، فقد أصبح المسلمون الآن موضع ريبة إذ يعمد من لهم مصلحة دائما إلى التنقيب عن ارتباطات بين زعمائهم ومؤسساتهم وبين جهات أجنبية . ويذكر جوبال سينج في تقريره : إنه عندما يتقدم المسلمون إلى الوظائف الحكومية تتم مطالبتهم بشهادات جنسية .

ومن تحليل البيانات السابقة يمكن للفرد أن يتفهم وضع المسلمين البائس والإجراءات العديدة ضدهم والتي قامت بها الحكومة ولم يكتب لها النجاح .

وإذا طبقنا خصائص « الجماعة الصالحة »[٢٤] التي تشكل : (١) تعليما عصريا لكل طفل وبالغ ، في مدارس ذات بنيان صالح تم إعدادها جيدا ولا تزدحم بالأفراد ويقوم على التدريس فيها طاقم من المدرسين تم إعداده وتأهيله تأهيلا عاليا ويأخذون رواتب جيدة ، (٢) وسكن لائق لكل أسرة ، وحركة دائبة للتخطيط والعمل على ترقية المناطق السكنية ، (٣) وفرصة كاملة للتعبير الديني حسب رغبة كل فرد ، ودور عبادة قوية يتم تدعيمها تدعيما قويًا ، (٤) أناس من أجناس مختلفة ، وأديان مختلفة وجنسيات مختلفة يتوفر لهم تكافؤ الفرص في التعيين في الوظائف ولأخذ دور نشط في حياة المجتمع ، ويجرى العمل على تجنب الظلم والتمييز للحفاظ على التوتر في أدنى حالة ، (٥) وظائف جيدة متوافرة ... الخ لصالح جماعة المسلمين في الهند فإن كل ذلك يوضح ليس فقط الأداء السيىء للمجتمع ولكن أيضا التخطيط المعدم وغير الكافي من جانب الحكومة .

الحالات الكامنـة :

تنقسم جماعة المسلمين في الهند إلى فرق وطوائف وملل ونحل ، من شيعة وسنة ، وجماعة إسلامية ، وجماعة تبليغ ، وديوباندى ، وباريلفي ، وفوهرا ، وميمون ، وغير ذلك من التقليديين ، إلى غيرهم من العلمانيين ، والوطنيين ، والمحدثين ، والمعتدلين ، إلى آخر القائمة . ويقال في الهند إن المسلمين هم الجماعة التى تعى ذاتها ، ولكن ذلك القول ينتفي عندما نرى أن مجموعات المسلمين هذه فى حالة حرب ضد بعضها البعض .

ويؤدى فقدان الوعي الجماعي إلى فقدان الرابطة بين الأعضاء والجماعة ككل ، وهو ما يمكن أن يعطى هدفا مشتركا وينظم احتياجات وتطلعات الأفراد . ولقد عمل فقدان الرابطة الاجتماعية هذا على تفتيت أعضاء الجماعة ، وخلق نوعا من الفوضى الاجتماعية . والحق أنه لا يوجد سوى وعى طائفي أو وعى بالانتماء الضيق وهو ما أدى إلى تفتت المجتمع المسلم ، وغياب التضامن الاجتماعى بين أفراده . وفي نفس الوقت فقد أدت المصالح الطائفية الضيقة إلى نشوء طبقة من الزعامة المنافقة صارت لها مصلحة في استغلال الجماعة ككل . وتوجد الزعامة التقليدية هذه في شكل « طبقة العلماء الدينيين العلمانيين » ، وتمثل مدارس متعددة ، كما أن الزعامة الحديثة في

شكلها الهرمي التقليدى ، أدت إلى أن تكره كل نحلة النحلة الأخرى . وقد أدى تفتت الجماعة هذا إلى تمهيد الطريق أمام اختراق القيم الأجنبية للنسيج الاجتماعي للمجتمعات الإسلامية . وفي بعض الأحيان يتم استعارة هذه القيم الأجنبية عمدا لإظهار أن نحلة ما تختلف عن نحلة أخرى .

ولقد كان للاحتكاك الهندوكي الطويل بالبريطانيين وبالأفكار الغربية أثره فى خلق تغييرات اجتماعية في القيم المؤسساتية وفى هيكل المجتمع . وأحيانا تكون تأثيرات هذه القيم الأجنبية مدمرة إلى درجة تجعل من الصعب التعرف على النظام الاجتماعي الإسلامي .

وتحت تأثير الثقافة الهندوكية « فقد تسرب التدرج الهرمي في المكانة الاجتماعية إلى الهيكل الاجتماعي للإسلام متخذا كنموذج له نفس النموذج الهندوكي . »[٢٥] وبسبب هذا التدرج الهرمي في المجتمعات الإسلامية ، يوجد طبقة من الأشراف ذوى المكانة الاجتماعية السامية ، كما يوجد ممن اعتنقوا الإسلام من بين الطبقات الدنيا الهندوكية عند سفح الهرم الاجتماعي » ، ونتيجة لهذه العملية ظهر التوافق الثقافي والتنوع الثقافي » .[٢٦] ، وقد كان حتميا أن يتسرب هذا التدرج الطبقى[٢٧] الخاص بالطوائف الهندوكية إلى النظام الاجتماعى الإسلامى، وسرعان ما تبع ذلك ظاهرة أخرى هو أن الطبقات العليا المسلمة أصبحت هي المعيار أو النموذج الذى يحتذى به »[٢٨] ويرجع فقدان سهولة التحرك اجتماعيا إلى حد كبير إلى طبيعة نظام المجتمع الإسلامى . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد مارس المسلمون على مدى القرون عادات وتقاليد مبنية على النمط الهندوكي .[٢٩]

وقد أدى هذا التقسيم الهرمي إلى نمو مصالح وزعامات طائفية مختلفة ، وقد ساعدت الحركات الإحيائية خلال فترة الحكم البريطاني وبعد الاستقلال على زيادة الطبيعة الطائفية وتفتيت المجتمعات الإسلامية . ولهذه الأسباب يفتقد المسلمون في الهند الزعامة ولا يوجد زعيم واحد تنطبق عليه المعايير الأربعة لزعامة الجماعة[٣٠] ، وهي الشرعية ، والتبصر ، والنفوذ ، والرضا . وتظهر الطبيعة الطائفية للزعامة الإسلامية في قضية « قانون الأحوال الشخصية » التى ظهرت فيها ثلاثة مواقف متباينة ، الإلغاء ، والإصلاح ، والمحافظة . ويطالب العلمانيون بالإلغاء ، بينما يطالب الوطنيون بالإصلاح ، على حين يطالب السلفيون بالمحافظة.[٣١]

ومع ذلك فهناك بصيص من الأمل ، فرواد الحركة الإحيائية يحاولون جعل الجماعة الإسلامية في الهند إسلامية حقا ، وهناك محاولات لخلق وعي بالجماعة وذلك بغرض إخراج المسلمين من عزلتهم .

الختـــام :

يقول ماكسوبر أن «البشر يحتاجون إلى كون ذا معنى» (٣٢) وبسبب المهانة المستمرة والانكسار الموجود في كل مكان ، يبدو أنه فات على المسلمين مغزى هذه المقولة الهامة . فمن ناحية ، فقد المسلمون الثقة بالنفس والقدرة على العمل وانطووا على

أنفسهم وصاروا غرباء عن الأمة . ومن ناحية أخرى ، ولأسباب تاريخية ، فقد حاولت النخبة التي تعلمت تعليماً غربياً وصارت لها نظرة علمانية ، حاولت أن تندمج في تيار الأمة فاقدة بذلك هديها . والآن ، وبعد أن اكتمل تغريبهم صارت هذه النخبة بعيدة تماماً عن أصولها الإسلامية » (٣٣) .

وليس هناك شك البتة ، أن أساس مرض الأمة إنما هو النظام التعليمي السائد . وهو الأرض التي يرتع فيها المرض . ويبدأ الاغتراب عن الإسلام وأسلوبه وتراثه في المدارس وهناك يولد ويترعرع» (٣٤).

والتعليم الموجود الآن هو تعليم قائم على النموذج الغربي. «ولا يمكن فصل المعرفة عن النظرة للعالم وعن نظام المعتقدات الذي توجد أصولها به» (٣٥). ونظام المعرفة الغربي والنمط التعليمي ذو عناصر وقيم غربية في جوهره ، في حين تختلف قيم المجتمع الإسلامي عن قيم الغرب . وروح النظام التعليمي الغربي لا يمكن تقليدها لمجرد تطبيق النمط الغربي .

بالاضافة إلى ذلك فالمسلمون الهنود عاطفيون ولهم ارتباط قوي واحساس بالانتماء إلى الأمة الإسلامية . ولهذا السبب يقال إنه لا إحساس لديهم بالوطنية . ولقد عبروا عن شعورهم هذا المرة تلو الأخرى كلما حلت مشكلة على عاتق الأمة . واحراق المسجد الأقصى وأعمال العنف التي جرت في أحمد أباد مثال على ذلك . لكنهم لا يجدون دعم الأمة في أوقات أزماتهم . وهم يشعرون بالنقص الاجتماعي في هذا البلد ، وهو شعور يؤكده الوضع المتردي باستمرار للعالم الإسلامي . وعندما تكون حضارة ما ذات أسس قوية فإن أعضاءها يستمدون الدعم الخلقي والنفسي والمادي في كافة أرجاء العالم . أما أعضاء أي حضارة هابطة فعليهم مواجهة الهوان .

وحل مشاكل المسلمين في الهند غير محدودة بمكان جغرافي . إنما يجب التركيز على توسيع مدى النظرة الإسلامية للعالم . والإسلام يسبغ منظوراً متعدد الأبعاد على كل مجهود انساني . «وعلينا أن نبحث عن منظور إسلامي لكل نظرة للعالم وأن نبني بناءً ثقافياً نستطيع أن نشيد عليه بناءً قوياً لمستقبلنا» (٣٦). وأيضاً نحن نحتاج إلى بناء، وأحياناً إلى إعادة بناء مؤسساتنا ، كما نحتاج للبحث عن حلول لمشاكلنا تنبع من ذواتنا» (٣٧).

وأخيرا يمكن اقتراح ما يلي :

يتحم على الهنود المسلمين أن يتخذوا منهاجين متميزين: أحدهما يتوجهون به إلى العالم، والآخر يتوجهون به إلى أنفسهم .

١ ـ بالنسبة لمواجهة المشاكل التي تختص ببقعتهم من العالم ، يتحتم عليهم أن يؤسسوا «بنك معلومات» خاص بهم يمكنهم من الحصول على صورة واضحة عن وضع جماعة المسلمين .

٢ ـ لابد من خلق تيار من الوعي يوحد المسلمين في نقطة محددة . وهو ما يمكن التوصل إليه عن طريق إعطائهم أهدافاً قريبة ذات فائدة عملية . وهذه الأهداف يجب أن تكون بدورها جزءاً مؤدياً إلى هدف آخر واضح .

NOTES

1. **B.B. Mishra, The indian Middle Class,** (Bombay, Oxford University Press, 1960) p. 387.

2. A. Yusuf Ali, "Muslim Culture and Religious Thought" (ed.) L.S.S.O'Mally, **Modern India and the West.** (London, Oxford University Press, 1941), p. 391.

3. Yogendra Singh, **Modernization of Indian Tradition,** (Delhi, Thompson Press, (India) Limited, 1973, p. 71.

4. Ibid, p. 72.

5. Louis Dumout, **"Nationalism and Communalism",** contribution to **Indian Sociology,** (No. 7, March 1964) p. 63.

6. S. Abid Hussain, **The National Culture of India,** (Bombay, Asia Publishing House, 1961) p. 173.

7. Ibid, p. 173. There are various other examples which show ever present biasness in Congress people. For example, see, Hiren Mukherjee, **"Muslim in india's freedom struggle", Indian Journal of Politics,** Vol. 4, No. 1-2, Jan.-Dec. 1970, p. 45.

8. M.R.A. Baig, **The Muslim Dilemma in India,** (Delhi, Vikas Publishing House, 1974).

9. Yogendra Singh, op. cit. p. 72.

10. Theodore P. Wright Jr. "The Muslim Personal Law Issue in India: An Outsider's View", **Indian Journal of Politics,** Vol. 4, No. 1-2, Jan.-Dec. 1970, p. 70.

11. Bruno Jobert, "The Testing of the Alternative Two Major Innovations in Indian Social Policy", **Social Science Information,** Vol. 23, No. 6, 1984, p. 922.

12. Robert E. Cole, "Functional Alternative and Economic Development: An Empirical Example of Permanent Employment in Japan", **American Sociological Review,** Vol. 38, August 1973, p. 426.

13. Nancy Baster, **The Use of Socio-Economic Indicators in Development Planning,** (UNESCO, 1976), p. 13.

14. At present no data as to language, education, economic status and occupation of minorities is tabulated separately even if this is recorded in the census operation. Government of India has promised to bringout the report on the above classifications in 1985. It is not yet available. **The Journal "Muslim India"** has rendered a great service in reproducing data on Muslims from various sources.

15. Stephen Cotgrove, **The Science of Society,** (London, George Allen and Unwin Ltd. 1962) p. 68.

16. Reproduced in **"Muslim India",** Vol. 2, No. 13, Jan. 1984, p. 34.

17. S. Shamim shah, **Educational Survey Report on Muslim-managed Schools and Colleges in India,** (Delhi, Hamdard Educational Society, 1982-83), p. 70.
18. C.A. Abdussalam, "Socio-Economic Problems of Muslims of India", **The Muslim World League Journal,** (Makkah, Sept. 1984), p. 72.
19. **Muslim India,** Vol. 2, No. 21, Sept. 1984, p. 430-431.
20. Government of India established a High power Panel under the chairmanship of Dr. Gopal Singh to report on the condition of minorities in India. The panel Submitted its preliminary report in Jan. 1981 and its final report on minorities in June 1983.
21. Imtiaz Ahmad, "Political Economy of Communalism in Contem-India", **Economic and Political Weekly,** June 2-9, 1984, p. 30.
22. Ibid, p. 30.
23. Ibid, p. 31.
24. I have selected few relevant criteria from "Community Rating Schedule" prepared by New York State Citizens' Council, reprinted in, Delbert C. Miller, **Hand Book of Research Design and Social Measurement,** (New York, Longman, 1983) p. 395-396.
25. Yongendra Singh, Op. cit. p. 80.
26. Ibid, p. 74.
27. Anumber of researchers have been conducted on this subject, the most important among them is, Imtiaz Ahmad (ed.) **Caste and Social Stratification Among the Muslim,** (Delhi, Manohar Book Service, 1973)
28. Yogendra Singh, op cit. p. 75.
29. Best illustrated work on the subject is Imtiaz Ahmad (ed.) **Family Kinship and Marriage Among Muslims in India,** (Delhi, Manohar Books, 1976.)
30. Charles, M. Bonjean and David M. Olsen, Community Leadership: Directors of Research, Administrative Science Quarterly, 1964, 9 Dec., p. 278-300.
31. Theodore, P. Wright Jr. Op. cit, p. 72.
32. Maxweber, From Maxweber: **Essays in Sociology,** (New York, Free Press, 1946), p. 281.
33. Ismail Raji Al-Farooqi, **Islamization of Knowledge: General Priniciples and Work Plan,** (Washington International Institute of Islamic Thought, 1982) p. 4.
34. Ibid, p. 5.
35. Ziauddin Sardar, **"Islamization of Knowledge or Westernization of Islam?" Inquiry,** Vol. 1, No. 7, December 1984, p. 40.
36. Ziauddin Sardar, **Is there an Islamic Resurgence?** Afkar, Vol. 1, No. 1, June 1984, p. 39.
37. Ibid, p. 39.

قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند المشكلات والتحديات

في. عبد الكبير



قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند المشكلات والتحديات

في. عبد الكبير

إن قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند جزء من الكيان الاجتماعي والثقافي للهنود المسلمين ، فخلال السنوات القليلة الماضية ثارت مناقشات حامية عن مزايا ونقائص هذا القانون .

ويعتمد هذا القانون على المرسوم الخاص بالشريعة الصادر عام ١٩٣٧ وعلى المرسوم الخاص بطلاق المسلمين الصادر عام ١٩٣٩ ، وعلى المرسوم الخاص بالأوقاف الصادر عام ١٩٥٤ ، وهو على ذلك قانون غير محدد الشكل وهناك ثلاث مدارس فكرية تجاه قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، والمدرسة الفكرية الأولى ترى إلغاء قوانين الأحوال الشخصية وإحلال قانون مدني عام محلها أما مجموعة المدرسة الفكرية الثانية فمن رأيها عمل إصلاحات أساسية فيه ، والمجموعة الثالثة وهي تتكون من علماء المسلمين المعتدلين الذين يعترفون بوجود بعض المساوئ في القانون الحالي ، ويودون عمل بعض الإصلاحات فيه لكي يصبح قابلا للتطبيق في الهند دون الابتعاد عن الإطار الإسلامى العام ، وفي هذا البحث نوقشت كل وجهة نظر تفصيلا .

الخلفية التاريخية لقانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهنـد

ربما لا توجد قضية أخرى تمس أوضاع الهنود المسلمين وتتميز بقدر كبير من الانفعال العاطفي مثل قانون الأحوال الشخصية للمسلمين . ولأسباب تاريخية ، فقد أحس المسلمون إحساسًا كبيرًا بضرورة عدم تدخل الحكومات فيما يعتبرونه أمرا من أمور الدين . والواقع أن قانون الأحوال الشخصية للمسلمين يعتبر جزءًا لا يتجزأ من كيانهم الاجتماعي والثقافي . وخلال الحكم البريطاني عندما تم تعديل القانون الهندى عن طريق تشريعات رسمية بناء على طلب المصلحين الاجتماعيين الهندوس لم يرغب المسلمون في أن تقوم الحكومة البريطانية بالتشريع لطائفتهم . وبذلوا جهودا منظمة لضمان حماية قانون الأحوال الشخصية الخاص بهم عن طريق ضمانات دستورية في شكل قوانين حكومية هندية صدرت في أعوام ١٩١٥ و ١٩٣٥ ولم يكن الذين شاركوا في هذه الجهود هم قادة الرابطة الإسلامية وجمعية علماء الهند وحدهم ، بل شارك في هذه الجهود أعضاء الكونجرس (المؤتمر) أيضا .

وبعد الاستقلال عندما تم عمل مشروع الدستور قام الأعضاء المسلمون من أمثال محمد إسماعيل والسيد / محمد سيد كال الدين بمحاولة الحصول على حماية شرعية لقانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، وقد شعروا بالقلق تجاه المادة ٤٤ من الدستور التي تقول بأن « الدولة تعمل على أن تصدر للمواطنين قانونا مدنيا موحدا يسرى على كل أنحاء الهند » غير أن المرحوم الدكتور أمبدكار أكد بأن الدولة إنما تطالب بأن يكون لها « السلطة التشريعية » وليس ذلك إلزاما بأن تلغي قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، وقد اختتم حديثه بالملاحظة التالية « لا يمكن لحكومة أن تمارس سلطتها بطريقة تثير الجالية الإسلامية وتدفعهم إلى التمرد ، وأعتقد أنه لا يمكن إلا لحكومة مجنونة أن تفعل هذا . غير أن ذلك أمر يتعلق بممارسة السلطة ولا يتعلق بالسلطة نفسها »[١]

وخلال الأربعة عشر عاما الأولى من العهد الجمهورى اتبعت الحكومة الاتحادية للهند سياسة عدم التدخل في قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، وعندما ثار الجدل حول مشروع قانون

الهندوس في البرلمان في الخمسينات رفض جواهر لال نهرو الطلب الذي تقدمت به بعض الجهات لتعديل قانون الأحوال الشخصية للمسلمين .

وفي عام ١٩٦٣ بذلت محاولة في البرلمان لتنفيذ الالتزام الخاص بالمادة ٤٤ . وعلى أية حال ففي فترة قليلة من الزمن أهملت هذه المحاولة اعتبارا لمشاعر الأقلية المسلمة والتى عبر عنها في البرلمان في ذلك الوقت نائب الرئيس الدكتور زاكر حسين .[٢]

وقد شهدت السبعينات قدرًا كبيرًا من الجدل والمناقشة داخل الطائفة الإسلامية وخارجها حول موضوع قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، وفي ديسمبر من عام ١٩٧١ تم عقد مؤتمر للنساء المسلمات في مهارشترا وقام بتنظيمه جمعية مسلمى ساثيا شوداك ماندال التي تم إنشاؤها قبل ذلك في بون (في مارس ١٩٧٠) بواسطة بعض المسلمين المعتدلين بقيادة بابوهاي باندويل وحميد دلوي (ومن الغريب أنه قد تم إحراق جثة السيد دلوي حسب وصيته والتي ذكر فيها أيضا أنه لا يؤمن بأي دين) وقد قام عساف فايزي بافتتاح المؤتمر الذي أصدر قراراته بالمطالبة بإصلاح قانون الأحوال الشخصية للمسلمين بحيث يؤدى هذا الإصلاح إلى قانون مدني موحد . وفي الشهور التي تلت ذلك قامت موجة صاخبة من الاجتماعات الاحتجاجية قادتها نساء مسلمات متحمسات ، نظمت معظمها الجماعة الإسلامية ، وقد عقدت هذه الاجتماعات في كل مدن الهند الهامة خلال السنوات ١٩٧٢ — ١٩٧٣ وكانت آراء المسلمين في هذه التجمعات تعارض بشدة إجراء أى تعديلات في قانون الأحوال الشخصية وتطالب الحكومة بأن تتخلى عن هذا الاتجاه .

وفي يناير من عام ١٩٧٣ أقام معهد الحقوق الهندي ندوة في مدينة نيودلهي عن « قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند الحديثة » وشارك فيها عدد من المحامين ومدرسي القانون والقضاة وممثل عن جمعية العلماء وعن الجماعة الإسلامية بالإضافة إلى العالم الإسلامي المعروف الشيخ سيد أحمد أكبر أبادي . توصل المؤتمر بالإجماع في ضوء مطالبة الجهات العلمانية بتعديل قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لإصدار قانون مدني موحد ، إلا أن هناك حاجة ماسة لعمل بعض الإصلاحات في قانون الأحوال الشخصية للمسلمين الذي يطبق في محاكم الهند وأنه يمكن حل كل المشكلات بسهولة عن طريق النصوص الإسلامية وبمساعدتها .

وعقب ندوة معهد الحقوق ، تم عقد اجتماع للعلماء في دار العلوم في ديوبوند لمناقشة المداولات التي دارت في الندوة السابقة . وفي نهاية الاجتماع تكونت لجنة من العلماء لاتخاذ الترتيبات اللازمة لعقد مؤتمر كبير عن قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في بومباي في نهاية العام . وقد عقد مؤتمر الشريعة في ديسمبر عام ١٩٧٢ وحضره العلماء والمحامون والقضاه والسياسيون وعلماء

الطبيعة ورجال الأعمال وكثير غيرهم ، وكان القرار الذي اتخذ بالإجماع في المؤتمر قد دفع الحكومة إلى ألا تتدخل بشكل مباشر في قانون الأحوال الشخصية للمسلمين . وقد تم أيضا تشكيل مجلس قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند واختير رئيسه السيد قاري طيب عميد دار العلوم في ديوبوند (ويرأس المجلس حاليا الشيخ أبو الحسن علي الندوي . وللمجلس تمثيل كبير في كل منظمات المسلمين من السنة والشيعة وهدف المجلس الرئيسي حماية أحكام الشريعة بمعارضته المطالبة بإصلاح قانون الأحوال الشخصية للمسلمين عن طريق التشريع أو خلافه والعمل على إزالة النصوص غير الإسلامية من القوانين الحالية التي تطبق على المسلمين أو لها تأثير عليهم .

وهناك ثلاث مدارس فكرية رئيسية داخل الطائفة الإسلامية وخارجها وذلك فيما يتعلق بقانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، وترى واحدة من تلك المدارس أن يتم الإلغاء التام لقانون الأحوال الشخصية للمسلمين والإتيان بقانون مدني موحد ينفذ الالتزام الخاص بالمادة ٤٤ من الدستور . والمدرسة الثانية التي تتكون من المسلمين المعاصرين ذوي الاتجاهات العلمانية الشديدة أنه ينبغي عمل إصلاحات أساسية في قانون الأحوال الشخصية وهم يؤيدون فكرة إلغاء تعدد الزوجات ووضع قيود شديدة على الطلاق وهناك مدرسة ثالثة تضم بعض المسلمين المعتدلين ومعهم بعض العلماء التقليديين المرموقين مثل الشيخ سيد أحمد أكبر أبادي وهم يقرون بوجود بعض المساوئ في قانون الأحوال الشخصية الحالي للمسلمين ويؤيدون فكرة عمل التعديلات الضرورية فيه بحيث يكون قابلا للتطبيق في الهند دون الخروج على الإطار الإسلامي العام . وفي اجتماع الشريعة الذى عقد في بومباى عام ١٩٧٢ قام بعض علماء الجماعة الإسلامية وجمعية أهل الحديث السلفية بإبداء رغبتهم في أن يتخذ المؤتمر قرارات خاصة بشأن تلك الجوانب الموجودة في قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند والتي تحتاج إلى إعادة نظر وأن يقوم علماء المدارس المختلفة لقانون الأحوال الشخصية ببذل الجهود لعمل اللازم عن طريق الاجتهاد . غير أن غالبية المشاركين أصروا على أنه إذا ما اتخذ مثل هذا القرار فإن المعاصرين سيعتبرونه اعترافا من قبل المجتمعين بجواز عمل الإصلاحات ، وعلى ذلك تم سحب هذا الاقتراح .[٣] ومما يجدر ملاحظته أن الجدل حول قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لا زال قائما في الأوساط والمنابر الاجتماعية – السياسية في كل أنحاء الهند ، وقرب نهاية عام ١٩٨٤ قام السيد / اي . ام . اس نامبوودر يباد السكرتير العام للحزب الشيوعي في الهند (وهو الحزب الماركسي) بشن هجوم خانق على الشريعة على المستوى السياسي ، ومرة أخرى تركز الاهتمام العام على موضوع قانون الأحوال الشخصية ، وفي غضون ذلك قدمت سيدة اسمها شاهناز شيخ دعوى أمام المحكمة ولا زالت الدعوى أمام المحكمة حتى اليوم . ومن خلال هذا الإطار سيتم تحليل قانون الأحوال الشخصية في الهند كما سيتم عمل مسح انتقادي للآراء والمقترحات العديدة المتعلقة بذلك .

طبيعة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين :

إن قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند مجموعة من القوانين المتعلقة بأحكام الزواج والطلاق والعدة والمهر والحضانة والوراثة وحقوق الملكية للمرأة والهبة والوقف وقد وضعت جميعها في مجال محدود من الشريعة الإسلامية . وهو لا يشمل القانون الجنائي أو قانون العقود وخلافه . وقانون الأحوال الشخصية مستمد من قانون الأحوال الشخصية لعام ١٩٣٧ ومن قانون طلاق المسلمين لعام ١٩٣٩ وقانون الأوقاف لعام ١٩٥٤ الذي أصدرته الحكومة المركزية ، وعلى ذلك فإن هذه القوانين وأحكام المحاكم الصادرة بناء على هذه القوانين بالإضافة إلى أجزاء مأخوذة من كتب **الفقه** هي التي تشكل قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند. وإن قانون الشريعة لعام ١٩٣٧ ما هو إلا تشريع بسيط يحتوي على ست مواد، المادة الثانية منها هي التي لها علاقة بالموضوع . أما المادة الثالثة فهى إقرار لازم لتطبيق المادة الثانية ، والمادة الرابعة تخول السلطة فى الأقاليم بصياغة قواعد وفقا للقانون ، والمادة الخامسة المتعلقة بالطلاق أصبحت لاغية وباطلة بإصدار قانون طلاق المسلمين لعام ١٩٣٩ ، أما المادة السادسة فتعطى الحق بإلغاء بعض الأوامر الحكومية السارية في إقليمي بومباي والبنجاب .

ومما هو جدير بالذكر أن نلاحظ أن المادة الثانية تقرر بأنه عندما يتنازع المسلمون حول الإرث والزواج والإيلاء **والظهار واللعان والخلع والمبارءة والطلاق والإعالة والمهر والوصاية والهبة والوقف** ، فإنهم يخضعون في ذلك لقانون الأحوال الشخصية . وكل مواد التشريع هذه تشكل نصا عاما ولا تتعرض للتفاصيل . والأحكام التي تصدر تعتمد على كتب الفقه وعلى المراسيم السابقة التي صدرت عقب مناقشات وحوارات . أما كتب الفقه التي تسير عليها المحاكم لهذا الغرض فهى كتاب « الهداية » تأليف العالم الحنفي الشيخ برهان الدين على وكتاب « شريعة الإسلام » تأليف العالم الشيعي نجم الدين حلى (١٢٠٥ – ١٢٧٧ م) (وقد ترجم هاملتون الكتابين إلى اللغة الانجليزية) وكتاب **فتوى العنقرية** تأليف الشيخ نظام بهارابنوري وأربعة آخرين اشتركوا معه في تأليفه (وقد قام بيلي بترجمته) وكتاب المنهاج للإمام النووي ، ويجب على المحاكم ألا تتعدى حدود هذه الكتب . ولو حدث وثبت أن هذه الكتب تتعارض مع نص آية قرآنية أو حديث فلم يكن للمحاكم قبول هذه النصوص ، وكان حكم المحكمة الأولية يصدر أحكامه على أساس أن « المحاكم لا يمكن أن تحكم اعتمادا على نصوص من القرآن .. بل يجب على المحاكم أن تصدر أحكامها وفقا لتفسير **الهداية** ووفقا لما جاء فى كتاب بيلي « الإمامية » .[٤]

وقد سادت أعراف كثيرة تخالف الشريعة وذلك بين الخوجا والكاتشي ميمان والهلاي ميمان والسنيين في كوجرات ومابيلاس في إقليم مالابار ، فعلى سبيل المثال ، الخوجا عندهم لا تتمتع الابنة أو الأرملة بحقوق الملكية ولنسائهم الحق في الإعالة فقط ، أما المابيلا والمالابار فلديهم قانون

للتوارث يشبه قانون الميراث الأمومي الهندوسي الذي يرجع فيه النسب والوراثة إلى الأم . لقد كان قانون الشريعة الذي أصدرته الحكومة البريطانية عام ١٩٣٧ تحت ضغط جمعية العلماء في الهند وغيرهم – هذا القانون هو الذي وضع نهاية لمثل تلك النصوص ومهد الطريق للعودة إلى القانون الإسلامي الصحيح في مثل هذه الأمور ، وعلى أية حال فإذا كانت مواد الشريعة – بعكس الأعراف المحلية – ستفيد المسلم في هبة أو في إرث بوصية فعليه أن يكتب بيانا بذلك قبل أن تقوم السلطات أو حكومات الولايات المعنية بصياغة قواعد بهذا الشأن بموجب المادة الرابعة من القانون ، وفي كيرالا قامت الجمعية التشريعية في عام ١٩٦٢ بتعديل قانون مابيلا ماروماكاتهاي لعام ١٩٣٩ ، وهكذا فبصدور هذا القانون فإن أملاك هؤلاء الذين توفوا بعد ٣ سبتمبر من عام ١٩٦٢ أصبحت تورث للورثة حسب ما تقرره الشريعة ويكفي أن نقول إن الأساليب الإقليمية والأعراف المحلية لازالت تحتل مكانا في قانون الأحوال الشخصية للمسلمين .

ويمكن استخلاص ما يلي من الحقائق المذكورة بأعلاه :

١ – لقد تأسس قانون الأحوال الشخصية للمسلمين إلى حد كبير على كتب الفقه القديمة ، ومن الخطأ أن نضفي على الشريعة من جانب وعلى الفقه من جانب آخر نفس المكانة والأهمية ، فالفقه مشروط بعوامل متباينة من الزمان والمكان ، كما أنه مشروط بالعامل البشري ، وللشهيد سيد قطب ملاحظات هامة حول الفرق الرئيسي بين الشريعة **والفقه** ، (٥)

٢ – بالإضافة إلى كتب الفقه المذكورة ، فإن أحكام المحاكم المدنية تصبح أيضا جزءًا من قانون الأحوال الشخصية للمسلمين .

٣ – رغم أن قانون الشريعة يقرر بشكل عام أن المحاكم سوف تحكم وفقا للشريعة عندما يكون الخصمان من المسلمين ، فإن القانون لا يحتوي على مجموعة محددة من القواعد .

٤ – لم يتم إزالة المكانة التي تتمتع بها الأعراف الاجتماعية في قانون الأحوال الشخصية للمسلمين .

وبعد أن نأخذ هذه الحقائق في اعتبارنا فلنفكر في موضوع الحاجة إلى عمل إصلاحات في قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، فكما سبق أن أشرنا من قبل هناك مدرستان فكريتان حول هذه القضية ، الأولى تريد فرض قانون موحد لكل الطوائف بما في ذلك المسلمين ، والثانية تريد إحداث إصلاحات في قانون الأحوال الشخصية للمسلمين وفقا لمقتضيات الزمان .

حجة القانون المدني العام :

« **ليس** ذلك بالأمر السليم أن يخضع المواطن في دولة علمانية لقوانين دينية » فالحكومة ملزمة وفقا لمقتضيات المادة ٤٤ من الدستور أن تضع قانونا مدنيا موحدا لقوانين الأسرة بموجب الأنظمة السارية ، وهذه هي الحجة التي يسوقها أنصار القانون المدني الموحد .

وينبغي أن نشير إلى أن الدستور يحتوي على ١٤ مبدأ توجيهيا ، والمبدأ التوجيهي الخاص بالقانون المدني الموحد هو واحد منها ، أما المبادئ الأخرى فهي شديدة الاتساع بحيث تشمل أجورا متساوية للوظائف المتساوية وتقديم المساعدة للعاطلين عن العمل ، والطاعنين في السن وذوى الإعاقة البدنية والمرض كما تشمل هذه المبادئ التعليم الإجبارى للأطفال تحت سن ١٤ سنة وتمتد هذه المبادئ لتشمل المحرمات . ومعظم هذه المبادئ لم تخرج إلى حيز التنفيذ ومعظمها لها صلة مباشرة بالحياة اليومية . وبالنسبة لموضوع المحرمات ، فمعظم الولايات قد نقضت موقفها بعد محاولات أولية . وعلى مؤيدى القانون المدني العام أن يقرروا ما إذا كان ذلك القانون أكثر أهمية وإلحاحا من البنود الأخرى .

وقد سبق أن ذكرنا من قبل أنه في الوقت الذي كان يتم خلاله صياغة الدستور ، فإن رئيس المجلس المخول إليه سلطة وضع الدستور وهو الدكتور أمبدكار قد أعطى ضمانا للمسلمين بأن الحكومة لن تتدخل في قانون الأحوال الشخصية الخاص بهم بدون إجماع من طائفتهم ، وقد تم إعطاء هذا الضمان في الوقت الذي كان النقاش فيه يدور حول القانون المدني العام وأن إصدار قانون مدني عام يعتبر أمرا مناقضا للحقوق الأساسية التي ضمنها الدستور للمواطنين في الهند مثل حقهم في ممارسة أمورهم وأعرافهم الدينية ، كما أننا سبق أن أشرنا إلى أن مثل ذلك القانون المدني لن يكون متمشيا مع روح التعايش المشترك في مجتمع متعدد الأعراف والثقافات والديانات مثلما هو قائم في الهند .

الحاجة إلى إعادة تنظيم القوانين :

وهناك مدرسة فكرية أخرى تطالب بإصلاح يلائم العصر . واصطلاح ملاءمة العصر « قد يقودنا إلى سوء الفهم ، ذلك لأنه يوجد من بين المتحمسين لهذا الاتجاه من يطالبون بإصلاحات أساسية مثل المساواة الكاملة للمرأة في قانون الإرث وحظر تعدد الزوجات وإلغاء حق الطلاق . ولا ينبغي على المرء أن يتطلع إلى أكثر من ذلك ليدرك أن هذا الاتجاه لا يتمشى مع روح الشريعة . غير أنه ينبغي ألا نخلط بين ذلك وبين قضية إحداث إصلاحات في قانون الأحوال الشخصية للمسلمين بحيث تجعله خاليا من النصوص البالية المأخوذة من كتب الفقه وبحيث تعيد صياغة هذه النصوص من جديد باصطلاحات قانونية جديدة داخل إطار الشريعة الإسلامية . وتستحق هذه القضية دراسة واعية . وأول ما يجب عمله فى هذا الاتجاه هو إعداد

(ز) المعاملة الظالمة .

وبعض الأمثلة على المعاملة الظالمة التى أدرجها القانون هى إيذاء الرجل لزوجته باستعمال يديه والانغماس في حياة لا أخلاقية أو إجبار الزوجة على ممارسة هذه الحياة . أو التدخل فى أمور دينها أو العمل بما يخالف تعاليم القرآن بالنسبة للمعاملة العادلة بين الزوجات فى حالة تعدد الزوجات وهناك نص آخر فى القانون يبيح للمرأة طلب الطلاق وهو مبدأ **خيار البلوغ** فى الشريعة .

والمادة الرابعة من القانون تقرر أن تخلى المرأة المسلمة المتزوجة عن الإسلام أو اعتناقها لدين آخر ليس وحده سببا لفض زواجها وهذا الجزء من القانون يهدف إلى منع المرأة من الارتداد عن دينها لمجرد الرغبة في الحصول على الطلاق إذا كان ذلك ضد رغبة زوجها ، فإذا تخلت المرأة عن دينها فللزوج نفسه حق تطليقها غير أن هذا النص لا ينطبق على النساء اللاتي يدخلن في الإسلام وبعد ذلك يعدن إلى دينهن الأصلي .

وهناك ظاهرة مثيرة في قانون طلاق المسلمين لعام ١٩٣٩ وهى أنه مقسم إلى فقرات بينما قانون الأحوال الشخصية للمسلمين (الشريعة) لعام ١٩٣٧ يخلو من هذه الظاهرة . ولو تم تقنين هذا القانون مثلما تم فى تشريع عام ١٩٣٩ لكان ذلك الوضع مناسبا للمحاكم وغير ذلك بشكل عام .

ولنناقش الآن بعض الإصلاحات التى يمكن إدخالها على صياغة مثل ذلك القانون بدون الانحراف عن إطار الشريعة ، وإحدى القضايا التى تثير جدلا ونقاشا كبيرا فى قانون الأحوال الشخصية للمسلمين هى قضية تعدد الزوجات وحق الطلاق المطلق وحق تملك الأحفاد الذين توفى الله آباءهم وسوف نناقش كل نقطة على حدة .

تعدد الزوجات :

إن تعدد الزوجات هو إحدى القضايا الخطيرة الساخنة التى تثار ضد قانون الأحوال الشخصية فى الهند ، وتقول إحدى الحجج بأن تعدد الزوجات عادة ترجع إلى المجتمعات البدائية وأنه ليس لها مكان فى العصر الحديث ويجب منعها بالقانون ، والحجة المضادة لذلك هى أن الشريعة تسمح بتعدد الزوجات وليس للحكومة شأن فى ذلك . وهذا هو بالطبع رأى المسلمين . وهناك وجهة نظر ثالثة وهى أن تعدد الزوجات قد سمح به فى أحوال خاصة واحتياجات لا يمكن تجنبها وعلى ذلك فبدلا من السماح بذلك بدون قيد أو شرط فإنه يجب إخضاع ذلك لبعض القيود . فهل تسمح الشريعة بوضع أى قيود على مبدأ تعدد الزوجات؟ .

وقبل معالجة هذا الموضوع فيجب أن نبعد الدعاية عن الواقع فى موضوع تعدد الزوجات بين

مدونة قانونية بفقرات من قانون الشريعة لعام ١٩٣٧ . ويمكن إعداد ذلك بالرجوع إلى مدونات مثل **مرشد الحيران في معرفة أحوال الإنسان** الذى كتبه خضرى باشا (واستمده من المذهب الحنفي من جملة الأحكام العدلية من العهد العثماني) ، **وقانون الأحوال الشخصية** الذى تم جمعه في العام الماضى في الكويت **وقانون حقوق العائلة** الذى تم جمعه عام ١٩١٧ وأيضا قوانين حقوق الأسرة في البلاد الإسلامية . ولعله يكون شيئا مثاليا أن نجمع من المذاهب المختلفة قانونا مدنيا عاما يكون مقبولا لدى كل المسلمين وذلك بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية مثل (**التخير والتوفيق ... الخ**) . وقد تم مراعاة هذا المبدأ في قانون طلاق المسلمين عام ١٩٣٩ . وعندما تقبل كل طوائف المسلمين بمن فيهم الشيعة سريان هذا القانون فلا يمكن لأحد أن يدعي بأن إعادة النظر في القوانين غير إسلامية ولعله يكون من الجدير أن ندرس الخلفية التاريخية لهذا القانون .

في شمال الهند حيث غالبية السكان المسلمين يتبعون المذهب الحنفي فإنه ليس للنساء حق الطلاق من خلال المحكمة حتى ولو على أسس قوية . ولذلك كان الطريق المختصر للحصول على الطلاق هو التحول المؤقت عن الدين وكان هذا الأسلوب غير السليم البعيد عن جذور روح الشريعة قد سبب قلقا بين شخصيات كبيرة مثل الشيخ أشرف على الثانـفي وقد ألف كتابا يعارض فيه ذلك عنوانه **حيلة النجاة** وفيه ذكر بعض المبادئ الأساسية التي يجوز فيها للمرأة طلب الطلاق من خلال المحكمة وقدم تعزيزات لرأيه أبداها علماء الدين في الهند وفي الخارج وقد تم إصدار قانون طلاق المسلمين عام ١٩٣٩ بناء على هذه الآراء . وقد اعتمدت آراء الثانـفى على أساس القياس الذى أرساه فقهاء المذهب الحنفى وهو أنه في الأحوال التى يظهر فيها مشكلات عند تطبيق القواعد الحنفية فإنه يمكن تطبيق قواعد المذاهب الأخرى وهكذا ، ففى أثناء الحكم البريطاني عندما طالب القاسمي – وهو عضو من أعضاء المجلس التشريعي – بإصدار قانون طلاق المسلمين فإن هذه المطالبة لم تقابل باعتراض من جانب المسلمين . والقانون قابل للتطبيق على كل المسلمين بمن فيهم اتباع المذهب الحنفى والطوائف الاثنا عشرية والإسماعيلية . وبموجب نصوص هذا القانون يمكن للمسلمة أن تلجأ للمحكمة لطلب الطلاق فى حالة :

(أ) هجر الزوج للزوجة
(ب) عدم قدرته على توفير الإعالة أو الوفاء بأى من مسئولياته الأخرى كزوج أو فشله فيها
(جـ) سجن الزوج
(د) عجز جنسى مستمر للزوج
(هـ) جنون الزوج
(و) الإصابة بمرض الجذام أو مرض جنسى خطير

المسلمين فى الهند لأن دراسة الإحصائيات قد تقنعنا أن الدعاية لا تعتمد على أسس من الحقيقة . ففى عام ١٩٦٩ قام الدكتور كانتى براكاش فى معهد الإحصاء الهندى بعمل مسح إحصائى بالعينة فى كل أنحاء الهند وقد بين ذلك المسح أن حدوث تعدد الزوجات بين المسلمين لا يتعدى ١٥ فى الألف بينما يصل إلى ٧٥ فى الالف بين الهندوس .

وبالنسبة لحالة الرجال الهندوس الذين يتزوجون للمرة الثانية فقد تبين أنهم أصغر سنًا من المسلمين وقد تبين أيضا أن معظم الزوجات الثانيات من المسلمات كن من الأرامل أو المطلقات .[٦]

وقد تم إجراء مسح آخر قام به العالم المشهور دكتور جى . بى . اس هالدين يستحق منا الاهتمام ، وكان هذا المسح جزءًا من التعداد العام الذي تم فى عام ١٩٦١ م وقد نشر ذلك فى شكل تقرير صادر من مكتب سجل التعداد والإحصاء فى الهند / نيودلهى ، والتقرير يحتوى على ٢٦٩ صفحة وعنوانه « تعدد الزوجات فى الهند » وهو يشتمل على مقدمة بتاريخ ١٧ / إبريل / ١٩٧٥ م كتبها دكتور بى . كى . روى بورمان نائب المسجل العام فى الهند (إدارة الدراسات الاجتماعية) ويحتوى أيضا على ثلاثة جداول كما يلى :

١ – عدد مرات حدوث تعدد الزوجات فى الولايات مع البيانات المتعلقة بذلك (كل الأديان) .

٢ – حالة وعدد مرات تعدد الزوجات وخضوعها للنواحى الدينية .

٣ – حالة وعدد مرات تعدد الزوجات وخضوعها للنواحى الدينية بالنسبة للطبقة الاجتماعية والنواحى القبيلية والنواحى الطائفية فى أزمنة مختلفة .

وقد أبدى الدكتور بورمان ملاحظة هامة عند تعليقه على نتائج هذا المسح .

« إذا أهملنا الزمن الذى حدث فيه الزواج – في كل الهند – فإننا نجد أن أعلى نسبة لتعدد الزوجات هى بين الأشخاص الذين يعودون إلى دينهم باعتباره الدين القبلي (٢٥ ٪) ويأتى بعد ذلك البوذيون (٧ر٩٧ ٪) وبعدهم الجينز (٦ر٧٢ ٪) أما بين الهندوس فإن تعدد الزوجات نسبته ٥ر٨ ٪ وبالنسبة لكل غير المسلمين فهذه النسبة هى ٥ر٧ ٪ ، ولهذه البيانات أهمية كبيرة لأنها مناقضة للمفهوم السائد بأن عدد حالات تعدد الزوجات هى أعلى ما تكون بين المسلمين عند مقارنتها بالطوائف الأخرى . وحيث أن حالات تعدد الزوجات لم تتم على أساس اختيار عينة عشوائية فإنه من الصعب الخروج منها بتعميمات فى هذا الشأن غير أنه فى نفس الوقت ينبغي أن ندرج أن حجم العينة كبيرة نسبيا ، وعلى ذلك فإلى حين إتاحه بيانات أخرى فإنه يمكننا الاعتماد على نتائج هذه العينة فى مناقشة موضوع المفهوم السائد بالنسبة لهذه القضية .[٧]

بالنسبة للهندوس فإن تعدد الزوجات غير شرعى ومع ذلك فإن عدد مرات حدوث ذلك كبيرة بينهم مما يبين أن الحظر القانونى لن يؤتى النتائج المرجوة . ويجب ألا ننسى أن هناك قيدا غير مباشر على المسلمين فى موضوع تعدد الزوجات . فموظفو الحكومة بغض النظر عن دينهم أو وظائفهم ممنوعون من ممارسة تعدد الزوجات وإذا ثبتت تهمة تعدد الزوجات على موظف الحكومة فإنه يفقد وظيفته .

ولكن مهما كانت الإحصائيات فلا يمكن إنكار حقيقة أنه قد أسيئ استخدام حق تعدد الزوجات الذى سمحت به الشريعة ، وهذا يشوه صورة الإسلام وينبغى أن نبحث عما إذا كان هناك أى نص فى الشريعة يبيح وضع قيود على تعدد الزوجات ويمكن أن يرشدنا القرآن إلى الطريق السليم بخصوص هذه القضية ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (النساء ــ آية ٣) ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ ٱلنِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ وإن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء ــ آية ١٢٩).[٨]

ويرى بعض المعلقين المحدثين أن القرآن نفسه يضع القواعد لتعدد الزوجات من خلال هذه الآية ، « ولن تعدلوا » غير أن هذا الرأى غير سليم لأن الآية التالية مباشرة والتى تقول « ..... كالمعلقة » . إنما تبين بشكل واضح أن العدل لا يعنى بالضرورة إعطاء نفس القدر من الاهتمام الذهنى والعاطفى وأن ما يطلبه القرآن هنا هو المساواة فى التعامل المالى والسلوك دون تمييز بين واحدة وأخرى .

وأن إعالة الزوجات أمر الزامى للزوج وأن « القدرة على العدالة » إنما تشير أساسا إلى الاستقرار المالى الذى يتيح إعالة أكثر من زوجة لأن المساواة فى المعاملة شئ ينشأ بعد الزواج وحتى بموجب قانون الزواج للمسلمين الصادر فى عام ١٩٣٧ م فإن الزوجة التى تضار من عدم المساواة فى التعامل بينها وبين الزوجات الأخريات يمكنها أن تلجأ للمحكمة ، وعلى ذلك فإن ما تبقى من الأمر هو القدرة المالية فهل يجوز حظر تعدد الزوجات على الذين لا يملكون القدرة المالية لإعالة اثنتين أو أكثر من الزوجات . الواقع أنه لم يكن هناك مثل هذا القانون على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وقد ترك الأمر للضمير الأخلاقى للأفراد غير أن ذلك لا يعتبر سببا لكى يظل الأمر على هذا الوضع على مر السنين فإذا كان الشئ المباح يؤدى إلى الشر وليس إلى الخير فإن دفع الضرر مقدم على جلب المصلحة وهذا مبدأ مقبول فى **أصول الفقه** . وبالإضافة إلى ذلك فمن المعروف عن السلطات فى الأزمنة القديمة أن الدولة لها حق فرض قيود على الحرية التى يساء استخدامها[٩] وعلى ذلك فإنه يمكن إدخال نص فى قانون الأحوال الشخصية للمسلمين يلزم الرجل الذى يرغب فى الزواج للمرة الثانية بأن يقنع المحكمة بيسره المالى ، ويمكن قبول المادة ١٧

من قانون الأحوال الشخصية السورى الصادر عام ١٩٥٣ نموذجا لذلك ، وأيد ذلك التشريع المرحوم الدكتور مصطفى السباعى رئيس الإخوان المسلمين في سوريا آنذاك[١٠] .

الطـلاق :

الطلاق هو أحد المواضيع الأخرى التى يدور حولها جدل ساخن بالنسبة لقانون الأحوال الشخصية للمسلمين ، وما يؤخذ عليه هو أن حق الطلاق المطلق قد جعل حياة النسوة المسلمات بائسة ، ولا يخلو ذلك من الحقيقة غير أن الواقع هو أن الطلاق بمفهومه داخل الإطار الإسلامى والممارسات الخاصة به فى وقتنا الحاضر على طرفى نقيض ، فالإسلام يسمح بالطلاق فى الظروف التى لا يمكن تجنبها ، فبدلا من الطلاق الرجعي الذي امتدحه القرآن فإن ما يسود الآن هو الطلاق البدعى وطلاق البدعة الذى أنفذه الخليفة عمر جزءًا من السياسة الإدارية بحيث أصبح ساري المفعول فى زمن حرج من أزمنة التاريخ فقد جعله عمر شرعيا بهدف معاقبة هؤلاء الذين يتخذون من الطلاق تسلية ، غير أن ذلك قد أصبح الآن عقوبة للنساء بوضوح ، ويتضح من آيات القرآن عن هذا الموضوع أن الشريعة تحث على تجنب الطلاق بقدر المستطاع وفى حالة النفور بين الزوج وزوجته فإن القرآن يرى أن يقوم بالإصلاح بينهما أعضاء من الأسرتين[١١] ويباح الطلاق فقط فى حالة فشل محاولات المصالحة بينهما ، ومحاولات الإصلاح من الطرفين ينبغي أن تتم فى ثلاث مناسبات خلال فترة **الطهر** (عدم وجود الحيض) وبعد المرتين الأوليين من الطلاق يمكن للزوج أن يعيد زوجته إلى عصمته أما عند الطلقة الثالثة فإن هذا الطلاق يصبح طلاقا بائنا[١٢] وما يأمرنا به القرآن بخصوص الإيلاء وهو نوع من أنواع الطلاق يستحق أن نتدبره فإذا ما تم اللجوء إلى الإيلاء فإن الطلاق يقع فقط إذا لم يرجع الزوج زوجته إلى عصمته خلال أربعة أشهر[١٣] ويتضح ببساطة من ذلك أن الشريعة تهدف إلى الحفاظ على رباط الزوجية باعتباره شيئا لا يمكن فصمه فجأة وأن ممارسة **طلاق البدعة** ضد روح الشريعة .

وللحد من سوء استخدام الطلاق فإننا لا نحتاج أن نتشدد فيه بدرجة أكبر ولكننا نحتاج إلى إعادة توضيحه وفقا لروح القرآن . وفى هذا الإطار يمكن للمرء أن يعى فى ذهنه أن هناك حاجة متزايدة لدى الدوائر الهندوسية لجعل قانون الزواج الهندوسى أقل تشددا ، وأن لجنة القانون لعام ١٩٧٨ التي رأسها القاضي السابق للمحكمة العليا أ . ر . خانا والتي عينتها حكومة جاناتا – هذه اللجنة قد أوصت بالتسامح فى قوانين الطلاق الهندية بالنسبة لانفصام الزواج الذى لا يمكن الرجوع فيه[١٤] وعلى ذلك فليس هناك ما يدعو لأن نجادل فى أنه يجب التشدد فى قوانين الطلاق الإسلامية ويكمن الحل فى صياغة تلك القوانين بحيث تسمح بما يلى :

(أ) التوفيق فى حالات النفور فإذا لم يفلح ذلك

(ب) فالطلاق الرجعي كما بينه القرآن وأن الطلقات الثلاث التي تتم في لحظة واحدة يمكن ـ بموجب تعديل القوانين ـ اعتبارها طلقة واحدة مثلما حدث بالنسبة لقوانين الأسرة في مصر وسوريا وقد صادفت هذه التعديلات ترحيبًا من سلطات الشريعة وخاصة لدى الدكتور مصطفى السباعي [١٥] . ويمكن أن نلاحظ أيضا أن محاكم الأسرة التي صدر بشأنها قانون من البرلمان الهندي في العام الماضي ، هذه المحاكم يمكنها أن تلعب دور الوسيط بالنسبة لنوع المصالحة التي حددها القرآن .

حقوق التوارث للأحفاد اليتامى :

لقد أثار هذا الموضوع جدلا لفترة من الوقت فى العالم الإسلامى ففي الهند حيث يسير المسلمون على هدى الشريعة ، فإننا نسمع صدى لذلك أيضا ، غير أن الموضوع يتركز حول طريقة إدخال تعديلات تشريعية داخل حدود الشريعة . وأى اقتراحات حول هذا الموضوع لابد وأن تتأسس على قواعد الشريعة . والدول الإسلامية التى اتخذت مواقف من هذا الموضوع تندرج تحت تصنيفين كبيرين وأحد هذين التصنيفين هو التشريع الباكستانى الذى يعطى حقوق الملكية مباشرة لأبناء الابن أو الابنة المتوفيين ، ولقد كانت المادة (٤) من المرسوم عام ١٩٦١ الخاص بقانون الأسر المسلمة لهذا السبب هدفا لهجوم كبير من جانب علماء الدين والنقطة التى أثارت هذا القدر من الانتقاد هى قبول نظرية التمثيل التى ليس لها مكان فى قانون الوراثة الإسلامى وقد انضم لعلماء الدين مستشرقون بارزون جادلوا أيضا فى موضوع أسس الشريعة بالنسبة للإصلاحات التى قامت بها الباكستان فى هذا القانون . ويعلق كولسون على أن ما قامت به الباكستان قد قلب نظام الشريعة التقليدى وهو يشير إلى أن الإصلاح يناقض قواعد التمييز الدقيق بين قرابة الدم والقرابة البعيدة[١٦] ويعلق البروفسور اندرسن بأن الإصلاح كان مكسبا على حساب العديد من المخالفات للأصول المرعية[١٧] .

وفى كتاب كولسون « التوارث فى الأسرة المسلمة » يذكر أن الإصلاح الذى قامت به الباكستان يهدم أساس البنيان التقليدى للتوارث الإسلامى . وهناك مادة تقول بأن الابنة لابنة توفى والدها تحصل على النصيب الذى كانت ستحصل عليه لو أن أمها كانت على قيد الحياة وذلك بموجب التوارث التمثيلى الباكستانى . وأن الابن أو الابنة لابنة توفى والدها يقيد حقوق الأم والزوجة فى ممتلكات المتوفى إلى حدودهم المحددة ويقلص نصيب سلالة النسب الشرعية ويحجب الإخوة والأخوات فى سلسلة النسب من الوراثة وأن القوانين الجديدة فى هذه الحالة تعطى ميزة للأحفاد من سلسلة نسب ابن توفى والده وخاصة ابن الابنة والذى فى الوقت الحاضر يفقد الجزء الخاص بالوراثة الأولية وفقا لتعاليم القرآن ويصبح وارثا للحقوق المتبقية . وبنفس الطريقة فإن ابن

الابن لا يجرد من حقوقه وإذا كان للمتوفى أب وأم واثنتان من البنات يكون له الحق فى ثلث كامل الميراث[١٨] .

وقد استخدمت سوريا وتونس ومصر والمغرب أسلوبا يختلف عن أسلوب الباكستان . فهذه الدول لا تتعرض للبنيان الأساسى للشريعة فى موضوع الميراث ولكنها تجعل من الهبة بوصية التزاما قانونيا ، وهذا الإصلاح تؤيده الآية القرآنية﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إنْ ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين ﴾ (البقرة – آية ١٨٠) .

وهناك رأى يقول إن هذه الآية نزلت قبل نزول قانون الميراث وإن قوانين الميراث قد نسخت هذه الآية . غير أن جمهور العلماء من أمثال الزهرى وعطاء وإسحق وداود والطبرى وأبو العوين الاسفرايينيلا يتفقون مع هذا الرأى وكان للإمام الشافعى فى فترة سابقة نفس الرأى حسب ما يقوله البيهقى . وعلى أية حال فإن الرأى القائل بأنه فى حالة هؤلاء الذين لا يكون لهم حق الميراث يكون هناك التزام تجاههم من ناحية الهبة بوصية . هذا الرأى يستحق الدراسة ويشارك فى نفس الرأى طاووس وقتادة وحسن البصرى وجابر بن زيد وقد جمع المعلق الشافعى ابن حجر العسقلانى تعليقا على الإمام الشافعي مجموعة من القراءات حول هذا الموضوع وأشار إلى أنه في بعض الأحوال فإن الهبة بوصية للممتلكات تصبح إلزامية .[١٩]

ويتضح من الحقائق السابق ذكرها أن الهبات الإلزامية لا تتعارض مع مقاصد الشريعة وأن مثل هذا الإصلاح يزيد من مزايا قوانين الميراث الإسلامية . وفى البلاد التى استحدثت مثل هذه القوانين مثل سوريا والمغرب وتونس ومصر نجد أن هناك اشتراطا فى القوانين بضرورة تخصيص نصيب من ممتلكات المسلم المتوفى (لا يزيد عن الثلث) لأطفال ذريته ممن توفوا قبله ، ومع السماح بوجود بعض الاختلافات الطفيفة فى التفاصيل فإنه يمكن لهذا الإصلاح الذي قامت به الدول الإسلامية أن يكون نموذجا لإصلاحات مماثلة فى قانون الأحوال الشخصية للمسلمين فى الهند .

غير أن التجربة المصرية فى هذا المجال تبين أن مثل هذه الخطوات محفوفة بالمصاعب العملية ، وكانت الصيغة التى قبلتها مصر فى فترة سابقة هى تخصيص ثلث القيمة أو النصيب الخاص بالأب أو الأم – أيهما أقل – للأحفاد كما لو كان الأب أو الأم على قيد الحياة . وبعد ذلك تم استحداث نظام آخر يسمى نظام المحاكم وفى ظل هذا النظام يتم تقسيم الميراث الشرعى للوارث بوصية وذلك فى بعض الأحوال ، ولتصحيح هذا القصور تم استحداث نظام جديد وافق عليه المفتى وهذا النظام المسمى – بنظام المفتى – لم يكن خاليا بدوره من التحريف وعلى ذلك قام الشيخ أبو زهرة بصياغة طريقة جديدة ويرى كولسون أن نظام أبو زهرة هو الأكثر أمانا من وجهة نظر تنفيذ القانون .[٢٠]

ومن ذلك يتضح أن النموذج الذى استحدثته بعض الدول الإسلامية فيما يتعلق بالوصية الواجبة يمكن بوضعه هذا أن تهتدى به دول أخرى وقد يبزغ من بين المداولات الجادة حول هذا الموضوع أساس تشريعى آمن وغير محفوف بالمخاطر وأن مبدأ الوصية الواجبة ينبغى بحثه وإصلاحه .

الخاتمة :

ينظر المسلمون فى الهند إلى قانون الأحوال الشخصية على أنه أحد مقومات شخصيتهم الثقافية وعلى ذلك فإن أية مناقشة حول الموضوع تثير بينهم الخوف والقلق . وهم يكرهون أية أفكار خاصة بالإصلاح ويرجع سبب كرههم هذا إلى المبدأ التوجيهى للدستور الهندى الذى يأمر بوجوب قانون مدنى موحد . وهم يأخذون أى كلام حول إصلاح قانون الأحوال الشخصية على أنه نذير بهذه الخطوة وعلى ذلك فلو كانت الرغبة المخلصة للحكومة هى أن تقوم بإصلاح قانون الأحوال الشخصية فعليها أولا أن تلغى المادة ٤٤ من الدستور . وثانيا : ينبغى على الحكومة ألا تقوم بخطوة من جانب واحد فى اتجاه هذا الإصلاح . وينبغى كسب ثقة المسلمين فى هذا الأمر وإنه لأمر محزن أنه عندما يقوم مسئول من الحكومة بإبداء آراء حول قانون الأحوال الشخصية فإنهم لا يأبهون بما يقوله ، وحتى خلال الحكم البريطانى قام أحد أعضاء المجلس التشريعى المركزى وهو محمد أحمد قاسمى بتقديم مشروع قانون لتعديل الفقرات الرئيسية فى قانون الأحوال الشخصية بعد أن تشاور مع علماء المسلمين وقد تم اتباع نفس الأسلوب أيضا فى قانون طلاق المسلمين لعام ١٩٣٩ . ويمكن أن يكون هذا الأسلوب نموذجا للحكومة الحالية . ويوجد حاليا هيئة تمثل كل طوائف المسلمين وهى هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين فى كل الهند ويمكن لهذه الهيئة أن تتعاون مع الحكومة عند تناول الأمور المتعلقة بالمسلمين ، ولا تتكون الهيئة فقط من علماء فى الدين ولكنها تتكون أيضا من فقهاء فى القانون وقضاة سابقين ، ويمكن للحكومة أن تشكل لجنة تشتمل على أعضاء مختارين من الهيئة بحيث تقوم هذه اللجنة بعمل التوصيات بالإصلاحات التى تفيد المسلمين .

ومن ناحية أخرى فإن على هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين أن تتحمل بعضا من المسئولية وألا تحصر نفسها فى الأسلوب السلبى بمقاومة التهديدات الحكومية والعلمانية لقانون الأحوال الشخصية للمسلمين وعليها أن تلتزم بتقديم اقتراحات بناءة حول هذا الموضوع ويجب عليها أن تتولى زمام المبادرة فى عمل مداولات تعتمد فى أساسها على القرآن والسنة والفقه وأن تقوم ببلورة الآراء التى تقترح القيام بإصلاحات تفى بالاحتياجات المعاصرة وتحل هذه القضايا مع الالتزام بأحكام الشريعة .

وعادة ما يكون المسلمون هم السبب فى كثير من سوء الفهم والانتقاد الذى يوجه إلى قانون الأحوال الشخصية للمسلمين ولم يكن لأى من الجدل الدائر حول هذا الموضوع أن يثور لو أنهم اهتدوا بهدى الشريعة وهذا يبين الحاجة الشديدة لتبصير جماهير المسلمين بأمور الشريعة ويمكن فى هذا السبيل إنشاء معاهد للشريعة فى القرى المأهولة بالمسلمين ، وتكوين مجالس تتكون من الزعماء الدينيين ، وفقهاء فى القانون وتصميم برامج لتدريس أمور الشريعة وعندئذ فقط يمكن لمسلمى الهند أن يجدوا حلا للقضايا التى تتعلق بقانون الأحوال الشخصية وأن يزيلوا سوء الفهم الخاص بجالياتهم ويجابهوا التهديد الذى تتعرض له شخصيتهم الثقافية .

NOTES

1 . V11 Constituent Assembly Debates (1949), pp. 781-82.

2 . H.A. Karandikar, **Islam in India's Transition to Modernity**, 1968, p. 92, (quoted by Tahir Mahmood, **Personal Law Seminar** New Delhi, August 1979).

3 . Tahir Mahmood, **Personal Law Seminar**. New Delhi, August 1979.

4 . Aga Mohammad V. Kulsum Beebi (1894), Vol. 241, A.P. 1906, 203-4, Quoted by T. M. Abdullah in **Muslim Niyamam**, (Prakasham Publishing House, Kerala, India, 1974) P. 24.

5 . For details see **Sayyid Qutb**, Chapter 2, (Maktabat Al-Aqsa, Amman, Jordan, 1969.)

6 . See **Hindustan Times**, New Delhi, December 12, 1969.

7 . See for details **Census of India**, 1961, **Miscellaneous Studies**, Monograph No. 4, 1961 series, New Delhi.

8 . Quran, 4:3, 129 (see Abdulla Yusuf Ali, **The Holy Quran: Text, Translation and Commentary**).

9 . Ibn Nujaim, **Al-Ashbah Va-al Nadhair**, (Calcutta, A.H. 1260) p. 125.

10. Dr. Mustafa Al-Saba'ee, **Al-Mar'a baina al fiqhi va-al Qanoon**, (Damascus, Syria: Al-Maktab Al-Islami, 1975) p. 116

11. Quran 4:35 (see Abdulla Yusuf Ali, **The Holy Quran. Text, Translation and Commentary**).

12. Ibid. 2:229; 65:1.

13. Ibid. 2:226.

14. See news item under the caption 'For Divorce when Love has Gone'. **Indian Express**, Cochin, Kerala, 15.5.78.

15. Dr. Musthafa Saba'ee, op. cit. p. 136.

16. N. J. Coulson, **Islamic Family Laws: Progress in Pakistan**, Note 16, p. 254, Quoted by Tahir Mahmood, **Family Law Reforms in Muslim Countries** (Malayalam translation by Durga Das), pp. 387-88, (Language Institute of Kerala, Trivandrum, India, 1971.)

17. Anderson, **RecentReformsin Islamic Law of Inheritence**, p. 59, quoted by Tahir mahood, ibid, p. 387.

18. N.J. Coulson, **Succession in the Muslim Family**, (Cambridge University Press, 1971) p. 152.

19. Asqalani, Ibn Hajr, **Fathul Bari, 'Kitabul Yasiyya', (1959, Egypt. Mustafa al-B'abi al-Halabi), Vol. 6, pp. 287-88,**

20. Coulson has analyzed the distortions of each system in **Succession in the Muslim Family**. See pp. 147-155.



التعليم الإسلامي في جنوب الهند
مشكلات وحلول

مقبول أحمد سراج



التعليم الإسلامي في جنوب الهند
مشكلات وحلول

مقبول أحمد سراج

مقدمة

تشكل الولايات الأربع لجنوب شبه القارة الهندية ، وهي اندرا براديش ، وكارناتاكا ، وكيرالا ، وتاميل نادو ، منطقة ثقافية متميزة داخل الكيان الهندى . ذلك أن الأغلبية السائدة لسكانها من أصل « درافيدى » ، المنحدرين من السكان القدامى لشمال الهند الذين طردتهم القبائل الآرية الغازية ودفعتهم في اتجاه جنوب شبه الجزيرة الهندية ، ويبلغ تعداد سكان المنطقة ١٦٤ مليونا منهم حوالى ١٥,٥ مليون مسلم .

ويمكن توزيع المسلمين في تلك الولايات كما يلي :

الولاية	إجمالى عدد السكان	السكان المسلمون	النسبة المئوية
أندرابراديش	٥,٣٥ مليون	٤,٥٣٣,٧٠٠	٨,٤٧
كارناتاكا	٣,٧١ مليون	٤,١٠٤,٦١٦	١١,٠٥
كيرالا	٢,٥٤ مليون	٥,٤٠٩,٦٨٧	١٩,٢٤
تاميل نادو	٤,٨٤ مليون	٢,٥١٩,٤٩٧	٥,٢١
بونديشارى (*)	٠,٦٠ مليون	٣٦,٦٦٣	٦,٠٦
جـــوا (*)	٠,١٠ مليون	٤٨,٤٦١	٤,٨٠

(*) بونديشارى وجوا مناطق اتحادية ، أقل حجما من الولاية .

المصـــادر :

- إحصاء السكان في الهند ١٩٨١ ص ٣ من ١٩٨٤ .
- « إحصائيات المجتمعات الدينية الرئيسية في الهند » . الهند المسلمة طبعة شهاب الدين ، مارس ١٩٨٥ – ص ١٠٢/١٠٣ .

إن هدف هذه الدراسة التى يقتصر مداها على أربع ولايات رئيسية في الهند هو إجراء استعراض نقدى لمكانة المسلمين وحالتهم فى مجال التعليم الحديث ، وقياس المتطلبات المستقبلية واقتراح التعديلات في تخطيط التعليم . وقد تم اختيار المنطقة على أساس المتابعة المستمرة للنشاط التعليمى التي تشير إلى نهضة في هذا المجال . وليست ثمة حاجة لإضافة دوافع سياسية إلى عملية تقسيم المسلمين في الهند . وقد تم تحديد منطقة البحث نظرا لأن المجتمع المحدود جغرافيا يضم العديد من المميزات الخاصة ، والتى تختلف عن تلك التي تميز الكيان الكبير لمسلمى الهند الذين يسكنون السهول الشمالية .

والهدف من هذا الاستعراض أن يكون دليلا وقوة ملهمة للمسلمين في مناطق الهند الأخرى ، وأن يحذرهم من المخاطر الكامنة .

ويأتى الدافع الرئيسى لهذه الدراسة من الإنجازات الهامة التى أحرزها المسلمون في الجنوب في فترة ما بعد استقلال الهند في مجال التعليم . وقد ساعدهم في تلك المجالات الظروف التقليدية المحيطة التى تحيط بهم وتحدد علاقاتهم مع الجماعات الأخرى . ويحتاج ذلك إلى وصف موجز .

المميزات الرئيسية :

ينحدر مسلمو جنوب الهند بصفة رئيسية من السكان المحليين الذين تحولوا إلى الإسلام، والذين ترجع أصول عقيدتهم إلى الاتصالات البحرية المبكرة مع الملاحين العرب . وبالرغم من أن الإسلام هو العامل المؤثر والمسيطر في حياتهم الاجتماعية ، إلا أنه فيما يبدو لم يحدث أى اختلاف في حياتهم الثقافية عن الشعوب المحلية .

إن الأعمال التجارية هي المهنة الرئيسية التي تمكنهم من بناء علاقات الألفة مع الجماعات الأخرى وتطوير الأسس التى تقوم عليها العلاقات في المجتمع . ويمثل ذلك مقابلة مع مسلمى شمال الهند الذين يعانون بسبب ماضيهم الارستقراطى . كما أن ذلك – الماضى – يبعدهم عن احتراف التجارة كمهنة . وقد زودهم السلام الطائفى بالتأييد اللازم لهم للاشتراك في مهن مختلفة من تجارة وصناعة . وقد شجعت الوفرة النسبية الكثيرين منهم على الإسهام في مجالات التعليم والصحة والإنعاش الاجتماعى .

تلك هي بصفة عامة المميزات الرئيسية لمسلمي جنوب الهند وبالرغم من ذلك فإن المجتمع يظل متخلفا بالنسبة للمؤشرات الحيوية للتقدم مثل معرفة القراءة والكتابة ، ودخل الفرد ، وامتلاك الأرض بالنسبة للفرد الخ .. إن المعوقات المشتركة لتقدم المسلمين الاجتماعي — الاقتصادى في المناطق الأخرى ، تواصل تأثيرها المؤلم على الجماعة (الإسلامية) هنا أيضا ، وإن يكن بصورة أقل قسوة . ويمكن وصف تلك العوامل بأنها عدم توفر الرصيد في الخدمات الحكومية ، وقروض المصارف ، والمعاملة المتميزة بالنسبة لمؤسساتهم التعليمية وللقرى الإسلامية . وتبدو الجماعة مع ذلك في سباق من أجل التقدم وإن كانت لا تزال متأخرة بمسافة كبيرة عن الآخرين .

ولا تعتبر الجماعة (المسلمة) المقسمة بين أربع ولايات ، وحدة لغوية واحدة ، كما توجد اختلافات ثقافية أيضا فيما بينهم نتيجة لارتباطهم الطويل مع الثقافات المحلية لعدة قرون . وسوف تساعد دراسة التركيب اللغوى لهذه الجماعة من السكان على فهم المشكلات التعليمية المعقدة التى تواجه المسلمين . وهذا أحد العوامل التى تجعل من الصعب تطبيق صيغة موحدة في الأقاليم المختلفة للمنطقة موضع الدراسة .

أندرا براديش :

يذكر حوالى ٥ , ٧ ٪ من سكان الولاية أن اللغة الأردية هي لغتهم الأم[١] ، وقد يكون من الملائم افتراض أن كل هؤلاء الأشخاص من المسلمين . ويشكل الشعب المسلم نسبة ٨,٤٧ ٪ من سكان الولاية . ومن ثم يمكن أن نستنتج أن حوالى ١ ٪ من السكان من المسلمين يتكلمون « التليجو » . وبلغة الإحصاء فإن من يتكلمون « التليجو » من السكان المسلمين يشكلون ٤٣ , . مليون . وهكذا يكون تعداد المسلمين الذين يتحدثون الأردية ٤ , .٧ مليون .

تاميل نادو :

يشكل السكان الذين يتحدثون الأردية ٨ , ١ ٪ من السكان[٢] ، ويمكن أن يكون هؤلاء من المسلمين فقط . ويبلغ عدد السكان المسلمين ٢١ , ٥ ٪ و ٨ , ١ ٪ يتكلمون الأردية ، ومن ثم يمكن أن نستنتج هنا أيضا أن ٤١ , ٣ ٪ من السكان مسلمون يتحدثون لغة « التاميل » . وبلغة الأرقام ، قد يشكل هؤلاء ٦٥ , ١ مليون بينما يشكل من يتحدثون الأردية ٨٦ , . مليون .

كارناتاكا :

يذكر ٩ ٪ من السكان أن الأردية هي لغتهم الأم[٣] . ويبلغ تعدادالمسلمين في الولاية ٥ , ١١ ٪ . ولا يوجد هناك شك في أن هؤلاء جيمعهم مسلمون . وهكذا يتضح أن التسعة بالمائة من السكان تمثل ثلاثة ملايين وثلاثمائة ألف مسلم يتكلمون الأردية . ولكن

ملاحظات المؤلف الشخصية هي أن بقية المسلمين وهم حوالى ٧٦٥ ألف لا يتحدثون « الكانادا » فقط ، وهي اللغة الرسمية للولاية . ويوجد قطاع كبير بينهم يتحدث لغات « مالايالام » و« تولو » و« كونكانى » الخ ... ومع ذلك فيمكن افتراض أن حوالى ٦٠ ٪ منهم يتحدثون « الكانادا » .

كيرالا :

يتحدث كل الشعب المسلم في كيرالا لغة « المالايالام » وهي اللغة الرسمية للولاية .

التركيب اللغوي للجماعة الإسلامية في ولايات جنوب الهند :

إجمالى السكان المسلمين	: ١٦ , ٥ مليون
المسلمون الذين يتحدثون الأردية	: ٤ , ٠٧ مليون في أندرابراديش
	٠ , ٨٦ مليون في تاميل نادو
	٣ , ٣ مليون في كارناتاكا
	٨ , ٢٥ مليون (الاجمالى)
مسلمون يتحدثون التاميل	: ١ , ٦٥ مليون
مسلمون يتحدثون المالايالام	: ٥ , ٤٠ مليون
مسلمون يتحدثون الكانادا والتولو والكونكاني	: ٠ , ٧٦ مليون

ويتكلم السكان المسلمون جميعا في بوندشارى لغة التاميل ، بينما يتكلم السكان المسلمون في جوا ودامان وديو – وهي المستعمرات البرتغالية السابقة – الأردية والكونكاني . وتتجنب هذه الدراسة بصفة عامة إدراج سكان هاتين المنطقتين التابعتين للاتحاد ضمن التقديرات الإحصائية .

ما مدى انتشار التعليم في صفوف المسلمين ؟

يواجه أي باحث في موضوع هذا البحث ، عقبة رئيسية في عدم توافر المعلومات والإحصائيات والدراسات المماثلة . ولا تقوم المعلومات الرسمية على رصد موقف المجتمعات . وحتى إذا ما أخذت معاهد البحث في اعتبارها التقسيمات الدينية والاجتماعية الفرعية ، فإنها غالبا ما تقوم بإجراء دراسات على مستوى محدود تماما . وعلى الرغم من ظهور عدد من المؤسسات التعليمية الإسلامية ، فإنها قد حددت أهدافها على غرار الجمعيات التي تعمل لمجتمعات أخرى وليس على أساس التعرف المنظم على الاحتياجات والمتطلبات الدقيقة للمسلمين .

وقد أدى عدم بذل أى جهد لإعادة التقيم للاستراتيجية التعليمية إلى النحو العشوائي للتسهيلات التعليمية والتي عادة ما تكشف عن أولويات غير متوازنة ، وأهداف خيالية وبعيدة عن المتطلبات الفعلية ، كما أنها في معظم الحالات تؤدى إلى فائدة أشخاص غير مسلمين ، لم تكن الخدمات موجهة إليهم . وتقوم الدراسة الحالية على المعلومات القليلة المتوفرة لدى المنظمات الإسلامية . وقد قام معه هذا البحث في كثير من الحالات بتجميع المادة الخام من المؤسسات التعليمية الإسلامية مباشرة ، ومن هنا كان انعدام الإشارة إلى أية مراجع مطبوعة ، وبالتالى فإن معظم المعلومات تعتمد على حقيقتها الذاتية .

ولكى نبدأ بتقويم الوضع التعليمى للمسلمين ، علينا أن نفترض أن المسلمين يشكلون مجتمعًا ذا خلفية تعليمية متخلفة . إذ من المتعذر الحصول على إجابات للسؤال حول النسبة المئوية لعدد الأميين في صفوف المسلمين . وتوجد أمامنا دراسات متنوعة من ولايات مختلفة تستخدم مقاييس متعددة وتمت بواسطة « بارامترات » متنوعة لتقدير انتشار التعليم في صفوف المسلمين .

وأحد الانعكاسات المؤكدة الدالة على الصحة التعليمية للجماعة والوضع التعليمى فيها ، هو مدى تمثيلها في صفوف الهيئات المدنية الكبرى . ذلك أن الترشيح لمناصب الهيئات العليا مثل الخدمة الإدارية الهندية والخدمة في صفوف الشرطة ، والخدمة في مجال الخارجية يخضع لنظام التعيين حسب الدرجة العلمية . وفيما يلي بيان بالحالة التعليمية للجماعة ، يوضح تمثيل المسلمين في ولايات جنوب الهند :

الولاية	خدمة البوليس الهندى (أ)			الخدمة الادارية الهندية (ب)		
	عدد العاملين	المسلمون	٪	عدد العاملين	المسلمون	٪
أندرابراديش	٩٨	٢	٪٢,٠٤	٢٦٣	١٦	٪٦,١
كارناتاكا	٨٠	١	/٢,٥	٢٠٣	٥	٪٢,٤٦
تاميل نادو	٨٨	١	٪١,١	٢٤٨	٨	٪٣,٢٢
كيرالا	٥٨	٣	٪٥,١	١٢٩	٤	٪٣,١

(أ) طبقا للوضع في ١٩٨١/١/١ .

(ب) طبقا للوضع في ١٩٧٦/١/١ .

المصدر : الهند المسلمة ، طبعة شهاب الدين ، دلهى ، يناير ١٩٨٣ .

من بين الولايات الأربع بدأ مسلمو تاميل نادو خطواتهم المبكرة بإنشاء المؤسسات التعليمية الحديثة . ولكن حتى في تاميل نادو فإن تمثيل الجماعة في الخدمات المركزية الأخرى تراوح بين ٢,٠٪ ، ٩,٠٪ وبين ١ ، ٢٪ في خدمات حكومات الولايات .[٤]

وقد أعطى تقرير ١٩٧١ للجنة الأولى للفصول الدراسية المتخلفة في تاميل نادو ، صورة محزنة لانخفاض عدد الطلبة المسلمين المتقدمين لامتحان شهادة القبول في الجامعة في الولاية حيث بلغ عددهم ٢٤٩٥[٥] من بين ١,١٩٠,٨٣٥ طالبا ، بحيث يشكلون ١,٣٪ . وكان يجب أن يكون العدد ١٠ آلاف طالب مسلم[٦] على الأقل ليعطى النسبة الممثلة لنصيبهم .

وقد كشفت دراسة أجرتها هيئة المؤسسات والاتحادات التعليمية الإسلامية في تاميل نادو ، غطت ٥٥ قرية ويبلغ عدد المسلمين فيها ٥٠١٢٦ ، أن معدل معرفة القراءة والكتابة كان ٣٠٪ فقط ، بينما المعدل فى الولاية هو ٤٨٪ . وطبقا لتقديرات التقرير (الدراسة) ، فإن الجماعة المسلمة يوجد بها ٢٠٠٥٠٠ من الأولاد وعدد مماثل من البنات في سن الذهاب إلى المدرسة (ما بين ٥ ، ١٥ عاما) في تلك المرحلة (١٩٨١) . وكان عدد من يذهبون منهم إلى المدارس هو حوالى مائتى ألف من الأولاد وحوالى مائة ألف من البنات . ويكشف التمثيل الهزيل للمسلمين في امتحان شهادة القبول فى الجامعة عن المعدل الهائل للتخلف عن التعليم فيما بين المرحلتين . ولا حظ التقرير أن ٦٠٪ من الأولاد و ٨٠٪ من البنات ينقطعون عن الدراسة قبل مرحلة شهادة القبول في الجامعة .

أندرا براديش :

لا يعرف سوى القليل من المعلومات عن مسلمى أندرا براديش عدا أولئك المتمركزين في حيدر أباد . إذ يعيش خمس عدد مسلمى أندرابراديش في حيدر أباد ذاتها[٧] .

ومن الجدير بالذكر أن مسلمى حيدر أباد ، أتباع حكومة « النظام » السابقة ، قد أحرزوا تقدما هاما في التعليم منذ إنشاء الجامعة العثمانية[٨] فى ١٩١٨ ، وذلك بنقل التعليمات من خلال اللغة الأردية إحدى اللغات الهندية . وقد ساعدت الجامعة المسلمين في السيطرة على الجهاز الإدارى والحياة الثقافية في المنطقة إضافة إلى مساعدتهم فى رفع مكانة اللغة الأردية .

لكن المسلمين ، مع ذلك ، فقدوا رعاية الحكومة مع انتقال مقاليد السلطة . وقد هاجرت الطبقة المتعلمة المسلمة والموظفون المدنيون ، والعلماء ، والأساتذة البارزون من البلاد إلى الباكستان ، والدول الغربية . وانحدرت بقية المجتمع المسلم التى أصبحت دون قيادة ، من الناحية التعليمية والاجتماعية والاقتصادية ، لتصبح من سكان الأحياء الفقيرة . وقد استولت الحكومة ، بالإضافة إلى الجامعة العثمانية ، على إدارة الكثير من الكليات الإسلامية .

وتوضح دراسة أجرتها مؤخرا صحيفة سياسات اليومية الناطقة بالأردية في حيدر أباد على

٤٣٢٩ شخصا ينتمون إلى ٦٢٩ أسرة ، المستوى التعليمى للمسلمين في حيدر أباد ، أن ٤٤,٧ ٪[٩] من رؤساء الأسر أميون ، وأن ٢٧,٦ ٪ حصلوا على شهادة التعليم الابتدائي ، ٨,٤ ٪ حصلوا على شهادة القبول بالجامعة ، وأن ٢,٥ ٪ منهم فقط حصلوا على التعليم الجامعي . وقد ضمت العينة ١٩١٢ طفلا تتراوح أعمارهم بين ٤ ، ١٨ عاما . واتضح أن ٤٢,٢ ٪ من بين هؤلاء كانوا منتظمين في الدراسة ، بينما تخلف المتبقون منهم (٥٧ ٪) عن مواصلة الدراسة أو لم يلتحقوا بالمدارس على الإطلاق .

كما تناولت دراسة اجتماعية اقتصاديةأخرى أجرتها «ستوين» [١٠]، عينة أكبر من الأسر منخفضة الدخل في كل من حيدر أباد وسيكوندراباد ، بلغت ٢٢١٥٤ شخصا ينتمون إلى ٣٢٠٠ أسرة . وكان محور الدراسة يدور حول الأحياء الفقيرة حيث يقيم عدد كبير من المسلمين . لكن الدراسة مع ذلك لا تقدم أية بيانات عن الجماعة . إلا أنه يمكن أن نفترض بأن غالبية المشتركين في الاستبيان كانت من المسلمين حيث كان مشروع التدريب على المهارات الذي بدأ بعد الدراسة ، موجها بصورة أساسية إلى المسلمين ويرمى إلى إفادتهم .

وكشفت نتائج الدراسة أن ثلث الأشخاص البالغين الذين ينتمون إلى القطاعات الأضعف ، كانوا أميين ، وكانت النسبة أكبر في صفوف الإناث . وكان حوالى ٤٠ ٪ ممن تناولتهم الدراسة قد درسوا حتى المرحلة المتوسطة من التعليم ، بينما انتظم ١٩,٨ ٪ منهم في الدراسة . بينما حصل ٧,٤ ٪ فقط على دراسات أخرى . ومن بين الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٥ ، ١٥ عاما كان ١٦ ٪ منهم لم يذهبوا إلى المدارس مطلقا وكان ٨٠,٤ ٪ مسجلين في المدارس ، بينما تخلف الباقون عن الدراسة .

ويلاحظ وجود انكماش حاد في مجال التعليم العالى . وقد انحدرت نسبة الدارسين المسلمين في كلية الآداب بالجامعة العثمانية من ١٥,٧٩ إلى ١١,٧٦ في ١٩٨٢ [١١] . وبلغ الانحدار في مجال العلوم الاجتماعية من ١١,٦٦ إلى ٨,٨٤ ، وفى التجارة من ٧,٠٩ إلى ٦,٥٥ ، وفي كلية التعليم من ٧,٧ إلى أقل من ٥ ٪ . وقد ظهر تقدم فى عدد الدارسين في كليتين اثنتين : في العلوم من ١٦,٢٠ إلى ١٦,٥٩ ، وفي الطب من ٧ ٪ إلى ١٦,٢٦ ٪ .

كارناتاكا :

أظهر مسلمو كارناتاكا أيضا تدهورا فى مستوى التعليم . ويمكن تجميع فكرة غامضة من المعلومات الواردة فى مذكرة اتحاد المسلمين المركزى في ميسور [١٢] (كانت كارناتاكا تعرف باسم ميسور من قبل) وقد أظهرت الدراسة أن ١١,٧ ٪ من السكان المسلمين ملتحقون بالمرحلة الابتدائية، في الوقت الذي كان فيه هذا الرقم على مستوى الولاية هو ١٣,١٧ ٪ . وكان متوسط عدد الطلبة المسلمين في الفصل الثامن الدراسى هو ٣,٢ لكل ألف مسلم من السكان ، مقابل النسبة العامة في الولاية البالغة ٦,٢٣ (لكل ألف من

السكان) . وكانت الأرقام المماثلة للفصل الدراسي التاسع هي ٢٣ , ٢ و٢٢,٥ ، وللفصل الدراسى العاشر ٨١ , ١ و ٢٥ , ٤ . وازداد انخفاض المتوسط بالنسبة للطلبة المسلمين في المرحلة قبل الجامعية ليصبح ٤ , ١ مقابل متوسط ٠٩ , ٢ للولاية .

وبلغ عدد الطلبة المسلمين من بين الطلبة الذين أكملوا التخرج من الجامعات الثلاث في كارناتاكا وهى جامعة بنجلور ، وجامعة ميسور ، وجامعة كارناتاكا ، ٨١٢ طالبا أو ٤ , ٤ ٪ من عدد الطلبة البالغ ١٨٣٩٨ طالبا . وكان ٩ , ١ ٪ ممن قاموا بدراسات فوق الجامعة من المسلمين (٤٠ من بين ٢٠٢٠) وكان عدد المسلمين الذين حصلوا على درجات علمية في الطب ٢٦ طالبا (٦ , ٣ ٪) من بين ٧٢٠ طالبا . وشكل المسلمون ٢ , ٢ ٪ من بين أولئك الذين أنهوا دراساتهم الهندسية (٥٧ طالبا من بين ٢٥٤٩ طالبا) . وقد لاحظت جميع الدراسات التى تمت على المسلمين في كارناتاكا ، معدل التخلف الكبير عن الدراسة في مرحلة الدراسة الابتدائية .

وتقدر مذكرة أخرى لاتحاد المسلمين المركزى[١٣] نسبة التخلف بحوالى ٥٠ ٪ في صفوف الطلبة المسلمين . وقد أدى هذا المعدل الضخم إلى موقف أصبح التخلف فيه عن الدراسة يقارب وضع الأمية . بينما تقدر دراسة أخرى[١٤] نسبة هؤلاء المرتدين إلى الأمية بحوالى ٤٥ ٪ من صفوف الأميين .

وتعكس وقائع دراسة اجتماعية / اقتصادية[١٥] لمدينة بنجلور والتي قام بها معهد التغيير الاجتماعى والاقتصادى ، المستوى التعليمى للمسلمين في مواجهة الجاليات الأخرى فى المدينة ، حيث يتمتع المسلمون بموقف أفضل نسبيا عن أجزاء أخرى فى كارناتاكا . ويقوم المسلمون في المدينة بإدارة كلية للشباب وكليتين للبنات ، وكليتين للهندسة فى ضواحى المدينة ، وست مدارس ثانوية وما يزيد على ١٠٠ مدرسة حضانة وابتدائية .

يضاف إلى ذلك ، عدد كبير من المؤسسات الأردية الوسيطة والمدارس الحكومية التى تقوم بتزويدهم باحتياجاتهم التعليمية . وقد غطت الدراسة بالعينة ١٧٤٥ منزلا ، كان عدد المسلمين فيهم يمثل ٥ , ١٠ ٪ ، وعدد الهندوس ٦ , ٨٠ ٪ وكان المسيحيون وغيرهم يمثلون ٥ , ٧ ٪ . وقد كانت النسبة المئوية لتوزيع المنازل حسب التعليم ما يلى :

المستوى التعليمى	الديانات		
	هندوسى	مسلم	مسيحى
أمى	٦,٦	٦,٦	٣,١
معرفة القراءة والكتابة – ابتدائى / متوسط	٤٨,٠	٦٦,٦	٤٢,٢
ثانوى / قبل جامعى / وسيط	٢٨,٢	١٩,٧	٤٤,٥
جامعى	٧,٨	٣,٨	٣,٩
خريجى الطب / الهندسة	٢,٣	–	–
دراسات عليا (ما بعد التخرج)	٢,٦	١,١	١,٦
غير ذلك	٤,١	٢,٢	١,٦

وتصلح هذه الدراسة دليلا على مدى المراحل المبكرة التى يتوقف فيها المسلمون عن الدراسة حيث أن ٦٦,٦ أو ثلثى الأطفال المسلمين الملتحقين بالمدارس ، لا يتجاوزون فى دراستهم مستوى المرحلة الابتدائية أو المتوسطة .

كيرالا :

تعتبر

ولاية كيرالا ، أهم الولايات من وجهة النظر الإسلامية . إذ فضلا عن وجود أكبر تجمع إسلامى فيها فى جنوب شبه الجزيرة فهى تعتبر حيوية حيث يتمتع المسلمون بثقل سياسى فى الولاية المتفجرة . وينعكس أثر تخلفهم التعليمى على نوعية القيادة فى المجتمع .
وقد وصل مسلمو كيرالا متأخرين إلى المستوى التعليمى الحديث . وقد قاوم التشدد الدينى لفترة طويلة انتشار التعليم الحديث . وتأسست أول كلية للتعليم الحديث وهى كلية فاروق فى عام ١٩٤٨ [١٦] نتيجة للشعور القوى بين المسلمين بأنهم صاروا يستبعدون من مهن متنوعة ، ومن التطور الاقتصادى نتيجة لنقص التعليم الحديث . وكانت كلية فاروق محاولة رائدة . وقد ظهرت فيما بعد حركة تعليمية قوية تحت راية جمعية التعليم الإسلامية التى يوجد مقرها فى كاليو (كيزكود) .

وبالرغم من أن كيرالا تعتبر مهد حركة التعليم الحديث ، فإنه لا توجد بها أية دراسة منظمة للمتطلبات التعليمية للمسلمين . إلا أنه توجد بعض الملاحظات القليلة التى يمكن بواسطتها معرفة المستوى التعليمى للجماعة .

يشكل المسلمون حوالى ٢٠ ٪ من سكان الولاية . ويتمتعون بنسبة ١٢ ٪ من خدمات حكومة الولاية والمؤسسات التعليمية . ويمكن للمسلمين الاستفادة بهذه الميزة فى الحصول على ١٢ ٪ من الأماكن فى كافة الكليات المهنية . وقد أوضحت نتائج بعض اللجان أن معظم الحصص المخصصة للمسلمين تذهب دون مطالعة ونتيجة لذلك تصبح من نصيب الأقليات الأخرى .

وطبقا لتلك الدراسة[١٧] ، فإن نصيب الطلبة المسلمين في مستوى الصف العاشر (السنة النهائية من مدارس التأهيل للقبول الجامعى) كان ١٠ ٪ وكانت نسبتهم فى كليات الآداب والعلوم ٦٩ , ٦ ٪ ، وفى كليات الهندسة ٢٦ , ٩ ٪، وفى كليات الطب ٤٦ , ١١ ٪، وفى كليات طب الأسنان ٥٤ , ١١ ٪، وفى كليات الحقوق ٠٩ , ٩ ٪ .

ويعزو المسلمون سبب تمثيلهم الهزيل – فى مجال التعليم – إلى التفرقة التى تمارسها السلطات . ولكن فى كيرالا حيث يتمتعون بحماية دستورية تمثل ١٢ ٪ ، تصبح نظرية التفرقة غير ذات معنى . والتفسير الوحيد البسيط هو أن الجماعة (الإسلامية) غير قادرة على أن ترسل العدد الكافى من التلاميذ الذين يتمتعون بحد أدنى من التأهيل للحصول على الحصة المخصصة لهم . وتتضح هذه الفكرة بصورة أدق عند معرفة أن نصيب المسلمين من الطلبة المتقدمين لامتحان شهادة القبول بالجامعة كان مجرد ٢ , ٨ ٪ ، بينما أن نصيبهم حسب التمثيل لابد أن يكون ٥ , ١٩ ٪ طالب مسلم .

وتلقى دراسة عن تصنيف الطلبة المسلمين المتقدمين لامتحان (S. S. L. C)[١٨] فى كيرالا لعام ١٩٨١ ، ضوءا كبيرا على نوعية تعليم الطلبة المسلمين حيث لا يوجد فى صفوف الطلبة الحاصلين على المرتبة العاشرة فى الامتحان ، أحد من المسلمين . وقد حصل طالب مسلم واحد من منطقة فيرون على مرتبة الامتياز من بين الحاصلين على المرتبة الأولى فى كل من المناطق التعليمية التسع والعشرين ، بينما يعتبر المسلمون أغلبية فى أربع من المناطق التعليمية وقد كان من بين الطلاب المتقدمين البالغ عددهم ١٤٦ ، والحاصلين على مجموع ٩٠ ٪ من العلامات ثلاثة طلاب معلمين فقط . ومع هذا المستوى المنخفض من التحصيل فى الامتحانات ، يصعب على الإنسان أن يتوقع أن تحصل الجماعة (الإسلامية) على مجرد حصتها فى الكليات المهنية ، فضلا عن أن تطالب بنصيب أكبر من الفرص .

تلقى الدراسة سالفة الذكر ومن خلال زوايا مختلفة ظلالًا من الشك حول حقيقة أن المسلمين متخلفون تعليميا .

ويمكن أن توضع الخلاصة كما يلى :

١ – يتخلف المسلمون كثيرا عن الجاليات الأخرى في مجال التعليم ، ويتطلب الأمر بذل جهد هائل للحاق بالآخرين .

٢ ـ لا يتم تمثيل الطلبة المسلمين ، في أي مرحلة من مراحل التعليم ، بما يتفق وحجم السكان المسلمين .

٣ ـ تعتبر مرحلة التعليم الابتدائي هي مجال العجز الرئيسي الذي تقل فيه نسبة الطلبة المسلمين ، كما أن عمليات التخلف عن التعليم فيما بعد تزيد أكثر من تلك النسبة . وفي ذات الوقت فإن ذلك يزيد من معدل الأميين ، ويقلل من عدد الدارسين في مرحلة التعليم الثانوي والعالي .

٤ ـ لا تعتبر التفرقة عنصراً فعالاً في نقص تمثيل المسلمين في التعليم العالي والبرامج المهنية إنما يكمن الداء حقيقة في الأداء المتدني للطلبة المسلمين وتدهور كفاءة المدارس الإسلامية وعدم الصلاحية العامة .

ويؤدى ذلك إلى إثارة قضية الحاجة إلى زيادة التركيز على التعليم الابتدائى للطلبة المسلمين بالإضافة إلى الإجراءات السريعة لبحث حالات التخلف . من بين العوامل المختلفة – والتى تؤدى إلى التخلف – يمكن اعتبار ما يلى ذا أولوية فى استخراج الحلول :

(أ) عمل الأطفال – يتم إلحاق الأطفال بأعمال صغيرة هزيلة لدعم دخل الأسرة .

(ب) جهل الأم : ينطبق ذلك فقط فى حالة الأطفال الذين يتكلمون الأردية فى تاميل نادو ، وكارناتاكا ، وأندرابراديش .

(جـ) نقص الإشراف وعدم الاهتمام من قبل الوالدين .

(د) التعليم الذي ليس له صلة بالمجتمع .

(هـ) نقص الوسائل التعليمية .

(و) بعد المسافة بين القرية والمدرسة .

(ز) تمسك الفتيات المسلمات بالحجاب والزواج المبكر [١٩] .

ويجب أن تكون زيادة إلحاق الأطفال المسلمين بالمدارس فى مقدمة اهتمامات الجماعة المسلمة . وخلال العقدين الآخرين عندما دعمت العديد من الحركات التعليمية مركزها على مستوى الولاية ، بدأ الاهتمام يتجه إلى التعليم العالى . وربما كان الأشخاص الذين يترأسون تلك الحركات يشعرون بالقلق إزاء انعدام تمثيل المسلمين فى الخدمات الحكومية ، ومن هنا كانت الحاجة إلى إقامة المزيد من الكليات وتخريج المزيد من الخريجين . ولكن ذلك أدى إلى حدوث عدم توازن : فقد زاد عدد الكليات عن المؤسسات المغذية لها . ويجب أن يعود التأكيد الآن على التعليم الابتدائى وتحسين النوعية على مستوى التعليم الثانوى ، والاحتفاظ بأكبر عدد ممكن من الأطفال المسلمين فى المدارس فى كل مرحلة . ويمكن للمدارس الإسلامية اتخاذ إجراءات مثل تقديم وجبات غداء ، أو تقديم كتب دراسية موحدة الخ ..... التى

تضمن ، بالإضافة إلى اجتذاب المزيد من التلاميذ ، استمرارهم فى الدراسة ، كما يجب إنشاء مدارس مستقلة للبنين وللبنات فى المرحلة الثانوية ، وذلك للإبقاء على البنات فى المدارس .

التخطيط العشوائى والأولويات المغلوطة :

لم تستطع الحركة التعليمية للسيد / سيد أحمد خان أن تتجاوز مرحلة عليكرة وجامعة عليكرة الإسلامية فى شمال الهند . وقد أدت المعارضة للتعليم الحديث من جماعات العلماء المتشددين إلى إنشاء العديد من المدارس الدينية مثل دار العلوم ، ديوباند ، وندوة العلوم ، لوكنو . لكن دعوة السيد / سيد إلى التعليم الحديث لقيت استجابة حارة فى جنوب الهند . وقد أنشئت الكلية المحمدية فى مدراس فى ١٩١٦ فى أعقاب اليقظة التى أثارتها حركة السيد / سيد بهدف نشر التعليم الحديث فى صفوف المسلمين [٢٠] . وأنشأ المسلمون فى فانيام بادى – على بعد ١٢٠ ميلا إلى الغرب من مدراس – الكلية الإسلامية فى ١٩١٩ . وأصبحت الجامعة العثمانية التى أنشئت فى ١٩١٨ نواة لنشاط أكاديمى عظيم . وبدأت كلية فاروق المسيرة فى كيرالا . وقد أدى الاستقرار الاجتماعى والازدهار الاقتصادى وأعمال الخير إلى زيادة النمو . وأصبح المسلمون الآن يديرون ١٣ ، ١٥ كلية فى كل من تاميل نادو ، وكيرالا على التوالى . كما تم إنشاء حوالى ٦ كليات فى كل من اندرابراديش ، وكارناتاكا . ويوجد فى ولايات جنوب الهند الأربع ما يزيد على ٤٠ كلية من الكليات البالغ عددها ٦٨ كلية التى يديرها المسلمون . وهم يديرون بالإضافة إلى ذلك ٨ كليات هندسة وكليتين للطب ، وكلية للحقوق ، وكلية للتدريب والعديد من المعاهد التقنية ، ومعاهد التدريب الصناعى .

وفيما يبدو ، فإن وجود مثل هذا العدد الكبير من الكليات وما يتبعها من تأثير ، يعطى صورة مبالغا فيها للحالة التعليمية للجماعة الإسلامية ، لكن النظرة الفاحصة تكشف عن أنه بالرغم من الواجهة الإسلامية لتلك الكليات والملحقة كمؤسسات للأقليات والتى تحمل أسماء إسلامية رنانة ، فإن أغلبية المستفيدين منها هم من غير المسلمين .

ويبدو أن الجماعة الإسلامية ، قد بدأت تلك الكليات بدون التعرف الملائم على متطلباتها . وقد بدأ المسلمون فى تاميل نادو إنشاء ١٣ كلية منها ٦ تقدم مناهج للدراسات العليا . ولكن النسبة الغالبية الدائمة من طلبتها تأتى من صفوف غير المسلمين . وفيما يلى بيان بأعداد الطلبة المسلمين وغير المسلمين للموسم الدراسى ٨٤ / ١٩٨٥ . وقد قام هذا المراسل بتجميع تلك الأرقام لهذه الدراسة بصفة خاصة ، من سبع كليات أمكن الاتصال بها خلال فترة محدودة .

الكليـــــات	العدد الاجمالى للطلبة	المسلمون	٪
الكليات الجدية ، مدراس أنشئت ١٩٥١	٢٢٤١	١٠٤٥	٤٦,٦
الكلية الإسلامية، فانيا مودى أنشئت ١٩١٩	٩٤٥	٣٦٧	٣٨,٨
كلية بشير العدالة أحمد سيد للنساء، مدراس أنشئت ١٩٥٥	١٦٣٥	٢٦٣	١٦,٢
كلية س . عبد الحكيم ملفيشـرام أنشئت ١٩٦٥	١٠٤٩	١٩٨	١٨,٨
كلية قايد ملة للرجال مدراس، أنشئت ١٩٧٥	٥٨٦	١١٠	١٨,٧
كلية الدكتور زاكر حسين ، اليانداجودى	٣٣٤	١٠١	٣٠,٢
كلية مظهر العلوم ، أمبور	٣٩٧	٥٣	١٣,٣

ومن الواضح أن الطلبة المسلمين لا يشكلون أغلبية فى أى منها . ولا يهدف ذلك إلى القول بأنه لم يكن على المسلمين البدء فى إنشاء الكليات ، كما لا يجب أن يفسر ذلك على أنه دعوة لمنع قبول غير المسلمين . لكن ذلك يرمى فحسب لإبراز الاهتزاز فى الأولويات . بالرغم من عدم تجاهل مساهمتها الإيجابية فى نشر التعليم العالى فى صفوف المسلمين وقد كان دافع المسلمين في كثير من الحالات للبدء فى إنشاء كلياتهم هو منعهم من الدخول فى الأقسام الخاصة بهم فى الكليات التى تديرها الجاليات الأخرى . وتتحمل الحكومة ٨٠٪ من النفقات التى تصرفها الإدارة مقابل مرتبات العاملين وصيانة المختبرات . فضلا عن أن الإدارة تحتفظ لنفسها بالحق فى تعيين المدرسين الذين يقع اختيارها عليهم . وفى هذه الحالة فإن الكليات التي يديرها المسلمون تزيد من فرص العمالة للمدرسين المسلمين . ويمكن ذكر تلك المبررات للرد على دعوتى بوقف إنشاء أية كليات أخرى بواسطة المسلمين . ولكننى أقمت دعواى أساسا على مسألة التخطيط . ويجب أن نقبل حقيقة أن المسلمين بدأوا إنشاء تلك الكليات دون أن يوسعوا بطريقة ملائمة قاعدة التعليم الابتدائى والثانوى . أو أن الكليات أنشئت فى مناطق لا تتوافر فيها المؤسسات الكافية لتغذيتها بالطلبة .

ويمكن تصوير ذلك بشكل أوضح إذا ما فحصنا الهرم الخاص بالمؤسسات التعليمية فى تاميل نادو فى ٧٢ – ١٩٧٣ . كان يوجد فى الولاية ١٧٢ كلية ، ٢٧٦٣ مدرسة ثانوية ، ٣٢٢٤٨ مدرسة ابتدائية وابتدائية راقية . وتصبح النسبة ١٦ مدرسة ثانوية و١٩٣ مدرسة ابتدائية لكل كلية[٢١] .

وإذا ما أردنا أن تكون الكليات الثلاث عشرة القائمة مفيدة للجماعة بالصورة المرغوبة ، فإن المسلمين يحتاجون إلى ٢٠٨ مدرسة ثانوية و ٢٥٠٩ مدرسة ابتدائية . ولكن يبدو أن هذه النسبة مفتقدة فى تخطيط التعليم لدى الجماعة . إذ لا تزيد المدارس الثانوية التى يديرها المسلمون على ٤٠ مدرسة ، بينما لا يوجد ٢٠٠ مدرسة ابتدائية إسلامية خاصة ، وهو ما يماثل عشر العدد المطلوب .

ويقوم المسلمون فى مقاطعة أركوت الشمالية بإدارة ثلاث كليات مع تمثيل إسلامى يتراوح ما بين ١٣ ، ٣٠ ٪ . وإذا أمكن توفير تسهيلات بيوت الشباب لأمكن الاكتفاء بكلية واحدة ولأمكن تحويل المبالغ المستثمرة فى الكليتين الأخريين إلى المزيد من التعليم الابتدائى الأساسى وإلى منح دراسية للطلبة الذين يسعون للعمل قبل الحصول على التعليم الملائم .

ويسود موقف مماثل – وإن كان بدرجة أقل حدة – فى كيرالا حيث متوسط تمثيل المسلمين فى الكليات الإسلامية هو ٣٠ ٪ ، وقد أضافت الجمعية التعليمية الإسلامية كليات أخرى دون تفكير ، حيث أنشأت ٦ كليات بدون زيادة ملائمة فى تطوير عدد المؤسسات التعليمية المغذية لها .

والنقطة الأساسية التى تحتاج إلى الفهم هي أنه حتى وإن كانت الحكومة تتولى تكاليف الصيانة والمرتبات ، فإن تلك الكليات تستهلك استثمارات إسلامية هائلة حيث يتطلب الأمر أن يوفر المؤسسون البنية الأساسية ، بينما يمكن أن ينشر ذلك وبفائدة أكثر فى مستويات أدنى .

والنقطة الثانية أن هذه الكليات تحتاج إلى اهتمام وطاقات الأفراد والتي يمكن أيضا توجيهها بطريقة أكثر فائدة .

والنقطة الثالثة هى أنه ما لم يوجد بالكليات التى يديرها مسلمون أغلبية من الطلبة المسلمين ، فإنه لا يمكنها الاحتفاظ بشخصية مسلمة أو شخصية الأقلية من الناحية العملية . وفي كثير من الحالات ، اضطرت الإدارات فى مثل تلك الكليات إلى إلغاء عطلة يوم الجمعة تحت ضغط اتحادات الطلبة ، وأن ترفع الحظر على دخول الشباب مساكن الفتيات ، وأن تسحب القيود الخاصة بالملابس الخ ... وهكذا فإنه حتى من مجرد الزاوية الخاصة بالهوية ، فإن على الكليات الإسلامية أن تحاول اجتذاب نسبة عالية من الطلبة المسلمين .

وفى التحليل النهائى ، تحتاج رئاسة التعليم الإسلامى إلى مراجعة الاستراتيجية ، وأن تجرى تقويما عند هذه المرحلة . ويتطلب الأمر توجيه الجهود نحو تسجيل كافة الأطفال المسلمين فى المدارس الابتدائية لكى تتلقى أذهانهم الصافية تعاليم الإسلام من البداية ذاتها . إن تعليم الطفل فى مدارس علمانية وتنشئته فى أسرة مسلمة يؤدى إلى ظهور انقسام أو ازدواج فى الشخصية

فى كل فرد منهم . إن المقدرة على إدراك روح القرآن ، واستيعاب التاريخ الإسلامى وتراث الإسلام تعتبر جزءا لا يتجزأ من الفهم الكامل للإسلام ، وفى الظروف المحيطة فى الهند يصبح مجرد فهم اللغة الأردية أمرا أساسيا نظرا لأنها الوسيلة الرئيسية للاتصال بين غالبية المسلمين . ويجب على كل مسلم يتكلم الأردية على الأقل أن يتعلم اللغة لكى يحافظ على الصلة بالماضى . وكل ذلك سيصبح ممكنا إذا ما تلقى الطفل تعليمه الابتدائى فى المدارس التى تديرها الجماعة الإسلامية . ولكن باستعراض النمط السكنى للمسلمين ، يبدو ذلك الأمر غير ممكن . وعليه فالمناطق التى يكون من المتعذر فيها تشغيل مدرسة الجماعة ، يجب تشغيل مدارس صباحية أو مسائية لإعطاء الأسس الرئيسية للأطفال . ويستحق نموذج كيرالا ، فى هذا المجال ، الاقتداء به . إذ تقوم حوالى ٧٠٠٠ مدرسة بتزويد الأطفال بتعاليم الإسلام فى كيرالا بتشغيل فصول صباحية أو مسائية مع السماح للأطفال بحضور الدراسة فى المدارس العلمانية خلال النهار .

ويتلقى الأطفال المسلمون الذين يدرسون بإحدى اللغتين المالايالامية أو التاميلية ، التعاليم الإسلامية بشكل أو بآخر نظرًا لوجود مطبوعات إسلامية بكلتا اللغتين . كما أن بعض المجلات الإسلامية تحيطهم علما بالتطورات الإسلامية وتتيح الفرصة لاستمرار تعليمهم . ولا تتوفر تسهيلات مماثلة للمسلمين الذين يتحدثون بلغة التلوجو أو الكانادا وينمو أطفالهم دون أن يتعرفوا على العقيدة الإسلامية الفعلية . ويجب بالمثل أخذ الظروف الثقافية لهذه الأقسام فى الاعتبار .

التعليم المهنى :

كان هناك قلق – خلال عقد من الزمان – حول نصيب المسلمين المتدهور فى برامج التدريب المهنية ، وبخاصة فى مجال الطب والهندسة وقد أدى ذلك إلى المطالبة بالموافقة على إنشاء كليات الهندسة والطب التى يديرها المسلمون . وفى كثير من الحالات ، وافقت حكومات الولايات المختلفة على مثل هذه الكليات بناء على طلبات الجمعيات التعليمية . ويوجد حاليا ٨ كليات هندسة ، ٢ كلية طب تعمل جميعها تحت إدارة إسلامية ، وقد بدأ معظمها العمل خلال العامين الماضيين ، ولما كانت تلك الكليات تخضع لإدارة خاصة ، فإن الجماعة تكون مسئولة عن توفير التجهيزات الأساسية لها . فضلا عن تحملها النفقات الخاصة بمرتبات هيئة التدريس والصيانة أيضا . وسيتم توفير الجانب الأكبر منها من خلال الرسوم المفروضة على كل طالب عند الالتحاق .

وبالرغم من أن تلك الكليات تديرها الأقليات ، فإن للإدارة الحق فى ممارسة حريتها فى عملية القبول . ولما كان سداد الرسوم هو المعيار الوحيد ، فقد استطاع الطلبة غير المسلمين الحصول على معظم الأماكن . وأية محاولة خاصة للنظر فى أمر تخفيض الرسوم للمتقدمين من

المسلمين لا تتفق وقواعد السوق ، حيث سيؤدى ذلك إلى قيود مالية ومن ثم تدنى إلى مستوى التسهيلات ومستوى الدراسة .

ولما كانت الجماعات الأخرى أقوى ماليا ، فإنها تشغل أغلبية الأماكن فى الكليات المهنية المحدودة التي يديرها المسلمون أيضا .

وبالرغم من أن كل جماعة قد عارضت إنشاء مثل هذه الكليات ، وتكشف دراسة تمت لأربع من كليات الهندسة التى يديرها المسلمون أن غالبية الطلبة كانوا من غير المسلمين . وحيثما يتطلب الأمر شغل جزء من الأماكن من خلال المنافسة طبقا للقواعد الحكومية ، تنخفض نسبة المسلمين إلى درجة متدنية جدا .

الكليـــــات	إجمالى عدد الطلبة خلال ٨٤/ ١٩٨٥ فى كل السنوات	المسلمون	النسبة (٪)
كلية هندسة الشيخ صالح كامل هلال، مدراس (أ)	١٨٨	٣٣	١٧,٥
كليات هندسة النجمان باتكال، كاناتاكا	٣٧٧	١١٥	٣٠,٥
المعهد الإسلامى للتكنولجيا بنجلور (ب)	٨٥٢	٥٦٥	٦٦,٠
كلية نموسيا للهندسة راما ناجارام	٦٠٠	١٩٠	٣١٪٦

(أ) بدأت هذه الكلية في عام ١٩٨٤ ، ويوجد بها طلبة السنة الأولى فقط . و٥٠٪ من الأماكن وهي (٩٤) مكانا للقبول على أساس الرسوم ، يشغل منها المسلمون ٢٣ مكانا . والـ ٥٠٪ المتبقية على أساس المنافسة . ويشغل المسلمون منها ١٠ أماكن فقط . وفي كلية خامسة يديرها المسلمون هي كلية الهندسة **TKM** كويلون ، كيرالا ، يشغل الطلبة المسلمون ٢٥٪ من الأماكن فقط .

(ب) إن المعهد الإسلامي للتكنولوجيا هو الكلية الوحيدة التي توجد بها أغلبية مسلمة . ولكن ذلك يعزى إلى حقيقة أنه يجتذب عشرات من الطلبة الإيرانيين .

ونظراً لوجود الكليات فى ولايات مختلفة، فإن عمليات القبول تخضع لقواعد متنوعة. ففي كارناتاكا – على سبيل المثال – التى يوجد بها أربع كليات هندسة يديرها المسلمون تتزايد حصة الحكومة من الأماكن فى المعاهد الخاصة بنسبة ١٠٪ سنويا . وتم فى ٨٤ / ١٩٨٥ شغل ٢٠٪ من أماكن حصة الحكومة من خلال المسابقات العامة المفتوحة .

وكان عدد الطلبة المسلمين الذين التحقوا عن طريق امتحانات المسابقة ضئيلا جدا . ومع انتهاء القبول على أساس الرسوم بالتدريج ، فإن كل الطلبة سوف يلتحقون بعد ثماني سنوات ، عن طريق المنافسة فقط . وكما تشير الدلائل ، فسيقل جدا عدد الطلبة الذين يستفيدون من التسهيلات التى أوجدتها الجماعة لهم . وفى تاميل نادو المجاورة يخصص ٥٠ ٪ من الأماكن كحصة للإدارة ، بينما تذهب بقية الأماكن للتنسيق العام . وتقتصر حصة الإدارة فى كيرالا على ٢٥ ٪ فقط .

وهنا – مرة أخرى – اختارت القيادة البداية الخاطئة ، ذلك أن القناعة بالكليات المهنية التى تديرها الجماعة ستكون أمرا انتحاريا فى المستقبل .

وسواء كانت أسس القبول فى تلك الكليات هي سداد الرسوم أو مستوى التحصيل فى امتحانات المنافسة ، فليس من المحتمل أن يستفيد المسلمون تماما من الكليات الخاصة بهم . وستكون القضية مرة أخرى استثمارًا فى غير موضعه . وعادة ما تتصل الإدارات المسلمة بالمتبرعين فى دول الخليج للمساعدة في إنشاء مثل هذه الكليات ، مبرزين فقط الأسماء الإسلامية لها دون أن يحددوا المكاسب التى ستعود على الجماعة منها . إن إنشاء كليات مهنية يديرها المسلمون ليس مسألة تستحق الاهتمام . لكن السؤال الذي ينتظر الإجابة هو كيف يزيد المسلمون نصيبهم فى برامج الدراسات المهنية ؟.

إن المطلوب فى هذه المرحلة هو التنمية النوعية وتحسين مستويات المدارس الثانوية الإسلامية التى تعتبر النقطة النهائية التى يتحدد بعدها اتجاه الطلاب . ويجب اختيار الطلبة المتفوقين للمنح الدراسية وللتدريب الخاص لامتحانات المنافسة . كما أن بعض الاستثمارات بالنسبة للمؤسسات الإعدادية لمثل هذه المنافسات سيعود بالفائدة الكبيرة ويكون له عائدات أفضل . وسوف يتيح ذلك للطلبة المسلمين فرصة شغل نصيب عادل من الأماكن فى كليات الهندسة والطب التى تديرها الحكومة وكذلك الجاليات الأخرى . ويجب أن تكون وحدة الأبحاث وتحسين النوعية خاضعة للجمعيات التعليمية الإسلامية لرصد نتائج امتحاناتهم العامة بصفة دائمة ومقارنة أدائها مع المدارس التى تديرها جاليات أخرى .

مشكلة اللغة :

إن نظام السياسات اللغوية المشوش والمتنوع الذي تتبعه ولايات جنوب الهند المنقسمة لغويا ، يضع أطفال المسلمين فى موقف غير ملائم بالنسبة لقرنائهم غير المسلمين . إذ يجب على الطفل المسلم بصورة ثابتة فى كل من هذه الولايات أن يدرس على الأقل لغة أخرى تؤدى بالإضافة إلى كونها غريبة بالنسبة لعقول الصغار ، إلى تشتيت التركيز والجهد . ويواجه المسلمون الذين يتحدثون الأردية ، والذين يشكلون نصف عدد المسلمين تقريبا ،

الجانب الأكبر من تلك المصاعب . ذلك أن التعليم بواسطة اللغة الأردية يجعل فرص التوظيف ضعيفة جدا ، بينما يؤدى التعليم بواسطة اللغة الإقليمية إلى تعريض وجودهم الثقافي للخطر .

إن دراسة أربع لغات تبدو هى العلاج الملائم الوحيد للوفاء بالاحتياجات الثقافية والاقتصادية . ولكن منهج الدراسة لا يسمح بدراسة أربع لغات ويسمح فقط بدراسة ثلاث لغات كحدّ أقصى . وفيمايلي بيان[٢٢] بالتركيبة اللغوية فى ولايات جنوب الهند .

الولايات	اللغـــات		
	أولـــى	ثانيــة	ثالثــة
اندرابراديش *	أية لغة مما يلي تلجو ، ماراثى ، تاميل ، الأردية ، هندى ، أوريا ، كانادا .	هندى بالنسبة لغير الهنود	هندى
كيرالا	ماليالام ، تاميل ، كانادا ، سانسكريت الفرنسية ، كوجراتى ، الأردية	الإنجليزية	هندى
تاميل نادو	اللغة الإقليمية (تاميل) أو اللغة الأم	الإنجليزية أو أية لغة هندية	هندى

(ملاحظات : انتهجت تاميل نادو تركيبة من لغتين للتخلص من اللغة الهندية) .

* ذكر المؤلف لغتين فقط أمام اندرابراديش ، ولكنها تنتهج تركيبة من ثلاث لغات ، واللغة الثالثة هي الإنجليزية .

ولا يشمل هذا البيان المأخوذ من كتاب « ك .ك .وادوا » بعنوان « وقاية الأقلية » ولاية كارناتاكا . إن التركيبه التى اعتمدت حديثا تجعل « الكانادا » لغة أولى إلزامية اعتبارا من السنة الأولى فى كارناتاكا . وتكون اللغة الأم لغة ثانية بينما يتم اختيار اللغة الثالثة من بين قائمة من سبع لغات مثل الهندية ، الأردية ، الإنجليزية الماراتية ، التاميل ، التلجو ، الماليالام[٢٣] . وفى الظروف العادية فإن المزايا الاقتصادية التى تحدد قيمة وفرص التوظف ، تكون العامل المؤثر فى اختيار الطالب للغات ، وتأتى فرص اختيار اللغة على أساس ضرورتها الثقافية في نهاية القائمة . وفى معظم الأحوال يفضل الأطفال فى الأسر التى تتحدث الأردية ، تركيبة من الإنجليزية والهندية والكانادا فى ولاية كاراناتكا ، والتاميل والإنجليزية فى ولاية تاميل نادو ، والإنجليزية والهندية

والتلجو فى اندرابراديش لميزتها الاقتصادي. وسوف يختار الأردية فقط إذا كان يدرس في بيئة أردية. وهكذا ينمو الأطفال المسلمون الذين يدرسون فى مدارس الصفوة أو مدارس اللغة الإنجليزية دون أن يعلموا شيئا عن التراث الإسلامى، أو التاريخ الإسلامى أو التعاليم الإسلامية وصلتها بالحياة اليومية. وهؤلاء الذين تحولوا ثقافيًا، هم أنفسهم الذين سيمثلون الجماعة فى الإدارة، والوظائف الحكومية، والسياسة والقضاء والهيئات الجامعية الخ. فى المستقبل، ويمكن أن نتخيل مدى فعالية تمثيلهم والطريقة التى سيشرحون بها موقف الجماعة الإسلامية تجاه القضايا المختلفة.

ويمكن معالجة هذه المشكلة من زاوية ذات شعب ثلاث. يجب على المسلمين الذين يتحدثون الأردية أن يطالبوا بتركيبة من أربع لغات لأنفسهم فى اندرابراديش وكارناتاكا والتى تشمل الأردية والهندية والإنجليزية واللغات الإقليمية المعنية فى الولايات. وعليهم أن يطالبوا فى تاميل نادو بالتصريح الخاص لهم بدراسة ثلاث لغات مثل الإنجليزية والأردية واللغة المحلية التاميل.

لقد حان الوقت لأن يبدأ المسلمون سلسلة من المدارس النوعية باللغة الإنجليزية وأن يكون بعضها مدارس داخلية أيضا. إن عددا كبيرا من الطلبة المسلمين من الأسر المتميزة فى مدن جنوب الهند يذهبون إلى مدارس تديرها بعثات التبشير المسيحية، وهم بذلك يفقدون هويتهم المسلمة. ويمكن إنشاء مدارس ذات مستويات مماثلة مع منهج يضم تعاليم إسلامية ويتيح فرصة تعلم اللغتين العربية والأردية مع التركيز على بناء الشخصية. إن مدرسة الهلال الثانوية الداخلية فى مدراس والتى يديرها اتحاد سيثاكاثى هى مثال يمكن محاكاته فى مناطق أخرى.

كما يجب كذلك بذل جهد هائل لتحسين مستويات المدارس التى تدرس بالأردية ، سواء أكانت تدار من قبل الحكومة أو الجهات الخاصة .

إن المستويات المتدنية ، عبر السنين ، لمدارس اللغة الأردية قد حولتها إلى مأوى للطلبة الكسالى المتخلفين ذوى المجاميع الضعيفة بدون أى مستقبل . ويسيطر جو عام من التراخى على المدارس الأردية ، فالآباء غير مهتمين والمدرسون مهملون، والمفتشون متراخون فى الإشراف،والتقدير فى الامتحانات لا يخضع للقواعد ، وكل ذلك تعاطف مع أبناء اللغة المشتركة ، وهو اصطلاح يدل على أبناء العقيدة الواحدة فى حالة الأردية فى جنوب الهند . ويتم كل ذلك بنية حسنة وهو أن ينجح المزيد من المسلمين فى الامتحانات . ويترك هذا الجو من التساهل والتراخى أثره على المستويات الأكاديمية للطلبة ، حيث يحرز طلبة المدارس الأردية نتائج هزيلة فى امتحانات الكليات ، ويتم استبعادهم فى امتحانات المنافسة . ونظرا لأن الأردية لم تعد لها أهمية اقتصادية فى جنوب الهند ، فقد يكون من الأفضل لكافة المدارس الأردية أن تزود طلبتها باللغات الإنجليزية والإقليمية بصورة ملائمة . ويتحتم على طلبة الأردية

أن يتحولوا إلى وسيط آخر سواء فى المستوى الثانوى أو فى الكلية . ويمكن فقط فى حالة السيطرة والتمكن من اللغات الأخرى السائدة فى الولايات أن يضمن الطالب الإنجاز المستمر للدراسات بالرغم من اختلاف وسيط الدراسة .

مجلس التعليم :

إن متطلبات التعليم الإسلامى والاختيارات الخاصة للغات تجعل إنشاء مجلس للتعليم الثانوى للمدارس الإسلامية أمرًا مهمًا فى هذا الوقت .

وإذا ما حاولت المدارس الإسلامية معا إنشاء مثل هذا المجلس والاعتراف بشهاداته من وزارة التعليم ، فإنه يمكن تعديل المناهج بصورة دقيقة تفى باحتياجات الجماعة . إن حقوق الأقلية والحفاظ على كيانها الثقافى يتمتعان بضمانات دستورية . وعلى الجماعة بمقتضى هذه الشروط أن تسعى للحصول على موافقة خاصة لإنشاء مجلس تعليم للمسلمين على غرار المدارس الثانوية الأنجلو هندية أو المجلس المركزى للتعليم الثانوي .

إن اتخاذ خطوة فى هذا الاتجاه سوف يُحرر المؤسسات الإسلامية من تطبيق معادلة اللغة المتنوعة ، والتشريع التمييزى .. الخ الذى يتم تطبيقه من وقت لآخر فى الولايات .

NOTES

1

The following persons assisted this author in making a study of the problems of Muslim education in south India: Capt. N. A. Ameer Ali, Secretary, Seethakathi Trust, Madras; pof. G. Farhathullah, Vice Principal, The New College, Madras; Dr. A. Azeez, Professor, Institute for Social and Economic Change, Banglore; Rajam krishna, Principal, Justice Basheer Ahmad Sayeed College for Women, Madras; Shukoor Ahmed, Vice President, Central Muslim Association of Karnataka, Banglore; Prof. M.I. Bagsiraj, Principal, Anjuman Arts, Science and Commerce College, Bhatkal, Karnataka; prof. M. A. Basheer, Principal, Islamiah Institute of Technology, Banglore; Prof. A.S. Seetharamu, Professor, Institute for Social and Economic Change, Banlove; S. A. kabeer, Assistant Editor, Probodhanam Weekly, Calicut, kerala; Abdur Rahman Moin, Principal, Islamic College, Chennamangalore, Kerala.

1 . **The Seventeenth Report of the Commissioner for Linguistic Minorities in India.** (Ministry of Home Affairs, Government of India, June 1974-July 1975) pp. 110-111. The report puts the Urdu speaking population at 7.5%, Tamil speaking population at 1.2% in 4,35,09, 708 persons living in Andhra Pradesh as per 1971 census.

2 . Ibid, pp. 140-141

3 . Ibid, pp. 120-122.

4 . Reply to the Questionnaire for General Public by **tamilnadu Backward Classes Commission 1983** by OMEIAT, Madras, 1984. Unpublished but cyclostyled and circulated.

5 . Ibid, p. 3.

6 . Ibid, p. 6.

7 . Abid Ali khan, ed., "Shehar Hyderabad mein Mazhabi Aabadi ka Tanasub", **Qadeem Shehar Ka Maashi Survey,** Daily Siyasat, Hyderabad, 1984, p. 75 (The name of publication is Daily Siyasat. It is not quoting the Daily newspaper)

8 . Prior to the establishment of Osmania University, the higher education in the state was controlled by Madras University. But the results were so discouraging that in 1917, sir Akbar Hydari, then secretary to the Nizams, recommended the inaugration of a universtiy which should be both an examining and a teaching body and in addition, should undertake to compile and translate books, using Urdu as the medium of instructions and examination as it was the official language of the state and was widely understood throughot India.

Excerpt from: Ch. Iv, **Some Aspects of Hyderabad,** The information Bureau, Hyderabad-Deccan, 1941, pp. 45, 46. this part of History of Osmania University is a significant chapter of the history of advancement of education among Muslims in South India as Hyderabad became the pivot of Muslim educational and intellectual activity for the next four decades when decline set in following the police Action in 1948 and diaspora of Muslim intellectuals from the city.

9 . Khan, op. cit., pp. 49, 51.

10. "Educational and the Weaker Section", **Setwin Report on Socioeconomic Survey of Low Income Households in Hyerabad and Secundrabad,** (Society for Employment Promotion and Training in Twin Cities (SETWIN), Hyderabad, 1983) p. 13.

11. Khan, Ibid, "Osmania University mein Muslim Tolba ka Tanasub wo Taadaad inhitat pazeer", pp. 80, 81.

12. Ch, VIII, "Educational Backwardness", **Memorandum by Central Muslim Association of Mysore submitted to the Mysore Backward Classes Commision, 1973,** Unpublished but cyclostyled and circulated.

The CMA, though a representative body of Muslims of Karnataka state' erstwhile Mysore, it has no efficient statewide machinary to gather data based on systematic study. The data presented in the Memeorandum is based on assumptions. Bases of the estimates are the figurs provided by the Urbu schools sections of Department of public Instructions. Entire intake of the urdu schools has been taken as Muslims, However, a great number of Muslim students study through English, kannada, Malayalam and Hindi medium too. In order to make a reckoning of this factor, the memorandum adds a 20% over the strength of the Urdu schools at primary stage and 10% at secondary level, These statistics relate to early 1970's. Since then Muslim population has gone upto 4.1 millions in 1981. Muslim economy has received a boost following inflow of Gulf remittances into Muslim concentrations, thereby pushing up to school enrolment. But most of these (italics) Muslims have opted for English medium education. These factors cannot be overlooked while taking a fresh account of the situation.

13. Dr. Mumtaz Ali Khan, Relevance of Education for Development of Muslims", **Al-Ameen,** Monthly organ of Al-Ameen Education Society, banglore, Vol. IX, No. 4, April 1984, Special Issue, p. 21.

14. This author quoted the findings in his articale entitled "Muslim Education: Priorities Listed", **Deccan Herald,** Banglore, April 14, 1984.

15. Introductory Brochure of the Farook College, Calicut.

16. **Nettur Commission Report, Government of kerala, 1970.**

17. The study was done by Mr. Abdur Rahman Moin, Principal, Islahiya

College, Chennamangalore, kerala. Unpublished.

18. **The nettur Commission Report** makes a special mention of this factor. It observes: "The percentage of Muslims and Scheduled castes moves shoulder to shoulder in middle schools. But from 8th standard onwards scheduled castes overtake Muslims when we compare the number of students per 1,000 population. Obviously the percentage drop at this stage is on account of the walk out of girls from schools due to purdah".

19. These figures were collected from OMEIAT, Madras and **Universities Handbook 1983-84,** Association of Indian Universities. It is not necessary For a Muslim College to bear a Muslim name. For example, the New College, Madras or Jawaharlal Nehru Arts, Science and Commerce college, Hubli were picked up only on the basis of personal Knowledge of their being minority institutions. It is quite possible that a few colleges whose names do not suggest any Muslim character, would have been left off.

kerala has certain other colleges which impart instruction in mostly Islamic theology, Jurisprudence, history and Arabic literature and cannot be strictly categorized under colleges. Universities recognize their degrees. If put together, the number of Muslim colleges is more than 23.

20. Porf. C.A. Abdus Salam, "**Socio-Economic Problems of Muslims of India**", Keynote paper presented at the the 7th All India Muslim Educational Conference, New Delhi, April 1984, p. 10.

21. P. K. Shabbir Ahmed "The base of our Educational Edifice: School Education", **Tamil Nadu Muslim Educational Conference 1973 Souvenir.** Tamil Nadu Muslim Education Standing Committee, Madras, 1973.

22. Kamlesh Kumar Wadhwa, "Implementation of Three Language Formula in Indian States", **Minority Safeguard,** (Thomson press (India) Ltd., 1975)

23. M. A. Siraj, "Linguistic Imbroglio of Karnataka", **Radiance Viewsweekly,** Nov. 14, 1983, p. 8.



المشاركة الإسلامية
في التحول الاقتصادي الهندي

طاهر بيج

المشاركة الإسلامية
في التحول الاقتصادى الهندي

طاهر بيج

ملخص :

تشكل الأقلية المسلمة في الهند حوالي ١٢ في المائة من مجموع السكان وسجل معدل نموهم أعلى معدل في التعداد ، كما أنهم يميلون نسبيا للانتقال إلى المناطق الحضرية .

وعلى أية حال فإن للأقلية المسلمة في الهند تأثيرا لا يذكر على عملية التحول الاقتصادي فيها فلا زالت تشكيلاتهم الوظيفية ضعيفة في كل قطاعات الاقتصاد الهندي . ولا توجد قوى في العمل تعمل على تحسين النمط الوظيفي للأقلية المسلمة ، بل الذي يحدث هو أن القوى السلبية تعمل لإحداث انهيار أكبر في نمطهم الوظيفي وكانت النتيجة أن جزءا ضخما من رأس المال البشري للأقلية المسلمةاضطر للبحث عن مأوى فى قطاع صناعة الأكواخ بأجر منخفض وفي قطاع الخدمات التافهة .

والعنصرية ضد المسلمين وضآلة القاعدة الرأسمالية للأقلية المسلمة هما العقبتان الرئيسيتان والمعوقان الأساسيان أمام المسلمين .

والحاجة الملحة والرئيسية التى يحتاج إليها المسلمون في الهند حاليا هي وجود هيئة إسلامية مالية وسيطة متخصصة .

مقدمـــة

من الحقائق التى لاجدال فيها أن الهند قد اكتسبت قوة اقتصادية هائلة خلال العقود الثلاثة الماضية ، ومن المتوقع أن تبرز الهند واحدة من القوى الاقتصادية الرائدة في العالم ، وتستمد الهند قوتها الاقتصادية من تأثيرها الضخم على السياسة العالمية .

وتشكل القوى الاقتصادية والسياسية للهند في مستقبل حياتها خلفية جديدة ينبغي من خلالها أن يعاد التفكير في وضع الهنود المسلمين على أساس الإسراع بتحسين مشاركتهم في القوة البازغة على أرض وطنهم .

وفي هذه المرحلة من التاريخ فمن الضروري إقامة علاقات سياسية اقتصادية أكثر ازدهارا بين الأمم الإسلامية وبين بلد كبير من دول عدم الانحياز مثل الهند . وإن المشاركة النشطة المتطورة للهنود المسلمين في الحياة القومية لبلدهم وخاصة في الحياة الاقتصادية يمكن أن تعزز من ازدهار هذه العلاقات .

ويحاول البحث من خلال هذه النظرة تقييم المشاركة الإسلامية في عملية التحول الاقتصادي في الهند ، وينقسم هذا البحث إلى أربعة فصول ويتناول الفصل الأول النواحي الديموغرافية للأقلية المسلمة في الهند ، والفصل الثاني يلقى الضوء على الهيكل الوظيفي للمسلمين في مختلف قطاعات الاقتصاد الهندي وما ينتج عن ذلك من مضامين ، أما الفصل الثالث فإنه يناقش القيود الاجتماعية الاقتصادية ، ويحاول الفصل الرابع أن يحدد بعض الحلول العملية .

الفصل الأول :

إن تعداد السكان المسلمين في الهند يشكل حوالي ١٢ في المائة من مجموع تعداد السكان ، وتقرير تعداد السكان لعام ١٩٨١ يقدر عدد السكان المسلمين بحوالي ٨٠ مليون رغم أن بعض التقديرات الأخرى تشير إلى أن الرقم هو ١٠٠ مليون ، وعلى هذا فإن المسلمين هم ثاني أكبر طائفة في البلد وهم يعتبرون ثاني أو ثالث أكبر تجمع إسلامي على وجه الأرض .

وبمقارنتهم بالطوائف الأخرى في الهند فإننا نجد أن أعلى معدل ازدياد في السكان موجود في الأقلية المسلمة إذ يصل إلى حوالي ٣ في المائة سنويا في المتوسط ، وبالإضافة إلى ذلك فهم قطاع يتجه بشكل أكبر نحو المناطق الحضرية ، ومن بين كل عشرة هنود يوجد شخص مسلم ، و ٦ من بين كل عشرة هنود في المناطق الحضرية هم من المسلمين .

الجدول - ١
توزيع السكان حسب الديانات في الهند

الطوائف	عدد السكان	٪ من عدد السكان	معدل النمو كل عشر سنوات	٪ من سكان الريف	٪ من سكان الحضر
الهندوس	٥٤٩٧٧٩٤٨١	٨٢٦٤	٢٤١٥	٨٤٥٤	٧٦٥٢
المسلمون	٧٥٥١٢٤٣٩	١١٣٤	٣٠٥٩	٩٨٢	١٦٢٨
المسيحيون	١٦١٦٥٤٤٧	٢٤٣	١٦٧٧	٢٢٥	٢٩٩
السيخ	١٣٠٧٨١٤٦	١٩٦	٢٦١٥	٢٠٢	١٨٠
بوذيون	٤٧١٩٧٩٦	٠٧١	٢٢٥٢	٠٦٣	٠٩٦
الجانيون	٣٢٠٦٠٣٨	٠٤٨	٢٣٦٩	٠٢٣	١٣٠

المصدر : تقرير تعداد السكان ١٩٨١

ملاحظة : إن تعداد سكان آسام الذي يصل إلى ٤٥ مليون نسمة لا يدخل في هذا الجدول .

ويختلف عدد المسلمين بشكل كبير بالنسبة لكل إقليم ، وإن نسبة عدد السكان المسلمين بالنسبة لإجمالي عدد السكان وبالنسبة لعدد سكان الحضر تتراوح ما بين أقل من واحد فى المائة إلى ٢٥ فى المائة (كنسبة مئوية من إجمالى عدد السكان) ومرة أخرى فإنها تتراوح ما بين أقل من واحد فى المائة و ٢٢ فى المائة (كنسبة مئوية من عدد سكان الحضر) .

ويتركز السكان المسلمون بشكل كبير فى ولايات أوترا برادش وغرب البنجال وبهار ومهارشترا وكيرالا واندهرا برادش وآسام التى يشكل المسلمون فيها ثلاثة أرباع السكان وتعتبر كارانتاكا وجامو وكاشمير من بين المراكز الرئيسة للسكان المسلمين .

الجدول - ٢

تركيز السكان المسلمين

الاسم والرقم المسلسل للولاية	عدد السكان بالمليون	نسبة السكان المسلمين	إجمالي عدد السكان
١ — أوترا برادش	١٧ر٧٦	٢٢ر٢	—
٢ — غرب البنجال	١١ر٧٤	١٤ر٧	٣٩ر٩
٣ — بهار	٩ر٩٧	١٢ر٥	٤٩ر٤
٤ — مهارشترا	٥ر١١	٧ر٣	٥٦ر٧
٥ — كيرالا	٥ر٤١	٦ر٨	٦٣ر٥
٦ — اندهرابرادش	٤ر٥٣	٥ر٧	٦٩ر٢
٧ — اسام	٤ر٥٠	٥ر٦	٧٤ر٨
٨ — كارنتاكا	٤ر١٠	٥ر١	٧٩ر٩
٩ — جامو وكشمير	٣ر٨٤	٤ر٨	٨٤ر٧
١٠ — كجورات	٢ر٩١	٣ر٦	٨٨ر٣
١١ — مادهيابرادش	٢ر٥٠	٣ر١	٩١ر٤
١٢ — راجاستان	٢ر٤٩	٣ر١	٩٤ر٥
١٣ — تاميل نادو	٢ر٥٢	٣ر١٥	٩٧ر٦٥
١٤ — هاريانا	٠ر٥٢	٠ر٦٢	٩٨ر٢٧
١٥ — دلهي	٠ر٨٤	٠ر٦١	٩٨ر٨٨
١٦ — أوريا	٠ر٤٢	٠ر٥٢	٩٩ر٤٠
١٧ — البنجاب	٠ر١٧	٠ر٢١	٩٩ر٦١
١٨ — تريبورا	٠ر١٤	٠ر١٨	٩٩ر٧٨
١٩ — مانيبور	٠ر١٠	٠ر١٣	٩٩ر٩١
٢٠ — أخرى	٠ر١٠	—	١٠٠ر٠٠

* المصدر تقرير تعداد السكان لعام ١٩٨٠ م .

الفصل الثانى :

الهيكل الوظيفى للمسلمين :

إن البيانات المتوافرة عن حجم وطبيعة توظيف المسلمين فى الاقتصاد الهندى تدل على أنها ضئيلة وضعيفة ولازلنا فى انتظار من يقوم ببحث موسع فى المستندات وبحوث مكتبية ومسوح شاملة ولذلك فعلينا أن نعتمد على دراسة الحالات فيما يتعلق بالقطاعات المختلفة للاقتصاد الهندى ، وكانت المساهمة فى هذه القطاعات قد بينت وجود تغير تدريجى فى خلال فترة التخطيط مع تحول فى الاقتصاد الهندى من المجتمع الزراعى إلى المجتمع الصناعى .

١ - توظيف المسلمين فى القطاع الصناعى :

يمكن تقسيم القطاع الصناعى إلى قطاع عام وقطاع خاص كما أن القطاع الخاص بدوره مقسم إلى قطاع منتظم وقطاع غير منتظم والقطاع الخاص المنتظم ينقسم إلى صناعات كبيرة ومتوسطة وصناعات أكواخ على نطاق صغير .

(أ) توظيف المسلمين فى صناعات القطاع العام :

إن توظيف المسلمين فى القطاع العام قد بدأ يتلاشى بشكل كبير . فإن عينة من ٧٣ من المؤسسات والإدارات التجارية قد أظهرت وجود ٦ فقط من المديرين المسلمين من بين مجموع ٤٨٤ مديرا (٢ر١ ٪) وأن البيانات غير متاحة عن الرؤساء من مختلف الدرجات العاملين فى هذه الإدارة . وهناك دراسة قام بها إبراهيم سليمان سيث تبين أن من بين ٦٤٦٢ مديرا فى شركات محددة عامة هناك ١١٠ مديرًا مسلمًا بينما يوجد من بين أعضاء مجلس الإدارة المنتدبين ٨ مسلمون فقط[١] .

(ب) توظيف المسلمين فى مؤسسات القطاع الخاص :

إن وجود المسلمين فى مؤسسات القطاع الخاص ضئيل لا يذكر . والجدول (٣) يبين أربع عينات من شركات القطاع الخاص المحدودة وأن العدد الإجمالى للمديرين من عينة هذه الشركات هو ٢٤٢١ وعدد المديرين المسلمين فيها ٣٣ بما فيهم ٤ من الموظفين وبذلك يكون نصيب المسلمين في حدود (١) فى المائة .

جدول - ٣
المديرون المسلمون فى شركات القطاع الخاص

العينة	عدد الشركات	إجمالى عدد المديرين	عدد المديرين المسلمين
١	٦٧	٦٠٧	٧ (بما فيهم) موظفان اثنان .
٢	٤٩	٥٠٦	٩
٣	٧٠	٥٨٠	١
٤	٧٣	٧٢٨	٧ بما فيهم موظفان اثنان .

* المصدر : مسلم انديا ، نيودلهى المجلد الثانى العدد ١ صفحة ١٧
المجلد الثانى العدد ١٤ صفحة ٦٣
المجلد الثانى العدد ١٨ صفحة ٢٧٩
المجلد الأول العدد ١٢ صفحة ٥٤٦

والجدول رقم ٤ يمثل عينة من ثمان شركات محدودة خاصة ، والجدول يبين نصيب الرؤساء والعمال المسلمين . وقد تراوح نصيب المسلمين فى الكادر التنفيذى ما بين صفر إلى ١ر٤ ٪ . وفى الكادر الإشرافى ما بين ٣ ٪ إلى ٦ر٥ ٪ . وفى الكادر العمالى ما بين ٣ر٥٣ ٪ إلى ٣ر١٠ ٪ .

جدول - ٤
توظيف المسلمين (بالنسبة المئوية)

الرقم المسلسل	الشركة	الكادر التنفيذى	الكادر الاشراف	كادر العمال
١	تسكو	١ر٤	٦ر٥	٣٠ر١٠
٢	تكسماكو	لاشىء	٣ر٠	٤ر٤
٣	مافاتلال	لاشىء	١ر٧٢	٣ر٥٣
٤	كاليكو	٠ر٦٨	لا يوجد	١٠ر٢
٥	ماهيندرا	١ر٤٨	٢ر٢٥	٥ر٠٢
٦	اوركى	٣ر٣	٣ر٠٠	١١ر٩
٧	صناعات جى كى	٢ر٦٣	٢ر٢٨	٥ر٤١
٨	المتفجرات الهندية	لاشىء	٢ر٧٣	٢ر٠٩

* المصدر : مسلم إنديا ، نيودلهى المجلد الثانى العدد ١ صفحة ١٧

والجدول رقم ٥ يبين توظيف المسلمين ككبار موظفين فى عينة أخذت من ١٣ شركة محددة خاصة ومن بين إجمالى ٤٩١٣ موظفا فى مختلف الكوادر يوجد فقط ٥٩ من المسلمين يكونون ١ ٪ تقريبًا .

جدول - ٥
المسلمون من كبار الموظفين

رقم مسلسل	الشركة	الاجمالى	المسلمون
١	بوندز انديا ليمتد	١١٥	١
٢	دلهى كلوث ميل	٩٨٧	٢
٣	بروك بوند انديا ليمتد	٧٣	١٤
٤	امتالال ساربهاى انتربرايز	٦٢٨	٥
٥	شركة مصانع موكاند للحديد والصلب	٦٢٥	٧
٦	معامل انيكولاس الهند المتحدة	٢٠٩	٢
٧	الألياف الصناعية جى كى المحدودة	٥٣٦	٥
٨	فنادق شرق الهند المحدودة	١٢٠	٦
٩	مودى للقلويات والكيماويات المحدودة	٣٠	لاشىء
١٠	فنادق كوزمو بوليتان المحدودة	١٥	لاشىء
١١	شركة تبغ الهند	٩٦٦	١٧
١٢	كوجرات المحدودة للعطريات	٩	لاشىء
	المجموع	٤٩١٣	٥٩

* المصدر : **مسلم إنديا** : المجلد الثانى العدد ٤ صفحة ١٦٤

إن نصيب المؤسسات الإسلامية على مستوى الصناعة الكبيرة والمتوسطة غير موجود على الإطلاق . وكما يقول سيد شهاب الدين فإنه يوجد فقط ٤٢ وحدة يملكها الصناعيون المسلمون ، وذلك ضمن مجموعة مكونة من ٢٨٣٢ مؤسسة صناعية تمتلكها مؤسسات كبيرة يبلغ مبيعات كل واحدة منها ٥٠ مليون روبية هندية أو أكثر ويبلغ إجمالى حركتها ٥٧ فى المائة من

إجمالى المبيعات بما فى ذلك قطاع التصنيع والتعدين .[٢]

(جـ) توظيف المسلمين فى الصناعات الصغيرة وصناعة الأكواخ :

بالنسبة لقطاع الصناعات الصغيرة وصناعة الأكواخ فلا يوجد أى تقرير مسحى شامل وعلى أية حال فإن توظيف المسلمين فى هذا القطاع من قطاعات الاقتصاد ليس محزنا جدا كما هو الحال في قطاع الشركات المتحدة ووفقا للتقديرات المدروسة يوجد ١٤٠٠٠ من الوحدات الصناعية الصغيرة يمتلكها المسلمون من عدد إجمالى يبلغ ٦٠٠٫٠٠٠ وحدة صغيرة ومن بين الوحدات الصناعية المملوكة للمسلمين فإن ٢٠٠٠ منها تصنف ضمن الصناعات الصغيرة باتفاق رأسمالى يزيد عن ٢٠٠٫٠٠٠ روبية ويقل عن ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ .[٣] وعلى أية حال فإن مثل هذا المستوى المنخفض لتوظيف المسلمين فى الصناعات الصغيرة وصناعة الأكواخ إنما هو أمر يثير الدهشة لوجود العشرات من مؤسسات الحرف اليدوية المتخصصة ووجود عدد كبير من الصناع المهرة المسلمين فى أماكن مثل عليكرة وفيروز أباد وبناراس وميروت وشارانبورومراد أباد وبهوندى وجيبور ودلهى ولكنهو وبهادوى وكلكتا واجرا وغيرها . ومن ناحية الحقائق التاريخية كان المسلمون روادا في الصناعات الحرفية واكتسبوا شهرة كصناع مهرة خلال فترة امتدت عدة قرون . ولذلك فالمرء يتوقع نسبة عالية من مشاركة الطائفة الإسلامية فى الصناعات الصغيرة وصناعة الأكواخ ووفقا لمسح تم فى منطقة عليكرة (فى مدينة الأقفال) فمن بين إجمالى ١٤٤٨ من وحدات التصنيع الصغيرة فإن المسلمين يمتلكون ١٥٨ وحدة وهو ما يمثل نصيبا مقداره ١٠٫٦ ٪ .[٤] وهناك اعتقاد شائع بأن توظيف المسلمين فى قطاع الصناعات الصغيرة فى مدن أخرى ليس بأحسن حظا من ذلك .

٢ - اشتغال المسلمين بالزراعة :

لاتوجد بيانات تساعد على تحديد مشاركة المسلمين فى قطاع الزراعة وقد وقع تحت يدى بحث قام به معهد التغير الاجتماعى والاقتصادى فى بانجالور[٥] وقد شمل البحث ٢٤٥ قرية فى منطقة كومكور بولاية كارناتاكا . ويذكر البحث أنه من بين عدد الأسر التى تملك أراضى زراعيةفإن عددالأسر المسلمة يمثل ٥ ٪ بينما تمثل أسر الطبقات الدنيا (المنبوذين) ٢١ ٪ والأسر الهندوسية العادية ٦٧ ٪ ويبين جدول (٦) أن ٤١ ٪ من مسلمى منطقة تامكور يعملون بالزراعة بينما يشتغل بها ٧٧ من الهندوس العاديين و ٥٢ ٪ من الطبقات الهندوسية المتميزة و ٦٥ ٪ من القبائل المختلفة . والنسبة المتبقية من السكان المسلمين وهى ٥٩ ٪ يعملون فى الاقتصاد الريفى عمالًا وصناعا مهرة وأصحاب حرف ومهنيين وعمالا بأجر .

جدول ٦
توزيع السكان حسب المهنة الرئيسية في منطقة تامكور

المهنة الرئيسية	الهندوس المتميزون	الهندوس العاديون	قبائل مختلفة	مسلمون	الجميع
عمال	٩	٣٨	٢٤	٢٢	١٧
صناع مهرة	٤	٤	١	١٣	٥
مزارعون صغار جدا	٢١	٢٦	٢٣	٢٠	٢٢
مزارعون صغار	٢٥ ٧٧	١٨ ٥٢	٢٤ ٦٥	١٢ ٤١	٢٣
مزارعون متوسطون	٢٩	٨	١٧	٩	٢٣
مزارعون كبار	٢	—	+	—	١
أعمال وتجارة	٣	١	٢	٨	٢
محترفون وعمال أجراء	٥	٢	٢	١٣	٥
غيرهم	٢	٣	٣	٣	٢
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

* المصدر : ف . ام . راو عوائق فى التنمية الريفية ، ورقة عمل صادرة من معهد التغير الاجتماعى والاقتصادى ، بنجالور ١٩٨٢ م .

إن الصورة التى تبرز من هذه الدراسة يمكن بالتأكيد اعتبارها ممثلة للبلد ككل وعلى أية حال فإنها لا تنحرف كثيرا عن الفكرة العامة الموجودة عن نصيب المسلمين فى القطاع الزراعى . والواقع أن إلغاء الإقطاعية الزراعية كأحد إجراءات الإصلاح الزراعى فى الهند بعد الاستقلال قد قلل من مشاركة المسلمين فى الزراعة إلى حد الصفر تقريبا . وهناك غالبية كبيرة من المسلمين الريفيين من العمال الزراعيين الذين لا يملكون أراض ، وصناع مهرة وعمال بأجر .

٣ - مشاركة المسلمين فى القطاع الثلاثي :

(أ) خدمات الحكومة :

إننا نواجه هنا مرة أخرى نقصا فى البيانات المتعلقة بتوظيف المسلمين فى قطاع الخدمات فى كل من القطاع العام والخاص .

والجدول رقم (٧) يبين توظيف المسلمين فى الخدمات الإدارية الحكومية ومن بين عدد إجمالى مقداره ٤١٦ سكرتيرا فى السكرتارية المركزية ترى ٦ فقط من المسلمين بنسبة ٥ر١ ٪ ، ومن بين ٣٨٨٣ فى الخدمات الإدارية الهندية يوجد ١١٦ مسلما أى بنسبة ٣ ٪ وتوظيف المسلمين فى خدمات الشرطة الهندية يقل عن ذلك إذ يوجد ٥٠ مسلما فى ضباط الشرطة الهندية من بين مجموع إجمالى يبلغ ١٧٥٣ .

جدول - ٧
المسلمون فى خدمات الحكومة

الخدمات	العدد الاجمالى	عدد المسلمين	النسبة ٪
سكرتيرون فى السكرتارية المركزية	٤١٦	٦	٥ر١
خدمات إدارية هندية (فى ١ / ١ / ١٩٨١)	٣٨٨٣	١١٦	٩٨ر٢
خدمات الشرطة الهندية فى ١ / ١ / ١٩٧٦)	١٧٥٣	٥٠	٨ر٢

* المصدر : **مسلم إنديا** : المجلد الثانى العدد رقم ١٨ صفحة ٢٥٣
المجلد الثانى العدد رقم ١ صفحة ١٧

ويتضح نسبة توظيف المسلمين فى خدمات الدفاع من نتيجة امتحان خدمات الدفاع المشتركة عام ١٩٨٣ م ، فمن بين ٣٧٤ دارسا تم اختيارهم كان هناك أربعة فقط من المسلمين[٦] .

(ب) الصناعة المصرفية :

إن توظيف المسلمين فى الخدمات المصرفية غير موجود على الإطلاق والجدول التالى يبين توظيف المسلمين فى بنك الاحتياطى فى الهند (وهو البنك المركزى الهندى) .

جدول - ٨
توظيف المسلمين فى بنك الاحتياطى بالهند

	العدد الاجمالى	عدد المسلمين
أعضاء ، مجلس الإدارة المركزية	١٩	لايوجد
أعضاء ، مجلس الإدارة المحلى	١٩	١
كبار المديرين	٢٧	١
مديرون	١٤	لايوجد

* المصدر : مسلم إنديا : المجلد الثانى العدد رقم ١ صفحة رقم ١٧

ويتكرر نفس الموقف فى قطاع الصرافة العام والجدول التالى يبين نصيب المسلمين فى مجالس إدارة ٢١ بنكا ومؤسسة مالية تابعين للقطاع العام فمن بين إجمالى أعضاء مجالس الإدارة البالغ ٦٩٨ عضوا يوجد ١٠ فقط من المسلمين .

جدول - ٩

رقم مسلسل	المؤسسة	الإجمالى	المسلمون
١	مؤسسة التأمين على الحياة فى الهند (مجلس الإدارة المركزى ، مجلس الإدارة الاقليمى) اللجان المختلفة .	٢٥٥	٤
٢	البنك الهندى أوفرسيز	١٣	لايوجد
٣	بنك مهارشترا	٢٨	لايوجد
٤	البنك الهندى	١٣	لايوجد
٥	بنك الله أباد	٤١	١
٦	بنك يونيون الهند	١٤	لايوجد
٧	بنك سينديكيت	٢٠	لايوجد
٨	بنك دينا	٢٠	لايوجد
٩	بنك كانارا	٢٧	لايوجد
١٠	البنك التجارى المتحد	١٨	٢
١١	بنك الهند المركزى	٢٢	لايوجد
١٢	بنك الهند المتحد	١٤	لايوجد
١٣	بنك الهند	٢٤	لايوجد
١٤	بنك بارودا	٢٧	لايوجد
١٥	بنك البنجاب الوطنى	٣٨	لايوجد
١٦	بنك اندهرا	١٧	لايوجد
١٧	بنك كوربوريشان	٢١	لايوجد
١٨	البنك الشرقى للتجارة	٢٣	٢
١٩	بنك الهند الجديد	٢٥	١
٢٠	بنك البنجاب والسند	١٣	لايوجد
٢١	بنك فيجاى	٢٥	لايوجد
	الاجمالى	٦٩٨	١٠

* المصدر : مسلم إنديا : المجلد الأول صفحات ٣٠ — ٣١

إن توظيف المسلمين فى القطاع الخاص والصرافة والمؤسسات المالية الخاصة لايمكن معرفته لندرة البيانات الخاصة بذلك ، وعلى أية حال فلا يوجد من الأسباب ما يجعلنا نتوقع أن يكون موقف المسلمين أفضل فى هذه المؤسسات .

(جـ) توظيف المسلمين فى المواصلات :

يمكن أخذ فكرة عن توظيف المسلمين فى خدمات المواصلات بمساعدة الجدول التالى الذى يعتمد على مسوحات بالعينة .

جدول - ١٠
توظيف المسلمين فى وسائل المواصلات

رقم مسلسل	تصنيف وسائل النقل	النسبة المئوية للمسلمين
١	رخص قيادة جرارات (عينة اخذت من ٦٢ منطقة فى ١٣ ولاية)	١٧
٢	رخص حافلات (نفس العينات)	١٧
٣	سيارات ريكشو بموتور وتاكسيات (نفس العينات)	٦
٤	سائقو عربات يجرها الخيل (عينة من مدينة بيجابور)	٨٨

* المصدر : مسلم إنديا : المجلد الثانى العدد ١ صفحة ١٧ دليل التجارة والصناعة كالكتا ، المجلد الثانى العدد ٤ ، ٦ .

وللمسلمين نصيب معقول من وسائل النقل عالية الجودة ، ومع ذلك فوجودهم غير متناسب بشكل واضح فى خدمات النقل منخفضة الجودة .

هيكل توظيف المسلمين : التوقعات الحالية والمستقبلية :

في ضوء البيانات والمعلومات السابقة فإننا قد أخذنا فكرة عن تشكيل توظيف المسلمين والذي يتميز بالمعالم التالية :

(أ) للمسلمين وجود لا يذكر في القطاع العام والخاص كمديرين وكعاملين وأيضا كمشاركين في رأس المال .

(ب) للمسلمين أقل قدر من الوجود في قطاع الصناعات الصغيرة وصناعة الأكواخ رغم أنهم كانوا روادا في الأعمال الحرفية وأعمال الصناعة الماهرة .

(جـ) في قطاع الزراعة والأنشطة المرتبطة بها فللمسلمين أقل قدر في العضوية .

(د) وفيما يتعلق بالقطاع العام الثالث فإن للمسلمين قدرا ضئيلا من الوجود في الخدمات الحكومية الإدارية وفي خدمات الشرطة والدفاع وليس لهم وجود تقريبا في المؤسسات المالية والمصرفية وعلى أية حال فإنه في قطاع الخدمات الخاصة مثل المواصلات والإصلاح وخدمات المجتمع الأخرى فللمسلمين نسبة مئوية عالية .

وعلى ذلك فالملاحظة العامة هي أن مجموع القوى العاملة من المسلمين لهم أعمالهم الخاصة في القطاع غير المنتظم الذي يشكل الغالبية العظمى تقريبا من تشكيل العمالة وهم العاملون في مجال الريكشو والعربات والحمالين والحلاقين والنجارين والقصاصين وأصحاب المحلات الصغيرة ، ومن المتوقع ألا يتحسن الهيكل التوظيفي للمسلمين في المستقبل بل من المحتمل أن يسوء إذا لم يتم مجابهة القوى المناهضة .

كما أن الصناعات التي كان للمسلمين فيها السيادة قد بدأ نصيب المسلمين فيها في التقلص ، فصناعة الأقفال في عليكرة التي نشأت وتطورت عن طريق الصناع المهرة من المسلمين قد بدأت تفلت من أيدي المسلمين ومن بين عدد الوحدات الصغيرة لصناعة الأقفال والبالغ عددها ١٣٢ ، فالوحدات التي يملكها المسلمون ١٠٠ وحدة بنسبة ٧٦ ٪ ، ونفس الوضع موجود في مدينة الزجاج (فيروز أباد) والجدول التالي يبين مقارنة نصيب المسلمين عام ١٩٨٥ بنصيبهم في عام ١٩٦٠ في مجال صناعة الأدوات الزجاجية في فيروز أباد فهناك تغير تدريجي في تنظيم هذه الصناعة . فقد زاد عدد الوحدات التي ضاعت من أيدي ملاكها المسلمين ، وعلى أية حال فقد تناقص نصيب المسلمين في الوحدات الصغيرة من ٩٥ ٪ في عام ١٩٦٠ إلى ١٥ ٪ في عام ١٩٨٥ وقد يجبر هذا الوضع الصناع المهرة من المسلمين أصحاب المؤسسات الصغيرة إلى أن يصبحوا عمالا باليومية بالأجر أو عمالا يعملون بالأجر في وحدات صغيرة يملك معظمها رجال أعمال من غير المسلمين .

جدول ـ ١١
نصيب المسلمين في صناعة الزجاج في فيروز أباد

رقم مسلسل	التصنيف	نصيب المسلمين في عام ١٩٦٠	نصيب المسلمين في عام ١٩٨٥
١ ـ	**وحدات صغيرة :**		
	(أ) إنتاج الزجاج والخلخال الخام	٩٥ ٪	١٥ ٪
	(ب) تصنيع المصابيح الكهربية	ـ	لايوجد
	(جـ) مواد زجاجية علمية	ـ	لايوجد
	(د) إنتاج مواد الديكور المنزلية	ـ	٢٠ ٪
٢ ـ	**الوحدات غير المنتظمة لصناعة الأكواخ :**		
	(أ) تشطيب وتزيين الأساور والخلاخل	١٠٠ ٪	٩٠ـ٩٥ ٪
	(ب) إنتاج مواد الديكور المنزلية	١٠٠ ٪	٨٠ ٪
٣ ـ	**تجارة الجملة للأساور والخلاخل**	٣٥ ٪	

* **المصدر :**

يعتمد هذا الجدول على المعلومات التي قدمها كبار التجار وأصحاب الصناعات المسلمين في فيروزأباد .

ومع بقاء بقية الأشياء على ما هي عليه فإن الاتجاه الانحداري سوف يستمر وتكون النتيجة أن نسبة مئوية أكبر من رأس المال البشري من المسلمين عليهم أن يبحثوا عن مأوى بالاشتغال لحسابهم في قطاع الخدمات غير المنتظمة مما سيؤدي إلى بؤس كبير ، وفقر شديد ، وانهيار ثقافي مطلق ونسبي في نفس الوقت .

ولاشك أن هذاالموقف يزعج قادةالمسلمين في البلد وحتى الآن فإنناالا نبالي بالتغيرات المتوقعة في توظيف رأس المال البشري للمسلمين ونقوم بمجرد التركيز على مشكلة الفقر والتخلف لطائفة

المسلمين وعلى إصلاحات اقتصادية وكل ذلك يتم بأسلوب غير متخصص بينما الانهيار المتوقع في نوعية توظيف رأس المال البشري للمسلمين في وجود خلفية من المجتمع الهندى الذي يحقق مستويات أعلى متزايدة من الثقافة الاجتماعية الفنية نتيجة للتقدم الاقتصادى والعلمي – هذا الانهيار يفرض تحديات كبيرة ويتطلب نوعا من الاندفاع الجسور الكبير بحيث يكون مسلحا بالخبرة الاقتصادية .

أسباب النمط التوظيفي السيء :

سنبدأ إجراء التحليل الخاص بذلك مع إدراكنا لحقيقتين رئيسيتين : الأولى هي أنه لا يوجد نقص في رأس المال البشري ذي النوعية العالية بين مجتمع المسلمين على الأقل من الناحية العامة .

وثانيا فإن رأس المال البشري بين مجتمع المسلمين لا يملك الوسائل الكافية للوصول إلى صروح التوظيف ذات الجودة العالية في الاقتصاد الهندي .

والواقع أنه مع إنشاء العديد من مؤسسات المسلمين للتعليم والبحث والتدريب فإن تدفق رأس المال البشري للمسلمين في طريقه إلى الازدياد رغم أن ذلك يتم بمعدل بطيء لأنه لم يتم التوسع في قاعدة التعليم والتدريب بحيث يمكن أن يستفيد منها كل قطاعات الأقلية المسلمة .

وعلى أية حال فحتى ذلك التدفق الضئيل من رأس المال البشري لم يقابله تدفق وظيفي مناسب .

وكان اندفاع الشبان المسلمين المتعلمين للانتقال إلى باكستان الذي استمر حتى عام ١٩٧١ نتيجة ضرورية لهذا الاتجاه ، وقد توقف ذلك الاستنزاف الهائل للمسلمين بسبب حدوث تغير في سيكولوجية المسلمين وليس بسبب أي تأكيد يمنح المسلمين فرصا وظيفية أكبر .

وهناك سببان رئيسيان وراء الاتجاه المعاكس لتوظيف المسلمين ، الأول أن الأقلية المسلمة تعاني من التمييز العنصري بسبب الاضطهاد الديني وقد ثبت أن المساواة في الحقوق التي هي حق أساسي في الدستور هذه المساواة ما هي إلا سراب ، ويقول شهاب الدين « إن الهنود المسلمين يعانون من التمييز العنصري ومن عدم حصولهم على توظيف في الحكومة ومن عدم تمكنهم من الالتحاق بالتعليم العالي ومن عدم إتاحة فرص لترقيتهم ، ومن عدم حصولهم على تراخيص صناعية وتجارية الخ (٧) .

وثانيا لأن الاقتصاد الهندي يمر بمرحلة متوسطة من التطور الاقتصادي ، فهناك ندرة في فرص التوظيف في كل القطاعات وهذا يرجع أساسا إلى ندرة رأس المال .

وعلى ذلك فالجماعات التي سبق وأن تكونت لا ترغب في التخلي عن موقعها والنتيجة أن القطاعات الأضعف من المجتمع الهندي بما فيهم المسلمون تزداد ضعفا من خلال التفسخ التوظيفي وأن الطوائف التي لديها قاعدة رأسمالية قوية وموهبة تجارية تميل إلى استخدام مواردها لحماية مصالح طائفتها الاقتصادية والاجتماعية .

ورغم أن الأقلية المسلمة لديها القدرة على تكوين رأس المال إلا أنها فشلت في استغلال هذه القدرة لتقوية وتنويع قاعدتها التصنيعية وضمن الأقلية المسلمة الصناع المهرة والحرفيين ، ولكنها تفتقر إلى الموهبة التجارية ، فأصحاب الأعمال المسلمون لديهم موهبة ضعيفة نسبيا في نواحي الإدارة المالية والتنظيم وإدارة الأعمال وهذا يظهر بشكل واضح في أساليب التسويق ولذلك فإنهم لا يفلحون في المبادرة بإنشاء مشاريع تجارية ، وعلاوة على ذلك فإن أعمال الشغب الطائفية المتكررة والعنيفة وما يتبع ذلك من فقد للممتلكات والأعمال كل ذلك كان عاملا رئيسيا في تأخير نمو وتنويع الأنشطة التجارية والصناعية للأقلية المسلمة ، وهذه العوامل وغيرها تؤكد الحاجة إلى أموال للاستثمار والسبب الرئيسي للحاجة إلى رأس المال يرجع للوافدين على مجال التجارة والصناعة ، وحيث إنه من المحتمل أن تكون فرص الفشل كبيرة أمام غير المهرة من أصحاب المشاريع التجارية فإن هناك عددا قليلا جدا ممن يوافقون على إعطائهم ائتمانات بشروط شخصية .

والمسلمون القادرون على ادخار الأموال والراغبون في تقديم أموال الاستثمار لا يفلحون في الحصول على عروض استثمارية مربحة ومأمونة من المتعهدين المسلمين . وبشكل عام فإن مدخرات الطائفة الإسلامية تجد طريقها في الودائع المصرفية مما يجعل عدم إتاحة منافذ استثمارية ، للطائفة المسلمة أقل تحمسا نحو رفع معدل المدخرات .

وباختصار فإن العوامل التي تحكم السلوك الادخاري الاستثماري للأقلية المسلمة في الهند إنما تعمل في اتجاه معاكس ، وما لم يتم مجابهة هذه العوامل فلن يمكن تحسين رأس المال والقاعدة الصناعية لطائفة المسلمين .

الحل :

إن التحسن في ثقل تأثير المسلمين الهنود على عملية التحول الاجتماعى والاقتصادي في بلدهم مع الاهتمام بالعلاقات الخارجية للبلد وبالاقتصاد الوطني إنما ينبغي أن يكون الهدف الأكبر لأي مجهود يبذل من أجل تحقيق التقدم للمسلمين الهنود .

وعلى ذلك فإن تدهور النمط الوظيفي للأقلية المسلمة لابد وأن يتم مجابهته على الفور وينبغي إعداد القوى للعمل من أجل زيادة مشاركتها في قطاع الشركات وقطاع الصناعات الصغيرة

المنتظمة وأيضا في الخدمات الهامة بما في ذلك القطاع الثلاثي .

ويجب أن تكون مواءمة رأس المال البشري للمسلمين الهنود مع رأس المال المالي للمجتمع الإسلامي من خلال تطوير عدد واف من المؤسسات الأساسية هو الأساس لأي مجهودات تبذل من أجل الارتقاء بأمور الأقلية المسلمة ، كما أن البطالة المتزايدة للشباب المسلم المتعلم ينبغي مجابهتها بتسهيل الطريق أمام هذا الشباب لاقتحام عالم التجارة والصناعة عن طريق توفير الائتمان وغير ذلك من الخدمات المساندة الأخرى .

والواقع أن عدم الاستفادة من رأس المال البشري للمسلمين ومن قدرتهم الإنتاجية ، لهما من العوامل الرئيسية لتأخير معدل النمو في استثمار رأس المال البشري للأقلية المسلمة . وهذا يبين السبب في أن الأقلية المسلمة تعاني من أكبر معدل من الإهدار على مختلف مستويات التعليم ، كما يبين السبب فى وجود نسبة عمالة كبيرة من الأطفال بين الأقلية المسلمة .

وقد يتطلب تحسين النمط الوظيفي للمسلمين التعرف على مقاولي المستقبل والتعرف على فرص استثمار قابلة للاستمرار ،من ناحية ومن ناحية أخرى قد يتطلب التوسع في قاعدة رأس مال المسلمين .

ولأن الحل يحتاج إلى مهارة إدارية من قبل الاختصاصيين التقنيين فلا يمكن توقع تحقيق تحسين في النمط الوظيفي للأقلية المسلمة عن طريق الأفراد أو المؤسسات الطوعية بل الأحرى أن هناك حاجة لبعض المؤسسات الاقتصادية والمالية المتخصصة وليست البنوك التقليدية والمؤسسات المالية ملائمة لهذا الغرض ، فنادرا ما تقدم هذه المؤسسات العون للمبتدئين الجدد في مجال التجارة والصناعة وخاصة عندما لا يكون لديهم المهارة في إدارة الأعمال والموهبة التجارية وعندما تكون معلوماتهم بسيطة عن أحوال السوق .

وإن ما يحتاجه الهنود المسلمون هو الوسطاء الماليون الذين يمكنهم أن يوفروا قدرا أكبر من الأمان وقدرا طيبا من الخدمات المساندة لمقاولي الأعمال ويمكنهم أيضا توفير فرص استثمارية تعطى عائدا بقدر قليل من المخاطرة وفي نفس الوقت ينبغي على هؤلاء الوسطاء الماليين أن يعملوا كأدوات لإيجاد حماس عام نحو مزيد من الادخار والاستثمار ، ويجب أن يعملوا على إيجاد تقارب وثيق بين المدخرين والمستثمرين في مجال الأعمال التجارية حتى يمكن أن يندرج جزء كبير من المسلمين تحت تصنيف مقاولي الأعمال .

والواقع أنه يمكن تلبية هذه الاحتياجات فقط من خلال مؤسسة تقوم على أساس المشاركة في الربح والخسارة وعلى ذلك فالأقلية المسلمة في الهند في حاجة فورية إلى مؤسسة مصرفية ومالية إسلامية .

Notes

1. **Journal: Institute of Muslim Minority Affairs,** Vol. 3, 1981.

2. **Journal: Institute of Muslim Minority Affairs,** Vol. 5, No 1.

3. **Ibid.**

4. M. Izhar: "An over-all view of Muslim Participation in small scale Industries of Aligarh District", Paper presented in the Seminar on "Education and Employment Problems of Muslims", Aligarh Muslim University, Aligarh, August 83.

5. V. M. Rao 'Barriers in Rural Development.' **ISEC Working Paper,** Bangalore, 1982.

6. **Muslim India,** New Delhi, Vol. II, No. 1, p. 17.

7. **Journal: Institute of Muslim Minority Affairs,** Vol. 5, No. 1.

حالـة المسـلمين الهنـود

د. سيـد خالـد راشـد



حالة المسلمين الهنود

د. سيد خالد راشد

بعض جوانب المشكلة

ملاحظات عامة :

يدين واحد من كل ستة أشخاص في الهند ، بالدين الإسلامى . إذ يبلغ مجموع المسلمين هناك حوالى ١٢٠ مليونا . ويشكل المسلمون نسبة ٢٠ ٪ تقريبا ، أو يزيد ، من عدد السكان في حوالى ١٢٠ مقاطعة من المقاطعات الهندية والبالغ عددها ٤٠٠ [1] ، ومع ذلك ما من طائفة من طوائف الشعب الأخرى تتعرض لمثل ما يتعرض له المسلمون في هذا البلد من ظلم وهوان . فالدماء المسلمة تراق من الاضطرابات المناهضة للإسلام ، والتى تنشب بمعدل اضطراب واحد تقريبا في كل يوم . وهم بذلك يعمدون إلى تحطيم المسلمين اقتصاديا والحرص على تخلفهم في مجال التعليم . فضلا عن الخطر البالغ الذى يتهدد شخصيتهم الثقافية .

ويعود تاريخ اضطهاد المسلمين إلى عهد الاستعمار . إلا أن الاضطهاد بعد استقلال البلاد في ١٩٤٧ م ، لبس مسوح البراءة تحت قناع « العلمانية » ، التى تعنى في الهند أنه لا دين لغير الهندوس بما في ذلك المسلمون ، وأن الهندوسية للهندوس . وهكذا ، يستهلون مناسباتهم الرسمية بترانيم « فيداوية »

ويحمل الستار الرسمي للحكومة المركزية وحكومات الولايات ، كلمات سانسكرانية . ويرون في كل شيء هندوسي ، الثقافة الهندية الحقة . إن الخطوات الحثيثة ، الثابتة في نفس

الوقت ، التى تخطوها البلاد في طريق الابتعاد عن العلمانية ، تقربها بنفس القدر من الهندوسية يوما بعد يوم .

لقد كان لهذا التطورات أسوأ الأثر على المسلمين من نواحي كثيرة . ولكن ، نظرًا للحيز المحدود ، فسوف يقتصر هذا البحث على الجوانب المختصرة التالية للمشكلة .

أ – أحوال المسلمين الهنود في عهد الاستعمار (١٧٦٥ – ١٩٤٧م)

١ – السياسات الاستعمارية وأثرها السيء على فرص العمل والتعليم .
٢ – انتهاكات الشريعة الإسلامية .
٣ – رد الفعل المسلم .

ب – المسلمون في الهند « العلمانية » (١٩٤٧م وما بعدها)

١ – المشكلة الدائمة للاضطرابات المناهضة للإسلام .
٢ – التخلف التعليمي وندرة فرص العمل .
٣ – تناول الشريعة الإسلامية بالتعديل القضائي والتشريعي غير المنصف .

جـ – احتمالات المستقبل :

إن مصادر هذه الدراسة محدودة جدا ، فضلا عن ارتكازها على الجهد الذاتي إلى حد كبير .

كما أن الملاحظات الواردة حول الأحوال القائمة جاءت في معظمها على أساس التجربة الشخصية وملاحظات الكاتب .

أ – أحوال المسلمين الهنود في عهد الاستعمار (١٧٦٥ – ١٩٤٧)

منح ملك الموغال شاه علم ، في ١٧٦٥ ، حق السلطة (الإدارية – الديواني – في مقاطعات البنجال وبيهاد وأوديسا ، إلى « شركة الهند الشرقية » . رائدة التاج البريطاني في الهند . وفي أقل من مائة عام ، سقطت غالبية الهند المسلمة ، تحت احتلال التاج البريطاني ، فما كان من المحتل إلا أن أوصد أبواب العمل فى وجه المسلمين . واغتصب الأوقاف ، التي كانت تساعد على استمرار جزء كبير من برنامجهم التعليمي . ووجه المحتل دخل هذه الأوقاف لخدمة جهود تعليم غير المسلمين . كما ألغى كل ما كان يتمتع به المفكرون المسلمون من سكنى مجانية في بيوت الأوقاف ، ومؤن للإعاشة . كما نبذ المحتلون قانون الأوقاف وقواعده الاجتماعية وسخروا منه .

ولقد كتب و . و – هنتر (١٩٤٠ – ١٩٠٠) – موظف بريطاني ومؤرخ مشهور –

كتب في ١٨٧١ م يقول « ... إن المسلمين ، من جميع النواحي ... هم الجنس الذي تعرض للانهيار تحت الحكم البريطاني »[٢] .

لقد تعصب البريطانيون صراحة ضد المسلمين وانحازوا لجانب الهندوس[٣] . وقد كتب وليام هوارد راسل في ١٨٥٨ م يقول :

« إن العنصر المحمدى في الهند هو ذلك العنصر الذي يسبب لنا أكثر المتاعب ويثير ضدنا أكبر قدر من العداوة ... إن كراهيتنا لأتباع محمد أغنى بكثير من تلك التي بيننا وبين عبدة شيفا وفيشنو . إنهم (المسلمون). بلا شك أخطر بكثير على حكمنا »[٤] .

وأشار رئيس الوزراء البريطاني بالمرستون (١٧٨٤ – ١٨٦٥ م) على اللورد كاننج الحاكم العام للهند ، بضرورة دك أى مبنى خاص بالمسلمين وتسويته بالأرض « دون أن يؤخذ بعين الاعتبار عظمة المبنى من الناحية الأثرية أو شغف الناس به من الناحية الفنية » . [٥] وكان الشعور المعادى للإسلام عارما إلى حد أن الشعب الإنجليزى – على حد تعبير أحد المسئولين البريطانيين – « لم يقنع بمجرد حشو المسيحية في حلوق المسلمين ما لم يتضمن اعتناقهم لعقيدة الصليب امتهانا لتعاليم النبي وازدرائها » . [٦] وقد تم إقصاء القضاة المسلمين وإحلال قضاة إنجليز محلهم ، على الرغم من جهلهم بالقانون في ذلك الوقت .

ومع حلول عام ١٨٦٥ م ، كان النظام القضائي في إقليم البنجال قد خلى من المسلمين بدرجة كبيرة ، حتى أن عددهم بلغ ٥٤ مسلما فقط من بين ٣٦٦ موظفا قضائيا ممن يحصلون على رواتب قيمتها خمسين روبية فأكثر . [٧]

وكانت الفارسية هى اللغة الرسمية المستخدمة في الحكومة ودور القضاء . طوال العهد الإسلامي .

وفي عام ١٨٣٥ م ، استبدلها البريطانيون فجأة وأحلوا محلها اللغة الإنجليزية – فاعتبر المسلمون ذلك انتهاكا لدينهم وثقافتهم ، وعزفوا بالتالى عن اللغة الإنجليزية .

أما بالنسبة للهندوس فلم يثر التحول من الفارسية إلى الإنجليزية في نفوسهم أية مشاعر أو مخاوف من هذا النوع . ونتج عن ذلك ، أن بلغ عدد الهندوس الذين درسوا سنة ٨٠ / ١٩٨٨ م ، في المدارس العليا الإنجليزية ، ٣٦,٦٨٦ مقابل ٣٦٣ فقط من الدارسين المسلمين[٨] وبالمثل ، كان عدد الذين تخرجوا من الهندوس ، سنة ١٨٧٨ ، ٣١٥٥ خريجا ، مقابل ٥٧ فقط من المسلمين . [٩]

أجرى البريطانيون تغيرات شاملة في مجال الشريعة الإسلامية . فبعد إقصاء القضاة من دور القضاء ، وبعد إبطال أحكام الشريعة التى تنص على حرمان المسلم ، الذي يرتد عن دينه إلى دين آخر ، من أن يرث أقرباءه المسلمين ، [١٠] شرع البريطانيون في إجراء تغييرات تشريعية جسيمة جدا في عواقبها . وفي عام ١٨٦١ م تشكلت « اللجنة التشريعية الثالثة » لصياغة

قانون وضعي ، اعتمدت في إعداده على قانون إنجلترا ... » يلي ذلك فيض من التشريعات حلت محل الشريعة الإسلامية في مجالات معينة كالجريمة والعقود والصكوك القابلة للتداول ، والشهادة ، ونقل الملكية ، والإجراءات الجنائية والمدنية ، الخ ..[١١] حتى اقتصرت الشريعة الإسلامية بالكامل ، على مجال قوانين الأحوال الشخصية . غير أن قصور اللغة الإنجليزية في المادة ، اللغوية اللازمة ، وجهل القضاة باللغة العربية ، قد أديا ، هنا أيضا ، إلى النطق بأحكام قضائية كثيرة مشكوك في صحتها[١٢].

لقد أجرمت دور القضاء العالي و « مجالس الشورى » عندما أساءت تفسير الشريعة الإسلامية .[١٣] وقد عبر محمد علي جناح ، مؤسس الباكستان والمحامي المشهور ، عن ذلك بقولة « إن » مجالس الشورى « ذبحت القانون المحمدى تماما ، في مناسبات عديدة » .[١٤]

لقد تسربت إلى الشريعة الإسلامية – من باب خلفي ، هو باب الأحكام القضائية – مفاهيم إنجليزية عن « نظرية السوابق » و « العدالة ، والمساواة ، والضمير اليقظ » ، عبارات لا تجد لها تعريفا قضائيا ، بيد أنها كانت تستخدم دائما كعصا مناسبة لضرب أحكام الشريعة .

وكتب اللورد هوبهاوس يقول :

« في الحقيقة يجب أن نقرر الأمور من خلال المساواة والضمير اليقظ ، والتي تعني حسب المفهوم العام ، قواعد القانون الإنجليزى إذا ظهرت إمكانية تطبيقها على المجتمع الهندى وظروفه » .[١٥]

وتعني « نظرية السوابق » التنفيذ الأعمى من قبل المحاكم العامة لأحكام سبق أن أصدرتها محاكم عليا ، بصرف النظر عن صحتها أو عدم صحتها .

في حين لا يعترف الشرع الإسلامي بهذا المبدأ ، ويمنح كل قاض سلطة مستقلة للحكم في القضية المعروضة أمامه وفقا للقانون . ويمكن تصور مقدار الأذى الذي سببته هذه النظرية في الهند حيث اعتمد الجهاز القضائي بكامله تقريبا على قضاة غير مسلمين ، كثيرا ما أخطأوا في فهم الشريعة الإسلامية .

إن حرمان المسلمين ، تحت الحكم البريطاني ، من التعليم الإسلامي التقليدي ، وإبطال القضاء الإسلامي ، كان أكبر تهديد للشريعة الإسلامية في الهند . قاوم العلماء هذا التطور بشدة ، وأسسوا عددا كبيرا من المدارس الدينية ، كانت في مقدمتها « مدرسة قاسم العلمية » ، التي تأسست في ١٨٦٥ حاملة اسم مؤسسها الشيخ محمد القاسم . كما أنشىء المزيد من تلك المعاهد . ومع أن الإحصاءات غير متوافرة عن الهند كلها ، إلا أنه في الإمكان تكوين فكرة من خلال المدارس الدينية التي تأسست ما بين ١٨٦٥ و ١٩٤٦م ، وبلغ

عددها ٢١٧ مدرسة في ولايتين فقط من الولايات الهندية هما (أوترابراديش وبيهار). ويتضح ذلك من الجدول التالي :[١٦]

السنة	أوترا براديش	بيهار	المجموع
١٨٦٥	٢	—	٢
١٨٦٧	—	١	١
١٨٧٤	١	—	١
١٨٧٦	١	—	١
١٨٧٧	١	—	١
١٨٧٨	٢	١	٣
١٨٨٠	١	—	١
١٨٨٣	٣	—	٣
١٨٨٩	١	١	٢
١٨٩٠	٢	—	٢
١٨٩٢	٢	—	٢
١٨٩٣	—	٢	٢
١٨٩٤	١	١	٢
١٨٩٥	١	—	١
١٨٩٦	١	—	١
١٨٩٧	٢	—	٢
١٨٩٨	١	—	١
١٨٩٩	٢	—	٢
١٩٠٠ - ١٩٤٦	٩٨	٨٩	١٨٧
المجموع	١٢٢	٩٥	٢١٧

وقد أفادت هذه المدارس المسلمين من نحو آخر . فبعد إبطال قانون القاضي ، فضل المسلمون عرض منازعاتهم على المفتي بدلا من المحاكم الإنجليزية . ومن هنا تأسست « دار الإفتاء » في عام ١٨٨٦ في « ديوباند » لخدمة هذا الغرض[١٧] . كما أسس مسلمو بيهار « إمارة الشريعة » في ١٩٢١ ، وعرضوا آلاف المنازعات على « محكمة القضاء » التي يرأسها « قاضي الشريعة » ومازال يعمل بهذا النظام في « بيهار » و « أوديا » .[١٨]

ومع استمرار إصدار الفتاوى من قبل آلاف من علماء الافتاء الثقات ، نشأ نظام مماثل لتسوية النزاعات الأسرية والملكية والدينية التي تنشب بين المسلمين في الهند البريطانية ، وقد تم نشر مجموعات من الفتاوى لعدد من علماء الافتاء البارزين . من أبرزها : « فتاوى العزيز » لشاهد عبد العزيز ، « فتاوى الرشيدي » لرشيد أحمد جنجوهي ، « إعداد الفتـاوى » لأشرف علي ثانفي ، « مجموعة الفتاوى » لعبد الحي فيرانغي ، « فتاوى عزيزية » للمفتي عزيز الرحمن ، « كفاية المفتي » للمفتي كفاية الله ، « فتاوى ديوباند » ... الخ .

شملت هذه الفتاوى جميع نواحي الحياة وكانت للمسلمين كالمنارات تهديهم إلى أحكام الشريعة الإسلامية وتكفيهم اللجوء إلى المحاكم غير الإسلامية كان يرأسها قضاة من غير المسلمين .

إن نغمة الحرب التي ترنم بها العلماء في كفاحهم ضد الاستعمار البريطاني ، بدأها الشاه عبد العزيز (١٧٤٦ – ١٨٢٤) عندما أعلن أن الهند البريطانية « دار للحرب » [١٩] وقد تولى القضية من بعده سيد أحمد شهيد ، وشاه إسماعيل شهيد ، والشيخ محمود حسن من ديوباند وآخرون . كما ظهرت في البنجال حركة « الفرائض » التي أسسها حاج شريعة الله (١٧٨١ – ١٨٤٠) الذي أكد من جديد أهمية القرآن والسنة والتوحيد ودعا إلى التمرد على البريطانيين .[٢٠] وكانت هناك حركات أخرى صغيرة ، حاولت كل منها بطريقتها تعليم المسلمين وتجهيزهم لمجابهة النزاع العاتي .

قـد تتصف هذه الحركات الهندية التي ظهرت في القرن التاسع عشر ، بالمحلية ، فيما يتعلق بتفاصيل تطورها الخاص ، إلا أنها تمثل ، من هذه الوجهة ، نمطا مميزا للعالم الإسلامي بأثره : الاعتراف بوجود تآكل في الداخل وعدوان من الخارج ، ومحاولة رفض هذا وذاك » .[٢١]

ب – المسلمون في الهند « العلمانية » (١٩٤٧ وما بعدها)

تفجر قدر كبير من البغض الطائفي بين الهندوس والمسلمين في أعقاب تقسيم الهند في ١٩٤٧ «غير أن نقطة بدايته تعود إلى تاريخ أقدم من ذلك. فإذا رجعنا إلى ١٨٧٦ ، على سبيل المثال نجد أن السير / سيد أحمد خان المعروف باعتدال آرائه قد

شعر بالأسى تجاه الموقف الراديكالي الهندي من النص الديفاناجرى وأدلى بهذه الكلمات التنبؤية :

« إني مقتنع بأن هاتين الطائفتين (الهندوس والمسلمون) لن تتحدا قلبا حول أى شيء . وهذا لا يشكل خطورة في الوقت الحاضر ، غير أنه يبدو لي ، أن هذه العداوة وهذا الشقاق سوف يزدادان فيما بعد بسبب أولئك الذين يدعون أنفسهم متعلمين[٢٢]

حرص البريطانيون بشدة على إذكاء نار الفتنة بين الهندوس والمسلمين من خلال سياستهم المشهورة ، « فرق تسد » . وبقراءة ما بين السطور ، لتاريخ حركة التمرد ، يتضح بجلاء هدف البريطانيين الحقيقي . ألا وهو بذر بذور الكراهية بين الجماعتين .

ورأت الزعامة الهندية ، بعد تحقيق الاستقلال ، ميزة سياسية في تغذية تلك النبتة التي غرسها البريطانيون . وهكذا ، بعد ثلاثين عاما ، تكتمل الآن شجرة الكراهية والفتنة الطائفية . ولم تحقق الهند للمسلمين ، بعد الاستقلال الشيء الكثير الذي يثلج صدورهم . إنهم لا يتسامحون مع الجالية الإسلامية ، في مجتمع وحكومة يسيطر عليهما الهندوس ، إلا أنه لا سبيل فيما يبدو ، إلى إمكانية تحييد هذه الجالية في يوم وليلة . غير أنه من الواضح جدا أنهم يبذلون جهدا منظما على المستوى الرسمي وغير الرسمي ، لتحييد هذه الجالية . ويتجاهلون لغتهم وثقافتهم ويحصرون تمثيلهم السياسي في أقل قدر من الحد الأدنى . وينتهكون قانونهم على المستويين التشريعي والقضائي . وفوق كل ذلك . يقتلون آلافا منهم كل سنة في اضطرابات مناهضة للإسلام دون أن تتخذ الحكومة أى إجراء حيال ذلك .

إن أى مشكلة من هذه المشكلات التي تواجه المسلمين الهنود تحتاج لاستيفائها إلى بحث منفصل . وعلى كل حال ، إني أحاول في هذا البحث ، بدلا من التركيز على مشكلة واحدة ، أن أعطى على الأقل ، فكرة عامة عن عدد من المشكلات الجوهرية آملا أن يقدم البحث ، بذلك نظرة أشمل للمشكلة برمتها ومبلغ خطرها .

١ - مشكلة الاضطرابات المناهضة للإسلام :

تشير بعض الملصقات التي ظهرت في بومباى أثناء اضطرابات ١٩٨٤ المناهضة للإسلام . في هذه المدينة وفي بيهيواندى ، إلى مدى سيطرة النزعة القتالية الهندوسية على البلاد . وكان الخيار المعروض على المسلمين ، كما جاء في أحد الملصقات ، هو « أتركوا القرآن أو أتركوا الهند » . وجاء بملصق آخر أن « العيش في هذا البلد يتوقف على إنشاء باندى ماترام »[٢٣]

أجرى مراسل صحفي مقابلة مع بال شاكرى قائد جماعة (شيف سينا) الهندوسية المتطرفة في أغسطس ١٩٨٤ م ، وكان السؤال الموجه إليه هو :

« ظللت تربط بين الهندوسية والهند مع التلميح بأن الهندوسية هي الدين الوطني للهند » .. فأجابه شاكرى قائلًا :

« دعني أكون صريحا معك . ليس عندى ما يدعو للغش والخداع . هذه هي هندوستان[٢٤] والهندوستان تخص الهندوس »[٢٥].

وفي خطابه المشهور ، الذى ألقاه في بومباى في الحادي والعشرين من أبريل ١٩٨٤ قال :

« إن المسلمين الهنود أشبه بالسرطان لهذه البلاد ، والسرطان مرض لا يرجى منه شفاء . وقد انتشر هذا السرطان في البلاد كلها . والعلاج الوحيد له هو العملية الجراحية . أيها الهندوس ، عليكم بالكفاح المسلح واستئصال هذا السرطان من أساسه » .[٢٦]

وصب في خطابه هذا ، العديد من الإهانات الأخرى على رؤوس المسلمين . ولا عجب في أن يدلى بهذه التصريحات ، هندوسى راديكالي متطرف ، ولكن العجب كل العجب في أن تخفق الحكومة في اتخاذ إجراء مناسب ضد هذا الرجل الذي كان مسئولا إلى حد بعيد عن اضطرابات بومباى في العام الماضي . وعندما سأل عضو مسلم في (المجلس الأعلى) – « رايا سابها » – الحكومة عن الإجراء الذي اتخذته ضد شاكرى ، والإجراء الذي اتخذته لحماية المسلمين ، جاء الرد مقتضبا مهذبا ، أن الحكومة « تنظر في الموضوع » .[٢٧] وسرعان ما نشبت بعد ذلك الاضطرابات المناهضة للإسلام في كل من بمباى وبيهيواندى . وليس أدل على شراستها من رواية شاهد عيان .

« ما رأيته أفظع من أن تعبر عنه الكلمات ... مناطق كانت تموج بالحياة ، خيم السكون عليها الآن وكأنها منظر لسطح القمر . لقد تعرضت لعمليات منظمة من النهب والتخريب ، بل إنها دكت دكا حتى سويت بالأرض ، لتعيد إلى الذاكرة غزوات القرون الوسطى أو عمليات القصف الحديثة . »[٢٨]

أصبحت مثل هذه الاضطرابات المناهضة للإسلام ، جزء من حياة الشعب ، لدرجة تبلد معها الناس بالألم والمعاناة – هذا إذا صرفنا النظر عن الضحايا – وانعدم إكترائهم بالخسائر الاجتماعية وتفتت التضامن القومي .

جاء بالإحصاءات « الرسمية » التى نشرتها وزارة الداخلية في الحكومة الهندية ، عن الاضطرابات المناهضة للإسلام ، ما يلى من أرقام :[٢٩]

السنة	عدد الاضطرابات	السنة	عدد الاضطرابات
٤٧ – ١٩٥٣	(غير واردة)	١٩٦٩	٥١٩
١٩٥٤	٨٣	١٩٧٠	٥٢١
١٩٥٥	٧٢	١٩٧١	٣٢١
١٩٥٦	٧٤	١٩٧٢	٢٤٠
١٩٥٧	٥٥	١٩٧٣	٢٤٢
١٩٥٨	٤١	١٩٧٤	٢٤٨
١٩٦٠	٢٦	١٩٧٥	٢٠٥
١٩٦١	٩٢	١٩٧٦	١٦٩
١٩٦٢	٦٠	١٩٧٧	١٨٨
١٩٦٣	٦١	١٩٧٨	٢٣٠
١٩٦٤	١١٧٠	١٩٧٩	٣٠٤
١٩٦٥	٨٤٩	١٩٨٠	٤٢٧
١٩٦٦	١٣٣	١٩٨١	٣١٩
١٩٦٧	٢٢٠	١٩٨٢	٤٧٤
١٩٦٨	٣٤٦	١٩٨٣	٥٠٠
		١٩٨٤	٤٥٦

بلغ الرقم الإجمالي عن الثلاثين عاما الماضية ٨٦٤٥ اضطرابا ، أي بمعدل ٢٨٨ اضطرابا في السنة . وتجدر الملاحظة أيضا أن تكرار نشوب الاضطرابات في تزايد مستمر وبخاصة منذ ١٩٧٦ . في حين يتراوح عدد الاضطرابات الإجمالى منذ ١٩٤٧ ، حسب المصادر المستقلة ، ما بين ١٥,٠٠٠ و ٢٠,٠٠٠ .[٣٠]

إن ما هو أكثر إيلاما في هذه المأساة ، هو أن موقف الحكومة يزداد انحيازا للهندوس . وكما ورد في تصريح لصحفي هندوسي مشهور اسمه بران تشوبرا : « إنه بات من الواضح جدا الآن أن خطة المسز / غاندى هى الحشد لموجة هندوسية »[٣١] وعلى نفس المنوال صرح صحفي هندوسي آخر قائلا :

« يبدو أن استراتيجية المسز غاندى تقوم على أساس الإبقاء على واجهة علمانية في المركز مع السماح لمسئولي الحزب في الولايات بالسير نحو الطائفية الهندوسية ».(٣٢)

إن رعاية وتنشئة جماعة ضغط متعصبة غاية التعصب للهندوسية « باتت في واقع الأمر سياسة من سياسات الدولة . ثم إن الهيئات الدينية الهندوسية آخذة في الأزدياد . لقد كان توجيه اللوم إلى العناصر الهندوسية المتطرفة لإثارتها اضطرابات مناهضة للإسلام ، شيئا مألوفًا في يوم من الأيام . أما الآن فاللوم كله واقع على المسلمين .(٣٣)

إن من الدوافع السياسية وراء تشجيع الاضطرابات أو التغاضي عنها ، دفع المسلمين إلى التصرف بطريقة معينة . أى أنه « عن طريق فرض حالة دائمة من عدم الاستقرار والأمن ، يقال للمسلمين ، من هم حماتهم ؟ وأنهم إذا اجترأوا على تبديل ولائهم فعليهم أن يستعدوا لمواجهة عواقب أشد وأنكى ».(٣٤)

وعلى الصعيد النفسي ، يعتقد كل هندوسي ، فيما يبدو « أن المسلمين في الهند ، هم أولى بنوع من المسئولية ، يتحملونها نيابة عن الآخرين ، بسبب « خيانة » خلق الباكستان . بل إنهم ، عندما تندلع أعمال العنف والإبادة الجماعية ، يطلقون شعارا ، يعتبر واحدا من أكثر الشعارات شيوعا ، ومفادة أن على المسلمين أن يذهبوا إلى الباكستان طوعا أو كرها » .(٣٥)

أما من الناحية الاقتصادية ، فإن كل اضطراب ينشب ضد المسلمين ، يجلب كارثة لهذه الجالية التي فرض عليها العيش في الفقر من قبل ذلك . إن نصيب المسلمين في التجارة والنشاط الاقتصادى والصناعة يكاد يكون معدوما ، باستثناء صناعة الأكواخ . » هناك أربع وحدات فقط يمتلكها رجال صناعة مسلمون ، في مجموعة من ٢٨٣٢ مؤسسة صناعية تمتلكها وحدات مشتركة كبيرة ، تبلغ مبيعات كل منها ٥٠ مليون روبية وأكثر ... ونستطيع أن نقول ، بتخمين واع ، أن المسلمين يمتلكون في القطاع الأصغر ، حوالى ١٤٠٠٠ وحدة من بين مجموع ٦٠٠,٠٠٠ وحدة ، منها ٢٠٠٠ قد تخص الفئة الصغيرة بإنفاق رئيسي يبلغ أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ روبية (١٩,٠٠٠ دولار أمريكي » وأقل من الـ ٢٠٠٠,٠٠٠ روبية (١٩٠,٠٠٠ دولار أمريكي) ٠٠٠ (من) ٨٣١ شركة محدودة على أعلى مستوى من الشهرة .. ومن بين ٦٤٦٥ مدير هناك ١١٠ مدير مسلم فقط .(٣٦) ومع ذلك .. حتى هذه الصورة المعتمة للحرمان الاقتصادى لا تحظى فيما يبدو ، بقبول أولئك الذين يدبرون الاضطرابات المناهضة للإسلام . إن دراسة سريعة لشكل الاضطرابات في مختلف المدن والبلدان . تكشف لنا أن هذه الاضطرابات المتلاحقة ، بكل ما فيها من روح تدميرية غاضبة ، تستهدف الممتلكات الصغيرة لصغار أصحاب المشروعات المسلمين ، حيث يعمل المسلمون لحساب أنفسهم كحرفيين في بلدان مثل « أليجاده » (صناعة الأقفال) ، « باناراس » (أعمال النسيج والتطريز) ، « بهيواندى » (أنوال تعمل بالطاقة) ،

« جابالبور » (صناعة الأسرة)، « ماونات بهانجات » (أنوال يدوية)، « ميروت » (صناعة السكاكين والمقصات)، « مراد أباد » (صناعات نحاسية).. الخ .

نادرا ما تتجشم الحكومة عناء تشكيل لجنة للتحقيق في أعقاب الاضطرابات . وحتى عندما تأمر بالتحقيق ، ويقدم المحققون تقريرهم بعد بحث مستفيض ، لا تنشره في الغالب . كما لا تسفر التوصيات ، إذا وردت ، عن أية نتيجة .

ربما يكون السبب أن تقارير تلك التحقيقات لا ترى ضوء النهار ، إنها تشير بأصبع الإتهام صوب الحكومة لفتور همتها في اتخاذ أى إجراء علاجي مقترح.[٣٧] حتى إذا حدث غير ذلك ، واقترح التقرير ببساطة طرق ووسائل تحسين أوضاع الأقليات في الهند ، فسيلقى نفس المصير : عدم النشر بل وعدم التنفيذ أيضا . إن التقرير الذى قدمته هيئة جوبان سينغ إلى الحكومة المركزية بشأن الأقليات ، وكان ذلك في الرابع عشر من يونيو ١٩٨٣ ، يعطى مثالا نموذجيا تقليديا على ذلك ، فمازال التقرير قيد البحث .

وتتضح أهمية هذا التقرير بعيدة المدى من المعلومات الضئيلة المستقاة من بعض الأسئلة التى طرحت حوله في المجلس الشعبي بالبرلمان . ومع ذلك ، لا تبدى الحكومة حماسا لتنفيذ ما ورد به من توصيات ، على الرغم من الوعود الانتخابية التي أطلقها الحزب الحاكم ، فمثلا في بيانه الانتخابي الصادر في ١٩٨٠ ، والذي وعد فيه بتشكيل قوة خاصة لحفظ السلام تتألف من أفراد ينتمون إلى جاليات الأقليات والطوائف المدرجة والقبائل المدرجة . « يشكو عدد من المسلمين ، في الوقت الحاضر ، من مساندة قوات الأمن لجماهير الهندوس الذين يهاجمون مناطق المسلمين . وفي بعض الحالات ، تشترك قوات الأمن نفسها في مهاجمة المسلمين ، كما حدث في « مراد أباد » سنة ١٩٨١ ، عندما فتحت الشرطة النار على المسلمين وهم يؤدون صلاة العيد » .[٣٨]

وليس المقصود التقليل من أهمية القوة المشتركة ، ولكن هناك ما هو مطلوب بصفة عاجلة ملحة ، أن تغير القيادة السياسية قلبها ، فبمجرد أن يعقد قادة البلاد العزم — في جدية حقيقية — على منح الأقليات حقوقها ، فسوف تعود الأمور إلى نصابها .

٢ — التخلف التعليمي وندرة فرص العمل :

أمدنا الشيخ أبو الحسن على الندوي ، في ١٩٦١ ، في كتابة « المسلمون في الهند » ببعض الأرقام التى تكشف لنا بوضوح وضع المسلمين ، في ذلك الوقت ، بالنسبة لوظائف الحكومة . فعلى سبيل المثال : « بينما بلغ عدد المسلمين المنخرطين في شرطة دلهي في ١٩٤٦ ، ١٤٧٠ مسلما ، بلغ الآن (أى في ١٩٦١) ٥٦ فقط . ومنذ ١٩٥٦ حتى الآن تم تجنيد مسلم واحد في رتبة « كبير كونستابلات » ، واثنين آخرين في رتب كونستابلات .. علما بأن قوة الشرطة الحالية في دلهي تتألف من ٢٠٥٨ فردا . أى أنهم جندوا ثلاثة فقط من

المسلمين في الفترة ما بين ١٩٤٧ وحتى منتصف ١٩٥٩ ... وقد بلغت نسبة المسلمين في القوات المسلحة ٣٢٪ قبل التقسيم ، في حين تقلصت النسبة الآن إلى ٢٪ فقط » كما ورد في صفحة ١٨٢ ، ١٨٣ من الكتاب المشار إليه) .

ويظل الوضع الحالي كما هو عليه . إذ يبلغ عدد الموظفين الذين استخدمتهم الحكومة في الإدارة المركزية في نيودلهي سنة ١٩٨٤ ، ٩٦٠٠ موظفا ، من بينهم ، على سبيل المثال ، ٢٧ فقط من المسلمين . والقول بأنهم أصبحوا فجأة غير أكفياء هو بمثابة إضافة ضرر إلى ضرر واقع .[٣٩] وبالمثل ، لا يوجد سوى ستة من المسلمين فقط من بين حوالى ٨٠٠ ضابطا في التشكيلات الثلاثة العليا بالحكومة المركزية في دلهي . وحتى إذا شرعوا اليوم في محاولة صادقة لتصحيح هذا الظلم ، فسوف يحتاج المسلم إلى ٣٠ سنة ليبلغ أعلى درجة .[٤٠]

من المسلم به الآن عموما أن التخلف التعليمي يلف المسلمين بسرعة . ويرجع معظم السبب في ذلك إلى هندوسية التعليم في الهند . وقد اقترن هذا بحرمانهم المنظم من فرص العمل ، والذى مارسه القطاعان العام والخاص ، الأمر الذى جعلهم يعتقدون في عدم جدوى التعليم .

وينذر نظام التعليم الحالى في المدارس الهندية بالخطر الذى يتهدد شخصية المسلمين الدينية والثقافية . وإذا كان الأمر بالنصوص الدستورية ، فإنهم يأخذون بحق اعتبارهم تكوين المجتمع الهندى متعدد الأعراق والأديان ، ومن ثم ينصون على تركيبة علمانية للتعليم . ولكن بكل أسف ، اقتصرت هذه النصوص الدستورية ، عند التطبيق ، على الكتب والتصريحات الرسمية فقط ، أما الكتب المدرسية فامتلأت بقصص من الميثولوجيا الهندوسية (مجموعة الأساطير الخرافية) . وبمعتقدات ، دون أدنى اكتراث تتنافى مع مبادىء التوحيد والنبوة وأسماء الله . ويبدو ، من خلال تصفح هذه الكتب ، أن مؤلفيها يرون في هذا البلد الشاسع المتعدد الأديان ، أرضا للبراهمة ، حيث احتلت قصص أنصاف آلهتم واحتفالاتهم ، ومعابدهم ، وفنونهم الشعبية ، ومؤسساتهم الدينية – احتلت المكان البارز في تلك الكتب المدرسية المزعومة .[٤١]

إن اللغات الرئيسية ذات العلاقة بالثقافة الإسلامية في الهند ، وهي العربية والفارسية والأردو ، لا تدرس عموما في المدارس . ومن ثم ، تدنت نسبة المسلمين الذين يعرفون « الأردو » وهي اللغة الأم بالنسبة للغالبية العظمى منهم ، إلى مستوى منخفض ينذر بالخطر . هكذا كان الوضع بعد أن قدم مليونان من الراشدين ومليونان آخران من القصر من المسلمين ، التماسا موقعا إلى رئيس الهند في الخامس عشر من فبراير ١٩٥٤ ، طالبوا فيه بتدريس الأوردية وردّ اعتبارها . ومع ذلك فموقف اللامبالاة الرسمي تجاه الأوردية مستمر .

إن جامعة « عليكرة » الإسلامية ، وهي المؤسسة التعليمية الوحيدة للمسلمين في الهند ،

التي أنشأها سيد أحمد خان في ١٨٧٦ لتكون كلية في بادىء الأمر ، ثم تطورت لتصبح جامعة في ١٩٢٠ ، استطاعت الحكومة المركزية أن تحتفظ لنفسها بقبضة خانقة على شئون الجامعة ، وبالرغم من قيام طلاب الجامعة ومدرسيها ، بأعمال ثورية ، رفضت الحكومة اعتبار الجامعة مؤسسة أقليات ، خشية أن تفقد قبضتها ، إذا فعلت ذلك ، على إدارة الجامعة وتوجيهها . وتبلغ نسبة الطلاب والمدرسين من غير المسلمين في الجامعة حاليا ، حوالى ٤٠ ٪ .

٣ – مشكلة حماية قانون الأحوال الشخصية الإسلامي :

كما سبق أن أشرنا . تعرضت الشريعة الإسلامية إلى عمليات تقليص خطيرة تحت الحكم البريطاني في الهند . فبعد إبطال القانون الإسلامي في مجال الجريمة والعقود والأرض والإدلاء بالشهادة والإجراءات ، لم يتبقى سوى مجال واحد عرف بعد ذلك باسم « قانون الأحوال الشخصية » ، ويشمل الزواج ، وما ترثه الأرملة من زوجها المتوفي ، والطلاق ، والنفقة والوصاية ، والهبة ، والوقف « الميراث » والوصية وحق الشفعة ، ويكفل دستور الهند للمسلمين استمرار تطبيق هذا القانون .[٤٢]

ولكن ، هناك فرق شاسع بين النظرية والتطبيق ، سواء على مستوى الحكومة أو القضاء ، فعلى سبيل المثال ، هناك بند في « قانون الأحوال الجنائية » الصادر في ١٩٧٣ ، ينص ، برغم احتياجات المسلمين ، على أن يستمر الأزواج الذين طلقوا زوجاتهم ، في دفع النفقة إليهن طالما لم يتزوجن ، وهذا يتنافى تماما مع الشريعة الإسلامية في هذا الخصوص . حيث تنص على استمرار حق الزوجة المطلقة في النفقة طوال فترة العدة فقط . إلا في حالة فسخ الزواج بسبب عيب في الزوجة . ويحاول هذا القانون تقرير شيء من الاستثناء في المادة ١٢٧ ، بحيث يشمل المسلمين ، حسب ما هو متصور ولكن القضاء رفض إقراره على هذا النحو .[٤٣]

وفي ٢٥ أغسطس ١٩٨٤ بعث الشيخ أبو الحسن على الندوى ، رئيس « مجلس قانون الأحوال الشخصية الإسلامي لعموم الهند » بعث بمذكرة إلى رئيسة وزراء الهند نقل فيها مشاعر المسلمين على النحو التالي :[٤٤]

« إن مجلس قانون الأحوال الشخصية الإسلامي لعموم الهند ليلاحظ ، بمزيد من القلق أن التهجم على قانون الأحوال الشخصية الإسلامي من جانب العناصر المتعصبة ، بزعم التقدمية ، مستمر بلا هوادة ، لقد استبدت بعقول أولئك المتعصبين فكرة إضفاء الصبغة الهندية على المسلمين الهنود . ويزعم التقدميون أنهم يعملون لصالح تحرير المرأة ، في حين أن هدفهم واحد – هو إجبار الدولة على إعلان « قانون مدني موحد »...

يارئيس الوزراء :

إن استراتيجية هذه العناصر هي إثارة القضايا ، الواحدة بعد الأخرى ، وتركيز الأضواء على جوانب عدة في قانون الأحوال الشخصية الإسلامية ، ثم البحث عن حلول قضائية ودستورية وإدارية مع إدانة شاملة لقانون الأحوال الشخصية ككل . »

واهتم « مجلس قانون الأحوال الشخصية الإسلامي » بعريضة دعوى مدنية رقم ١٣٤٥١ ، مرفوعة في ١٤ ديسمبر ١٩٨٣ ومنظورة أمام محكمة الهند العليا ، رفعتها شاهيناز شيخ (٢٤ سنة) مسلمة سنية ، مطلقة ، ضد حكومة الهند (المدعى عليه رقم ١) وآخرين ، على أساس أن « قانون الأحوال الشخصية الإسلامي ينتهك بصورة واضحة ، المواد ١٤ ، ١٥ ، ٢٥ من دستور الهند ، والتي تكفل العدالة والمساواة لكل المواطنين بصرف النظر عن انتمائهم الطائفي ، وعقيدتهم ، ودياناتهم ، ونوعهم . إن الاعتراض على أقسام الشريعة المتعلقة بتعدد الزوجات ، والطلاق ، والمهر ، والميراث ، الخ . لكونها تستخدم كأدوات لظلم النساء المسلمات .

وتلقي القضية ، في المحكمة العليا ، الدعم والرعاية من منظمتين مغمورتين هما — « جمعية مكافحة ظلم النساء » و « تجمع المحامين » .[٤٥]

واهتم « مجلس قانون الأحوال الشخصية الإسلامي لعموم الهند » بهذه القضية وقرر التدخل لدى « المحكمة العليا » . (مازالت العريضة معلقة) وكتب الشيخ أبو الحسن على الندوي بالنيابة عن المجلس ، إلى رئيسة الوزراء يقول :[٤٦]

« إن من دواعي الأسف ، ولأسباب معروفة جيدا ، لم تتحرك الحكومة بنفس النشاط ردا على إعلان الدعوى الذى نفذته المحكمة العليا الموقرة على الحكومة الاتحادية ، بوصفها المدعى عليها في قضية شاهيناز »...

أثار هذا التأخير من جانب الحكومة ، الخوف ، وسبَّب سوء الفهم ، في أذهان أفراد الجالية الإسلامية . ويثار سؤال حول ما إذا كانت الحكومة ترغب في الحفاظ على حقوقهم في الاختيار ... إن أى تغيير ، مباشر أو غير مباشر ، في الشريعة الإسلامية . عن طريق التشريع أو التفسير القضائي ، سوف يرقى إلى التدخلات في الدين ... ويعد هذا خرقا لحرية الدين ، التي يكفلها دستور الهند بموجب المادتين ٢٥ ، ٢٦ » .

مازال من واجب الحكومة الهندية أن تتبرى صراحة للدفاع عن « قانون الأحوال الشخصية الإسلامي » .

إن موقف القضاء الهندى تجاه « قانون الأحوال الشخصية الإسلامي » — ليس أفضل من ذلك . ففي كل يومين يصدر القضاء قرارا يحاول فيه إضفاء بريق خادع للشريعة الإسلامية . فكما ورد في كلام قاض سابق في « محكمة الهند العليا » : « فلنتولى مهمة تحديث القانون الإسلامي .. فينبغي على إخواننا المسلمين أن يتذكروا أن الأمور ذات العلاقة المدنية لا تؤثر

على جوهر التعاليم الدينية للنبي ، إنما تندرج تحت المنهج الإرشادى العظيم الذي أرساه يسوع : « أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله » إن إدخال إصلاحات صامتة ، وجوهرية في نفس الوقت ، عن طريق اللجوء لاستخدام القوة من جانب القضاء ، لهو مجال لم نستغله بعد في الهند ، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أنهم أى (القضاة) غير ملتزمين نضاليا بمهمة الدستور العلمانية ... إن مغامرة القضاء فى مجالات القانون الإسلامي ، المفتوحة ، قد تأتي بثمارها طالما لا نقيد حركتها ». (٤٧) ومما يدعو للعجب ، إذا ، أن نجد أن نفس هذا القاضى الذي قدم للمسلمين النصيحة سالفة الذكر ، قد أصدر حكما ، زرع بمقتضاه أشياء قليلة غريبة تماما ، في جسم القانون الإسلامي . فالهبة إما أن تكون شفهية أو مكتوبة ، غير أن هذا القاضي أعلن أن الهبة ذات الطابع الديني فقط ، تكون شفهية ، أما الهبة ذات الطابع العلماني ينبغي أن تكون مكتوبة . ولا يعرف القانون الإسلامي شيئا عن مثل هذا التصنيف . (٤٨)

وفي حكم أصدرته محكمة الهند العليا ، أعلنت فيه أن المبدأ الحنفي القائل بشفعي الجار غير دستوري . وأشارت إلى أن هذا النوع الخاص من حق الشفعة كان له منفعة في يوم من الأيام ، وأن هذه الأيام مضت لحالها . إذ كان الغرض الرئيسي ، من مثل هذا القانون ، منع دخول الأغراب بين الشركاء والجيران على أساس أن ذلك سوف يثير غضب الآخرين ويسبب إزعاجا لهم . ولم يعد مثل هذا التقسيم للمجتمع شيئا منطقيا الآن . (٤٩)

وإذا نظرنا إلى الأمور من زاوية ما يحدث في الهند من اضرابات طائفية عنيفة جدا ومتكررة ، وما يوجد في المجتمع من تفاوت بين الناس ، نجد أن مثل هذا الرفض المتزايد « لشفعي الجار » من جانب القضاء ، سوف يثير بالتأكيد المزيد من المشكلات ، ولن يحل شيئا كما يدعون . لقد بنوا الحكم تماما على افتراضات القضاة ، لا على حقائق ثابتة أو أى معلومات اجتماعية وإحصائية .

وفي حكم صادر من « محكمة الله أباد العليا » في ١٩٧٨ ، أعلنت فيه أنه يمكن الاستيلاء جبرا على المساجد لصالح النفع العام . وأن بناء مسجد ليس أمرا ضروريا لأداء الصلاة ، حيث يمكن تأديتها ، طبقا لهذا الحكم ، في أى مكان . (٥٠)

ووفقا لما جاء في تفسير أحد المحاكم العليا ، تظل مدافن المسلمين على ما هي عليه شريطة أن يكون استخدامها مستمرا . ومن ثم ، إذا انتهك سكان القرى من غير المسلمين حرمة مدفن لم يستخدم مدة عشرين سنة ، وقاموا بتسوية القبور بالأرض وبنوا البيوت عليها ، فلا يعتبر هذا منافيا للقانون . (٥١)

في قضية أخرى أعلنت إحدى المحاكم العليا أن الزواج الثاني للمسلم يشكل ، بطبيعة الحال ، وحشية فكرية بالنسبة للزوجة الأولى ، على أساس ذلك يمكنها أن تطلب الطلاق (٥٢) .

إن قائمة من مثل هذه الأحكام القضائية قد تكون طويلة جدا . وقد أورد مؤلف غير

مسلم قائمة مختصرة لقضايا من هذا النوع . تعرض القانون الإسلامي خلالها ، إلى تفسير خاطىء من جانب القضاء في الهند .[٥٣]

يكفينا على كل حال ، دون التعرض بالسخرية لهذه النقطة ، الإشارة إلى ما أقره قاضي محكمة الهند العليا نفسه ، قائلا في أحد أحكامه : « إن المحاكم التى تنظر في المنازعات لاتخاذ قرار بشأنها ، تصدر أحكاما لا تتفق ، على نحو صارم ، مع الشريعة الإسلامية ، ولا مقتضيات القانون (الإسلامي) الجوهرية »[٥٤]

ومن الخطأ البين أن تدعى المحاكم لنفسها الحق في القيام بدور المصلح لشئون الشريعة الإسلامية . وينبغي أن يأتي الإصلاح ، إن وجد ، من المسلمين ، لا من نزوات الإصلاح التي يتسلى بها القضاة .[٥٥]

جـ - احتمالات المستقبل بالنسبة للمسلمين في الهند :

يقول الله تعالى في سورة النور :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ..... ﴾ (الآية ٥٥) .

في هذه الآية ، يشير (وعد) الله ، على نحو غير مباشر ، إلى شرع الله ، الذى رفع أمما وأخفض أخرى ، كل حسبما يتصف به من أخلاق .[٥٦]

لا يفلح المسلمون إلا إذا تمسكوا بالقرآن والسنة . حقا إن التطورات العلمية والتكنولوجية حيوية ، ولكن الأهم من ذلك والأخطر هو الإيمان ، العمل الصالح ، نقاء النية والخلق الفاضل . إن أى إنجاز ، بدون ما أسلفنا ذكره ، محكوم عليه بقصر العمر .[٥٧]

وقد أكد الشيخ محمد عبده أن هناك بعض الفضائل الأخلاقية ، إذا ما تمسكت بها أمة من الأمم ، ودعمتها ، علت وازدهرت . وإذا تخلت عن نصرتها للفضائل ومكارم الأخلاق ، فلا منقذ لها من الدمار . هذا هو شرع الله الثابت .[٥٨] ومن ثم يرى محمد عبده أن الإصلاحات الدينية هي أساس جميع الإصلاحات الأخرى . ويرفض محمد عبده صبغ حياة المسلم بالصبغة الدنيوية المحضة . إذ قال ، في حديث مع الفيلسوف البريطاني هربرت سبنسر : « إن فلاسفة أوربا وعلماءها . الذين اكتشفوا أشياء كثيرة تخدم راحة الإنسان ، عاجزين عن اكتشاف فطرة الإنسان الحقيقية ، أو كشفها له حتى يعرفها ويعود إليها »[٥٩]

إن تقليص دور الدين على يد الغرب هو أتعس شيء أصاب الإنسانية . ولأن المسيحية لم يكن لها شرعة مقدسة واضحة ، اضطر المسيحيون إلى اختيار الثنائية ، كما فعل الإغريق والرومان ، بقبول مجموعة القوانين العلمانية السائدة في ذلك الوقت في روما الوثنية .

واعتبروا الطبيعة خالية من الأهمية الروحانية . لقد قضت الثورة الصناعية تماما على الانسجام بين الإنسان والطبيعة ، كما يحدث الآن في أزمة التكيف البيئي وانتشار التلوث الذي ينذر بخطر إحالة الأرض ، في خلال وقت قصير جدا ، إلى مكان غير صالح للحياة . قال الأستاذ النقيب الأتاسي : « إن الإسلام يرفض كلية مفاهيم العلمانية ومسمياتها « علماني ». الصبغ بالصبغة العلمانية » ، « مذهب العلمانية » – لأنها لا تمت إليه بصلة ومخالفة له من جميع النواحي ... هي مفاهيم طبيعية للغرب فقط وتتعلق بالتاريخ الفكرى لتجربة الغرب وإحساسه الدينيين »[٦٠].

وبعد سبات استمر فترة طويلة ، تمر الأمة المسلمة الآن بعملية ولادة جديدة ، بكل ما فيها من إبداع وآلام . فتح الشباب المسلم عيونه اليوم في ظل نظم حكم عربية ، أو موالية للغرب ، ووليدة عهد الاستعمار أو ما بعد الاستعمار ، نشأ هؤلاء الشباب في ظل نظام تعليم علماني فرض عليهم . ومع كل هذا ، فهم يمرون الآن بمرحلة يكتشفون فيها إسلامهم من جديد ويرون فيه مصدر إلهام رئيسي لهم في الحياة .

وتحاول حركة التبليغ والدعوة التي بدأها ، في الهند ، الشيخ محمد إلياس في الثلاثينات ، ثم احتضنها ابنه ، الشيخ محمد يوسف (٩٦٥) ، أن تعود بالمسلمين إلى العيش تحت سقف الإسلام ، وأن تغرس في نفوسهم الإيمان بأن البشر لا يفعلون شيئا وأن الله هو الفعال لما يريد ، وأن رفع الأمم وخفضها ، والهدم والبناء ، والفلاح والفشل ، كل ذلك لا تسببه الوسائل المادية ، إنما هو مرهون بمشيئة الله ، الذى هدانا إلى صراط مستقيم في الحياة إذا اتبعناه أفلحنا في هذه الدنيا وفي الآخرة . إن استحقاقنا لعون الله يستمر طالما أبصارنا لم تزغ عن حقيقة أن رحمة الله وعونه هما الحل الوحيد لمشكلاتنا .[٦١]

إن أول خطوة نخطوها نحو الصبغة الإسلامية ، هي أن ننسى الفروق البسيطة والكبيرة بيننا ، على مستوى الفرد والأمة . يقول الشيخ أبو الحسن على الندوى : « إن تاريخ المنشقين في الإسلام يدلل على أن الأسس التى قامت عليها كثير من الشيع والطوائف ، تعتمد على الإخلاص والعزم ، وعلى روح الإصلاح والنزوع إلى إزالة مواطن الضعف ، والركود والمغالاة . وقد حض مؤسسوها الناس على العودة إلى الله والكتاب والسنة لأنها المقياس الذي يقرر الصواب والخطأ ، حتى يضعوا مثل الصدق أمام أعينهم . ولكن مغالاة أتباعهم في احترامهم .. وفرط إعجابهم بالأشخاص حتى العبادة ، أدى بهم إلى تكوين شيع وطوائف ، أخذت في الابتعاد تدريجيا عن محيط الأمة وقاعدتها ، والتشكك في العلماء والمصلحين والسخط عليهم ، وفقدان القدرة والرغبة في الاستفادة منهم[٦٢].

من أجل ذلك . ينبغي على المسلمين في كل دولة ، بما في ذلك الهند ، أن يكافحوا بهدف تحقيق الوحدة الكاملة بينهم في ظل روح الإسلام النقية . يجب على المسلمين أن يعتبروا

أنفسهم أمة واحدة بصرف النظر عن مكان إقامتهم . إن المفهوم الحديث للقومية غريب على مفهوم الأخوة الإسلامية التى لا تعرف للأقاليم حدودا ولا قيودا ، فهى أخوة عالمية . ومن ثم ، من واجب كل منظمة وكل دولة إسلامية ، أن تقدم كل عون ممكن للمسلمين الذين يعيشون في دول غير مسلمة ، ويكونون أقليات فيها ، حتى إذا استلزم الأمر فرض ضغط سياسي أو اقتصادى ، أو ضغط على التبادل الدبلوماسي ، أو أى شيء . إن الأقليات المسلمة في أنحاء العالم ، بما في ذلك الهند ، تتعرض لجميع صنوف الاضطهاد ، منذ وقت طويل جدا ، دون أن يرتفع صوت مهم واحد من أى دولة إسلامية لمعارضة هذا الاضطهاد ، بحجة أنها مسألة داخلية » وهذه الحجة لا يمكن ، بكل تأكيد ، أن تأخذ حجما أكبر من حجمها لتغطية الاضطهاد الفاضح الذى تتعرض له الأقلية الإسلامية في أى دولة .

فيما يتعلق بالهند ، إن أكبر عون يمكن تقديمه للشباب المسلم هناك هو توفير عدد كبير من المنح الدراسية التعليمية ، لتكون الدراسة داخل البلاد وخارجها على حد سواء . من الممكن أيضا اختيار عدد من المعاهد التعليمية الإسلامية ، في مراحل التعليم الدنيا والوسطى والعليا ، وتقديم العون لها حتى تتطور وفقا لاحتياجات الحالية . وبما أنه يحدث أحيانا أن يتدفق عدد كبير من الطلاب الأجانب القادمون من مختلف الدول ، الأمر الذي قد يثير مشكلات من نوع خاص للدولة المضيفة ، لذلك ، أقترح أن تقوم عدد من الدول الإسلامية مشتركة بجمع المال للإسهام في إنشاء جامعة مستقلة لطلاب الأقلية المسلمة في منطقة محايدة أو في دولة مسلمة صغيرة مثل « المالديف » التي قد تتطوع باستقبال هذه الجامعة على أرضها . وينبغي أن يشمل منهاج الدراسة في هذه المعاهد التي تلقي الدعم ، أوالمنشأة، مزيجا متوازنا من النواحي الروحانية والدنيوية .

إن العدد الهائل من ممتلكات الأوقاف المنتشرة في مدن الهند ، يتمتع بإمكانات ضخمة لإنماء الموارد الدينية لصالح تحسين أوضاع المسلمين الهنود الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية . فلو أن بإمكان مؤسسة دولية ، مثل « البنك الإسلامي للتنمية تقديم قروض لتنمية الأوقاف الموجودة بالمدن ، فقد لا يحتاج المسلمون الهنود إلى مساعدة أية وكالة خارجية لسد احتياجاتهم التعليمية[٦٣]

ومن أجل إشباع احتياجاتهم التجارية والاقتصادية المحدودة ، والتي لا ينتظر قريبا جمع الاعتمادات المالية لها ، يحتاج المسلمون في الهند إلى إنشاء بيوت مال صغيرة ، تستطيع بعد ذلك، أن تقدم قرضا وفقا للمبادىء الإسلامية لإنشاء عدد قليل من الصناعات والمشروعات الاقتصادية ، مثل هذه المؤسسات ، موجودة بالفعل ، وتقدم خدمة نافعة ، والمؤسسة الموجودة في ديوباند ورانجالود ، مثال على ذلك ، هناك أيضا حاجة إلى تعريف الصفوة الممتازة من الهندوس ، والعقلاء منهم بحقيقة أحوال المسلمين في الهند ، والمخاطر الكامنة في

إتباع المنهج السياسي الحالي .

وفي الختام ، ينبغي التأكيد من جديد ، على أن المهمة الضخمة ، مهمة تحسين أحوال عدد كبير من المسلمين الهنود، تحتاج إلى إيمان راسخ بقدرة الله على تقرير مصير الناس دون التقيد بالموارد الدنيوية . وإلا فإن مقترحات تحسين أحوال المسلمين الهنود ، الواردة في هذا البحث ، قد لا تحقق شيئا في حد ذاتها .

ولنذكر أنفسنا بقول الله تعالى في القرآن :

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ... أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي ٱنتِقَامٍ ﴾ (سورة الزمر الآيات ٣٦ ، ٣٧) . يعد هذا رفضا مباشرا لغريزة الإنسان الميالة دوما إلى الربط بين النجاح في الدنيا وبين الثروة والقوة والحالة الاجتماعية .. إلخ تلك الغريزة التي تخوف نفسها من فكرة أن الفشل في امتلاك هذه العناصر قد يأتي بعواقب وخيمة . إن الله كاف لتوفير كل الحماية التي يحتاجها الرجال الصالحون ، كما أنه تعالى سوف يعاقب الشر عندما يستفحل أمره .[٦٤]

كلمة أخيرة ، إن أهم شيء للمسلمين الهنود أن يكونوا صالحين حتى يستأهلوا الفوز بالنجاة ، وليس ذلك ببعيد ، بل هو أقرب مما نتوقع .

NOTES

* . B. Sc.; LL. B., LL.M., Ph. D. (Aliqarh), Head Department of Islamic Law, University of Sokoto, Niqeria, formerly, Dean of Law, University of Sokoto.

1 . See, Syed Shahabuddin "Economic Status Of Muslim Community in India: An Overview," **Muslim India, Feb., 1985, P. 81** (Published monthly from New Delhi, this journal devotes itself to research, documentation and reference).

2 . W. W., Hunter, **Indian Mussalmans: Are they Bound in Conscience to Rebel Against Queen,** p. 31 (Calcutta, 1871).

See also Beber, Reginald, **Narrative of a Journey Through the upper Provinces of India,** 2nd ed, (London: 1828): P. Hardy, **The Muslims of British India** (Cambridge, 1972:) Home Dept. Correspondance on the subject of the Education of the Muhammadan Community in British India and their Employment in the public service generally, Selections from the **Records of the Government of India,** (No. ccv, Calcutta: 1886) cited in p. Hardy, **loc. cit.**

3 . Jawaharlal nehru, **Discovery of India,** (Bombay: 1961:) Tara Chand, **History of Freedom Movement in India,** Vol. 11 (Delhi: 1967:) I. H. Qureshi, **The Muslim Community of the Indo-pakistan Sub-Continent (610-1947), (S. Gravenhag: 1962.)**

4 . W.H. Russell, **My Diary in India in the years 1858-9,** Vol. 11, pp. 74, (London: 1890.)

5 . Letter No. 9 dated 9th October, 1857 in **Letters From H.M. Ministers, Feb. 1856 to Feb. 1862,** Canning papers, cited in P. Hardy, **Supra, p. 71.**

6 . Letter No. 40 in **Letters From President of the Board of Control,** 26th Jan. Hardy, **Supra,** p. 71

7 . See Azizur Rahman Mallick, **British Policy and the Muslims in Bengal: 1757-1856,** p. 50, (Dacca: 1961.)

8 . Ram Gopal, **Indian Muslims: A political History** P. 34, (Bombay, 1956) cited in Chaudhury Mohammad Ali, **Zahoor-e-Pakistan** (urdu) pp. 16-17, (Lahore: n.d.)

9 . Ibid. at 35

10. See Section 9 of Regulation V11 of 1832 and also the Caste Disabilities Removal Act, 1850, the Institution of **Oadi** was abolished under the Kazi Act, **Xi** of 1864.

11. Some of the enactments made were: the Indian Contract Act, The Negotiable Instruments Act, the Indian penal Code; the Criminal Procedure Code; The Civil Procedure Code; The Transfer of Property Act, etc.

12. For details see, S.Khalid "the Impact of British Colonialism on Shariah: The Indian Experience,» **Degel** 1984, Sokoto University Journal.
13. See, **Legislative Assembly Debates,** Feb. 1925, p. 1162. also see, K.P. Saksena, "Need for a Code of Muslim Law", in **Islamic Law in Modern India,** ed. Mahmood, Tahir, pp. 133-36, (Bombay: 1972.)
14. **Legislative Assembly Debates,** Feb, 1925, p. 1175.
15. Waghela V. Sheikh Masludin (1887) 14 Indian Appeals 89 at 96 per Lord Hobhouse. Also see Dunchan Derrett, "Justice, Equity and Good Conscience," in **Changing Law in Developing Countries,** Anderson (ed), p. 114-53, (London: 1963.)
16. Mushirul Haq, **Islam in Secular India,** pp. 23-24 (Simla: 1972). He prepared this table with the help of information from **Firhist Madaris Arabiyah Deeniya,** 1960, published annually by **Anjuman-i- Islam,** Calcutta.
17. Qari Muhammad Tayyab, **Darul Ulum Deoband, p.99,** (Deoband: 1965.)
18. Maulana Muhammad Mian, **Jamiat Ulema Kaya Hai** (Urdu) Vol.1. pp. 28-31, also A.A. Rahmani and Minatullah Rahmani, **Muhakama Qada** (1959)
19. Shah Abdul Aziz, **Fatawa Azizi, p.17, (Delhi: 1311 A.H. 1893-4).**
20. Muinuddin Ahmed Khan, **History of the Faraidi Movement in Bengal** (1818-1906). (Karachi: 1965.)
21. W.C. Smith, **Islam in Modern History,** p. 53 (Mentor Book)
22. Altaf Husain Hali, **Hayat Javed,** p. 164, reprinted (Lahore: 19966). Cited in Chaudhury Muhammad Ali, **Zahoor-e- Pakistan,** p. 19. Translation from Urdu supplied.
23. Muslim India, July, 1984, p. 306 citing **People's Democracy,** June 17, 1984.
24. In Hindi Language, the word Hindustan is made up of two components **Hindu** and **Asthan** (abode), Meaning "abode of Hindus".
25. **Muslim India,** September, 1984. p. 419
26. **Muslim India,** July, 1984, p. 304.
27. Qeustion No. 2522 of 22 March, 1984 asked by Syed Shahabuddin, M.P. and the reply given by p. Venkatasubbaiah, Minister of state, Home Affairs, **Muslim India,** July, 1984, p. 297.
28. Syed Shahabuddin's editorial in **Muslim India, July 1984.**
29. **Impact Inetrnational,** Vol. 14: 1, 8-21 June, 1984, p.9, This magazine is published from London, Figure for 1984 is taken from **Muslim India,**

Feb. 1985 which also gives the figure of 444 Muslim killed during 1984 riots.

30. The figure 15,000 has been given by kalim Ahmad while that of 20,000 by Ahmad Nadeem in **Inquiry**, Sept, 1984, p. 65 and in **Inquiry**, Nov. 1984, p.12 respectively, **Inquiry** is published from London.

South, Sept. 1983, p. 29 (published from London) 31.

32. South July, 1984, p. 14 per Summanta Benerjee.

33. See, **Impact International**, Vol. 14: 11, 8-21 June, 1984, p. 9.

34. **Ibid** at 8.

35. **Ibid.** at 9.

36. Syed Shahabuddin, "Economic Status of the Muslim Community in India: An Overview", **Muslim India**, pp. 81-84, at 82, Feb. 1985, reprinted from **Journal of Muslim Minority Affairs**, Vol. V, No. 1.

37. For Example, the report of the Commission of inquiry which investigated Biharsharif Riots of April-May 1981 was never published. **Muslim India**, Sept. 1984, published, without contradiction from the government, the concluding chapter of the report showing "administrative" lapses as well as the efforts of the administration to conceal and distort the evidence."

39. See the press report on the meeting held on July 26, 1984, in the Grand Committee Room, House of Commons, London attended by 500 delegates from various Countries including 18 British M. Ps **Inquiry**.

39. Impact International, Vol. 14: 16, 1984, p. 11.

40. **Ibid**, Vol. 13: 5, 1983, p. 6 per Syed Shahabuddin, M.P.

41. See the observations of Maulana Abul Hasan Ali Nadvi, in **Hindustani Mussalman**, pp. 169-171. (Lucknow: 1961, (Urdu).

42. See Item 5, List 111, 7th Schedule in the Constitution of India, 1950. Section 27 of the regulation of 1980 and section 2 of the Shairat Act, 1937.

43. For details, see Syed Khalid Rashid, and Arshad Masood, "Muslim personal Law in India: An analysis of Judicial Reform," in the **Journal of Muslim Minority Affairs**, Vol. 3, No. 1, pp. 71-88.

44. **Muslim India**, September, 1984, p. 418.

45. **Ibid**. at 417.

46. **Ibid.** at 418.

47. Justice V.R. Krishana Iyer, "Reform of the Muslim Personal Law," in **Islamic Law in Modern India, Ed.** Tahir Mahmood, Bombay, 1972, pp. 17 et. seq.

48. See Makku Rawther V. Manahapara Charavil, **AIR 1972, Kerala,** 27, and this author's Book **Muslim Law**, pp. 169-172, 2nd ed. (Lucknow; 1979) for a critique of this judgment.
49. See Bhau Ram V. Baijnath, **AIR 1962** sc 1976, followed in **AIR 1962** SC. 314.
50. Mohammad Ali Khan V. Lucknow Municipality, **AIR** 1978, **Allahabad** 280.
51. Panchayat Deh V. Punjab Wakf Board **AIR 1969 Punjab** 344: also this author's **Wakf Administration in India: A Socio-Legal Study,** (Delhi: 1978) pp. 168-171.
52. Itwari V. Asghari, **AIR 1960 Allahabad,** 684.
53. See, K. P. Saksena, "Need of a Code of Muslim Law" in **Islamic Law in Modern India,** p. 133-**see also, Fyzee A. A. A., Cases in the Muhammadan Law of India and Pakistan,** pp. XV-XXXI, (Oxford: 1965.)
54. Mohd. Labbai V. Moh. Hanif, **AIR 1976** sc. 1969. per Syed Murtaza Fazle Ali, J.
55. For a criticism of Judicial reform of law, **see,** Rajeev Dhawan, **The Supreme Court of India: A Socio-Legal Critique of its Juristic Techniques,** (Bombay: 1976.)
56. See, **The Message of the Quran,** tr. and explained by Muhammad Asad, p. 544, **(Gibraltar: Dar Al-Andalus. 1980.)** The English translation of the above verse is also from Asad.
57. See M.M. Ahsan "Islamic Resurgence: An Undroken Tread", in **Inquiry,** Vol. 1, No. 4, Sept. 1984, pp. 53-55.
58. Abduh, **Risalat Al-Tawhid,** 7th ed. 1353 A.H. (1934), pp. 175-177, cited in Mahmudul Haq, **Muhammad Abduh: A study of Egypt, p. 83, Aligarh Muslim University, 1970.**
59. Rashid Rida, **Tarikh al-Ustadh al-Imm al-Shaykh Muhammad Abduh,** Vol. I, p. 869, cited in Mahmudul Haq, Loc. cit. 85.
60. Maryam Jameelah's review of al-Attas, Syed Muhammad al-Naquib, **Islam and Secularism,** Kuala Lumpur: 1978, in **The Muslim World Book Review** Vol. 2, No. 1982, p. 8. The above quotation of Prof. Attas' book is taken from the book review.
61. Based on Maulana Mahammad Yusuf's speech delivered in 1965 shortly before his death. See, **Al-Furqan** Hazrat Maulana Mohammad Yusuf Number, Montly Journal in Urdu, (Lucknow India), May, 1981, pp. 162-3. See also S. Abul Hasan Ali Nadvi, **Life and Mission of Maulana Mohammad Ilyas,** tr, Mohd, Asif Kidwai, Lucknow: 1979.

62. S. Abul Hasan Ali Nadvi, **Appreciation and Interpretation of Religion in the Modern Age,** tr. S. Athar Husain, pp. 107-108, (Lucknow: 1982.)

63. See for details this authors **Wakf Administration in India** (New Delhi: 1978) and ''Economic potential of Auqaf in India'', in the forthcoming volume of the **Journal of Muslim Minority Affairs,** to be published in April, 1985.

64. **The Holy Quran,** Text translation and commentary by Abdujllah Yousuf Ali. 1248, (Leicester, Islamic Foundation: 1975.)

حالة اللغة العربية في الأقلية المسلمة بالهند

الدكتور مقتدى حسن محمد ياسين
الجامعة السلفية
بالهند



حالة اللغة العربية في الأقلية المسلمة بالهند

د. مقتدى حسن محمد ياسين

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

فإن علاقة الهند مع العرب قديمة ومتنوعة ، وهى علاقة الأخذ والعطاء والتأثير والتأثر ، وقد ترتبت عليها آثار ايجابية نافعة تنعكس فيها مزايا الأمتين ، العربية والهندية ، في مجال العلم والثقافة والبحث والتحقيق ، وقد تناول المؤرخون هذه العلاقات بالشرح والتوضيح ، وقسموها إلى تجارية وثقافية ، وخصوا كل نوع منها ببحوث ومؤلفات ، ودلوا على الدوافع والآثار لهذه العلاقات . ولاشك أن العلاقة التجارية كانت ممهدة للعلاقات الأخرى ، ولكننا نقتصر فى هذا البحث على تناول بعض نواحى العلاقة الثقافية فقط .

تحتل اللغة العربية مكانة سامية بين لغات العالم ، وقد كتب الله تعالى لها الانتشار والخلود وميزها بالحيوية والقبول والقدسية والاحترام . فإنها من ناحية لغة القرآن الكريم ، معجزة خاتم النبيين العلمية والأدبية ، ولغة السنة النبوية الشريفة التى تأتى فى المنزلة التي تلى منزلة القرآن فى البلاغة والكمال والتشريع والتوجيه ، ومن ناحية أخرى هى لغة الأدب العربى الذى يمتد تاريخه إلى ما قبل الإسلام ، اختارها الأدباء والشعراء للتعبير عما فى نفوسهم من المعانى البديعة والأفكار الرائعة .

ثم إنها تحتوى على نظريات مبتكرة وآثار علمية خالدة ومطالب نفيسة ، وكذلك

وصلت إلى مكانة مرموقة فى اتساع العلوم والفنون ، واحتوت على أدق ما وصل إليه الفكر الإنسانى فى أرقى العصور .

وفى العصر الحديث الذى عرف بتقدم العلوم والآداب سايرت اللغة العربية سائر اللغات الحية فى مختلف البحوث والدراسات ، ونالت إعجاب العلماء والأدباء والباحثين ، حتى أن هيئة الأمم المتحدة قد اعترفت بمكانة هذه اللغة فجعلتها بين اللغات المعترف بها عندها .

وبما أن الله تعالى أكرم اللغة العربية بإنزال كتابه الكريم فيها فإن مصير هذه اللغة قد ارتبط بالإسلام ، ومن هنا كتب لها الخلود والانتشار مثلما كتب للقرآن والإسلام : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ (الحجر ـ آية ٩) .

وهذه الصلة القوية بين اللغة العربية والإسلام تتجلى وتبرز حينما نطلع على نظرة المسلمين إلى اللغة العربية فى العالم سواء أكانت اللغة العربية لغتهم الأم أم لم تكن فهم دائما يفضلون هذه اللغة ويجتهدون فى تعلمها قراءة وكتابة وفهما حتى يرتبطوا بكتاب الله العزيز الذى آمنوا به واختاروه دستورا لحياتهم ومنهجا لأعمالهم وسلوكهم .

وحينما نلقى نظرة على تاريخ العلم والثقافة لشبه القارة الهندية نرى أن اللغة العربية قد حظيت بمكانة سامية لدى مسلمى الهند أيضا ، فهم قد اهتموا بها تدريسا وكتابة من الناحية الدينية والأدبية على السواء ، وخير شاهد على عنايتهم باللغة العربية هذا التراث العلمى القيم الذى سلموه إلى الجيل المعاصر بالعربية فى فنون مختلفة ، مثل التفسير والتوحيد والحديث والمصطلح والفقه والأصول والأدب واللغة والتاريخ والتراجم والمنطق والفلسفة وغيرها .

وقبل الخوض فى الموضوع أود أن أشير إلى نقطة أراها مهمة لدى الكلام عن اشتغال المسلمين باللغة العربية فى الهند ، وهى أن المسلمين فى أقطار الهند المختلفة يتكلمون بلغات محلية عديدة متباينة فيما بينها بحيث أن مسلما من منطقة هندية قد لا يفهم لغة مسلم من منطقة أخرى ، وذلك واضح بين سكان الجنوب مع الشمال وسكان الشرق مع الغرب ، فالتفاهم باللغات المحلية عسير جدا بين سكان هذه المناطق . ونرى أن اللغة الرابطة بين سكان هذه المناطق هى اللغة العربية ، بعد اللغة الأردية ، وهذا فضل كبير لهذه اللغة على المسلمين فى الهند .

وفيما يلى عرض موجز لوجوه خدمة المسلمين للغة العربية فى الهند :

المدارس الإسلامية الأهلية :

إن المدارس الإسلامية فى الهند مظهر بارز من مظاهر عناية المسلمين باللغة العربية وآدابها ، وهى منتشرة فى جميع الأقطار الهندية .

والتاريخ يذكر أن تدريس العلوم الإسلامية بالتخطيط والتنظيم قد بدأ فى الهند منذ القرن الخامس الهجرى ، وبناء المدارس الإسلامية بدأ فى أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع . ومما يدل على نشاط المسلمين فى هذه الناحية أن عدد المدارس الإسلامية كان قد بلغ فى عهد محمد تغلق (فى القرن الثامن الهجرى) فى مدينة دلهى وحدها نحو ألف مدرسة[1] . وهذه المدارس تهتم بتدريس اللغة العربية من الناحية الدينيةوالأدبية معا ، ولكن اتجاهها الغالب هو العناية باللغة العربية من الناحية الدينية ، فإنها بتدريسها هذه اللغة وقواعدها وآدابها تهدف إلى فهم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

وهذه المدارس تعتبر حصونا ومعاقل للدين الإسلامى فى البلاد الهندية التى تعرضت – وما تزال – لكثير من موجات الإلحاد والزندقة والشرك والبدع . فالله تعالى وفق المسلمين لإنشاء هذه المدارس والإنفاق عليها والبذل فى سبيل تدعيمها ، وبذلك تيسر لهم الحفاظ على اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى الهند . ونرى ذلك واضحا فى عصر الاستعمار الانجليزى للهند ، حيث قد تصدى أصحاب هذه المدارس للجهود التى كانت تبذل من قبل المبشرين النصارى فى سبيل تشكيك المسلمين فى دينهم ولغتهم وفى سبيل فرض الحضارة الغربية المادية على مجتمعاتهم .

ولم تقل أهمية هذه المدارس فى الهند الحرة أيضا ، فإن اتجاه الحكومة العلمانية يهدف إلى القضاء على ملامح الحياة الإسلامية فى الهند ، وتغزو الشيوعية والإلحاد مجتمعات الشعوب الهندية التى تعانى أغلبيتها من البؤس والفقر ، وتحلم الهندوسية بإعادة مجدها القديم ومحو آثار الديانات الأخرى وإزالتها عن شعوب الهند .

وفى هذه الظروف تعقد الآمال بهذه المدارس لمقاومة اتجاهات الإلحاد وللحفاظ على كيان المسلمين وحضارتهم .

وبالنظر إلى الهيئة المشرفة يمكن أن نضعها فى أقسام :

فهناك مدارس تتبع جماعة الحنفية ، ومدارس تتبع جماعة أهل الحديث ، ومدارس تتبع الجماعة الإسلامية ، وهى جميعا تسير وفق المنهج والنظام اللذين تختارهما الجماعات .

وهذه المدارس تنظم الدراسة فى المراحل الابتدائية والثانوية والكلية ، وعددها كبير جدا ، فالمدارس التى تشرف عليها جماعة أهل الحديث وحدها يبلغ عددها نحو ألف مدرسة ، وليست الجماعات الأخرى أقل حظا منها فى هذا المجال .

وهذه المدارس كلها تركز عنايتها حول تعليم اللغة العربية وآدابها وخاصة المدارس التى تنظم الدراسة إلى مرحلة الكلية .

أما المواد الدراسية التى تقوم هذه المدارس بتدريسها بخصوص تعليم اللغة العربية فهى : النحو والصرف والنصوص الأدبية والعروض والبلاغة وتاريخ الأدب العربى .

ويستمر تدريس هذه المواد بعد المرحلة الابتدائية إلى نحو ست سنوات دراسية وهناك مواد أخرى يتم تدريسها فى هذه المدارس فى السنوات الدراسية المختلفة ، مثل ترجمة معانى القرآن الكريم إلى بعض اللغات المحلية والتفسير والحديث والعقيدة والمصطلح والفقه وأصوله والتاريخ الإسلامى والمنطق والفلسفة واللغة الإنجليزية وبعض اللغات المحلية .

وبما أن هذه المدارس لا تتبع منهجا دراسيا موحدا فإن بعض هذه المواد لا تدرس فى بعض المدارس ، ولكن أغلبية المدارس تقوم بتدريس هذه المواد كلها .

والمطلع على تاريخ اللغة العربية يعرف جيدا أن هذه المدارس الإسلامية تشبه حجر الأساس والعمود الفقرى لكيان اللغة العربية فى الهند . والتعريف بهذه المدارس والكلام على مناهجها ونشاطها وآثارها ليس موضوع هذا البحث ، ولذا نقتصر على ذكر أشهر وأهم هذه المدارس بإيجاز . وكما قلنا سابقا إن المدارس منقسمة على أساس الجهات المشرفة عليها من الجماعات الإسلامية فإننا نذكر هنا المدارس التى تمثل هذه الجماعات حتى تكون الفكرة واضحة كاملة .

الجامعة الإسلامية - دار العلوم بديوبند :

نشأت هذه المؤسسة عام ١٢٨٣هـ - ١٨٦٧م بعد ما تمت سيطرة الإنجليز على الهند وتعرف لدى العامة بـ (دار العلوم ديوبند) . وهى مركز دينى كبير ومرجع روحى للمسلمين فى الهند . بدأت فيها الدراسة فى مسجد ثم خصص لها مبنى تأسس فى عام ١٢٩٣هـ .

وهذه المؤسسة تعتنى بتدريس العلوم الإسلامية فى التفسير والحديث والفقه واللغة العربية وآدابها ، وفيها قسم خاص بدراسة الأدب العربى ، ومدة الدراسة فيه سنتان دراسيتان .

وهذه الدار تمنح ثلاث شهادات هى : شهادة العالمية ، وشهادة الفضيلة ، وشهادة التخصص . وتحرر هذه الشهادات جميعها باللغة العربية . ويبلغ عدد الملتحقين بهذه الدار أكثر من ألفى طالب .

وبصرف النظر عن الخدمات الدينية لهذه الدار فإنها أسدت خدمة كبيرة للغة العربية وآدابها أيضا ، فإننا نرى بين خريجيها مدرسين ناجحين يقومون بتدريس هذه اللغة فى مختلف المؤسسات التعليمية ، ومنهم علماء قاموا بتأليف الكتب الإسلامية باللغة العربية . وكذلك لهم نشاط قوى فى الصحافة العربية ، فقد أصدروا أولا مجلة (دعوة الحق) الشهرية ثم أوقفوها وأصدروا مكانها جريدة (الدّاعى) نصف الشهرية وعديد

من خريجيها التحقوا بالجامعات الحديثة ، وواصلوا فيها الدراسة ثم تعينوا مدرسين فيها بعد إتمام الدراسة الجامعية[٢] .

دار العلوم التابعة لندوة العلماء بلكنأو :

تأسست هذه الدار فى لكنأو عام ١٣١٢هـ ، على أساس الجمع بين العلوم الحديثة والعلوم الإسلامية . واختارت منهجا خاصا لتدريس هذه العلوم يغاير المنهج السائد حينذاك .

وفيها قسم للتخصص فى الأدب العربى ، ومدة الدراسة فى هذا القسم سنتان دراسيتان يتم فيها تدريس المواد التالية :

النثر العربى ، الشعر ، النحو ، البلاغة ، التاريخ ، تاريخ الأدب العربى ، والأدب الإسلامى .

ولغة التدريس بعد المرحلة الثانوية هى اللغة العربية .

وخريجو هذه الدار قاموا بدور فعال ومساهمة ملموسة فى تأليف الكتب الدينية والأدبية ، واشتهر عدد من خريجيها على المستوى العالمى من ناحية التضلع بالعلم والأدب .

وتصدر الدار مجلتين باللغة العربية وقامت بتأليف عدد من الكتب الدراسية فى قواعد اللغة العربية وآدابها .

وهى إلى جانب ذلك . أدت خدمة جليلة لاتنسى نحو اللغة العربية ونشرها فى الهند ، ولا تزال تبذل جهدها لرفع مستوى العلم والثقافة فيها .

مدرسة الإصلاح بسرائمير فى أعظم كره :

تأسست على يد المغفور له الشيخ حميد الدين الفراهى فى سنة ١٣٢٧هـ وتتبع منهج دار العلوم لندوة العلماء مع بعض التعديلات . تركز حول دراسة القرآن الكريم ولكن لا تستأنس فى ذلك بالسنة وعلومها ، وتعتنى بتدريس بعض المواد الحديثة أيضا .

والمواد الدراسية فى السنوات السبع بعد المرحلة الابتدائية هى :

التفسير والحديث والأدب العربى والتاريخ وأصول الفقه واللغة الإنجليزية .

والطلاب يتمرنون فيها على الخطابة والكتابة أيضا ، واشتهر من خريجيها بعض العلماء ، ولهم مساهمة فى التأليف أيضا ، وخاصة فى علم التفسير ، ومنهجهم فى تفسير القرآن الكريم عليه مآخذ للعلماء ، ولكنه محاولة جديدة لفهم معانى القرآن كما يقال .

وقام مؤسس هذه المدرسة بوضع بعض الكتب فى قواعد اللغة العربية والبلاغة وهى مقبولة ونافعة .

الجامعة السلفية ببنارس :

تأسست فى مدينة بنارس عام ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م أهدافها :

تدريس علوم الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح ، وتدريس اللغة العربية وآدابها وفق منهج الجامعات العربية المعاصرة ، ونشر العلوم الإسلامية والأدبية ، والحفاظ على التراث الإسلامى الأصيل فى الهند .

ولها صلة قوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وبعض الجامعات السعودية . وقد التحق أكثر من مائة طالب من خريجيها بالجامعات السعودية ، ولهم مساهمة ملموسة فى التأليف والتحقيق ، وقد نشرت بعض الأعمال الأدبية والعلمية لهم فى البلاد العربية .

وفى الجامعة قسم خاص بالترجمة والتأليف باسم إدارة البحوث الإسلامية ، قام بطبع الكتب النافعة باللغة العربية والأردية والإنجليزية ، بلغ عددها أكثر من (٥٠) كتابا . ولها جهود طيبة فى تحقيق التعاون بين المدارس الإسلامية فى الهند ، فى مجالات التعليم والدعوة . وقد حظيت دعوتها بهذا الصدد بالقبول والتشجيع من العلماء والدعاة فى الهند .

الجامعة النظامية بحيدر آباد :

أنشئت هذه الجامعة فى عام ١٢٩٢هـ وصاحب فكرتها هو الشيخ محمد أنوار الله أحد المدرسين النابغين فى تلك المنطقة .

ويقوم منهج التعليم فيها على أصول (الدرس النظامى) موزعا على ست عشرة سنة ، منها ست سنوات للابتدائية ، والسنوات العشر الباقية لدراسة العلوم الإسلامية والعربية مع التخصص فى الأدب العربى أو الفقه أو الحديث أو الأصول أو التاريخ .

والدروس فى الفصول العليا تلقى باللغة العربية ، وفى الحفلات الأسبوعية يتمرن الطلاب على الخطابة باللغة العربية . وفى الجامعة دائرة علمية تقوم بطبع الكتب المهمة باللغة العربية(٣) .

دار العلوم الأشرفية فى سورت :

هى من أقدم المدارس العربية التى أقيمت فى الجزء الغربى للهند ، وتقع فى مدينة ناندير من مديرية سورت بالقرب من بومباى . تأسست على يد الشيخ إسماعيل أشرف عام ١٢٨٦هـ - ١٨٧٠م .

تقوم بتدريس العلوم العربية والإسلامية ، وتساهم فى إنشاء الكتاتيب فى الأرياف النائية لتعليم أطفال المسلمين . ولها نشاط فى الدعوة والإرشاد وفى التأليف والنشر ، وقد بلغ عدد منشوراتها باللغة الكجراتية والإنجليزية (١٣٠) كتابا .

وبهذا العرض الموجز يتضح دور المدارس الإسلامية الأهلية فى الحفاظ على اللغة العربية ونشرها وتعميمها بين الناس ، وما دامت هذه المدارس قائمة بهذا النشاط فإن مستقبل اللغة العربية فى الهند مزدهر مشجع بإذن الله تعالى .

الجامعات الرسمية :

بجانب المدارس الإسلامية الأهلية يوجد فى الهند عدد كبير من الكليات والجامعات الرسمية التى تعتنى بتدريس اللغة العربية وآدابها . ويلتحق بهذه الجامعات فى الأغلب الطلاب الذين يريدون تعلم اللغة العربية وآدابها بدافع أدبى وثقافى ، ومن هنا يركزون على دراسة النثر والشعر والنقد وتاريخ الأدب والعروض وقواعد اللغة ، ولا يتوجهون إلى دراسة المواد الدينية مثل طلاب المدارس الإسلامية .

وهذه الجامعات تنظم دراسات مسائية للغة العربية أيضا ، ويلتحق بها فى الأغلب الطلاب الذين يريدون تعلم اللغة العربية بدافع اقتصادى أو ثقافى فقط ، فهم يحتاجون إلى هذه اللغة أثناء وجودهم فى البلاد العربية للتجارة أو الخدمة ، وعدد كبير منهم يعمل فى البلاد العربية فى الوظائف الخاصة أو الرسمية ، وهؤلاء جميعا يرغبون فى تعلم اللغة العربية حتى يتمكنوا من التفاهم مع الشعب العربى الذى يعيشون بينه . وبذلك نرى أن الإقبال على اللغة العربية فى ازدياد مستمر ، وهى تتوسع فى التأثير على الأوساط الهندية بدافع أو آخر .

وهذه الجامعات تنظم دراسة اللغة العربية وآدابها فى المرحلة المدرسية والجامعية معا ، وفى عديد منها يوجد قسم البحث والتحقيق ، فالطلاب يقومون بالبحث والتحقيق بعد اجتياز مرحلة الماجستير .

أما المواد الدراسية فى هذه الجامعات فهى :

النحو والصرف والعروض والنقد والبلاغة والأدب العربى وتاريخه .

واللغة العربية هى لغة الدراسة فى المرحلة الجامعية ، وخاصة لدى المدرسين الذين يحملون شهادات دراسية من الجامعات العربية .

والجامعات العربية التى يوجد فيها قسم الدراسات الإسلامية تعتنى أيضا بتدريس اللغة العربية على أساس أن مصادر الأحكام الشرعية كلها بهذه اللغة ، ولا يمكن الاستفادة منها مباشرة إلا بعد تعلم هذه اللغة .

وعدد الجامعات الكبيرة التى يوجد فيها قسم اللغة العربية مستقلا أو منضما إلى قسم آخر يبلغ نحو (١٠) جامعات . وفيما يلى نشير إلى جامعتين فقط ، وهما جامعة على كره الإسلامية بعلى كره ، والجامعة الملية فى دلهى .

جامعة على كره الإسلامية :

أسس السيد أحمد خان كلية العلوم الإسلامية فى عام ١٨٧٥م والكلية وصلت إلى مستوى الجامعة عام ١٩٢٠م ، وأصبحت تعرف بجامعة على كره الإسلامية . وهى من أقدم الجامعات التى أسسها المسلمون فى الهند .

وتوجد فيها كلية خاصة بالبنات ، ولها مدينة جامعية تسكنها المجموعة الطلابية مع مراعاة أصول الإسلام وأخلاقه وسلوكه .

وفى كلية الآداب قسم خاص باللغة العربية وقسم خاص بالدراسات الإسلامية . وقد تشرف قسم اللغة العربية برجال مخلصين عرفوا بخدمة اللغة العربية وآدابها على المستوى العالمى ، وأشهرهم العلامة عبد العزيز الميمنى ، الذى يعرف لدى الباحثين العرب بآثاره العلمية الخالدة .

وفى الأيام الماضية القريبة بذل القسم عنايته بالدراسات العربية فقام الطلاب فى مرحلة الماجستير والدكتوراه بتحقيق مراجع عربية مهمة ونشرها بعد التحقيق والتعليق على الأصول العلمية الحديثة . وهى أول جامعة أنشىء فيها كرسى اللغة العربية ، وقد اجتمعت فيها شخصيات علمية توسع بها نشاط الجامعة .

وقد بدأ القسم منذ وقت قريب ، إصدار مجلة نصف سنوية باللغة العربية ، حظيت بالقبول والإعجاب لدى القراء العرب .

الجامعة الملية الإسلامية بدهلى :

أسسها الأستاذ محمد على جوهر مع رفقائه فى ١٩٢٠م فى على كره ، وانتقلت عام ١٩٢٥م إلى دهلى ، وساهم فى النهوض بها الطبيب الشهير أجمل خان والدكتور مختار الأنصارى والدكتور ذاكر حسين .

وعلى الرغم من أنها تختلف عن جامعة على كره فى بعض الأمور فإنها تعتبر امتدادا للرسالة نفسها التى حملتها جامعة على كره . وقد ضرب أساتذتها الأولون أروع مثال للتضحية والإيثار وحب العلم والمعرفة .

وبها كلية الآداب والعلوم ، تضم قسما للأدب العربى . وكلية أخرى للتعليم والتدريب المهنى ، وكذلك بعض المدارس الثانوية والابتدائية داخل الحرم الجامعى(٤) .

نشاط فى التأليف والترجمة :

عرفنا بالعرض السابق عناية المسلمين الهنود باللغة العربية فى مجال التعليم والدراسة ، فى المدارس الأهلية والجامعات الرسمية ، والآن نلقى ضوءا على عنايتهم بالتأليف والترجمة باللغة العربية ، وكذلك عنايتهم بالكتابة فى قواعد اللغة العربية من النحو والصرف والعروض والبلاغة .

ونشاط الكتابة والتأليف هذا مهم جدا للدلالة على مدى عناية المسلمين باللغة العربية فى الهند ، وذلك أن الإنسان لا يختار لغة من اللغات للكتابة والبحث فيها إلا إذا كان خبيرا بقواعدها وأساليبها ، محبا لعلومها وآدابها . وحينما نستعرض التاريخ الإسلامى الثقافى للهند نرى أن المسلمين اعتبروا اللغة العربية فى جميع العصور اللغة الأولى بعد لغتهم الأم ، وخصوصا بالتدريس والكتابة ، وساهموا فى وضع كتب المناهج التى احتاجوا إليها فى سبيل تدريس هذه اللغة . وهذا كله يعكس مدى إقبالهم على اللغة العربية وشغفهم بها .

وقد نبغ فى مجال التأليف بالعربية كتاب وباحثون تفتخر بهم المكتبة العربية ، وتحظى كتاباتهم بالتقدير والإعجاب لدى العلماء العرب أيضا ، وذلك لما تتسم بروح الجد والأصالة والموضوعية والابتكار .

ونرى جهودهم فى التأليف لم تقتصر على علم دون علم ، بل إنهم ساهموا حسب المستطاع بالكتابة فى عديد من العلوم الخاصة باللغة العربية وبدراسات الكتاب والسنة على أن تركيزهم على علوم الكتاب والسنة كان أكثر للسبب الذى أوضحناه من قبل .

ولايهمنا هنا تحديد العصر الذى بدأ فيه التأليف بالعربية فى الهند ، ولا تسمية العلوم التى كانت موضع عناية المؤلفين أولا ، ولكن المؤلفات التى وصلت إلينا إنما تتعلق بعلوم التفسير والحديث وأصوله والفقه وأصوله والفتاوى وعلوم القرآن والتاريخ الإسلامى والتراجم والمنتخبات الأدبية والنحو والصرف والبلاغة والعروض والمنطق والفلسفة والكلام والتصوف وغيره . ولايخفى أن جميع هذه المؤلفات لا توجد الآن بين أيدينا ، بل أتى الزمان على كثير منها ولم يبق إلا اسمها ، كما هو الحال فى بعض البلاد الأخرى ، ولكن المؤلفات التى وصلت إلينا سالمة من أيدى التلف والضياع تكفى للدلالة على جهود المسلمين الهنود فى سبيل خدمة اللغة العربية ، وعلى أن علاقتهم بهذه اللغة لم تنقطع فى فترة من الفترات .

وبما أن موضوع البحث ليس التعريف بهذه المؤلفات بالتفصيل فإنى أذكر بإيجاز أشهر العلوم وما ألف فيها بإجمال ، وقد أذكر بعض المؤلفات بأسمائها مشيرا إلى أهميتها ومنفعتها .

وأول هذه العلوم تفسير القرآن الكريم باللغة العربية ، وكان الإقبال على ذلك بإيحاء

من الدين الإسلامى الحنيف ، وكتاب الله العزيز هو دستور حياة كل مسلم ومصدر لأحكام الشرع الشريف ومعجزة خالدة للرسول الكريم ﷺ ، ومن هنا تركز اهتمام العلماء الهنود حول تفسير كتاب الله وبيان معانيه وشرح أحكامه وإبراز نواحيه الأدبية والبلاغية ، وكان اهتمامهم بآيات الأحكام أكثر ، فإن كل مسلم يحتاج إلى معرفة هذه الأحكام حتى يعمل بها .

وكذلك اهتم هؤلاء العلماء بعلوم القرآن فلخصوا بعض الكتب المهمة فى هذه العلوم أو شرحوها أو ألفوا على غرارها .

وقد ذكر الشيخ عبد الحى الحسنى أسماء الكتب التى ألفت فى تفسير القرآن وترجمة معانيه وفى علوم القرآن فبلغت نحو (٢٠٠) كتاب بين صغير وكبير . وهذا العدد يكفى لبيان عناية العلماء الهنود بعلوم كتاب الله العزيز وتفسيره وبيان أحكامه .

ومن العلماء الذين برزوا فى تفسير القرآن الكريم باللغة العربية السيد النواب صديق حسن خان ، صاحب تفسير فتح البيان ، والشيخ القاضى ثناء الله البانى بتى ، صاحب التفسير المظهرى ، والشيخ ثناء الله الأمر تسرى ، صاحب تفسير القرآن بكلام الرحمن ، رحمهم الله . وهذه التفاسير معروفة متداولة بين العلماء والباحثين[٥] .

أما علوم السنة النبوية الشريفة فإن جهود المسلمين الهنود فى خدمتها كانت موضع إعجاب وتقدير العالم الإسلامى كله ، وقد أشاد كثير من العلماء العرب بالدور الذى لعبه مسلمو الهند فى نشر السنة والكتابة فى موضوعاتها المختلفة ، ونشاطهم هذا فى خدمة السنة كان متنوعا ، فقد ألفوا مجاميع ومختصرات تحتوى على أحاديث الرسول ﷺ ، وشرحوا أصول الكتب وعلقوا عليها الهوامش وتكلموا على فقه الحديث وعلى رجاله وأسانيده وأولوا عناية بالغة بالأحاديث الموضوعة .

وآثارهم فى هذه الموضوعات تدل على مدى حرصهم على حفظ السنة ونشرها بين الناس ، وعلى الإسهام فى الحركة العلمية التى عاصرتهم .

وهنالك مظهر آخر لنشاط العلماء فى الحديث ، وهو أن بعض المغرضين فى الهند ظنوا أن السنة ليست إليها حاجة لفهم الإسلام وأن أحكامها ليست للعمل ، ولا يمكن أن نحتج بأقوال وأفعال الرسول ﷺ ، فإنه لم يوجب ذلك علينا .

ولكن هذا الاتجاه جد خطير ، وكاد المسلمون أن يزلوا فى العقيدة ويقعوا فى مهاوى الزيغ والضلال . ولكن وفق الله تعالى علماء المسلمين فألفوا كتبا مهمة وبحوثا قيمة وضحوا فيها مكانة السنة وفضلها ووجوب العمل بها وفندوا المزاعم التى اختلقها أهل الهوى وردوا على كتاباتهم وحججهم التى ساقوها لتشكيك الناس فى مصدر من مصادر الأحكام الشرعية .

وهكذا ظهر هذا التراث العلمى القيم الذى يسد فراغا فى عالم الكتب المعاصر ويصور نشاط علماء المسلمين فى مجال خدمة الحديث . وقد ذكر الشيخ عبد الحى الحسنى حوالى (٣٠٣) مؤلفا فى السنة وعلومها المتنوعة ، كلها من تأليف العلماء الهنود .

وهناك شروح لكتب الحديث ألفها علماء الهند لا تزال تعتبر فريدة فى بابها يرجع إليها العلماء والباحثون ويكنون لمؤلفيهم كل التقدير والاحترام . فمنها : المسوى شرح الموطأ ، للشاه ولى الله ، وعون البارى لحل أدلة البخارى للنواب صديق حسن خان ، وفيض البارى للشيخ محمد أنور الكشميرى ، وفتح الملهم فى شرح صحيح مسلم للشيخ شبير أحمد العثمانى ، وعون المعبود فى شرح سنن أبى داود للشيخ شمس الحق العظيم آبادى ، وتحفة الأحوذى فى شرح سنن الترمذى للشيخ عبد الرحمن المباركفورى، ومرعاة المفاتيح فى شرح مشكاة المصابيح للشيخ عبيد الله الرحمانى وفتح العلام فى شرح بلوغ المرام للنواب صديق حسن خان[٦] .

أما القواميس والمعاجم اللغوية فقد ألف فيها علماء المسلمين كتبا نافعة وشرحوا الألفاظ العربية باللغة الأردية ، وساعدوا طلاب اللغة العربية فى تعلمها ووضعوا أمام العلماء والباحثين مراجع لغوية يرجعون إليها لفهم الكلمات العربية .

ومن مظاهر عنايتهم بعلم اللغة أنهم وضعوا معاجم مستقلة لألفاظ القرآن الكريم ، ومعاجم خاصة بالحديث النبوى الشريف ، ومعاجم عامة للغة العربية . وقد عد الشيخ عبد الحى الحسنى نحو عشرين معجما ألفت كلها تيسيرا لفهم لغة الضاد .

ومن أهم هذه المعاجم التى حظيت بقبول الناس وإعجابهم :

العباب الزاخر لرضى الدين حسن الصغانى (٦٥٠هـ) وهو كتاب يعتمد عليه فى اللغة ويعتبر أهم الكتب اللغوية التى ألفت من عصر الصحاح إلى عصر المزهر ، وله تكملة وذيل وصلة . والمؤلف بأصله ليس هنديا ، ولكنه ولد فى لاهور فانضم إلى المؤلفين الهنود .

ومنها القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادى ، وهذا المؤلف يعد ضمن اللغويين الهنود لأنه زار الهند مرتين ، وحظى بتقدير من الملك فيروز شاه تغلق (١٣٥١ - ١٣٨٨م) .

ومنها تاج العروس للسيد مرتضى الزبيدى الذى ولد ونشأ فى الهند ، ثم هاجر إلى البلاد العربية للتزود بالعلم[٧] .

ومنها : نجوم الفرقان ، فى لغات القرآن ، ومجمع بحار الأنوار ، ووحيد اللغات ، كلاهما فى لغات الحديث . ومصباح اللغات ، واللغات الجديدة ، والقاموس الجديد .

وهذه المجموعة فى شرح وتوضيح الكلمات العربية التى أعدها علماء المسلمين فى الهند

فى مختلف العصور تصور لنا شعورهم بحاجة دارسى اللغة العربية ومحاولتهم لتعميمها بين الناس ، وذلك بوضع معاجم لغوية ميسرة سهلة التناول حتى يتمكن الجميع من الاستفادة منها .

أما التأليف فى قواعد اللغة العربية من النحو والصرف فمساهمة المسلمين فيه كبيرة جدا ، فإنهم تلبية لحاجات طلاب اللغة العربية قد وضعوا كتبا مدرسية فى القواعد ، وشرحوا المراجع والكتب القديمة بالعربية وببعض اللغات المحلية ، وبذلك سهلوا على الطلاب فهم هذه القواعد .

وقد بلغ عدد مؤلفاتهم فى النحو (٩٠) وفى الصرف (٨٤) بين المتون والشروح والحواشى .

ومن أهم هذه المؤلفات تعليق الفرائد فى شرح تحصيل الفوائد وتكميل المقاصد للإمام ابن مالك . ومؤلفه محمد بن أبى بكر الدمامينى ، سافر من مصر إلى الهند ونزل فى عجرات عام ٨٢٠هـ وألف هذا الشرح ، وقد قيل فيه إنه أول كتاب ألف فى الهند بالعربية فى النحو ، وللمؤلف نفسه : المنهل الصافى فى شرح الوافى لمحمد بن عثمان بن عمر البلخى ، وتحفة الغريب فى شرح مغنى اللبيب ، ألفه عام ٨٢٤هـ .

ومنها كتاب إرشاد النحو للشيخ شهاب الدين دولت آبادى المتوفى ٨٤٩هـ . وهو كتاب مدرسى قد فضله بعض العلماء على كافية ابن الحاجب .

ومنها : كتاب النحو ، وكتاب الصرف ، وعربى كامعلم ، وهذه الثلاثة الأخيرة باللغة الأردية ، وقد اشتهرت فى الهند على أوسع نطاق ونفعت .

وبلغ عدد مؤلفاتهم فى البلاغة حسب تعداد الشيخ عبد الحى (٤٥) كتابا ، وفى العروض والقافية (٢٤) كتابا .

أما دواوين الشعر وشروحها وفق ما ذكره الشيخ عبد الحى فتزيد على مائة ، وفى المنتخبات الأدبية ألف الشيخ أحمد بن محمد اليمنى كتابه نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن ، وهو كتاب مدرسى اعترف بمحاسنه العلماء والمدرسون ، وهو مقرر فى عديد من المدارس الهندية فى مادة النصوص الأدبية .

والخطب أيضا كانت موضع عناية علماء الهنود ، وبعضهم ألف خطبا منبرية تلقى طوال العام حسب المناسبات . والجدير بالذكر منها : خطبة للشيخ نظام الدين الأولياء ، وخطبة الشاه ولى الله الدهلوى ، وخطبة الشاه محمد إسماعيل الدهلوى ، وخطبة النواب صديق حسن خان وخطبة الشيخ عبد الحى .

وللشيخ أحمد بن محمد اليمنى المذكور كتاب فى التراسل سماه (عجب العجاب فيما يفيد الكتاب) ، وهو يتضمن ثلاثة أقسام ، الأول فى الرسائل الخاصة بالعلماء والأدباء

والثانى فى رسائل الملوك والوزراء والقضاة ، والثالث فى رسائل التجار . وهذه المجموعة الفريدة ألفها فى الهند ، وبذل جهدا مشكورا لتسهيل الانتفاع بها .

أما عدد المؤلفات فى الفقه وأصوله فقد بلغ نحو (٣٤٤) مؤلفا بين متن وشرح وتعليق .

وفى مجال الدراسات الأدبية يجب أن نشير إلى مؤلفات الشيخ عبد العزيز الميمنى الذى أضاف إلى المكتبة العربية ثروة علمية كبيرة لا تزال موضع إعجاب وتقدير الأدباء والباحثين فى البلاد العربية . والشيخ الميمنى كان باطلاعه الواسع وذاكرته القوية وامتلاكه ناصية البيان وتعمقه فى البحث والتحقيق مرجعا وسندا فى العلوم اللغوية والأدبية وآثاره مفخرة لمسلمى الهند .

الصحافة العربية :

لم تنشط الصحافة باللغة العربية قبل استقلال الهند كثيرا ، فما عرفنا إلا بعض المجلات العربية ، صدرت لفترة ثم توقفت ، وكانت توزع داخل الهند فقط ، وعلى نطاق ضيق لعدم توطد العلاقات الثقافية القوية بين البلاد العربية وبين مسلمى الهند .

ولكن حينما تم استقلال الهند ، واستقرت الأمور واطمأن المسلمون وأمنوا من الناحية السياسية والاجتماعية بدأوا يمارسون نشاطهم الإسلامى من جديد فى دولة الهند العلمانية . وكانت الصحافة جزءا من هذا النشاط فصدرت بعض المجلات الشهرية ونصف الشهرية باللغة العربية ، وتناولت الموضوعات الإسلامية والأدبية معا ، وعبرت عن وجهات نظر المسلمين ومشاعرهم ، وربطت بينهم وبين إخوانهم فى العالم الإسلامى .

ومن المجلات التى لا تزال تصدر فى الهند باللغة العربية :

مجلة البعث الإسلامى الصادرة من لكنأو ، وهى شهرية ، ومجلة المجمع العلمى الهندى الصادرة من على كره ، مرتين فى السنة ، ومجلة الجامعة السلفية الصادرة من بنارس كل شهر ، وجريدة الرائد نصف الشهرية من لكناؤ ، وجريدة الداعى الصادرة من ديوبند ، وهى نصف شهرية ، وجريدة الكفاح الصادرة من دلهى ، وهى نصف شهرية ، وجريدة الدعوة الصادرة من دلهى ، وهى نصف شهرية .

ويتم توزيع هذه المجلات والجرائد فى الهند وخارجها ، وعليها إقبال من الناس ، وخاصة من الشباب الإسلامى .

ولبعض المدارس الإسلامية أيضا مجلات سنوية يصدرها الطلاب ويخصص فيها ركن للمقالات والبحوث باللغة العربية . ونضيف إلى ذلك الكتيبات والنشرات التى تصدرها هذه المدارس باللغة العربية حينا بعد آخر للتعريف بنشاطاتها وأهدافها .

نشاط فى الطبع والنشر :

نشاط المسلمين فى طبع الكتب العربية ونشرها مظهر قوى من مظاهر عنايتهم باللغة العربية ، وله أثر ملموس فى تنشيط الحركة العلمية والأدبية ، وفى تدعيم مركز اللغة وتعميمها بين الناس . وقد أثنى على هذا النشاط علماء العرب وأدباؤهم واعتبروه دعما كبيرا للغة العربية فى بلاد العجم .

ونذكر على سبيل المثال بعض المطابع التى اهتمت بطبع كتب السنة وعلومها باللغة العربية : المطبع المحمدى فى لاهور ، المطبع الفاروقى فى دهلى ، المطبع الأنصارى فى دهلى ، المطبع الثنائى فى أمر تسر وقد بلغ عدد الكتب التى طبعتها هذه المطابع نحو (٨٠) كتابا فى الحديث وعلومه ، وكان بعض هذه الكتب قد طبع لأول مرة فى هذه المطابع .

وعند الكلام عن المطابع الهندية يجب التنويه بدائرة المعارف العثمانية ومطبعتها فى حيدر آباد ، فإن جهودها فى مجال الطبع والنشر شاملة مثمرة . وقد تم إنشاء هذه الدائرة عام ١٨٨٨م ، وشكلت لها لجنتان ، الأولى علمية ، والثانية تنفيذية ، وهناك مدير يشرف على الدائرة .

والدائرة تستهدف التنقيب عن المخطوطات العربية النادرة وجمعها وتحقيقها ونشرها . وقد جمعت المخطوطات من المكتبات العالمية فى انجلترا وفرنسا وروسيا واسبانيا والمانيا وايطاليا وتركيا ومصر وسوريا والعراق والمملكة العربية السعودية وإيران وغيرها .

ونال هذا العمل إعجاب الشخصيات والمؤسسات العلمية والأدبية مثل جامعة الأزهر وعلمائها ومجمع اللغة العربية بدمشق والقاهرة وأعضائهما ، وجامعات بيروت وبغداد وطهران ورجالها .

وقد بلغ عدد الكتب التى نشرتها الدائرة أكثر من مائتى كتاب فى نحو من (٥٠٠) مجلد ، منها كتب الحديث وأسماء الرجال والتاريخ والأدب واللغة والتفسير وما إلى ذلك[٨] .

المكتبات :

أما المكتبات الهندية فلها أيضا دورها فى الحفاظ على التراث العربى الإسلامى فى الهند ، فهى تضم عددا كبيرا من المخطوطات العربية فى فنون مختلفة ، وفيها عدد من المخطوطات النادرة التى لا توجد فى مكتبة أخرى من المكتبات العالمية . والاستعراض السريع لكتاب تاريخ الأدب العربى للأستاذ بروكلمن ، وتاريخ التراث العربى للأستاذ فؤاد سزكين يبين مدى أهمية هذه المكتبات الهندية من ناحية احتوائها على المجموعة

الطيبة من التراث العربى القيم . ووجود هذه المكتبات وحرص أصحابها على اقتنائها وحفظ المخطوطات فيها يدل دون شك على بالغ اهتمامهم باللغة العربية ومؤلفاتها .

ومن أشهر هذه المكتبات : مكتبة مولانا أبى الكلام آزاد فى جامعة على كره الإسلامية ، وقد سميت باسم العلامة أبى الكلام آزاد العالم الكبير ووزير المعارف الهندية الأسبق . وتمتاز هذه المكتبة بمجموعة نادرة من الكتب العربية المطبوعة منها والمخطوطة . ويبلغ عدد الكتب العربية فيها (١٢) ألف مجلد . بينما يبلغ عدد المخطوطات العربية (١٠) آلاف نسخة .

ومنها مكتبة رضا الشعبية فى رامفور ، تأسست عام ١٢٠٨هـ على يد الأستاذ فيض الله خان حاكم ولاية رامفور ، ونهضت نهضة قوية فى عهد ولاية محمد رضا على خان ، وتضم المكتبة مخطوطات نادرة عظيمة القيمة ، يبلغ تعدادها (١٦٠٠٠) مخطوطة . ومعظمها باللغة العربية والفارسية والأردية .

ومنها مكتبة خدابخش للعلوم الشرقية فى بتنه بولاية بيها ، وهى ثانية مكتبة شهيرة فى الهند ، وتعرف بمخطوطاتها النادرة . يبلغ عدد المخطوطات العربية فيها (٤١٠٦) مخطوطة . وفيها مخطوطة تاريخ دمشق لابن عساكر .

وهناك مكتبات أخرى فى مدينة حيدر آباد ، بعضها حكومية وبعضها خاصة ، وهى جميعا تحتوى على مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية ، وقد تم تصوير بعضها بأيدى العلماء العرب الذين زاروا الهند فى مهمة جمع المخطوطات .

الوضع الحالى :

أما وضع اللغة العربية لدى المسلمين فى الهند المعاصرة فإنه يبشر بالخير لأن الإقبال على تعلم اللغة العربية قد زاد فى الجامعات الرسمية بدافع ثقافى أو تجارى . ونرى أن المدارس الإسلامية نجحت فى توطيد العلاقات الثقافية مع الجامعات العربية وأرسلت بعض خريجيها لمواصلة الدراسة فى تلك الجامعات .

وسنحت فرصة التدريب لمعلمى المدارس الإسلامية فى بعض الجامعات العربية . وتم تبادل الزيارات واللقاءات بين الجامعات العربية والمدارس الإسلامية . كل ذلك هيأ جوا ملائما لتعليم اللغة العربية ، وشجع الطلاب والمدرسين معا على الاستمرار فى الدراسة العربية . والأمل أن استمرار الطرفين فى سياسة الأخذ والعطاء يساعد على تعميم اللغة العربية وتدعيم مركزها لدى المسلمين فى الهند ، إن شاء الله تعالى .

المقترحات :

١ – مما يدل على حيوية اللغة العربية وازدهارها اتساع معانى الألفاظ وتنوع استعمالاتها . ولابد أن يطلع على ذلك كل من لهم عناية باللغة العربية خارج البلاد العربية ، حتى يسايروا هذه اللغة ويتمكنوا من إتقانها وإجادتها . ولا سبيل إلى ذلك إلا بتوفير الكتب الحديثة الخاصة باللغة وآدابها وتوفير المدرسين الذين يستطيعون تدريس اللغة على الأصول الحديثة المعروفة .

٢ ــ يلاحظ أن طلاب العربية فى البلاد غير العربية يكونون أضعف فى قواعد اللغة من النحو والصرف . ويرجع ذلك إلى أنهم يدرسون اللغة وقواعدها بالكتب القديمة فى تعلم النحو بل هم ينشغلون بحل عباراتها الغامضة عن فهم قواعد اللغة ثم عن تطبيقها فى كلامهم . ومن هنا ينبغى تزويد المدارس فى البلاد غير العربية بالكتب المدرسية التى تشرح قواعد اللغة العربية بوضوح وسهولة .

٣ – وينبغى تشجيع متعلمى اللغة العربية بوسائل مختلفة من إجراء المسابقات فى الدراسة اللغوية ، وإقامة المخيمات التربوية وتزويدهم بالنشرات الثقافية والكتيبات النافعة وبالتحف والهدايا الرمزية ، حتى يستمروا فى دراسة هذه اللغة واستمرارهم فى دراسة اللغة يساعد بدون شك فى نشر الدعوة الإسلامية فلابد أن نربط بين تدعيم مركز اللغة العربية وبين نشر الدعوة الإسلامية ، وذلك بإعداد مناهج دراسية للغة العربية تحتوى على مبادئ أساسية للدين الإسلامى وتوجيهاته الخلقية والتربوية حتى يطلع دارسو هذه المناهج على القيم الإسلامية وينسجموا خلال دراستهم مع تعاليم الإسلام وتوجيهاته الرشيدة .

٤ – الجرائد والمجلات تلعب دورا مهما فى نشر اللغة ودعم مركزها فإنها بتناولها للأحداث المعاصرة والأخبار الطريفة بأسلوب متنوع سهل جذاب تحظى بعناية الصغير والكبير والعامة والخاصة ، وبذلك يمكن أن تكون وسيلة قوية فى نشر اللغة وتعميمها بين طبقات المجتمع ، وفى نقل الصور الحية المتنوعة للغة إلى كافة الناس .

لذا ينبغى إرسال الجرائد إلى البلاد غير العربية ، وكذلك تزويد المدارس والجامعات هناك بقواميس المصطلحات ومجلاتها ، حتى يتمكن طلاب اللغة من توسيع نطاق المعرفة والاطلاع على أحدث المصطلحات والكلمات وعلى الأسلوب المعاصر للغة .

٥ – إقامة المواسم الثقافية والدورات التدريبية فى بلد أو آخر فى فترات مناسبة ، لمدرسى اللغة العربية وطلابها معا ، وتوزيع كتب الأدب والقواعد لمن ينتسبون إلى هذه المواسم والدورات ويكملون المراحل المحددة .

الهوامش والمراجع

١ – صبح الأعشى ٦٩/٥ الندوة ، السيد رياسة على ، مدارس الهند ، الهند فى العهد الإسلامى بالأردية .
٢ – الندوى ، عبد الحليم (دكتور) ، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية فى الهند ، الشيخ محمد إكرام ، موج كوثر بالأردية .
٣ – نفس المصدر .
٤ – نفس المصدر .
٥ – يراجع للتفصيل : الحسنى ، عبد الحى ، الثقافة الإسلامية فى الهند . قدوائى محمد سالم (دكتور) التفاسير العربية للمفسرين الهنود (بالأردية) ، الفريوائى ، الشيخ عبد الرحمن ، جهود أهل الحديث فى خدمة القرآن الكريم .
٦ – يراجع للتفصيل : الصديقى ، محمد زبير (دكتور) ، علم الحديث فى الهند ، الفريوائى ، الشيخ عبد الرحمن ، جهود مخلصة فى خدمة السنة المطهرة .
٧ – زبيد أحمد (دكتور) ، مساهمة الهند فى الأدب العربى .
٨ – الندوى ، عبد الحليم (دكتور) ، مراكز المسلمين ، مرجع سبق ذكره .



طبيعة وحجم المشكلات الاقتصادية للمسلمين الهنود وكيفية حلها

أبو ذر كمال الدين

محاضر بقسم الاقتصاد - كلية .R.D.S مظفر بور - بيهار

طبيعة وحجم المشكلات الاقتصادية
للمسلمين الهنود وكيفية حلها

أبو ذر كمال الدين

خلاصة

يمثل مسلمو الهند أكبر أقلية في الهند بل وفي أي جزء من العالم وهم ضحايا الظروف التي يعيشون فيها ، ولقد تضافرت عليهم عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية ودينية مختلفة فجعلتهم أكثر الفئات فقرا وتخلفا ، ويمكن أن تعزى أسباب تخلفهم إلى النهب الاستعماري ، والموقف العدائي من جانب الفريق الأقوى في المجتمع الهندي ، وموقف اللامبالاة من جانب الحكومة . وافتقار المسلمين أنفسهم إلى الشجاعة والثقة في أنفسهم .

إن المشكلات الاقتصادية التى يعانون منها واسعة النطاق ، وعميقة الجذور ومزمنة ، فهم أفقر الفقراء ، وأكثر فئات المجتمع الهندى ضعفا وهوانا ولاتقل نسبة المعدمين بينهم عن ٧٥٪ وينتشر بينهم الفقر والبطالة والمرض ويتعرضون لكل أنواع الاستغلال والسيطرة ، وقد أصبحت الاضطرابات الطائفية هى الاتجاه السائد الآن فى المجتمع الهندى ، مما أشاع الخراب والدمار فى نفوس المسلمين الهنود .

وهناك تقرير يلخص الوضع العام للمسلمين ويثير الإزعاج والقلق كتبه الدكتور جوبال سنغ ويقول فيه : « إن المسلمين كمجموعة أفقر وأدنى مستوى من المتوسط العام فى الهند من جميع النواحى تقريبا ، من حيث وضعهم الاجتماعى ووضعهم الاقتصادى ، واشتراكهم فى المسائل الوطنية ، كما أن أوضاعهم التعليمية متدنية بصفة عامة ، وترتفع بينهم نسبة التسرب ، كما تنخفض بينهم نسبة النجاح ، ويحدث ذلك فى جميع المناطق وفى كل القطاعات بدون استثناء »[1].

ولذلك فإذا أريد تحقيق تنمية شاملة لهذه الفئة ، فإنه يكون لزاما على الحكومة وفئة الأغلبية والعالم الإسلامى والمسلمين الهنود أنفسهم أن يغيروا نظرتهم وأن يبذلوا كل المحاولات الممكنة لتغيير الظروف وإصلاح الأوضاع لكى يبدأوا بداية جديدة بثقة وشجاعة ، متوكلين على الله .

والدراسة التالية إنما هى محاولة متواضعة لرؤية طبيعة وأسباب المشكلات الاقتصادية التى تواجه المسلمين الهنود فى إطارها الصحيح ، وقياس الحجم الحقيقى لهذه المشكلات واقتراح السبل والوسائل المختلفة لعلاجها ، فهى دراسة موضوعية كتبت بروح بناءة .

مقدمة وخلفية :

من الناحية التاريخية كان ضم عرش دلهى إلى دولة الاستعمار البريطانى عقب سقوط إمبراطورية المغول القوية فى عام ١٨٥٧ ، بمثابة النهاية لمجد المسلمين الهنود ونفوذهم ، حيث كان البريطانيون يكنون أشد العداء للمسلمين ، وقد أطلقوا عنان الإرهاب بغرض القضاء عليهم قضاء مبرما لأنهم كانوا القوة الرئيسية التى تناضل ضدهم فى البلاد ، وتكافح من أجل الاستقلال ، ومن ثم فقد حرص الانجليز على شل حركة المسلمين وإضعاف شوكتهم كى لاتتاح لهم الفرصة مطلقا لاستعادة نفوذهم ، ومن أجل ذلك ألغوا نظام التعليم ونظام القضاء لكى تنتفى الحاجة إليهم ووضعوا أنظمة جديدة تتفق ومخططهم الاستعمارى ، وإضافة إلى ذلك صادروا أملاك المسلمين وقضوا على إماراتهم ، وأخذوا يفصلون العمال المهرة وموظفى الحكومة المسلمين من أعمالهم باستخدام الألاعيب والحيل التى ينطوى عليها النظام . ولما كان المسلمون هم حكام الأمس وسادة الماضى فإنهم كانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا على سلطة الدولة ، ولذلك فإن ذلك الموقف العدائى الذى اتخذته الحكومة حيالهم قد أشاع اليأس فى نفوسهم ، وسيطرت عليهم حالة من التشاؤم فى أفعالهم وأفكارهم كما يتضح من كتابات المفكرين والأدباء المسلمين فى ذلك العهد .

وطوال عهد السيطرة البريطانية الذى امتد من عام ١٨٥٧ حتى ١٩٤٧ ، كانت السياسة المتبعة هى القمع والحرمان وإبادة المسلمين فى الهند ، وقد ولدت هذه السياسة الحقد والغضب الشديد فى نفوس المسلمين الذين نسوا فى غمرة الغضب والكراهية المتطلبات العاجلة للعهد الجديد ، وأخرجوا أنفسهم طواعية واختيارا من معادلة القوى البريطانية ومن النظام التعليمى أيضا ، ويلاحظ حدوث تغير طفيف فى الموقف منذ عام ١٩٢٠ فصاعدا حيث اتبعت لفترة قصيرة سياسات التهدئة لكسب ثقة المسلمين ، وكان ذلك فى أعقاب الثورة الجماهيرية التى اجتاحت الهند ، ولكن الإصلاح كان قد فات أوانه وظل الحال كما كان عليه إلى حد كبير حتى عهد الاستقلال ، وبعده تدهورت أحوالهم الاقتصادية تدهورا شديدا وصل إلى الحضيض ، وما بين غمضة عين وانتباهتها أصبح حكام الأمس شحاذى اليوم .

إن التخلف الاقتصادى الذى يكشف حياة الطائفة الإسلامية فى الهند اليوم إنما هو تراث غير مقدس من مخلفات الحكم الاستعمارى البريطانى استمر قرابة قرنين فى الهند .

عهد الاستقلال ومابعده :

ترتب على استقلال الهند فى أغسطس من عام ١٩٤٧ أن تعرض المسلمون فى عموم شمال الهند وخاصة فى بيهار والبنغال ودلهى والبنجاب للمذابح وأعمال السلب والنهب واغتصاب النساء وحرمة ممتلكاتهم وغير ذلك من أعمال الشغب واسعة النطاق . وقد دفع المسلمون ضريبة فادحة بسبب التقسيم الذى انتزعهم من جذورهم ، وأصاب كبرياءهم فى الصميم ، فقد أصبح ولاؤهم لبلادهم موضع شك وأصبحوا غرباء فى ديارهم وأوطانهم التى يقطنونها منذ عدة قرون ، وترددت صيحات عالية تطالب بتخليص البلاد منهم ، وهكذا تعرض المسلمون مرة أخرى للموقف ذاته الذى سبق أن تعرضوا له فى عام ١٨٥٧ بعد حركة التمرد مباشرة وكان الموقف محفوفا بالمخاطر والمجازفات إلى حد جعلهم يفقدون كل أمل فى المحافظة على حياتهم ، وأدى ذلك إلى الهجرة الجماعية للمثقفين والزعماء وأرباب المهن ورجال الأعمال والعلماء وغيرهم من فئات المسلمين الذين نزح منهم إلى الباكستان مايتراوح بين ٦ — ٧ ملايين نسمة وبذلك أصبح من تبقى من المسلمين فى الهند أشبه باليتامى الذين أصبحوا عرضة لكل أنواع القمع والقهر ، فقد سلبت ممتلكات تقدر قيمتها بألوف الملايين من الروبيات وصودرت آلاف الأفدنة من الأراضى ، وحرقت الدور والمساجد أو هدمت على من فيها ، وبذلك نشأت أوضاع اضطرت المسلمين إلى بيع ممتلكاتهم بأبخس الأثمان وقد ضاعف ذلك من حدة الأوضاع الاقتصادية المتردية للمسلمين الهنود ، واستمر الحال على هذا المنوال حتى السبعينيات على حين كان الآلاف يعبرون الحدود كل عام نازحين إلى الباكستان حماية لمستقبلهم ومستقبل أبنائهم ، وقد توقفت هذه العملية مع إنشاء دولة بنجلاديش ، وتولدت ثقة جديدة فى نفوس الطائفة الإسلامية على الرغم من أن الأوضاع فى البيئة الخارجية لم يطرأ عليها أى تغيير .

لقد انقضى ٣٨ عاما منذ الاستقلال ، وتدفقت مياه كثيرة فى نهر الجانج وخلال تلك الفترة حصلت كل طائفة تعيش فى الهند على مستقر لها ، حتى المتخلفون وطوائف المنبوذين والقبائلSchedule (وهى طوائف ظلت فى زوايا الإهمال منذ العصور السحيقة بسبب الحواجز العقائدية السائدة فى المجتمع الهندى) ، نالوا بعض الامتيازات وهم يتقدمون يوما بعد يوم وأصبح وجودهم ملموسا فى المجتمع الهندى وفى اقتصادياته وسياسته ، وليس هذا حال الطوائف المسلمة ، فما زال المسلمون يتعرضون للقمع والاضطهاد ويعيشون حالة من الاضطراب النفسى بسبب الخوف ، والواقع أن صوتهم مازال خافتا على الصعيدين السياسى والاجتماعى فى الهند(٢) .

أما على الصعيد الاقتصادى فإنهم أضعف الطوائف الهندية على الإطلاق ويمرون بفترة

من الركود بل الانحطاط الاقتصادى ، وأصبحت السمات المشتركة للمسلمين الهنود هى الفقر المدقع والجوع والأمية والبطالة والمرض .

ونتيجة لهذه الأخطار الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى اكتنفت حياة الطائفة الإسلامية مدة تقرب من قرنين ، فقد تصدعت قواعدهم الأساسية من جراء الاعتداءات المتكررة وأعمال التفرقة والتمييز ضدهم ، فأصبحوا الآن متأخرين تعليميا ، ومشتتين اجتماعيا ، ومعوقين سياسيا ، ومتخلفين اقتصاديا ، ومفلسين أخلاقيا ، ويفتقرون إلى الوحدة والقوة الضروريتين لحمل لواء قضيتهم بطريقة فعالة سواء عن وعى أو بلا وعى ، فقد استبعدوا من كل محاولات التنمية الاقتصادية والاجتماعية كما لو كانوا جسما غريبا فى الكيان السياسى للبلاد .

وليس هذا رأيى الشخصى القائم على أساس من التمييز ، ولكنه الرأى الذى يخرج به كل من ذهب لدراسة مشكلات المسلمين فى الهند ، فقد قام سى . شميم شاه بدراسة أحوال المدارس والكليات التي يديرها المسلمون في الهند برعاية جمعية همدارد التعليمية في دلهى ، وكتب يقول :

« نتيجة لبعض الأحداث السياسية والتاريخية التى وقعت فى الماضى القريب تأثرت جميع مناحى حياة المسلمين الهنود من جراء حرمانهم من التعليم ، وقد وقعوا ضحية للإهمال المستمر بعد أن غاب عنهم إدراك التقدم الشامل الذى يجرى تحقيقه على المستوى الوطنى العام ، والإحساس بتخلفهم الاقتصادى وترتب على ذلك أن تخلف كثير من المسلمين عن الفئات الأخرى من سكان الهند ، والواقع أن أبناء طائفة المسلمين محرومون من جميع المزايا والحسنات التى يحفل بها مجال الفنون الرفيعة ، والتقدم فى مجالات العلوم التقنية ، بل وحتى فى مجال لغتهم وثقافتهم »[٣] .

أما لجنة جوبال سنغ التى شكلت لدراسة مشكلات وشكاوى الأقليات فى الهند ، فقد جاء فى تقريرها النهائى الذى قدمته إلى وزير الداخلية بتاريخ ١٤/ ٦/ ١٩٨٣م مايلى :

« إن المسلمين كمجموعة أفقر من المعدل الوطنى العام من جميع النواحى تقريبا . فنشاطهم الاجتماعى ونشاطهم الاقتصادى ، ومشاركتهم فى الشئون الوطنية ، ومستوى دخلهم ، ومستوى مدخراتهم ، ومستواهم التعليمى ، كلها متدنية ، كما أن معدلات التسرب فى مراحل التعليم مرتفعة بينهم ، فى حين تنخفض معدلات النجاح ، ويحدث ذلك فى كل منطقة وفى كل فئة بدون استثناء »[٤] .

الأوضاع الراهنة :

يمثل المسلمون ثانى أكبر طائفة فى الهند بعد الهندوس ، وقد أجرى تعداد للسكان فى عام ١٩٨١ لم يشمل « اسام » التى لم يتيسر إجراء التعداد فيها بسبب مشكلة الرعايا الأجانب ، وقد تبين من هذا التعداد أن المسلمين يزيد عددهم عن ٧٥ مليون أى أنهم يمثلون ١١,٣٥٪ من مجموع سكان الهند ، واستنادا إلى التعداد

الذى أجرى في عام ١٩٧١ فإن عدد سكان « اسام » لايمكن أن يقل عن ٤,٥ مليون نسمة ، فإذا أضفنا هذا العدد إلى تعداد المسلمين فإن عددهم يصل إلى حوالى ٨٠ مليون نسمة فى الهند ويوضح الجدول التالى الملامح الديموغرافية الرئيسية للهند(*)

الطوائف الدينية	عدد السكان	٪ من مجموع السكان	معدل النمو خلال العقد	الجنس ٪	٪ من عدد سكان الريف	٪ من عدد سكان الحضر
الهندوس	٥٤٩٧٧٩٤٨١	٨٢,٦٤	٢٤,١٥	٩٣٣	٨٤,٥٤	٧٦,٥٢
المسلمون	٧٥٥١٢٤٣٩	١١,٣٥	٣٠,٥٩	٩٣٧	٩,٨٢	١٦,٢٨
المسيحيون	١٦١٦٥٤٤٧	٢,٤٣	١٦,٧٧	٩٩٢	٢,٢٥	٢,٩٩
السيخ	١٣٠٧٨١٦٤	١,٩٦	٢٦,١٥	٨٨٠	٢,٠٢	١,٨٠
البوذيون	٤٧١٩٧٩٦	٠,٧١	١٢,٥٢	٩٥٣	٠,٦٣	٠,٩٦
الجينية	٣٢٠٦٠٣٨	٠,٤٨	٢٣,٦٩	٩٤١	٠,٢٣	١,٣٠

المصدر : الهند المسلمة ، أبريل ١٩٨٥ Muslim India ,April 1985

ويبين هذا الرقم أن المسلمين الهنود ، يمثلون بعد مسلمي أندونيسيا وبنجلاديش ، أكبر جالية إسلامية تعيش فى أى بلد من بلاد العالم .

والاعتقاد السائد بين المراقبين المحايدين أنه لايجرى إحصاء على المسلمين بطريقة صحيحة فى التعداد ، لأن عددهم أكبر بكثير مما ظهر فى التقرير الخاص بالتعداد ، وقد أشار بعضهم إلى وجود ثغرات فى هذا التعداد ، فقد ذكر المرحوم بشير سيد القاضى السابق بالمحكمة العليا فى مدراس فى خطابه الرئاسى الذى ألقاه فى مؤتمر التعليم الإسلامى المنعقد فى باتنا عام ١٩٧٣ أنه يرى بناء على تقديره الشخصى أنه يتم إغفال مايتراوح بين ٢٥ - ٣٠٪ من السكان المسلمين بطريقة أو بأخرى فى التعداد السكانى للبلاد ، ويقال إنهم يتعمدون خفض عددهم حتى لاترتفع أصوات المطالبة بنصيبهم العادل ، وأود أن اقترح على مجلس الشورى الإسلامى **Muslim Majlis Mushawarat** أن ينظم إجراء تعداد مستقل لسكان المدن والقرى الرئيسية للتحقق من النسبة الحقيقية للنقص .

وما زال المسلمون منذ عهد الاستقلال وحتى يومنا هذا طائفة مهملة لم يعمل سوى أقل القليل لإصلاح أحوالهم ، فلم يحاول أحد محاولة جادة واعية دراسة مشكلاتهم فى إطارها الصحيح ، ولم تبذل أية محاولة مخلصة على الإطلاق لحل مشكلتهم وقد صدق المستر ارون بورى الصحفى المعروف ورئيس تحرير صحيفة«**India Today**» عندما كتب فى أعداد الصحيفة الصادرة قبل الانتخابات يقول : إن المسلمين لم يعتبروا فى يوم من الأيام من بين مواطنى هذه البلاد بالمعنى الحقيقى لهذه الكلمة ، وإنما كان ينظر إليهم على أنهم مجرد أصوات انتخابية ، فهم يمثلون بنكا للأصوات لحساب حزب سياسى معين وقد أثيرت المخاوف ضد قضية المسلمين ونشر الأحقاد ضدهم لكى يتوفر للحكومة مسوغ

تبرر به كل أفعالها ، ورغبة فى تهدئة المسلمين تبرز مسرحية الاضطرابات الطائفية المثيرة بين الحين والآخر بتواطؤ من جانب الأجهزة الإدارية فى الدولة وبتأييد فعال من جانب الشرطة لكى لاينسى المسلمون وضعهم الحقيقى فى البلاد ، أما الوعود التافهة التى تقدم لهم فى بعض الأحيان فلا تعدو أن تكون من قبيل الحيل والمناورات الانتخابية لدغدغة مشاعرهم وكسب أصواتهم . ولكنهم لا يلقون أى تعاطف صادق أو اهتمام حقيقى بمشكلتهم ، والواقع أن مشكلة المسلمين الحقيقية فى أنهم طائفة غير منظمة وبلا زعامة ، وأن موقف قادتهم ومثقفيهم يتسم بالأنانية المفرطة وعدم الاكتراث .

وبعد إلحاح شديد من جانب بعض الدوائر تم تشكيل عدة لجان من جانب الحكومة المركزية وبعض حكومات الولايات لدراسة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية للطائفة الإسلامية فى الهند ، وكما ورد فى الأخبار فإن تلك اللجان جميعها قدمت تقاريرها إلى الحكومة ، غير أن هذه التقارير لم تعرض على البرلمان لمناقشتها بصراحة وبلا تحفظ ، كما لم يتم الموافقة عليها أو تعرف طريقها إلى حيز التنفيذ ، ومازالت تقبع فى مكاتب الحكومة ويتجمع فوقها التراب مما يدل على التآمر الإجرامى واللامبالاةمن جانب الحكومة تجاه مشكلات الطائفة المسلمة فى الهند ، أو على حد تعبير سيد شهاب الدين عضو البرلمان السابق ورئيس تحرير مجلة الهند المسلمة ، الذى قال فى افتتاحيته ذات مرة إنه لاتوجد مشكلة أقليات فى البلاد ، بل إن الأقليات هى التى لديها مشكلات[٦] .

وهناك اعتقاد أخذ يتزايد فى وقتنا الحاضر ، وهو نابع من ميثاق فلاديلفيا الذى يقول إن وجود الفقر فى أى مكان يشكل خطرا على الرخاء فى كل مكان ، ويجتهد بعض الشخصيات العامة والصحفيون والزعماء السياسيون والمفكرون المشهورون فى إقناع الأمة بأنه لا يمكنها أن تعيش فى سلام وأن تنعم بالرخاء فى الوقت الذى يعيش فيه قرابة ١٢٪ من أبنائها فى فقر مدقع ، وقد أكد على هذه النقطة رئيس الوزراء نفسه ، والذى عزا السبب الأكبر فى الاضطرابات الطائفية إلى العوامل الاقتصادية لأنها ليست وصمة عار فى جبين الأمة فحسب ، وإنما هى عقبة كأداء تعوق نمو اقتصادها أيضا ، فليس فى وسع البلاد أن تمضى قدما فى هذا النوع من الترف الطائفى ، لأنه يمكن أن يشكل خطرا كامنا يتهدد رخاء البلاد ووحدتها الأمر الذى لايفيد بحال من الأحوال أية طائفة من الطوائف وسيأتى بنتيجة عكسية .

عوامل التخلف الاقتصادى للمسلمين الهنود :

هناك عوامل عديدة يعزى إليها السبب فى فقر المسلمين الهنود وتأخرهم اقتصاديا ، وقد تناولنا فيما تقدم الأسباب التاريخية بشىء من

التفصيل ،وسنورد فيما يلي الأسباب الأخرى :

١ - البيئة الخارجية المعادية :

إن التنافس السياسى بين الهندوس والمسلمين أثناء الكفاح من أجل الحرية وما بعده قد ولد كثيرا من الأحقاد والكراهية التى تكنها إحدى الطائفتين للأخرى ، ورغم أن العامل الإسلامى قد أصبح ثانويا بعد التقسيم فإن العداوة ظلت متأججة ، وهناك محاولات مستمرة تبذل لإخراجهم من أرض الهند ، وهناك حملة مسعورة منظمة تطالب بأعلى صوت إما بطردهم من البلاد أو اعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية لايتمتعون بأية حقوق أو امتيازات ، وقد كتب الراحل م . س . جولووكر مؤسس حركة آر . اس . اسRSS وهى منظمة هندوسية متعصبة فى وطنيتها ، كتب يقول فى غمرة الكفاح من أجل الحرية فى عام ١٩٣٩ ، فى كتابه بعنوان « نحن » . . . « إن الأقليات يجب أن تعيش بفضل الأغلبية وإحسانها ، فالهندوسى وحده هو الهندى الحقيقى أما من لم تنشأ عقيدتهم على أرض شبه القارة هذه فإنهم أجانب ، وعلى المسلمين والنصارى واليهود والبارسيين أن يأخذوا بالثقافة الهندوسية وأن يتكلموا لغة الهندوس ، كما يجب أن يتعلموا احترام الديانة الهندوكية وتوقيرها وأن لايعتنقوا أية فكرة سوى تمجيد العنصر الهندوسى وثقافته . . . **ويمكنهم البقاء فى البلاد على أن يكونوا خاضعين تماما للشعب الهندوسى ، وألا يطالبوا بشىء ، وألا يتمتعوا بأية امتيازات أو يعاملوا معاملة تفضيلية ، بل ولا يمنحوا حق المواطنة** . . ففى هذه البلاد ليس هناك شعب سوى الهندوس فقط ، أما المسلمون وغيرهم فإنهم إن لم يكونوا أعداء للأمة ، فإنهم على أقل تقدير ليسوا جزءا من كيان الأمة » .(٧)

إن هذه الأقوال ليست تعبيرا عن مجرد مشاعر ، وإنما هى عقيدة تؤمن بها فئة من الهندوس لها نفوذها الكبير ، ومنظمة تنظيما جيدا ، ومع أن الجمعية التأسيسية رفضت هذه المطالب ، ومنحت حق المواطنة لكل طائفة من الطوائف التى تعيش فى الهند صغيرة كانت أم كبيرة ، فإن الأمر لم ينته عند هذا الحد ، فلقد عجزت الحكومة ومؤسساتنا الاجتماعية عجزا تاما عن احتواء مشاعر العداء التى تسيطر على كلتا الطائفتين ، فالاتجاه المعادى للمسلمين يتغلغل فى صفوف الشرطة والإدارة وفى المكاتب العليا للحكومة المركزية وحكومات الولايات ، ويظهر ذلك بوضوح فى كل مرة تنشب فيها اضطرابات طائفية ، حيث تصبح الشرطة والإدارة طرفا فى هذه اللعبة الشائنة ويزيدون من حدة البلاء ، وقد أصبحت الاضطرابات الطائفية ظاهرة تتكرر بمعدل مرة ونصف كل يوم فى أعقاب عام ١٩٤٨ مما قضى على ثقة الطائفة الإسلامية ويوضح الجدول التالى عدد الاضطرابات الطائفية التى وقعت فى السنوات الأخيرة :

جدول ٢

السنة	عدد الحوادث الطائفية	عدد القتلى	عدد الجرحى
١٩٧٩	٣٠٤	٢٦١	٢٣٩٧
١٩٨٠	٤٢٧	٣٧٥	٢٨٣٨
١٩٨١	٣١٩	١٩٦	٢٦١٣
١٩٨٢	٤٧٤	٢٣٨	٣٠٢٥
١٩٨٣	٤٠٤	٢٠٢	٣٤٧٨
١٩٨٤	٤٥٦	٤٤٤	

المصدر : التقرير السنوى لوزارة الداخلية لعام ١٩٨٣ – ١٩٨٤م .

وإلى جانب الخسائر فى الأرواح وامتهان الكرامات ، فقد نهبت وأحرقت ممتلكات تقدر قيمتها بالآلاف من عشرات الملايين من الروبيات ، كما أن تكرار هذه الاضطرابات الطائفية قد ضرب اقتصاديات المسلمين تماما ودمر ثقتهم ، فلم يعد فى مقدورهم البدء فى عمل جديد أو أن يشتروا قطعة من الأرض ، أو أن يشيدوا بناء أو أن يفتحوا متجرا فى الأماكن المختلطة على الأقل بثقة واطمئنان ودون أن يستبد بهم الخوف ، والواقع أن الاتجاه الأخير للاضطرابات التى حدثت فى بهيواندى ، وجالجوان ، ومراد أباد ، وباناراس ، وميروت ، وجيمشدبور ، وبيهار شريف وغيرها قد أكد أن الهدف من هذه الاضطرابات هو تدمير الدعامة الاقتصادية للطائفة الإسلامية ، لأن المناطق التى وقعت فيها الاضطرابات هى التى ازدهرت فيها أحوال المسلمين نوعا ما على الرغم من العراقيل التى توضع فى طريقهم . ومن جهة أخرى فهم يعانون من إهمال الحكومة المستمر لهم مما حولهم إلى شعب متأخر .

٢ – العوامل السياسية :

بصرف النظر عن التقسيم وما أعقبه من أحداث سيئة ، فإن ضم الإمارات الإسلامية فى الاتحاد الهندى عام ١٩٤٨ وإعادة تنظيم الولايات فى عام ١٩٥٦ قد أضر ضررا اقتصاديا بليغا بالمسلمين فى تلك المناطق ، كما كان لتلك الإجراءات آثار متعددة مستمرة على المسلمين فى المناطق الأخرى ، نظرا لأنها تعتبر مناطق الغذاء بالنسبة لهم وكانت مصدر الرزق لعدد كبير من الحرفيين والصناع والمتعلمين المسلمين .

٣ - العوامل الاقتصادية :

نتيجة لأعمال النهب الاستعمارى والمنافسة الآلية فقد الحرفيون والصناع المسلمون أسواق عملهم وتضاءلت أهميتهم ، وبعد الاستقلال لم يحصلوا على أية تعاملات خاصة تحسن من وضعهم ، وكانت أعمال الحياكة والنسيج ودبغ الجلود والأحذية وغيرها من الحرف بأيدى بعض فئات المسلمين بالكامل فيما سبق ، وبالتدريج بدأت فئات أخرى وبعض الأفراد فى الاشتغال بهذه الأعمال ، وتستعر حدة المنافسة بين الفريقين حاليا . وحدث الشىء نفسه فى بعض الصناعات المنظمة الأخرى مثل صناعة البنغلا فى فيروز أباد ، وصناعة الصوف فى ناجيبا وساهارانبور وصناعة السارى فى بناراس وصناعة السجاد فى بهادوا وميرزابور وصناعة النسيج اليدوى فى مونات بهانجان ومدراس وبهيواندى ، وهناك صناعات كان يحتكرها المسلمون مثل صناعة دبغ الجلود فى كلكتا ومدراس ، وصناعة الأوانى فى مراد أباد وصناعة التطريز والصوف فى كشمير وغيرها ولكن بدأت هذه الصناعات تتسرب من أيدى المسلمين بالتدريج حيث ينقصهم الدعم الحكومى فى مجال التمويل والتسويق وأخذت تنتقل إلى الجاليات الأخرى مثل الماروارى والبنجابيين وأبناء السند والسيخ ممن يتوافر لديهم التمويل الكافى والدعم التعاونى وقد سيطروا على أسواق البيع وكل الوكالات التجارية ، وتحول المسلمون إلى مجرد أيدى عاملة أو موردين ثانويين ، أما من استمر منهم فى هذا المجال فإنه يواجه منافسة عنيفة ولا يعلم إلا الله إلى متى يستمر فى الصمود .

وعلى أية حال فهناك نوع من المحرمات فى السوق المحلى الهندى يتمثل فى أن العملاء المسلمين وغير المسلمين يفضلون فى الغالب شراء السلع من متاجر أبناء طائفتهم ، وإن كان المسلمون أقل التزاما بهذا الحظر لأنهم لايجدون كل احتياجاتهم فى متاجر أبناء طائفتهم ومجال عمليات السوق أمامهم محدودة ، وعلى النقيض من ذلك فإن العملاء غير المسلمين نتيجة لشعورهم بأنهم منبوذون ولقوة إحساسهم الطائفى يحصلون على كل شىء بسهولة من متاجر أبناء طوائفهم ، ولن يضيرهم ذلك فى شىء لأنهم يسيطرون على تجارة الجملة سيطرة تامة ، ويضطر أصحاب المتاجر الصغيرة من المسلمين لشراء السلع منهم .

وبالإضافة إلى ذلك فإن إلغاء نظام زراعة الريع المعروف باسم زامندارى Zamindari، فى أعقاب الاستقلال كان بمثابة ضربة قاتلة للمسلمين الأثرياء فى الريف ، فلم يحصلوا على التعويض بالكامل ، كما لم تقدم لهم أية حوافز لإصلاح أوضاعهم الاقتصادية المنهارة ، وترتب على ذلك أن من كانوا يعيشون حياة كريمة قد اضطروا إلى التسول فى الطرقات نتيجة لتطبيق مايسمى بالاشتراكية .

والواقع أن اللوم يوجه إلى الحكومة لأنها لم تكن عادلة مطلقا فى تعاملها مع الصناع والحرفيين والمزارعين والعمال والشباب المثقف من المسلمين ، حيث انتهجت سياسة التمييز المتعمد ضدهم فى مجالات التوظيف والصناعة والأعمال لإقصائهم من ميدان التنمية الاقتصادية ، فهناك أكثر من ٥٠٠ مؤسسة صناعية كبرى فى البلاد ليس من بينها أية مؤسسة إسلامية وهذا هو السبب فى الضعف والوهن الذى أصاب المسلمين فى كل مجال من مجالات النشاط الاقتصادى تقريبا .

٤ - المعوقات الاجتماعية والثقافية :

تنتشر الأمية بين المسلمين بصفة عامة ، كما أنهم تقليديون للغاية ولديهم تقاليد اجتماعية متزمتة تعوق تقدمهم ، ويميلون إلى التراخي نتيجة فهمهم الخاطيء للقضاء والقدر ، وليس لديهم وعي كبير بضرورات حياتهم الاقتصادية ، وهذا الجانب الأليم من حياة المسلمين لا يحظى مطلقا باهتمام علمائهم ومفكريهم ، كما أنهم يفتقرون للزعامة الاقتصادية والمؤسسات المناسبة التي تتبنى شكاواهم وتدافع عنها بطريقة منظمة على المستوى الوطني ، وكذلك تنقصهم جودة الأداء والكفاءة وروح ممارسة المشروعات التجارية والشجاعة والثقة في هذا المجال ، ويخشون مواجهة المنافسة ، ويخدعون أنفسهم دائما بالفكرة غير الصحيحة والقائلة بأن شخصا ما سوف يهبط من السماء لإصلاح الأمر نيابة عنهم وأنه يبوئهم مقعد القيادة والسيادة بعد أن يدمر أعداءهم أيا كانوا . وشعور الجماعة بينهم ضعيف جدا ، وتتفشى الروح الفردية والأنانية في أوساط الجالية الإسلامية في الهند ، كما تسود بينهم الصراعات العائلية والخلافات الطائفية ، الأمر الذي يبدد كثيرا من جهدهم وطاقاتهم وأموالهم ووقتهم .

٥ - العوامل الدينية :

على الرغم من انتشار الأمية والفقر بين المسلمين الهنود بعامة ، فإن لديهم وعيا شديدا بالحلال والحرام ، ومن ثم فإن الطبيعة غير الإسلامية للاقتصاد الهندى القائم على أساس الفائدة تفرض قيودا شديدة تحد من نشاطهم الاقتصادى ، **فالمضاربات** والقمار واليانصيب والاكتناز **والزنا** والرشوة والتهريب والربا والاتجار فى الخمر كلها محرمة فى الإسلام ولذلك فإن أكثرية المسلمين ينأون بأنفسهم طواعية واختيارا عن أمثال هذه الأنشطة،والقلائل الذين ينغمسون فى هذه الأعمال الاقتصادية الفاسدة لايحظون بأى احترام فى مجتمع المسلمين المخلصين لدينهم ، وتشتد وطأة هذا الضغط الاجتماعى إلى حد يجعل المشتغلين بمثل هذه الأعمال لايجرؤون على ممارستها علنا .

والفائدة والربا بأى شكل من الأشكال من أبغض الأشياء عند المسلمين ، وهم لايلجأون مطلقا لتمويل مشروعاتهم بقروض ربوية ، وكثيرا مايتركون الفوائد المستحقة لهم على ودائعهم للبنوك طواعية واختيارا ، بل إن كثيرين منهم لايودعون مدخراتهم فى البنوك بسبب طبيعتها الربوية[٨] .

ونادرا مايحصلون على قروض بفائدة عندما تضطرهم الحاجة الملحة لذلك ، وغالبا ما يقترضون لأغراض استهلاكية ليست لها طبيعة إنتاجية مثل تزويج بناتهم أو علاج ذويهم وماشابه ذلك من الأغراض ، مما يحملهم أعباء إضافية . أما إذا أعطى المسلم قرضا لأحد سواء أكان مسلما أم غير مسلم فإنه لا يطلب فائدة على القرض . والواقع أن طبيعة الاقتصاد الهندى المبنى على أساس الفائدة تعتبر أكبر العوامل التى يعزى إليها سبب التأخير الاقتصادى للمسلمين ولهذا السبب لايحصلون على أية مزايا أو منافع صحيحة من أى مشروع من مشروعات الحكومة ، وإننى لأطالب حكومة الهند العلمانية التى تدعى أنها تخدم عقائد وشعائر مواطنيها الذين ينتمون إلى الأديان المختلفة أن تتخذ ترتيبات مناسبة فى إطار سياستها الاقتصادية تتيح للمسلمين الهنود التمتع بمنافع حقيقية من مشروعاتها التنموية ومن التضحية بعقيدتهم أو انتهاك شعائرهم الدينية .

وفى رأيى المتواضع أن تلك هى العقبات الرئيسية التى تعرقل التنمية الاقتصادية للجالية الإسلامية فى الهند والتى تتحمل مسئوليتها الحكومة وطائفة الأغلبية ، والمسلمون أنفسهم ، ويتعين على كل منهم أن يغير نظرته لكى تحتفظ الهند بوحدتها ورخائها .

المؤشرات الدالة على فقر المسلمين الهنود وتخلفهم الاقتصادى :

تعتبر الهند بصفة عامة دولة متخلفة (نامية) تتسم بالفقر وانخفاض مستوى العمالة ، والأمية ، والتفاوت فى توزيع الثروة والدخل . وطبقا لما ورد فى وثيقة خطة التنمية الخمسية السادسة (١٩٨٠ – ١٩٨٥) فإن ٤٨٪ من أفراد الشعب يعيشون دون مستوى الفقر ، وهو المستوى الذى يحدد الدخل للفرد فى الشهر بـ ٤٦ روبية حسب أسعار عام ١٩٧٣ ولا يقل عدد المتعطلين عن ٤٠ مليونا أى أقل قليلا من مجموع عدد العاملين فى كل القطاعين المنظم وغير المنظم ولاتزيد نسبة المتعلمين عن ٣٦,١٧٪ ، وبناء على ماذكره ب . س . ماهالنوبيس المسئول الأول عن وضع خطة التنمية الخمسية الثانية ، فإن ١٤٪ من العائلات فى الهند تسيطر على أكثر من ٥٠٪ من الثروة والدخل القومى ، وإن ٣٠٪ من المزارع الكبيرة تشغل ٧٠٪ من الأراضى الزراعية فى المناطق الريفية ومن هنا فإن الهند بصفة عامة دولة فقيرة متخلفة ، **والنقطة التى نود التأكيد عليها هى أن النسبة المئوية لتخلف المسلمين وفقرهم أكبر**

من المعدل العام للتأخر على مستوى الأمة بأسرها ، والتى يعزى سببها إلى ضعف أساس فى الجالية الإسلامية ذاتها ، بقدر مايعزى إلى المعاملة الجائرة التى يلقونها والتمييز ضدهم على كل مستوى من مستويات النشاط الاقتصادى .

ولاتتوافر لدينا دراسات كافية تشمل عموم الهند لكى نقدم صورة صحيحة للتخلف الاقتصادى للمسلمين الهنود ، وإن كان بوسع المرء أن يجسد فى خياله هذه الصورة استقراء من هذه الملاحظة وهى أن عدد المعدمين والمتسولين بين المسلمين أكبر منه فى أى طائفة أخرى فى الهند ، وأكثريتهم ممن يتكسبون رزقهم يوما بيوم والحمالين والباعة المتجولين ومن يجرون عربات الركشا ، وأصحاب المتاجر الصغيرة ومصلحى الدراجات وباعة الخضروات والفاكهة والميكانيكيين وصغار المزارعين ، وهذه الحرف تدر عليهم دخلا بسيطا لايكفى لتوفير وجبتين فى اليوم ، والقليل منهم من يدير عملا ناجحا أو يتولى وظيفة حكومية لها وزنها ، ومع افتقارهم لمصادر الدخل المستقل وقلة فرص العمل المتاحة لهم فقد أخذت أحوالهم تتدهور تدريجيا ، مما حمل السيد/ ج . أ . لاليوالا فى تقريره الذى أعده عن المسلمين فى مدينة أحمد أباد أن يقول : « إن نسبة المعدمين بين المسلمين تصل إلى ٧٥٪ ، ويلاحظ أن المسلمين أكثر تخلفا من غيرهم من الطبقات الفقيرة من الناحيتين الاقتصادية والتعليمية . . إن دراستنا لمسلمى مدينة أحمد أباد مؤشر على الحالة الاقتصادية والتعليمية الفعلية للجماهير المسلمة فى المناطق الحضرية والريفية الأخرى فى ولاية جوجارت بل وفى الولايات الهندية الأخرى أيضا » .[٩]

وأنا مدين بالفضل للأشخاص والوكالات التطوعية التى أجرت دراسات وبحوثا مستقلة سواء على مستوى الدراسات الكلية أو الجزئية ، التى تلقى كثيرا من الضوء على الأوضاع الاقتصادية للمسلمين الهنود وهاأنا أورد فيما يلى النتائج التى توصلوا إليها مع تسجيل شكرى لهم جميعا .

أ - التخلف الاقليمى (تخلف المناطق) :

أجرى البروفسور سى . أ . عبد السلام من كيرالا دراسة على أساس تعداد السكان لعام ١٩٧١ كشفت النقاب عن أن هناك ٣٩ منطقة فى الهند يشكل المسلمون فيها عددا كبيرا بالقياس إلى المناطق الأخرى ، ومن بين هذه المناطق التسع والثلاثين نجد ٩ مناطق يمثل المسلمون أكثر من ٥٠٪ من عدد سكانها ، فى حين يتراوح عدد المسلمين فى المناطق الثلاثين الأخرى مابين ٢٠ - ٥٠٪ . ومن بين المناطق التسع التى يشكل المسلمون أغلبية سكانها ، توجد ٦ مناطق فى ولاية جامو وكشمير ومنطقة فى كيرالا ، وأخرى فى غرب البنغال ، والمنطقة الأخيرة فى عموم

إقليم لاكشدويب . أما المناطق الثلاثون الباقية فمنها ١١ منطقة فى أوترا برادش ، وبيهار ، وراجاستهان واتحاد اقليم بونديشيرى ويعيش ٣٨,٧٪ من مجموع السكان المسلمين فى هذه المناطق ، كما أن ٣٤,٤٪ من سكان هذه المناطق مسلمون .

وقد حددت لجنة التخطيط الهندية ١٧٢ منطقة فى الهند على أنها مناطق متخلفة فى ضوء مستوى التنمية الذى يعتمد أساسا على عوامل اقتصادية وصناعية وسنجد أن ٣٠ منطقة من المناطق التسع والثلاثين التى يغلب العنصر الإسلامى على سكانها تحتل مكانا فى قائمة المناطق المتخلفة ، علاوة على ذلك فإن ٧ من المناطق التسع والثلاثين هذه قد أدرجت ضمن المناطق الأكثر تخلفا والتى تستحق الحصول على امتيازات التمويل من المؤسسات المالية ، والحصول على مساعدات من الحكومة المركزية لإقامة مشروعات صناعية جديدة كما اعتبرت لجنة التخطيط الهندية ١٧ منطقة من هذه المناطق التسع والثلاثين مناطق غير صناعية ، واستنادا إلى المعايير التى وضعها الأستاذ عبد السلام لمعرفة التخلف النسبى للمسلمين فى هذه المناطق ، فقد خرج بنتيجة مؤداها أنه من بين المناطق التسع والثلاثين التى تناولتها الدراسة فإن هناك ٣٠ أو ٢٩ منطقة ، أى حوالى ٧٥٪ منها ، يتدنى مستواها تدنيا كبيرا عن المعدل الوطنى العام للتنمية وأنها مناطق متخلفة .

وهناك دراسة اقتصادية أخرى صنفت ولايات الهند إلى ثلاث فئات وهى : ولايات منخفضة الدخل ، ولايات متوسطة الدخل ، ولايات مرتفعة الدخل ، وتدخل ضمن الفئة الأولى ذات الدخل المنخفض ولايات اندهرابراديش ، ومادهيابراديش ،وبيهار ٢ ستهان ، واوريسا وأوترابراديش ، فى حين تعتبر ولايات اسام وكيرالا وكاراناتاكا من الولايات ذات الدخل المتوسط ، ومن ذلك يتبين أن ٤٦,٧٨٪ من السكان المسلمين يعيشون فى الولايات منخفضة الدخل ، فى حين يعيش ١٧,٧٪ منهم فى الولايات متوسطة الدخل ، بينما لايعيش فى الولايات مرتفعة الدخل سوى ٢٨,٥٪ ، ويشكل المسلمون ٥٠,٦٢٪ من مجموع سكان أربع ولايات وهى أوترابرادش ، وبيهار ، وآسام ، وراجاستهان ، وإن كانت مؤشرات التنمية تشير إلى أن هذه الولايات فى مستوى أدنى بكثير من المعدل الوطنى العام ، وهذا يثبت بما لايدع مجالا للشك أن هناك علاقة وثيقة بين التخلف والسكان ، وأن المناطق التى يمثل المسلمون أغلبية سكانها تعانى من الإهمال وعدم الاكتراث من جانب الحكومة المركزية وحكومات الولايات على حد سواء[١٠] .

ب - انخفاض مستوى الدخل :

جاء فى دراسة أجراها العالم الاجتماعى جوبال كريشنا أن ٥٧,١٪ من المناطق الإسلامية فى الهند تدخل ضمن فئة الدخل الأقل من ٢٥٠ روبية وأن

٢٩,٧٪ منها تدخل ضمن فئة الدخل من ٢٥١ – ٧٠٠ روبية وأن ١٣,٢٪ فقط تدخل ضمن فئة الدخل الذى يزيد على ٧٠٠ روبية ، على حين أن الأرقام المناظرة بالنسبة لغير المسلمين هى ٤٤,٩٪ ، ٢٩,٦٪ مما يدل على أن المسلمين متخلفون اقتصاديا بدرجة كبيرة عن سواهم من أفراد الطوائف الأخرى ، كما قسم الدكتور جوبال كريشنا المسلمين وغير المسلمين إلى ٥ طبقات من حيث وضعهم المهنى ، ويتبين من هذا التقسيم أن ٣٢,٣٪ من المسلمين فى الفئات المهنية الدنيا ، وأن ٣٠,٨٪ من الطبقة المتوسطة الدنيا وأن ٢١,٦٪ من الطبقة المتوسطة ، وأن ١٧,٦٪ فى الطبقة العليا وأن ٠,٧٪ فقط فى طبقة الصفوة الممتازة . أما بالنسبة لغير المسلمين فإن الارقام المناظرة هى ٢٣,١٪ بالنسبة للطبقة الدنيا ، و ٣٣,٢٪ بالنسبة للطبقة المتوسطة الدنيا ، و ١١,٩٪ للطبقة المتوسطة ، و ٢٧,٤٪ بالنسبة للطبقة العليا ، ٤,٤٪ بالنسبة للطبقة الممتازة . وهذا إنما يدل على أن المسلمين متخلفون بدرجة كبيرة من حيث الوضع المهني بالمقارنة إلى الطوائف الأخرى ، ومن هذا يتبين أن نسبة غير المسلمين في الطبقات العليا أكثر من ٦ أضعاف نسبة المسلمين في هذه الطبقات ، وأن الفرق بين الفريقين يصل إلى النصف تقريبا في حالة الطبقات المتوسطة العليا[١١] . وستعطينا هذه الأرقام صورة أشد إيلاما إذا نظرنا إليها كأرقام مطلقة وليس مجرد نسب مئوية .

ويقول الدكتور س . نافالاكها من معهد النمو الاقتصادى أن النسبة المئوية للصفوة المختارة فيما يتعلق بالهندوس تصل الى ٨٥,٣٪ فى حين أن نسبتهم من مجموع عدد سكان الهند هى ٨٢,٧٪ ، وفى حالة المسيحيين تصل النسبة إلى ٣,٥٪ مقابل حصتهم فى عدد السكان التى لاتتجاوز ٢,٦٪ ، وتصل النسبة فى حالة السيخ إلى ضعف نسبتهم من مجموع عدد السكان التى لاتزيد عن ١,٩٪ أما فى حالة الطائفة الجينية فإن نسبتهم تصل إلى ٥ أضعاف نسبتهم من مجموع السكان وهى لاتتجاوز ٠,٥٪ . أما فى حالة المسلمين فإن نسبتهم فى طبقة الصفوة المتميزة ٤,٥٪ فقط فى حين أن نسبتهم من مجموع السكان ١١,٢٪ ، ومن هذا يتضح أن النسبة المئوية لطبقة الصفوة فى حالة الهندوس تعادل نسبتهم من مجموع عدد السكان ، وفى حالة المسيحيين تعادل نسبتهم من عدد السكان بمقدار مرة ونصف ، أما فى حالة المسلمين فإن هذه النسبة أقل من نصف نسبتهم من مجموع عدد سكان الهند[١٢] .

الجدول رقم ٣
نسبة المسلمين فى طبقة الصفوة الممتازة فى المجتمع الهندى

الطوائف	النسبة المئوية لمجموع السكان (١٩٧١)	النسبة المئوية فى الطبقة الممتازة
الهندوس	٪٨٢,٧	٪٨٥,٣
المسيحيون	٪٢,٦	٪٣,٥
المسلمون	٪١١,٢	٪٤,٥
السيخ	٪١,٩	٪٣,٦
الجينية	٪٠,٥	٪٢,٨

المصدر : د . س . نافالاكها ، معهد النمو الاقتصادى ، الهند المسلمة أكتوبر ١٩٨٣م .

وقد أجريت دراسة متعمقة على مستوى الدراسات الجزئية للتركيب الاجتماعى والاقتصادى للطوائف التى تعيش فى مدينة بانجالور فى عام ١٩٧٤ على أساس مسح عينى شمل ١٧٤٥ أسرة من بينها ١٠,٥ من المسلمين ، وتبين منها أن متوسط دخل المسلمين ٥٤٠ روبية فى حين أن متوسط دخل الهندوسى ٦٥٢ روبية ، ودخل المسيحيين ٧٠٢ روبية ، ودخل الجينيين ١٤٧٧روبية ، ومن بين المسلمين لايوجد سوى ٠,٦٩٪ يحصلون على دخل يزيد على ٢٠٠٠ روبية ، وأن ١١,٥٪ منهم يتراوح دخلهم بين ١٠٠٠ – ٢٠٠٠ روبية ،و٨,٢٪ يتراوح دخلهم مابين ٧٥٠ – ١٠٠٠ روبية و ٢٢,٥٪ يتراوح بين ٥٠٠ – ٧٥٠ روبية ، و ٣٢,١٪ يتراوح بين ٣٠٠ – ٥٠٠ روبية ، وأن الباقين ونسبتهم ٢٥,١٪ يقل دخلهم عن ١٥٠ روبية والأرقام المناظرة فى حالة الهندوس هى ٢٤,٤٪ ، ١٢,٣٪ ، ٩,٣٪ ، ٢٢,٢٪ ، ٢٦,٤٪ ، ٢٥,٤٪ على التوالى وبالنسبة للمسيحيين فإن الأرقام كما يلى : ٤,٧ ، ٧,٨ ، ٢٣,٥ ، ٢٧,٣ ، ١٧,٢ على التوالى ، وتبين هذه الدراسة أن المسلمين متخلفون عن الهندوس والمسيحيين فى المجالات الاقتصادية ، ويرجع السبب الرئيسى فى الانخفاض النسبى لدخل الأسر المسلمة إلى تركزها الشديد فى المهن الأقل ربحا[١٣] .

وفى دراسة أجراها ج . ا . لاليوالا عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمسلمى مدينة أحمد أباد جاء أن حوالى ٧٥٪ من الأسر المسلمة تعيش دون مستوى الفقر ، وعلى أساس هذا الرقم فإن الأسرة المكونة من ٧ أفراد تحتاج إلى ٣٣٢ روبية شهريا لسد احتياجاتها

الضرورية ولكن ٧٥٪ من العائلات تعيش تحت هذا المستوى ، وجاء أيضا فى تقرير هذه الدراسة أن ١٢٢٠ أسرة تشكل ٩٤,١٪ من عينة الدراسة ، لم يعين أى فرد من أفرادها فى أى وظيفة سواء فى القطاع الحكومى أو فى القطاع الخاص ، وأن ٦٪ فقط من تلك الأسر يعمل أحد أفرادها بإحدى الوظائف ، وأن الأسر التى يوجد بين أفرادها من يتقاضى راتبا شهريا يزيد على ٧٥٠ روبية لاتتجاوز نسبتها ٠,٢٪ ، وأن نسبة من يحصلون على رواتب فى حدود ٢٠٠ روبية تبلغ ١,٩٪ وهى الأكثر انتشارا ، أما الأشخاص الذين يتقاضون أجرا يتراوح بين ٢٠١ – ٣٠٠ روبية فنسبتهم ١,٥٪ فقط ، والفئتان اللتان تحصلان على ٣٠١ – ٤٠٠ روبية و ٤٠١ – ٧٥٠ روبية على التوالى تبلغ نسبة كل منها ٠,٥٪ فقط فى حين أن الاشخاص الذين يتقاضون أجرا يقل عن ٢٠ روبية تصل نسبتهم إلى ٠,١٪ ، والذين يتراوح أجرهم مابين ٢١ – ١٠٠ روبية نسبتهم ٠,١٣٪ ، والأشخاص الذين تزيد رواتبهم عن ٧٥٠ روبية شهريا لاتتجاوز نسبتهم ٠,١٪ ، ولا تشتغل بالأعمال التجارية سوى ٢,٥٪ من الأسر ، وهى أيضا لايزيد إيرادها الشهرى عن ٣٠٠ روبية ودلالة ذلك أن الأسر التى شملها الإحصاء العينى تدخل ضمن فئة تجار التجزئة فى السلع الثانوية[١٤] .

وأجريت دراسة مماثلة للأحياء الفقيرة فى المدينة نفسها فى عام ١٩٨١ تبين منها أن من بين المسلمين من سكان تلك الأحياء لايوجد سوى ١٢,١٪ فقط من المستخدمين من ذوى الأجور الثابتة ممن يعملون فى مؤسسات يعمل بها أكثر من ١٠ عمال ، فى حين يصل الرقم المناظر بالنسبة للبراهما الى ٧٧٪ ، وبالنسبة لطائفة الراجبوت الى ٤٠٪ ، وبالنسبة للصناع المهرة الى ٥١,٨٪ ويعمل ٤٢,٢٪ من المسلمين فى الأعمال الحرة مثل إدارة الحوانيت الصغيرة وما شابه ذلك ، بينما يعمل ٣٣,٨٪ منهم فى مؤسسات صغيرة لايزيد عدد عمالها عن ١٠ عمال[١٥] .

وأجرى ستوين مسحا لمدينتى حيدر أباد واسكندر أباد فى عام ١٩٨٣ تبين منه أن الأسر المؤلفة من ٦ – ٨ أفراد يتساوى عددها بين المسيحيين والهندوس الطائفيين وغير الطائفيين[١٦] ، إلا أن نسبة عدد الأسر التى يزيد عدد أفرادها عن ٩ أشخاص فهى أعلى من ١٨,٦٪ بين المسلمين ، فى مقابل ٧,٨٪ بين طوائف الهندوس و ١٢,٤٪ بين الطوائف والقبائل الطبقية ، الأمر الذى يعنى أن عدد الاشخاص الذين تعولهم الأسر المسلمة أكبر مما تعوله أسر الطوائف الأخرى فى المجتمع ، ولذلك فإنهم أشد فقرا من غيرهم[١٧] .

وعلى المستوى الوطنى نجد أن ٦٠٪ من المسلمين يعيشون فى القرى مع أن الاوضاع فى القرى أكثر ترديا مما هى عليه فى المناطق الحضرية بسبب طريقة الحياة التقليدية السائدة

فى الريف وانخفاض مستوى النشاط الاقتصادى فيه . وقد ابرز ج . أ . لاليوالا هذه النقطة حيث يقول : « إن البطالة فى الحضر هى فى كثير من الحالات امتداد للبطالة فى الريف ، ولما كان الأمر كذلك فإن الفقر فى المناطق الحضرية والذى ينتشر بين طبقات معينة يكون أسوا مما هو عليه حتى فى المناطق الريفية ذاتها[١٨] » ومن هذا يتضح أن المسلمين فى الريف والحضر هم أفقر الفقراء فى المجتمع الهندى وأن هناك حلقة مفرغة تطبق عليهم لايجدون منها مخرجا لكى ينطلقوا فى بداية جديدة .

جـ - انخفاض مستوى العمالة :

وكما هو الحال بالنسبة لمستوى الفقر نجد أن مستوى البطالة بين المسلمين أعلى من مثيله بين أفراد أى طائفة أخرى ، وهناك علاقة ارتباط بين الفقر والبطالة ، فهما وجهان لعملة واحدة ، فالمسلمون أقل تمثيلا فى وظائف الحكومة المركزية وحكومات الولايات ، وفى صناعات القطاعين العام والخاص وفى القوات المسلحة والشرطة والإدارة والقضاء والمؤسسات التعليمية وفى كل فرع أو قطاع من قطاعات الاقتصاد الهندى تقريبا ، وهو جانب كئيب من جوانب هذا الاقتصاد توجه إليه أشد الانتقادات داخل البلاد ، ولكن دون جدوى نظرا لعدم اكتراث من بيدهم الأمر ، إن الهند تواجه أسوأ أنواع الهياج الطائفى وتمر بفترة من الفاشية الاجتماعية ، ومن هنا يتم إبعاد المسلمين عمدا من مجالات النشاط الاقتصادى لكى يظلوا فى غياهب التخلف ، وقد جاء فى الدليل الاقتصادى الذى وضعه كوثارى ، أنه من بين ١٠٨٦ شركة عامة محدودة يبلغ رأسمالها المدفوع ٢٦٩٥٤ مليون روبية ومن بين ٩٠٥٦ مديرا للشركات لانجد سوى ١٦٢ مسلما أى بنسبة ١,٧٨٪ فقط ، ومن بين هذه الشركات البالغ عددها ١٠٨٦ شركة لايوجد مديرون مسلمون إلا فى ٨ شركات فقط أى بنسبة ٠,٧٣٪ من مجموع عدد الشركات ، ولايزيد رأس المال المدفوع لهذه الشركات الثمانية عن ٥٤,٩ مليون روبية أى مايعادل ٠,٢٪ من إجمالى رأس المال المدفوع ، وكذلك لاتوجد أغلبية من المسلمين فى مجالس إدارات الشركات إلا فى ٦ شركات فقط - ولايزيد رأس المال المدفوع لهذه الشركات الست عن ٤٠,٤ مليون روبية (أى بنسبة ٠,١٥٪) ، والشركات التى يوجد بها مدير مسلم لايزيد عددها عن ١٠٥ شركة ، وإن كان هذا الرقم يشمل أيضا المدراء الذين تعينهم الحكومة فى البنوك المؤممة وأمثالها من المؤسسات ، ويجب ألا يغيب عن البال أن هذه النسب المئوية المتدنية والتى لاتتجاوز ١,٧٨٪ أو ٠,٥٥٪ أو ٠,١٥٪ ، أقل بكثير مما تستوجبه النسبة المئوية لعدد المسلمين الذين تزيد نسبتهم على ١١٪ من مجموع عدد سكان الهند[١٩] .

والواقع أن غياب المسلمين عن مناصب المديرين فى عالم التجارة والصناعة مسألة ظاهرة بشكل واضح ، وقد أجرت مجلة Muslim India مسحا عينيا على أساس الإعلانات التى نشرت مؤخرا فى الصحف القومية لطلب ودائع ثابتة تبين منه أنه لايوجد فى الواقع مديرون مسلمون فى القطاع الخاص فمن بين ١٤٠ شركة صناعية خاصة يبلغ مجموع مديريها ١٤٠٦ ، يوجد ١٢ مديرا مسلما فقط أى بنسبة ٠,٥٪ ومن بين هؤلاء اثنان عينتهم الحكومة وواحد عينه البنك الاسلامى للتنمية ، واثنان من الموظفين ، ولاشك أن وجود ٧ مديرين فقط هو استثناء يؤكد القاعدة[٢٠] .

وإذا رجعنا إلى التقرير السنوى لمشروعات القطاع العام لسنة ٨١ – ١٩٨٢ نجد أن هناك ٦٠٢ من المديرين يعملون فى ٨٢ شركة صناعية تابعة للقطاع العام لايزيد عدد المسلمين بينهم عن ٢١ مديرا أى بنسبة ٣,٥٪ ، وهناك ٢٧ شركة صناعية أخرى لا تتوافر معلومات عنها ، وأبرز الحقائق التى تلفت النظر أنه لايوجد أى مسلم بين أعضاء مجالس الإدارات فى ٧٣ شركة من بين ما مجموعه ٨٢ شركة صناعية ، وأنه لايوجد سوى ٣٢١ مسلما بين كبار موظفى هذه الشركات البالغ عددهم ١٦٩١٨ أى بنسبة ١,٥٪ ، وليس للمسلمين أى وجود فى ما يقرب من ٤٦ شركة صناعية .

وجاء فى نشرة وزعتها لجنة الأقليات فى الهند بنيودلهى فى عام ١٩٨١ أن نسبة تمثيل المسلمين فى الوظائف والخدمات المختلفة أقل بكثير من نسبتهم العددية ، ففى ولاية أوترا برادش نجد نسبة المسلمين فى الشرطة و P . A . C . ٧,١٤٪ و ٦,٧٦٪ على التوالى أما فى السكك الحديدية وهى أكبر مصدر للعمالة فى البلاد ، فإن نسبة المسلمين بين مستخدميها ٥,٨٪ ونسبتهم بين أعضاء هيئة التدريس فى جامعة دلهى ٣,٧٥٪ ، وفى الوظائف الأخرى غير التدريسية ٠,٨٪ ، وفى الوظائف الفنية ٠,٧٪ ، وتتدنى هذه النسب إلى مستوى أقل بكثير فى الجامعات والمؤسسات التعليمية الأخرى فى الهند ، حيث نجد نسبة تمثيل المسلمين فى الإدارات والقضاء والشرطة والتعاونيات فى اندهرا براديش والبنغال نسبة تافهة فى الواقع ، ويعطى الجدولان (٤ و ٥) صورة صارخة لهذه الحقيقة على مستوى الهند كلها .

جدول ٤
نسبة المسلمين فى الخدمات الحكومية

اسم الخدمة	عدد الفروع/ سنة	المجموع	المسلمون	النسبة المئوية
الجهاز الإدارى الهندى	المجموع فى ٨١	٣٨٨٣	١١٦	٢,٩٩
دائرة الشرطة الهندية	شرحه	١٧٥٣	٥٠	٢,٨٥
ضريبة الدخل	١٩٧١ – ٨٠	٨٨١	٢٧	٣,٠٦
خدمات المحاسبة والنقل بالسكة الحديد	شرحه	٤١٥	١١	٢,٦٥
البنوك	١٣١٧ فرعا	١١٣٧٧٢	٢٤٧٩	٢,١٨
مكاتب الحكومة المركزية	١٠٥ مكاتب فى ١٣ ولاية	٧٥٩٥١	٣٣٤٦	٤,٤١
مكاتب حكومات الولايات	٨٧٦ مكتبا فى ١٣ ولاية	٨٢٦٦٦٩	٤٩٧١٨	٦,٠١
مشروعات القطاع العام المركزية وفى الولايات	١٦٣ مشروعا فى ١٣ ولاية	٧٧٦٩٧٢	٥١٧٥٥	١٠,٨٥
		١٥٨١٢٩٦	١٠٧٤٩٢	٦,٨٠

المصدر : نشرة أصدرتها لجنة الأقليات فى نيودلهى .

جدول ه

نسبة عدد الموظفين المسلمين فى فئات الوظائف المختلفة بالخدمات الحكومية

جهة العمـل	الفئة الأولى الكادر الإداري	الفئة الثانية الكادر الإشرافي (فنى)	الفئة الثالثة الإشرافي (غير فنى)	الفئة الرابعة العمـال
الحكومة المركزية	١,٦١	٣,٠٠	٤,٤١	٥,١٢
حكومات الولايات	٣,٣٠	٤,٤٨	٤,٦٢	٥,٣٥
مشروعات القطاع العام	٣,١٩	٤,٣٠	١٢,١٤	١٠,٤٦

المصدر : لجنة الأقليات فى نيودلهى .

وإضافة إلى ذلك فإن مجموع عدد الموظفين الذى يصل إلى ٨,٨٢,١٧٧ موظفا لايضم سوى ٦٦,٥٤٦ موظفا مسلما فقط أى بنسبة ٧,٥٤٪ فى الخدمات من الفئة الثالثة ، وأن مجموع عدد الموظفين فى خدمات الفئة الرابعة البالغ ٥,٦٦,٤٥٧ موظفا يعملون فى مختلف الدوائر الحكومية سواء فى الحكومة المركزية أو حكومات الولايات وكذلك شركات القطاعين العام والخاص بما فيها البنوك ، لايضم سوى ٤٤,١٣٩ موظفا مسلما أى بنسبة ٧,٧٩٪ وإنما يدل ذلك على أن ضآلة نسبة المسلمين فى الوظائف الحكومية والخدمات الأخرى بالقياس إلى نسبتهم العددية ، ويمكن القول بصفة عامة بأن نسبة المسلمين فى مصادر العمالة المختلفة المتوافرة فى البلاد لاتزيد بأى حال عن ٥٪ ، وهى نسبة تنطق بالحقيقة الواقعة ، فهى السبب الحقيقى لتخلف المسلمين الهنود وفقرهم .

د - التخلف التعليمى :

يعتبر التعليم من أهم الوسائل لتحقيق التنمية الاقتصادية ، وقد تأخر المسلمون كثيرا فى هذا المجال ، بل إنهم لايدرون شيئا عن التقدم الذى تحقق في مجالات العلوم والتقنية الحديثة ، فما زالوا يعيشون في العصور المظلمة وترى لجنة الأقليات الهندية أن المسلمين متخلفون فى المجال التعليمى بنسبة تزيد على عشرة أضعاف قرنائهم من أبناء الطوائف الأخرى فى الهند ، وتشير الأرقام التى جمعتها لجنة الأقليات عن عدد الملتحقين بالمدارس والكليات إلّا أن المسلمين لم يستفيدوا من

التسهيلات المتاحة إلا بنسبة ٧٢٪ على المستوى الابتدائى ، وبنسبة ٥٨٪ فقط على مستوى التعليم الأوّلى ، و ٣٣٪ فقط على مستوى المدارس العليا ، ففى الصف الثانى عشر بلغت نسبة المسلمين ٢٤٪ ، وفى برامج الدراسات الهندسية ٢٧٪ ، وفى الطب ٣٦٪ ، ومن ذلك يتضح أن المسلمين على مستوى المدارس العليا والمستويات الأعلى متخلفون بما يتراوح بين ٣ - ٤ أضعاف عن الطوائف الأخرى ، ومما يدعو للأسف أن عدد المسلمين الحاصلين على درجات علمية لايتعدى ٦٨ من مجموع الحاصلين على درجات علمية والبالغ ٣٦٣٣ خريجا ، أى بنسبة ١,٩٪ فى حين أن نسبتهم العددية تصل إلى ١٢٪ من مجموع عدد السكان وأشد باعث على الأسى فيما يختص بتوزيع الكليات أنه لا توجد كلية جامعية إسلامية واحدة فى ولاية غرب البنغال حيث يعيش أكثر من عشرة ملايين مسلم ، ويتضح الوضع المتردى للمسلمين فى مجال العلوم والتقنية عندما نعلم أن أكاديمية العلوم الهندية تضم ٤٨٨ عضوا ليس من بينهم سوى ٦ اعضاء مسلمين فقط أى بنسبة ١,٢٪ وهذا العدد نفسه نجده فى الأكاديمية الوطنية للعلوم التى تضم ٤٧٠ عضوا ، أى أن نسبة المسلمين بين أعضائها لا تزيد عن ١,٥٪ ومما يجدر ملاحظته أيضا أن أربعة من هؤلاء الأعضاء المسلمين يشتركون فى كلتا المؤسستين العلميتين .

وقد جاء فى تقرير لجنة جوبال سنغ أن معدل التسرب يبلغ ذروته بين المسلمين حيث يصل الى ٧٠٪ تقريبا ، وأن نسبة ضئيلة للغاية من المسلمين تصل إلى مستوى الدراسات الجامعية ، ونتيجة لذلك فان نسبة المتعلمين بين المسلمين تصل إلى ١٦٪ فقط بالنسبة للذكور ، وأقل من ذلك بالنسبة للإناث حيث لاتتجاوز ٧ - ٨٪ ، ومعنى ذلك أن ٨٤٪ من المسلمين و ٩٢٪ من المسلمات يعيشون فى غيابة الجهل وأن كل سبل التنمية والتطوير مغلقة أمامهم .

هـ - الصحة والأحوال الصحية :

إذا وقفت فى شارع مزدحم وراقبت المارة أمامك لمدة ساعة واحدة فسوف تشاهد ٥٠٪ منهم يرتدون ملابس رثة ، حفاة الأقدام وتشعر أنهم لايحصلون على قدر كاف من التغذية ، ويعلوهم الشحوب وتبدو عليهم علامات الإنهاك ، وأنهم يعانون من سوء التغذية ، ويحتاج الإنسان إلى مالايقل عن ٢٤٠٠ سعرا حراريا لتظل صحته فى حالة طيبة فى الريف ، وإلى ٢١٠٠ سعرا حراريا فى المدن ، ولكن ما يزيد على ٧٥٪ من السكان لايمكن أن يحلموا بذلك ، تلك هى الصورة العامة ، ولكن المشكلة تزداد تفاقما بالنسبة للمسلمين فهناك آلاف الأسر لاتجد سقفا تستظل به ، ولاتجد فراشا ترقد عليه ، ولا ملابس ثقيلة تحميها من البرد القارس فى الشتاء فهم معرضون دائما

لتقلبات الأحوال الجوية ، ويموت الآلاف من الناس من شدة البرد فى الشتاء ، وبسبب ضربات الشمس فى الصيف وبسبب الفيضان والأوبئة المختلفة فى موسم الأمطار ، ويصاب المئات من أطفالهم بالعمى كل سنة نتيجة لنقص فيتامين أ فى طعامهم . . . إن كثيرا من مناطق المسلمين تعانى من الإهمال الشنيع ، فلا توجد بها مرافق للإنارة أو لتغذيتها بالمياه ، ولاتوجد بها مراكز للخدمات الصحية ، أو شبكات للطرق أو تجهيزات لنقل القمامة ، وهى مناطق قذرة للغاية وعرضة لكل أنواع الأمراض ، كما أن الحياة فى الريف أشد تعاسة من حياة المدن ، فهناك هوة واسعة بين المدن والمناطق الريفية فإذا كانت المدن تعطى صورة سيئة ، فإن حياة الريف أسوأ بكثير ، وقد أجرى مسح للاحياء الفقيرة فى كلكتا بمعرفة الدكتور عباس صديقى الباحث بإدارة الأنثروبولوجيا فى الهند ، كشف النقاب عن أن مايتراوح بين ١٠ — ١٨ فردا من المسلمين يعيشون تحت سقف واحد لا تزيد مساحته عن ١٠ أقدام مربعة ، مما يشكل خطرا على أحوالهم الصحية وأخلاقهم أيضا ، ويعانى ما يقرب من ٧٥٪ من المسلمين ذكورا وإناثا من مرض السل والأمراض المزمنة الأخرى .

النتيجة :

استنتاجا مما تقدم نجد أن الأوضاع كلها تعكس صورة كئيبة للغاية للحالة الاقتصادية للمسلمين الهنود ، فهم متخلفون في كل مجال من مجالات النشاط الاقتصادي تقريبا ويعيشون في فقر مدقع ، وتتسم أوضاعهم المعيشية بسوء التغذية والأمية والمرض وارتفاع وفيات المواليد ، وارتفاع معدل البطالة وانخفاض متوسط العمر المتوقع ، مما يجعل حياتهم لا تتوافر فيها مقومات الحياة اللائقة بأي تعريف معقول لمثل هذا النوع من الحياة ، ولهذا السبب فهم محرومون من العيش الكريم وسط الطوائف الهندية ، وهم مسئولون قبل غيرهم عن هذا الوضع المتردي ، حيث تنقصهم الشجاعة والثقة والقوة والوحدة والوعي الاقتصادي السليم والتنظيم ، وكلها عوامل ضرورية وأساسية لبناء الأمة .

الوسائل والسبل :

بعد أن بينت هذه الدراسة أن المشكلات الاقتصادية للمسلمين الهنود متشعبة للغاية وحادة ومعقدة وعميقة الجذور ، فإن أمثال هذه المشكلات لا يمكن حلها بطريقة عشوائية ، لأنها تحتاج إلى جهود منسقة وتخطيط قصير المدى وآخر طويل المدى لتحسين الوضع بأكمله ، وقد اقترحت المحافل المختلفة العديد من المشروعات لإصلاح الموقف ، ولكن يؤسفنى أن أقول أن أيا من هذه المقترحات لم يؤخذ على محمل الجد وأنه لم تبذل مطلقا أية محاولة حقيقية لحل هذه المشكلات ومنذ بضع

سنين اتحد أعضاء البرلمان المسلمون البالغ عددهم ٤٥ نائبا متجاوزين الارتباط الحزبي للبرلمان السابق وقدموا مذكرة إلى رئيسة وزراء الهند الراحلة والتى اهتمت بما حدث وأبدت اعتراضا شديدا على تلك الخطة وحظرت على أعضاء حزبها الاشتراك فى مثل هذه الاجتماعات مستقبلا ، كما أثارت الصحافة الوطنية ضجة شديدة بسبب هذه الخطوة وأحبط المشروع بأكمله فى نهاية الأمر ، ويستفاد من ذلك أنه يتعين على المسلمين إذا أرادوا إصلاح الأوضاع وإزالة المظالم الواقعة عليهم أن يكونوا متحدين سياسيا ،وأن يكونوا أقوياء ، وطالما أننا نعيش فى مجتمع مختلط ، فإن عليهم أن يبذلوا أقصى جهدهم لكسب أغلبية الرأى العام الديمقراطى الليبرالى حسن النية لتكوين مجموعة ضغط مشتركة داخل البرلمان وخارجه ، والقيام بحملة واسعة النطاق لتوعية الأهالى بحالتهم وحقوقهم والمظالم الواقعة عليهم ، فالهنود بصفة عامة قوم لبراليون إلى حد كبير ويميلون للتوفيق إذا ماتم تبنى القضايا ومتابعتها الصحيحة التى يمكن أن تحقق بعض النتائج الإيجابية فى المستقبل القريب . ولا يمكن حل مشكلات المسلمين الهنود بالطرق السياسية وحدها ، فمن الضرورى للغاية إيجاد وعى اجتماعى وإقامة تعاون بينهم . وهو ماتدعو إليه الحاجة الآن ويتطلب حركة اتصالات واسعة النطاق ، ويجب أن يخرج المسلمون من مواقعهم الهامشية المحددة ويظهروا قوتهم بجرأة على مسرح السياسة الوطنية ، ويجدر بالزعماء المسلمين ، أن يعوا ذلك وأن يكيفوا دورهم بما يتفق مع الظروف الراهنة .

ولدى بعض الاقتراحات للقضاء على التخلف الاقتصادى للمسلمين الهنود أعرضها فيما يلى :

حلول قصيرة المدى :

١ – يجب إنشاء مؤسسة مالية للأقليات على غرار ما حدث في جوجرات وأوترا برادش وبيهار ، وذلك في جميع الولايات لتقديم قروض قصيرة ومتوسطة الأجل للمسلمين من التجار ورجال الأعمال والصناع المهرة والمزارعين والشباب المتعطل ، وينبغي تقديم هذه القروض بشروط سهلة ، ويجب أن تقدم بدون فوائد والاستعاضة عن ذلك بنظام المشاركة في الأرباح ، وإذا لم يكن ذلك ميسورا في الوقت الراهن ، فيجب تقديمها على أساس السعر التفاضلي للفائدة لجميع الفئات من التجار ورجال الأعمال .

٢ – يجب أن يتولى إدارة لجنة الأقليات الهندية أشخاص من ذوي السمعة الطيبة في صفوف طوائفهم التي ينتمون إليها ، على أن يمنحوا وضعا قانونيا يخولهم سلطات واسعة على نحو ما وعد به الحزب الحاكم في بيانه الانتخابي ، وينبغي أن تكون اللجنة هي المكان الصحيح لعلاج جميع المشكلات الحقيقية للأقليات وخاصة المسلمين على الفور وبطريقة فعالة .

٣ ـ طبقا لما اقترحه المستر ن . سي . ساكسينا السكرتير المشترك للجنة الأقليات الهندية ، يجب أن يمثل المسلمون تمثيلا عادلا في مجالس الاختيار العاملة في مختلف الهيئات الحكومية وشبه الحكومية لضمان إنصافهم في المعاملة وحمايتهم من التمييز .

٤ ـ بغض النظر عن المنافسة العامة يجب تخصيص مالا يقل عن ١٠٪ من الأماكن للطلاب المسلمين في جميع البرامج المهنية والفنية ، حفزا لهم على الاشتغال بالمهن الحرة والاعتماد على أنفسهم .

٥ ـ يجب أن يغرس في نفوس المسلمين الإحساس بالمنافسة ، وفتح فصول دراسة لتعليم الخدمات من الفئتين الأولى والثانية من جانب المنظمات والمؤسسات الإسلامية في كل المدن الكبرى في البلاد وتجهيزها بالوسائل الكفيلة باجتذاب الشباب المسلم في كل أنحاء الهند ، ويجب أن تقدم الحكومة من جانبها الدعم المالي والفني لهذه المراكز .

٦ ـ يجب فتح مكتب توظيف ومركز توجيه في كل مدرسة . وكلية إسلامية لتزويد الطلاب والشباب المسلم بالمعلومات والتوجيه الصحيح لتحسين مستواهم التعليمي وتعريفهم بمجالات العمل المناسبة داخل البلاد وخارجها .

٧ ـ يجب أن تنشر الحكومة جميع التقارير التي وضعتها اللجان المختلفة ورفعتها إليها منذ سنوات ، وأن تعلن موقفها الصريح من هذه التقارير بتحديد ما تقبله وما ترفضه منها ، ويجب أن ينشر على الأقل تقرير لجنة جوبال سنغ على الفور ، ويجب على أقل تقدير قبول توصية هذه اللجنة بإنشاء جهاز دائم لضمان توفير الحماية للأقليات ولضمان حصولهم على المنافع التي توفرها الامتيازات المختلفة للمواطنين بصفة عامة ، وذلك لبث الشجاعة والثقة في نفوس أفراد الأقليات لكي يبدأوا حياة جديدة تحدوهم آمال وتطلعات جديدة .

٨ ـ يجب بذل الجهود من جانب الحكومة من المنظمات الإسلامية للإعلان عن التسهيلات والحوافز المتاحة لتنمية الطائفة تعليميا واقتصاديا مع التحقق من استفادة طائفة المسلمين من هذه التسهيلات على أوسع نطاق .

٩ ـ يجب إحياء نشاط وحدات الأقليات التابعة لوزارة الداخلية وتزويدها بالوسائل الفعالة ، مع تمثيل المؤسسات التعليمية والاجتماعية الإسلامية في هذه الوحدات .

١٠ ـ يجب متابعة التوجيهات التي تصدر بين الحين والآخر من سكرتارية رئيس الوزراء إلى حكومات الولايات وإدارتها المختلفة لمعالجة مشكلات المسلمين وحل قضاياهم ، متابعة دقيقة ، كما ينبغي تكوين رأي عام مستنير لمنع التراخي في التنفيذ وإحاطة رئيس الوزراء والجمهور علما بذلك ليتسنى إتخاذ الإجراءات الفورية الفعالة .

وفي اعتقادي أنه إذا تم تنفيذ هذه الاقتراحات بالطريقة السليمة ، فإن كثيرا من المشكلات

الاقتصادية المؤقتة بطبيعتها سوف يسهل حلها ، ولكن مثل هذه الإجراءات تحتاج للإخلاص سواء من جانب الحكومة أو من جانب طائفة المسلمين أنفسهم ، كما أن نجاحها يتوقف على حسن نية طائفة الأغلبية التي يجب أن نعد برنامجا خاصا لكسب تأييدها .

حلول طويلة المدى :

١ ـ يجب أن يعلن أن المسلمين والهنود بصفة عامة متخلفون اقتصاديا ، ويجب أن تخصص لهم ١٠٪ من المرافق والتجهيزات في كل الخدمات الحكومية وشبه الحكومية .

٢ ـ يجب تقديم مساعدات مالية طويلة الأجل بالإضافة إلى المساندة الفنية وتسهيلات التسويق للصناعات التقليدية الصغيرة لدعمها وتطويرها كما يجب توفير الحماية السليمة لها من المنافسة التي تقضي عليها .

٣ ـ يجب تشكيل هيئة دائمة من الاستشاريين مع توفير الدعم المالي في مناطق المسلمين من أجل إقامة صناعات صغيرة بالاعتماد على الموارد المحلية وضمان الأسواق لبيع منتجاتها في وقت مبكر مع تحقيق ربح مجز .

٤ ـ يتعين على الحكومة إقامة صناعات صغيرة ومتوسطة وكبيرة فى جميع المناطق التسع و الثلاثين التى يعيش فيها عدد كبير من المسلمين بهدف تنمية هذه المناطق .

٥ ـ يجب إعداد صيغة منطقية على غرار صيغة جارجيل لتوزيع الاعتمادات المالية الخاصة بخطط التنمية على مناطق الهند على أن يراعى في ذلك ضمن الاعتبارات الأخرى التخلف الاقتصادي والتعليمي والصناعي للمناطق ـ وكذلك تحسين أحول الأقليات والطوائف الضعيفة الأخرى بهدف توفير مزيد من الأموال لتنمية هذه المناطق المتخلفة التي يوجد بها عدد كبير من المسلمين وغيرهم من الطوائف الضعيفة من سكان الهند .

٦ ـ إن الأوقاف التي تصل قيمتها إلى مئات الملايين من الروبيات وتدر ألوف الروبيات سنويات تدار بطريقة خاصة ويساء استعمالها ، ويجب تسليمها للمسلمين ، ويجب إجراء حصر لجميع هذه الممتلكات ووضع خطة خمسية شاملة لتحقيق الرفاهية لأبناء الطائفة ، وسوف يثبت أنها ستسهم في حل مختلف المشكلات الاقتصادية والاجتماعة والتعليمية التي تعاني منها طائفة المسلمين بأسرها .

٧ ـ يجب وقف الاضطرابات الطائفية نهائيا ، ويلزم تشكيل قوة لمكافحة الاضطرابات بحيث يشكل المسلمون ٥٠٪ من أفرادها ، ويجب أن ينص على منح تعويض بنسبة ١٠٠٪ عن فقد الأوراح والممتلكات كما يجب فرض ضريبة تأديبية على أن ينفذ ذلك بكل صرامة .

٨ ـ يجب أن تقوم الحكومة بحملة واسعة النطاق سواء على المستوى المركزي أم على مستوى الولايات لجعل المسلمين طرفا في عملية التقدم والتطوير من خلال توفير الحوافز والمزايا والحماية اللازمة لبث روح الشجاعة والثقة في نفوسهم باشتراكهم في عملية التنمية الوطنية .

ماالذى يمكن أن تفعله طائفة المسلمين :

لقد أخبرنا القرآن الكريم أن الله جل وعلا لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وتلك هى سنة الله فى خلقه ، وفيما يختص بتحسين أحوال المسلمين الاقتصادية ، فإنه يتعين على مسلمى الهند أن يغيروا أساليبهم فى الفكر والعمل ، ونسوق فيما يلى بعض الاقتراحات فى هذا الصدد :

١ ـ يجب أن تفتح الطائفة فصولا دراسية مزودة بكل التجهيزات في كل المدن الكبرى لإعداد شبابها وطلابها للعمل في الخدمات من الفئتين الأولى والثانية .
٢ ـ يجب إنشاء عدد كاف من المدارس والكليات والمعاهد الفنية والكليات متعددة الفنون وخاصة في المناطق التي تتركز فيها الأقليات ، وينبغي للحكومة المركزية وحكومات الولايات أن تبادر بالموافقة على إقامة هذه المؤسسات وتقديم الدعم المالي لها .
٣ ـ ينبغي تشكيل هيئة من رجال الاقتصاد ورجال الأعمال والاختصاصيين التقنيين المسلمين للإشراف على وضع خطة للنهوض بالصناعات التقليدية التي يمارسها المسلمون ، وخاصة ما يتعلق بمسائل التمويل والوسائل الفنية والتسويق وخلافه .
٤ ـ يجب إقامة حركة تعاونية في مجتمع الطائفة ، وينبغي لأبنائها تأسيس مشروعات مشتركة على غرار شركات المحاصة وعلى أساس المشاركة في الربح .
٥ ـ يتعين على المسلمين الذين يعملون خارج البلاد ويحصلون على رواتب طيبة أن يؤسسوا صندوقا خاصا بهم لتقديم الدعم المالي للمسلمين من مواطنيهم في مجالات التعليم والصناعة وخدمات الرعاية الاجتماعية .
٦ ـ يجب ترشيد نظام الزكاة بأسره ، وينبغي جمع الزكاة وإنفاقها بطريقة منظمة ، وينبغي وضع خطة لتحقيق الرفاهية لأبناء الطائفة واستغلال الأموال في تنفيذها ، وبذلك يمكن حل كثير من مشكلات الفقر والجهل والتسول والبطالة .. إلخ .
٧ ـ وأخيراً وليس آخراً هناك التصرفات السلبية ، فينبغي أن يسود شعور الجماعة في المجال الاقتصادي ، وعلى الموسرين أن يضعوا حدا لاستهلاكهم وأن يتجنبوا كل أشكال الإسراف والتبذير لضمان تحسن الأوضاع الاقتصادية لطائفتهم .

ولاشك أنه يفهم تماما أن ما تقدم من مقترحات وأفكار وضعت على افتراض وحدة

صفوف الطائفة الإسلامية ، والتى بدونها تصبح الإجراءات المقترحة خداعا وتضليلا وتنتهى بالفشل الذريع .

مسئولية العالم الاسلامى :

المسلمون أمة واحدة ، وقد شبهها الرسول الكريم ﷺ بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ومن هذه الزاوية لايسع العالم الإسلامى أن يتهرب من مسئوليته الأدبية تجاه الأمة بمعناها الواسع أينما كانت تعيش فى أى جزء من العالم سواء على هيئة أغلبية أم أقلية ، فإذا كان المسلمون أقلية ، فإن مسئولية العالم الإسلامى تكون ذات شقين ، الأول تقديم المساندة المعنوية لدعمها ، والثانى تقديم الدعم المادى لتنميتها بطريقة صحيحة وفيما يلى بعض الاقتراحات فى هذا الصدد :

١ ــ يجب أن تقدم المجتمعات والاتحادات والمراكز الإسلامية المختلفة كل سبل التعاون للأقليات المسلمة في المجالات الاقتصادية والثقافية والدينية والتي قد تتطلب الاتصال بالحكومة الهندية لتقديم نوع من المساعدة المباشرة للجالية المسلمة في مجالات الأعمال التجارية والصناعة والعمالة والتعليم ... إلخ كأن يدخلوا على سبيل المثال في مشروعات مشتركة بالتعاون مع الحكومة الهندية بشرط أن يكون ٥٠٪ على الأقل من العاملين في هذه المشروعات من أفراد طائفة المسلمين .

٢ ــ بناء على ما اقترح في ندوة بيروت عن الأقليات المسلمة يجب أن يقدم العالم الإسلامي المنح الدراسية للطلاب والفنيين والباحثين والمثقفين المسلمين وبصفة خاصة في مجالات العلوم والزراعة والعلوم الحيوية وأبحاث البيئة وتقنيات الفضاء والفيزياء المتقدمة والرياضيات والميكروبيولوجيا والهندسة البتروكيماوية وعلوم الطيران والاقتصاد وغيرها ، سواء داخل البلاد أم خارجها ، وقد بدأ البنك الإسلامي للتنمية في تقديم بعض المنح الدراسية لطلاب الطب والهندسة في الهند ، ولكن ينبغي ترشيد المشروع بكامله بحيث يتم التوسع في الأعداد والتخصصات التي يشملها المشروع ، وعلى أن تعطى الأفضلية للطلاب الفقراء النابهين من ذوي التحصيل العلمي الإسلامي .

٣ ــ يجب أن تعطى الأفضلية للشباب المسلم في التوظيف في الدول الإسلامية ، ويجب أن يعاملوا معاملة حسنة مع المحافظة على كرامتهم ، وإنني أطالب الأمة الإسلامية أن تساعدهم على احترامهم لذواتهم .

٤ ــ وأود أن أقترح على العالم الإسلامي مجتمعا ، أن يؤسس صندوقا موحدا يودع فيه ١٪ فقط من مجموع دخله العام في السنة لمساعدة الأقليات المسلمة في العالم وخصوصا

في مجالات التعليم الديني والدنيوي وللنهوض بمستواها الاقتصادي .

هذه هي اقتراحاتي المتواضعة ، وطالما أن الطائفة نفسها ينقصها العزم والتصميم على حل مشكلتها عن طريق تنظيم نفسها والحصول على المساعدة من الدول الشقيقة ، فإن السيناريو لن يتغير .. ولذلك فإن هناك حاجة ماسة وملحة لإعادة تشكيل تفكيرنا بأكمله وبذل جهود منظمة على الصعيدين الوطني والدولي لكي يستعيد المرء ثقته ومكانته ويمضي قدما إلى الأمام .

NOTES

1 . Syed Sadaquat peeran , **Background paper on general programming and implementation .**

2 . Passive Voice ; L . K . Gauba .

3 . Educational Survey **report on Muslim managed schools and coleges in India .**

4 . Dr . Abdul Moiz Manzer , Quoted from **Muslim Education and Employment in India** (Radiance : Feb . 1985) .

5 . Census Report 1981 .

6 . Muslim India , June 1983 .

7 . M . J . Akber , **India : ANation within Besiege .**

8 . Very recently Muslims in Kerala did not withdraw their interest on their deposits voluntary . The practice was very common in preindependence era . Tahe bank authorities declaring it unclaimed money handed over to christian missionaries for the promotion of christianity in India . After that some Ulama gave the verdict that Muslim depositors might withdraw the interest but that should strictly be handed over to poor and destitute of community without any intention of getting award from Allah . In no case they spend the amount on themselves .

9 . **Socio - Economic survey of Ahmadadad City .**

10 . C . A . Abdus Salam , **Socio - Economic problems of Indian Muslims .**

11 . Ibid .

12 . Ibid .

13 . Ibid .

14 . **Journal of Institute of Muslim Minority Affairs** , Jeddah , King Abdul Aziz University .

15 . C . A . Abdus Salam , **Socio - economic problems of Indian Muslim .**

16 . In India there are four caste categories of Hindus . According to Hindu Mythology the Brahmins , Rajputs , Bhumihar and others are upper caste , because they have come out from the headed Arms of the Brahama (the creator) . So they are called caste Hindu a superior most community . On the other hand there are untouchables and lower caste hindus to whom they believe have come from the feet of Brahma . So they are low caste Hindus . They are also called non - caste Hidndus .

17 . Setwin society Report .

18 . J . I . Laliwala , **Report on Socio - Economic survey of Muslims of Ahmadabad city .**

19 . C . A . Abdus Salam Article .

20 . Muslim India Sept . 1983 .

الفصـــل الســـابـع

المسـلمون في إفريقيـا



دراسة عامة عن الأقلية الإسلامية في ليبيريا

بقلم محمد خميلو

دراسة عامة عن الأقلية الإسلامية في ليبيريا

محمد خميلو

مقدمة :

يهدف هذا البحث إلى إلقاء نظرة عامة على ثلث سكان ليبيريا من المسلمين من ناحية الخلفية التاريخية والتعليم والنشاط الاقتصادى والحياة الاجتماعية والثقافية والاهتمامات السياسية والدين والاتجاهات المختلفة . وسنورد التوصيات جنبا إلى جنب مع التعليقات على هذه الجوانب ، وحيث أنه لا تتوفر الدراسات الكافية التي تبرز مختلف الاتجاهات الدينية فإننا سنورد القليل من الإحصائيات . ولما كانت ليبيريا دولة صغيرة (عدد سكانها ١,٨ مليون نسمة ومساحتها ١١١,٣٦٩ كيلو مترا مربعا) فإنه ليس من الصعب عمليا ، على أية حال ، التوصل إلى نتائج عامة من خلال الملاحظة .

إنه طبقا للإحصائيات التي نشرتها المؤسسة الإسلامية في لندن ، فإن ليبيريا تعتبر إحدى دولتين في غرب افريقيا (والأخرى هي غانا) بها أقلية إسلامية . ومن ثم فإن ليبيريا تعتبر ذات وضع غريب من الناحية الإقليمية . ففى ليبيريا ، ربما أكثر من أى دولة أخرى في غرب افريقيا ، يعتبر كون الإنسان مسلما وصمة خطيرة . فلقد كانت ليبيريا رسميًا وعمليًا دولة مسيحية قبل ثورة أبريل ١٩٨٠م .

وقد نص الدستور الجديد ، الذي سيسري مفعوله بعد عودة البلاد إلى الحكم المدني عام ١٩٨٦م ، على إقامة الجمهورية الثانية على أسس غير طائفية . غير أن الأوضاع القديمة لا تزول إلا بصعوبة . ومازال الإسلام حتى وقتنا الحاضر غريبا فى ليبيريا بصفة عامة وقد كان لهذه الحقيقة أثرها البالغ على جوانب حياة المسلم فى بلادنا كافة .

خلفية تاريخية :

تتبع الإسلام فيما يسمى الآن بليبيريا إلى أوائل القرن السابع عشر . ويشير **يمكن** المؤرخ الأوربي (دابر) إلى ملك مانو ، وهو من قبيلة الماندنجو ، على أنه كان أعظم حاكم في ليبيريا عام ١٦٢٦ . كما وصف مؤرخ أوربي آخر في أوائل القرن الثامن عشر ، وهو جون سنويك ، سكان كيب ماونت في أقصى الطرف الغربي من ليبيريا بأنهم كانوا يلبسون ثياب قبيلة الماندنجو(١) وربما ينحدر هؤلاء السكان من قبيلة الفاي . وفي هذه الفترة كانت قبيلة الماندنجو تعتنق الدين الإسلامى منذ زمن طويل ، وترجع أصول قبيلتي الفاي والماندنجو إلى دولة مالي الحديثة . وتؤكد أغلب التقارير التقليدية أن قبيلة الفاي هي مجرد فرع من قبيلة الماندنجو . وينبغي أن نوضح هنا أنه في الوقت الذي تنتشر فيه سلالة قبيلة الماندنجو بكثرة في غينيا ومالي والسنغال وجامبيا وسيراليون وساحل العاج فإن سلالة قبيلة الفاي موجودة فقط في ليبريا وشرقي سيراليون وعلى امتداد حدود ليبيريا .

وقبل وصول العبيد الافريقيين المحررين من الأمريكيين ، كان السكان الذين يعيشون على الساحل الليبيرى على اتصال بالأوروبيين بما فى ذلك البرتغاليين والهولنديين والبريطانيين ، وذلك منذ أواخر القرن الخامس عشر .(٢) وقد أنشئت جمعية الاستيطان الأمريكية التي نظمت وساعدت على إعادة توطين العبيد السابقين بالمنطقة المعروفة حينذاك بساحل الحبوب عام ١٨١٦ برئاسة بوشرد واشنطن حفيد الرئيس الأمريكي الأول جورج واشنطن وقد وصل المستوطنون الأوائل عام ١٨٢١. (٣) وفي ذلك الوقت كانت أقوى القبائل التي تسكن المنطقة التي تضم غينيا وليبيريا وسيراليون هي قبائل الماندنجو والفولاني والتي تتكون غالبيتها من المسلمين .(٤)

وقد كتب أبو يامي كاسل في تاريخه عن ليبيريا يقول :

في أوائل عام ١٨٢٧ أعرب الملك بوتسوين عن رغبته في الدخول في علاقات صداقة مع مستعمرة (ليبيريا) . وقد كان رئيسا لبلاد الكوندو التي تسمى بوبولو حاليا ، وقد أنشأ فيها هو أو والده مستوطنة لقبيلة الماندنجو عندما وصل المستوطنون الأوائل واجهوا القبائل التي تحتل المنطقة التي تسمى مونروفيا حاليا ، وهي قبائل الداي والجولا والكواه .

وقد كان استقباهم غير ودى ووقعت بعض المناوشات الحربية قبل أن يتمكن المهاجرون من الاستقرار وإنشاء مستوطنة لهم(٥) ويبدو أن شعب الماندنجو كان أكثر ثقة بنفسه ، وكان يتطلع أكثر إلى الإمكانيات الجديدة للتجارة دون أدنى خوف من أن

يعكر الغرباء صفو حياته . ولقد كان ذلك قبل أن يلحق الفرنسيون الهزيمة بساموري توري ويحتلوا غينيا حيث كانت توجد قبيلة الماندنجو .

وقد كتب كاسل يصف الوضع عام ١٨٤٣ قائلا :

« كان عدد كبير من التجار المسلمين من قبيلة الماندنجو يدخلون الجزء الشمالي الغربي من ليبيريا ، وقد بدأ رجال الدين حملة نشطة لتحويل الأهالي عن دينهم ، وكانت قبيلة الفاي قد اعتنقت بالفعل بعض مبادىء الإسلام دون التخلي عمليًا عن معتقداتها وتقاليدها القبلية القديمة ، وقد اعتنق الجولا الدين الجديد ، في حين أن الداي والقبيلي والكرو ظلوا بعيدين عن هذه الأمـور ».

ومن الواضح أن كاسل مثل غيره من الليبيريين لم يكن متأكدًا من أصل الفاي . وهناك إجماع بين الماندنجو المعاصرين على أن الفاي قد نشأوا عن طريق التمازج بين الماندنجو والجولا ، وذلك قبل وصول الأمريكيين الافريقيين . وقد احتفظ بعض من الجولا ، الذين لم يتعرضوا للتمازج ، بهويتهم الأصلية . وجاء تحولهم إلى الإسلام بشكل تدريجي اعتبارًا من أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن الحالي . ويوجد تمازج كبير في المناطق الجنوبية الغربية من ليبيريا حيث تعيش هذه القبائل الثلاث . ولما كان الفاي والجولا يعيشون أصلا في ليبيريا فقد تجنبوا وصفهم بالأجانب ، وذلك باستثناء من يشك فى أن لهم علاقات مع الماندنجو أو المندي (وهي قبيلة كانت تعيش في سيراليون) . وقد ظل الماندنجو الهدف الدائم لمختلف أنواع المعاملة السيئة ، كما ظل وصفهم بالأجانب هو الأمر السائد والمستمر . والحقيقة أن الماندنجو قد دخلوا ليبيريا من غينيا وكانت نشأتهم الأصلية في مالي . كما أن الماندنجو الليبيريين كانت لهم صلات عائلية في غينيا فـي الـوقت الـذى تأسست فيه جمهورية ليبيريا عام ١٨٧٠ . ولكن الحقيقة أيضا أن الماندنجو قد استوطنوا في المنطقة التي تبعد نحو ١٠٠ كيلومترًا شمال غربي مونروفيا لمدة لا تقل عن ١٧٥ عاما . وفي وقت من الأوقات ــ حوالى عام ١٨٧٠ ــ كان جزء كبير من المنطقة التي أطلق الفرنسيون عليها فيما بعد اسم غينيا يشكل جزءا من ليبيريا ، وذلك نتيجة للاتفاقية التي عقدت بين ملك الماندنجو ، إبراهيم السيسي ، والحكومة الليبيرية .[٦] ومن المحتمل أن تكون بعض القبائل الليبيرية الكبيرة قد قدمت إلى ليبيريا قبل الماندنجو . ولكن من المعروف أن قدوم القبائل الأخرى قد تزامن ، بشكل أو بآخر ، مع قدوم الماندنجو . وتشمل هذه القبائل اللورما والقبيلي والقيسي . ومن الواضح من مظهرهم الجسماني أن الماندنجو يمتون بصلة قرابة بعيدة إلى العرب . وهذا صحيح على وجه الخصوص بالنسبة للمهاجرين الجدد من المناطق الاستوائية شمالي غينيا ومالي . كما أن ملابسهم التقليدية وديانتهم تتطابق مع ما هو سائد فى مناطق الغابات بغرب افريقيا . وفى حين أن القبائل ذات الأثر الفعال مثل الجريبو والكرو والباسا والكراهن والجولا يمكن تصنيفها في مجموعة لغوية واحدة ،

فإنه من الواضح أن الماندنجو ينحدرون من أصل مختلف . ومن المعتقد ، على وجه العموم ، أنه فضلا عن جذورهم العربية ، فإن لهم صلات عرقية مع التوريج .

ولقد عاش الماندنجو خلال فترة نزوحهم جنوبا إلى داخل ليبيريا جنبا إلى جنب مع قبائل القبيلي واللورما والداهن والمانو والجولا .[٧] وكما ذكرنا من قبل ، فإنه من المحتمل أن يكون التزاوج مع الجولا قد نتج عنه الفاى ، وأن التزاوج مع القبيلي قد نتج عنه فرع من الفاي يطلق عليه عادة اسم ماندينجو ــ قبيلى . وتتحدث هذه الشعوب غالبًا لغات الماندنجو والقبيلي والفاي ، والجولا في بعض الأحيان . ونظرا لأن الشريعة الإسلامية تحرم زواج النساء من غير المسلمين ، فإن رب العائلة يكون دائما مسلما ، وبالتالى فإن الذرية تتبع غالبا التعاليم الإسلامية . ويلعب التمييز الطائفي ، بشكل تقليدي ، دورًا كبيرًا فى مجتمع الماندنجو . وقد أثرت هذه الظاهرة ، بصورة عكسية ، على عناصر التماثل والتشابه وخاصة فيما يتعلق بمسألة التمازج بين الأجناس . كما أن التفكير الطائفي قد أدى إلى نقل أفكار زائفة عن الإسلام مما حدا بمعتنقيه إلى اتخاذ موقف اللامبالاة من الدين وأحيانا موقف الرفض له . ولما كان الانتماء إلى الماندنجو قد أدى ، على مر السنين ، إلى إلحاق الكثير من الأضرار الاجتماعية والسياسية بهم ، فقد كان من ينحدرون من آباء مختلطين يفضلون أحيانا الانتساب إلى سلالة آبائهم . وهذه هي بعض العوامل التي ساعدت على أن يكون الفاي أقل مقاومة للاستيعاب داخل الثقافة الليبيرية ــ الأمريكية . وحيث أنه لا تتوافر الإحصائيات الكافية عن عدد حالات الردة عن الدين خلال السنوات الماضية ، فإنه يمكن القول بأن المرتد عن دينه من الماندنجو يصير محل ازدراء واحتقار . أما بين الفاي فإن ترك الإسلام قد صار أمرًا شائعًا بحيث لم يعد يمثل وصمة خطيرة .

ومنذ بداية الجمهورية الليبيرية لم يكن الحصول على حق المواطنة يتم بمجرد الميلاد داخل حدود ليبيريا . فقبل كل شيء كان المستوطنون فقط هم الليبيريون ، وكان يمكن للمرء من خارج جماعة المستوطنين أن يكون ليبيريا إذا اعتنق الديانة المسيحية واكتسب صفاتها وتقاليدها . ومنذ عهد الرئيس الراحل وليم توبمان (١٩٤٤ ــ ١٩٧١) أصبح من الممكن بالنسبة لجميع الأشخاص الذين هم من أصل زنجي والمولودين داخل حدود الجمهورية أن يكونوا مواطنين بصورة تلقائية . وقد كانت « سياسة التوحيد » التي اتبعها توبمان تهدف إلى وضع كل فرد فى الاتجاه الرئيسى لليبيريا المسيحية . ولما كان توبمان سياسيا ثاقب الفكر ، فقد كان يحترم المسلمين ولا يضيق عليهم أو يخيفهم . ولكن لم يحدث أن شغل أحد من المسلمين منصبًا وزاريا فى حكومته . وقد كان أول الليبيريين القبليين الذين يشغلون مناصب وزارية من الماندنجو هو مومولو دو كولى وزير الخارجية الراحل (١٩٥٤ ــ ١٩٥٦) ، وكان الثاني من الفاي وهو ناثانيال فارني ماسكوي وزير التعليم العام الراحل (١٩٥٢ ــ ١٩٥٦) .[٨] ولكن لم يكن أي منهما مسلما .

والجدير بالذكر أن عائلة دوكولي عائلة مسلمة بارزة ، والرئيس الحالي لمنظمة الشباب المسلم في ليبيريا هو حفيد وزير الخارجية الراحل .

وقد كان من المعتاد القول بأن هناك ثلاثة أعمدة للسياسة الليبيرية هي : المحفل الماسوني والكنيسة وحزب الأحرار (الهويج) . وإذا لم يكن المرء عضوًا بارزًا في هذه التنظيمات الثلاثة فإنه لا يمكن أن يكون له أي مستقبل سياسي . ومن ثم فإنه لم يكن هناك مكان للمسلمين في مثل هذا النظام .

إن الدكتور ادوارد ويلموث بلايدن الذي يعتبر بلاشك أشهر العلماء الليبيريين والذي وصفه الرئيس النيجيرى السابق الدكتور نامدى ازيكوي بأنه « ليس فقط واسع المعرفة ولكنه من أعظم الافريقيين في كل العصور » ، هو الليبيري الوحيد ذو المكانة التاريخية البارزة الذي أبدى اهتمامًا كبيرًا بالإسلام . وقد قدم الدكتور بلايدن ، الذي عاش فى الفترة من ١٨٣٢ إلى ١٩١٢ ، إلى ليبيريا من جزر الهند الغربية وعمره ١٩ عاما . وتعلم اللغة العربية في جبل لبنان . وعلى مر السنين أخذ الدكتور بلايدن يزداد تحررًا من وهم المجتمع الليبيري ــ الأمريكى . فقد كتب عام ١٨٧٧ يقول :

« إنني على يقين من أنك إذا زرت تلك المستوطنات الواقعة على الساحل ثم زرت المقاطعات الإسلامية في الداخل ، فإنه لن يسعك إلا أن يتولد لديك أمل كبير فى أن تقوم كنيسة مسيحية فعالة فى تلك المقاطعات الأخيرة » .

وفي الوقت الذي كان فيه السود يحاربون من أجل الاعتراف بهم كجزء شرعي من الجنس البشري ، كان بلايدن يرى فى مسلمى غرب افريقيا وخاصة الفولانيين دليلا على تفاهة ما يدعيه البيض من دونية السود . وقد أقام علاقات صداقة مع المسلمين المتعلمين وثابر على حث الحكومة الليبيرية على اتباع سياسة للتبادل التعليمي والثقافي مع المسلمين الذين يتمتعون ، في نظرة ، بذكاء وأخلاق متميزة . وقد واجه بلايدن بسبب هذه الآراء الكثير من العنت ، ووصل فى نهاية المطاف إلى القناعة الآتية :

« إنني أومن إيمانا متزايدا بمدى فائدة المواطن الوثني والمسلم من خلال النفوذ المسيحي أكثر من الليبيري ــ الأمريكي الذي أفسدته العبودية وخدعته المسيحية التي تلقاها في بلاد العبودية . ذلك أنه من المستحيل أن ينمحي شر في ضخامة العبودية دون أن يترك آثاره المدمرة على مر الأجيال » .

وهناك يضع بلايدن يده بإيجاز على لب المشكلة الليبيرية ، فهذا شعب تمزقه العقد وتحرمه من هويته الصحيحة يحاول أن يقود أمة من البساطة القديمة في الغابة إلى احتلال مكانة معترف بها من الدول الحديثة . ولكن المتناقضات كانت هائلة .ومن جانب آخر فإن الافريقي الوثني يمكن أن يكون متحضرًا في ظل الإسلام كما يمكن بالتضامن مع أخيه المسلم أن يرقى بمستوى جنسه .

ولقد بدأ القرن العشرين وحكومة مونروفيا في حالة تقهقر ، حيث اضطر الرئيس وليم ديفيد كولمان إلى الاستقالة عام ١٩٠٠ بسبب عدم نجاحه في اتباع سياسة التغلغل فى المناطق الداخلية . ويورد ناثانيال ريتشاردسون الملاحظات الآتية في كتاب عن ماضى ليبيريا وحاضرها والذي نشر عام ١٩٥٩ :

قام كولمان بتنظيم وقيادة حملة لمد نفوذ الحكومة إلى شمال غرب نهر سانت بول . ولكن هذه الحملة منيت بهزيمة منكرة على يد الجولا وحلفائهم من القبائل التي كان يهدف إلى إخضاعها .

ومن المحتمل أن يكون الماندنجو قد تحالفوا بشكل أو بآخر مع الجولا فى هذه الواقعة ، حيث أنهم كانوا يمثلون أقوى القبائل فى المنطقة ، وكانوا يدركون تمام الإدراك أنهم لن يكسبوا شيئا من وراء مد نفوذ سلطة الحكومة الليبيرية إلى داخل البلاد .

وفي النصف الثاني من القرن العشرين أدت « سياسة التوحيد الوطني » التي اتبعها توبمان وما أعقبها من إزاحة سلالة الليبيريين ـــ الأمريكيين من السلطة إلى جعل المسلمين قوة يحسب حسابها كما كان الحال منذ ١٢٠ ـــ ١٤٠ عاما مضت ، فلقد كان الزمن يعمل في كثير من الحالات ضد السكان المسلمين أكثر مما كان يعمل لصالحهم . لقد كان المسلمون الذين يرغبون في المحافظة على دينهم وهويتهم يتجنبون التعليم الانجليزي بصفة عامة ، ومن ثم فإن المسلمين لم يتمكنوا من احتلال المكانة التي يمكنهم من خلالها تأكيد وجودهم في ليبيريا الحديثة مثلما كان وضعهم في الماضي . غير أن القبائل الأخرى التي اتجهت إلى المسيحية مثل الكراهن والكرو والباسا واللورما والقبيلي والجريبو والمساهبو والجيو أصبحت تسيطر على الأوضاع السياسية في الوقت الحاضر . وعلى الرغم من وجود عدد قليل من الوزراء المسلمين في حكومة دو ، إلا أن أحدا منهم لم يشارك بشكل فعال في شئون « الأقلية الإسلامية » . ويمكن الاستنتاج بأنهم خائفون من الوصمة التقليدية . إنهم في مناصبهم تلك مرفوضون من غير المسلمين ، وإذا تعاطفوا بقوة مع الإسلام فإنهم يتعرضون للاتهام بأنهم معادون ومنحرفون . وقد رشح أحد الماندنجو نفسه لرئاسة الجمهورية الثانية الوشيكة ، وهو عضو في الكنيسة الأسقفية البروتستانتية . وقد اتهمه رئيس حزب دو الرسمي بأنه عميل للقذافي وأنه ينوي تحويل ليبيريا إلى جمهورية إسلامية . وقد أخذ عضو الكنيسة الأسقفية البروتستانتية يذكر ذلك الأحمق بأنه على الرغم من صلاته بالماندنجو إلا أنه ليس مسلما . والحقيقة أن الشخص الذي قذف بالاتهام له أيضا جذور إسلامية .

التعليـــم :

عندما زار الدكتور بلايدن البلاط الملكي للفوتا والماندنجو في ميساردو في منتصف القرن التاسع عشر اندهش لسيادة اللغة العربية كما اندهش هو وغيره بما توصل إليه الفاى من الكتابة الخاصة بهم فى خطوط ممتازة. إن التقدير الإسلامى التقليدى للتعليم لم يغب عن إدراك غرب افريقيا . فمن التراث الذي ازدهر فى جامعة تمبكتو الشهيرة كان المسلمون في المنطقة يبحثون عن العلم .

ونظرًا لمعرفته باللغة العربية وتقديره لها فقد كان بلايدن يرى أن اللغة العربية بالإضافة إلى الانجليزية والفرنسية يجب أن تكون لغات التعليم في غرب افريقيا كلها . وقد كان الكثير من طلبة بلايدن المسيحيون في كلية ليبيريا ، بمن فيهم الرؤساء كولمان وجبسون وباركلي ، يتحدثون باللغة العربية . أما اليوم فإنه من الصعب أن نجد ليبيريا مسيحيًا واحدًا يتحدث باللغة العربية مالم يكن مرتدا عن الإسلام .(٩)

ومن ناحية المسلمين ، فقد كان يعتقد أن أي شخص يذهب إلى أحد مدارس المستوطنات فإنه لابد وأن يتخلى بالتأكيد عن دينه . وكانت النتيجة أنه حتى وقتنا الحاضر فإن الغالبية العظمى من الماندنجو الفولانيين تحت سن الأربعين (ناهيك عن الأكبر سنا) لم تذهب إلى أية مدرسة انجليزية . وتتم المراسلات الكتابية بينهم إما باللغة العربية أو باللغة القبلية .

وقبل حكم الرئيس توبمان لم يكن في ليبيريا تعليم علماني . وكان نظام المدارس العامة الذي ظهر في عهد توبمان يعتمد على أصول مسيحية . فقد كان يتعين على جميع الطلاب تعلم العقيدة المسيحية . ولم يكن لدى الطلاب المسلمين الوقت الكافي لأداء صلاة الجمعة حيث إنه في الحقيقة لم يكن يعترف بالإسلام في نظام التعليم الليبيري . وتوجد حاليا مدرسة ثانوية إسلامية واحدة في العاصمة . وقد تخرجت الدفعة الأولى منها (٦ طلبة فقط) عام ١٩٨٤ م . وأكملوا مناهجهم باللغة العربية الانجليزية . وكان هؤلاء الطلبة هم أول من أكملوا تعليمهم الثانوي باللغة العربية والانجليزية على مدى تاريخ ليبيريا .(١٠)

ومع زيادة انتشار التعليم منذ الخمسينات لم يعد الآباء المسلمون يترددون فى إرسال أبنائهم إلى المدارس الانجليزية ، وعلى أية حال فإن الآباء الذين كانوا يوافقون على إرسال أبنائهم إلى تلك المدارس كانوا يفعلون ذلك بخوف شديد . وقد أكدت النتائج التي تحققت خلال الخمسينات والستينات ما يبرر خوف هؤلاء الآباء على أبنائهم . فقد كان من نتيجة النظام التعليمى في ليبيريا في ذلك الوقت أن أصبح المسلم إما مسيحيا أو مسلما

بالاسم فقط يتزوج من فتاة مسيحية ويذوب في التيار الرئيسي للمجتمع وذلك حسبما تسمح به خلفيته في مجتمع شديد الطبقية . ولم يكن غريبا على هؤلاء أن يتنكروا لآبائهم وأقاربهم .

وفي نفس الوقت كان هناك شباب آخرون يجيدون اللغة العربية ولديهم إلمام قليل باللغة الانجليزية وعملوا على الحصول على تعليمهم العالي في العالم العربي ، وفي كلتا الحالتين فإنه فيما يتعلق بالماندنجو فإننا لا نتحدث عن أعداد كبيرة وإنما بالأحرى عن نسبة تقل عن واحد في المائة من مجموع من وصلوا سن الدراسة أما بالنسبة للفاي والجولا فإن ترك الإسلام ليس شيئًا غريبًا عليهم .

ويعتبر مستوى التعليم العربي بين الفولانيين الذين هاجروا إلى ليبيريا خلال الخمسة والعشرين عاما الماضية أعلى كثيرا مما هو بين غيرهم من القبائل . ويبدو أن معظم الفولانيين يستطيعون القراءة والكتابة باللغة العربية إلى حد كبير ، وذلك فضلا عن قراءة وكتابة القرآن الكريم ، وكثير منهم يكتبون الفولانية بخط عربي . كما أن هناك نسبة أعلى من العلماء بين الفولانيين ، ومما لاحظناه أنه لا يوجد إلا بين من يقلون عن سن الأربعين أفراد يتمتعون بمعارف علمية حديثة ودراسات إسلامية عالية . وتوجد بالطبع بعض الاستثناءات القليلة .

وقد ظهر خلال العقد الماضي عدد بارز من الشباب المسلم الذين تخرجوا من الجامعات و يجيدون اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية ويكرسون جهودهم لخدمة الإسلام . وقد كان في ذلك تشجيع للشباب المسلم وللآباء المسلمين على حد سواء . ويوجد في الوقت الحاضر سبعة مسلمون من ذوي الضمير الحي (يحضرون الصلاة في المسجد يوم الجمعة على الأقل) وفي إحدى كليات جامعة ليبيريا ، وواحد يعمل مراقبا ماليا وسكرتيرا لمجلس إدارة إحدى المؤسسات الكبرى ، وثلاثة من الموظفين المتخصصين يشغلون مناصب بمنظمات دولية أو إقليمية . ونحن هنا نتحدث عن أناس يتعاطفون تعاطفا كاملا مع الإسلام والمجتمع الإسلامي . وبعض هؤلاء متمكنون من اللغة العربية وكذلك من اللغة الانجليزية .

ومع انتهاء أسطورة أن من يتلقى تعليمًا غربيًا يتخلى طبيعيا عن الإسلام أدرك المسلمون الليبيريون آفاقا جديدة ، وعلى أية حال فإن هناك الكثيرين ممن ضاعوا على الطريق ، وبالنسبة للإناث فإنه من الصعب على أية واحدة أن تجتاز المر احل التعليمية الليبيرية التقليدية دون المساس بقيمها الإسلامية وهناك فرق واضح بين عقلية وسلوك الفتيات اللاتى يتعلمن في المدارس العربية والانجليزية وغيرهن ممن يتعلمن في المدارس الليبيرية التقليدية فالأوليات أكثر احترامًا للإسلام وللقيم المرتبطة به ، والأخريات يعانين

من اضطراب يدعو إلى اليأس ، ولسوء الحظ فقد أصبح الآباء شركاء في جريمة ضياع أبنائهم بالسماح لهم بالتحويل من المدارس العربية والانجليزية إلى المدارس المسيحية والحكومية . وفي مدرسة وليم توبمان العربية الإنجليزيه فى مونروفيا تبلغ نسبة التحويل ٥٠ ٪ من عدد المسجلين في مستوى المدارس العليا .

ولعل من أكبر عوامل الفشل فى المجتمع الإسلامى التقليدي فى غرب افريقيا أنه أهمل تعليم النساء . وهذا هو السائد حتى الآن ، وقد كانت آثاره من أكبر المعوقات . ذلك أن الشخص غير المتعلم هو أسهل فريسة للإيحاءات السلبية وأكثر عرضة للأحكام الخاطئة والأفكار غير الصحيحة ، غير أن الوضع يتحسن بالتدريج . ففي كثير من المدارس العربية في مونروفيا يزداد عدد البنين والبنات وتقوم هذه المدارس بدور كبير فى تعليم الأولاد تحت سن العاشرة والبنات من جميع الأعمار . وعلى وجه العموم فإن المستوى منخفض ، والمدرسين غير مؤهلين لتعليم أى شيء باستثناء تلاوة القرآن الكريم وأساسيات اللغة العربية . ولكن يظل مجرد الجمع بين التعليم والإسلام له أثر إيجابي على الطفل المسلم .

والمشكلة الرئيسية أن التعليم الإسلامي في ليبيريا ليست لديه الفعالية الكافية لإنصاف الدين . ففى وضع مثل الوضع السائد في ليبيريا يحتاج الطلبة إلى الاقتناع الكامل بتفوق الإسلام من الناحية الفلسفية والاجتماعية . كما يجب أن يكونوا قادرين على أن يعكسوا تفوق التعليم الإسلامى من خلال شخصياتهم وقدراتهم .

وينبغي أن يكون هدف التعليم الإسلامى هو خلق المسلم التقي القادر على الحركة الفعالة في مجتمع انقلب بصفة عامة على دينه وعلى القيم الثقافية المرتبطة به . أما التعليم الذي لا يستطيع أن يوجه المؤمنين إلى عظمة الإسلام فإن من شأنه أن يخلق اضطرابا وإحباطا في نفس الطالب وخاصة في بيئة يتعرض فيها دينه باستمرار لهجوم المباديء والأفكار المضادة . وعلى سبيل المثال أخذ الليبيريون مؤخرا يرددون ويقلدون الموقف الأمريكي تجاه العقوبة البدنية فى الإسلام ، وكانت النتيجة أن الكثير من الليبيريين الذين لا يستطيعون الدفاع عن القرآن الكريم بالمنطق الاجتماعى أخذوا يبتعدون بأنفسهم عن تطبيق مثل هذه الأحكام ، وفي هذا خطر كبير ، ذلك أن المسلم إذا رفض تطبيق أى جزء من أحكام القرآن الكريم فإنه بذلك يتخلى عن عقيدته . إن الشخص المثقف في مجتمع يميل إلى الغرب لا يمكن أن يحظى بالمكانة والاحترام اللائقين به ما لم يكن فى مقدوره تفسير موقفه باستخدام الأسلوب الأكاديمي الغربي . ولهذا فإنه ينبغي ألا تقتصر معرفته على ما يقوله الدين فحسب وإنما يجب أيضا أن يعرف المنطق والأسباب الكامنة وراء

ما يقول . إنه لا يكفي أن يكون المسلم قادرًا فقط على ترديد القول بأن الإسلام لا يمكن أن يتكيف أو يتوافق مع الجريمة ولكنه بالأحرى يسد طرق احتمال وقوعها أساسا ، ولا يألو جهدا في منع حدوثها . كما أنه ينبغي على المسلم أن يكون قادرًا على تبيان مدى فعالية هذا المجتمع .

ومن المعتقد بصفة عامة أن أوجه النقص في المضمون يمكن التغلب عليها بسهولة بتوفير التسهيلات ، إن الأفكار موجودة ، كما أن المثقفين المسلمين يزدادون يوما بعد يوم ، وقد تكونت مؤخرا في مونروفيا جمعية الخطابة الفكرية الإسلامية التي يعتبر تحسين التعليم الإسلامي فى ليبيريا أحد اهتماماتها الأساسية ، غير أن هناك مشكلة على جانب كبير من الأهمية ، وهي أن مونروفيا التي تضم نحو ربع مليون نسمة ثلثهم على الأقل من المسلمين ، ليس بها إلا مدرسة ثانوية عربية وإنجليزية واحدة بها أقل من خمسين طالبًا .

ولا توجد حتى الآن في ليبيريا أية مدارس إسلامية توفر التعليم المهني للدارسين . إن الحاجة إلى مثل هذه الخدمات لا تقل بأى حال من الأحوال عن الحاجة إلى المدارس الأكاديمية المتطورة . وما زالت الغالبية العظمى من مسلمي ليبيريا يفضلون الأعمال الخاصة . فكثير منهم يعملون في الخياطة والنجارة والجزارة والحدادة وميكانيكا السيارات والحلاقة ، وهم يتعلمون هذه المهن منذ الصغر ، ولكن المستويات المهنية العليا لا يمكن الوصول إليها إلا بتوفير المؤسسات التدريبية .

على أن حالة التخلف التي يعاني منها التعليم الإسلامي في ليبيريا إنما هي نتيجة أخرى من نتائج الإبعاد المنظم للمسلمين عن الواجهات الأساسية للحياة الوطنية ، ويوجد لدى المسيحيين عدد قليل من المدارس المهنية الهامة بالإضافة إلى مئات المدارس الأكاديمية وجامعة (تابعة للكنيسة الأسقفية البروتستانتية) وثلاث كليات لاهوتية ، وفضلا عن ذلك فإن التعليم العام موجه توجيها مسيحيا وإن لم يكن مسمى بهذا الاسم . وكما هو الحال في أغلب الدول النامية ، تعاني ليبيريا من عدم قدرتها على تمويل التعليم بصورة كافية ولكن في الوقت الذي ظل فيه دعم التعليم المسيحي يتم بسخاء وعلى مر السنين من قبل منظمات التبشير الأجنبية ، فإن التعليم الإسلامي لم يبدأ في تلقي المعونات الخارجية إلا مؤخرا . ويتم ذلك أساسا في شكل إرسال مدرسين من مصر .

وقد استفادت الكنائس المسيحية بالمقابل استفادة كبيرة من الدعم الأجنبي حتى تمكنت من الاستقلال الفعلي من خلال الاستثمارات المتنامية في مختلف المشاريع العقارية والزراعية . وعلى سبيل المثال تمتلك الكنيسة الأسقفية البروتستانتية مبنى تشيس مانهاتن بلازا في مونروفيا ومبنى وزارة التخطيط كما تقوم بتشغيل العديد من المزارع . وكذلك تحصل مدارس التبشير المسيحية ، منذ زمن طويل ، على إعانات دائمة من الحكومة . وقد

حصلت مدرسة وليم توبمان العربية والإنجليزية مؤخرا على إعانة من الحكومة فى شكل رواتب لمدرسى القسم الإنجليزى ، الذين يأتي أربعة أخماسهم من غير المسلمين . وإذا ألقينا نظرة على تطور التعليم فى ليبيريا فى ضوء الضغوط المالية الراهنة على المجتمع الإسلامى فإنه يتضح أن المشاكل التي تواجه التعليم الإسلامي لا يمكن التغلب عليها إلا بحلول ثورية .

وفي عام ١٩٧٧ – بدأ المجلس الإسلامي الوطني في إنشاء مدرسة عليا للصغار والكبار في ضواحي مونروفيا ، وقد أنفق على المشروع ٤٥٠,٠٠٠ دولارا ، وما زال يحتاج لاستكماله إلى مبلغ ٣٠٠,٠٠٠ دولار أخرى . وقد توقف العمل بالمشروع في الوقت الحاضر لعدم توفر الاعتمادات .

والواقع الآن هو أن تلك القبائل التي رأت أول بصيص للحضارة من المسلمين في ليبيريا هم عموما أكثر إنتاجا في ليبيريا الحديثة من المسلمين الذين أصبحوا يدركون مدى حاجتهم الماسة إلى اللحاق بغيرهم . إن التعليم ضرورى للتقدم ، ولكن التعليم غير الإسلامي لم يضر بالمسلمين فحسب ولكنه أضعف الأمة جميعا ، إن الإسلام هو أمل المستقبل في افريقيا ولكن عظمة الإسلام ومعطياته لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال المعرفة الكونية ، وإذا كانت تعوزنا الوسائل المادية للحصول على هذه المعرفة فإنه يتعين علينا أن نبحث عن أشكال جديدة للتنظيم والتنفيذ .

النشاط الاقتصـــادى :

من بين القبائل الإسلامية الرئيسية الثلاث في ليبيريا يعمل الماندنجو أساسًا فى التجارة والفاي في الزراعة ، والفولانيون فى كافة أنواع المهن (التي يبرعون فيها غالبًا) . ومن بين جميع القبائل في ليبيريا فإنه من النادر أن تجد الفولاني جالسا دون أن يشغل نفسه بأحد الأنشطة الاقتصادية أما القبيلة الرابعة وهي الجولا فإنها تعيش أساسًا على فلاحة الأرض .

وقد صار الماندنجو مشهورين عالميًا بمهارتهم في العمل وخاصة فى تجارة الماس ، وفضلا عن ذلك فإن الأعمال الرئيسية التي يقوم بها ماندنجو ليبيريا هي النقل التجارى والحرف الافريقية وبيع الجازولين وتجارة الأرز والتجارة في المحاصيل النقدية وإصلاح السيارات وتجارة العقارات ، وعلى الرغم من نقص تعليمهم الرسمي ، إلا أنه لم تثبت أية جماعة افريقية أخرى أنها أكثر انتشارا في مجالات الأعمال الليبيرية من الماندنجو . ويتمتع الليبيري ـــ الأمريكي بلاشك بأعلى مستويات المعيشة ، ويرجع ذلك إلى أن الإدارة الحكومية ظلت فترة طويلة في أيديهم ، ومن ثم كانوا يحصلون على أعظم الفرص .

وقد تركزت أكبر الثروات في تجارة الماس ، ففي قمة تجارة الماس عام ١٩٧٣م حققت ليبيريا صادرات رسمية من الماس تقدر بـ ٥١ مليون دولار . وهناك دائما صادرات غير رسمية لا يمكن تقدير قيمتها ، ويصدر التصريح بشراء الماس للمواطنين الليبيريين فقط ، وجميع هؤلاء المواطنين باستثناء قلة صغيرة ، من الماندنجو ، وقد بدأت تجارة الماس في ليبيريا في الخمسينيات واستمرت في احتلال المكانة الثانية بين الأعمال (بعد خام الحديد) في ليبيريا حتى أواخر السبعينيات ، وربما تكونت ثروات كبيرة من هذه التجارة ولكن لم يبق إلا القليل منها . ومن بين أسباب ذلك سوء الإدارة[١١] .

وقد كانت الحرف الافريقية في الستينيات والسبعينيات من الأعمال المربحة وقد كسب بعض الأفراد من ورائها مئات الآلاف من الدولارات ، ولما أصبحت القطع الأصلية القديمة ذات القيمة الفنية العالية نادرة الوجود فقدت هذه الحرف حيويتها ثم بدأ المسلمون يقولون إن التعامل في هذه الصور والتماثيل التي كانت تستخدم عادة فى الشعائر الوثنية حرام . لقد تكونت ثروات كبيرة من هذه الحرف وذهبت أدراج الرياح .

على أن أقرب المهن التي يتعامل فيها المسلم الافريقي مع الصناعة هى صناعة الخبز . ويمتلك أحد الماندنجو واحدا من أكبر المخابز في مونروفيا كما أن هناك عددًا آخر من المخابز التي يمتلكها بعض المسلمين في المناطق النائية .

ويمثل الاستثمار في العقارات أفضل مصدر ثابت للدخل بالنسبة للمسلمين .[١٢] ومن الصعب تحديد ما إذا كان الليبيريون الأمريكيون أو الماندنجو هم الذين يملكون عقارات أكثر فى ليبيريا ، ولكن من المؤكد أنهما الجماعتان الرئيسيتان في هذا القطاع . وخلال السنوات الأخيرة حصل الفولانيون على بعض الممتلكات الكبيرة .

وإذا نظرنا إلى معدل حركة الفولانيين فإنه يبدو أن هؤلاء القادمين الجدد نسبيا سيشكلون فى السنوات القادمة قوة اقتصادية رئيسية فى البلاد ومن خلال عضوية اتحاد تجار التجزئة في غرب افريقيا يتضح أن الفولانيين يمتلكون أغلب محلات البقالة بين الافريقيين . كما أنهم بارزون في مهنة الخياطة والتصدير والاستيراد والنقل التجارى وإنتاج الفحم النباتي .

وينتشر نشاط كل من الفولانيين والماندنجو في مجال الأعمال في كثير من مناطق افريقيا . ويمكن أن نتوقع منهم أن ينطلقوا بالمسلمين للقيام بدور قيادي في اقتصاد ليبيريا . غير أنهم تنقصهم بصفة عامة المهارات الإدارية ولعل الفولانيين أفضل كثيرا في هذا المجال من الماندنجو ، ولسوء الحظ فإن لدى القبيلتين نزعة نحو الأعمال غير المشروعة مثل التهريب وتزييف المعادن والأحجار الكريمة وتزييف الحرف الافريقية الأصلية والغش

والاحتيال ، ومن الملاحظ في هذا الصدد أن الإحساس الوطني متدنٍ بين المسلمين وغير المسلمين .

والمسلمون غير الافريقيين هم أساسا من لبنان. ويبلغ عددهم نحو خمسة آلاف شخص ، وهم يعملون أساسًا في التجارة واستيراد المواد الغذائية والمنسوجات والملابس والأحذية ومواد البناء .. إلخ وتوجد ثلاثة مؤسسات صناعية إسلامية لبنانية تعمل حالياً في البلاد تقوم إحداها بإنتاج أحذية البلاستيك والثانية بصناعة الأثاث والثلاجات والثالثة بصناعة الأنابيب ، وتوجد شركة صيد واحدة يملكها مسلم لبناني (مولد) يعيش في سيراليون[١٣] . والصناعة الثقيلة الوحيدة في ليبريا هي صناعة تعدين وتكرير خام الحديد . وتشمل الصناعات الخفيفه صناعة القوارير وصناعة التقطير والتخمير وخياطة الملابس وبطاريات السيارات ومكعبات الحساء المركز وصيد الأسماك واستخراج زيت النخيل وطحن الدقيق وصناعة الفلين والحلوى والمبيدات الحشرية والمفرقعات ورصاص البنادق وصناعة الخبز ؛ ويعتبر المسيحيون اللبنانيون هم الجماعة الوحيدة المسيطرة على هذا القطاع .

والحقيقة أن ممتلكات المسلمين اللبنانيين لا علاقة لها بالوضع الاقتصادي لمسلمي ليبيريا حيث أن المسلمين اللبنانيين يتعالون على الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية لمسلمي ليبيريا . وهم ليس لهم مسجد في ليبيريا ومن النادر رؤيتهم في مساجد الافريقيين . ولكنهم من الناحية الاقتصادية ثابتون بقوة في البلاد .

إن الأمل الوحيد أمام الافريقيين للسيطرة على الاقتصاد الليبيري يكمن في المسلمين . وإننا على ثقة من أن زيادة تدفق الفولانيين وحصولهم على فرص التعليم العالي وأساليب الإدارة الحديثه ، وكذلك زيادة انتشار التعليم بين القبائل الأخرى التي تميل إلى العمل وخاصة الماندنجو والفاى ، ستمكن المسلمين ، بفضل الله من تقليل السيطرة الأجنبية على الاقتصاد الليبيري . ومع زيادة التعليم العالي فإن الاتجاه إلى الأعمال غير الأخلاقية يقل تدريجيا ، ومن العوامل الهامة في القوة الاقتصادية الإسلامية في غرب افريقيا انتشار مختلف القبائل ، وخاصة الماندنجو والفولانيين والهوسا ، في مختلف أنحاء المنطقة . ومن خلال صلاتهم العائلية والقبلية استطاعت هذه الشعوب إقامة شبكة تجارية قوية تعتمد على التعاون والمساعدات المتبادلة ، حتى أن اللبنانيين الذين يتمتعون بنفوذ كبير في ليبيريا وسيراليون وساحل العاج لن يستطيعوا أن يقفوا فى طريق هذه الشبكة القوية .

ويميل المسيحيون الليبيريون إلى رفض تقدم المسلمين ، ومن الممكن أن تؤدي القوة الاقتصادية المتزايدة للمسلمين إلى حدوث رد فعل من قبلهم .

الحياة الاجتماعية والثقافية :

يتسم مسلمو غرب أفريقيا بالمودة وكرم الضيافة وبإحساس قوي بالكرامة المتأصلة في تقاليدهم . وهم في الغالب طوال القامة وأقوياء البنية . كما أنهم يميلون إلى الوسامة ولبس الثياب الارستقراطية والمظاهر الأخاذة .

ولقد كان الدين الإسلامي دائما مصدر فخر للأفريقيين الذين يتبعونه . وقد جعلت أركان الدين مثل الصلاة والصيام وتلاوة القرآن الكريم ورفض تناول المسكرات وغيرها حياة المسلمين الاجتماعية والثقافية مختلفة تمام الاختلاف عن جيرانهم . ونحن لاننكر أنه في بعض الحالات كان هناك استجابة لبعض العادات والتقاليد الوثنية التي تتنافى مع الإسلام . وهنا نعود بالإشارة إلى ما لاحظه كاسل عن الفاي من أنهم اعتنقوا بعض جوانب الإسلام دون أن يتخلوا عن معتقداتهم وعاداتهم القبلية . وقد تعرضت عملية التبادل الثقافي بين الشعوب في ليبيريا وخاصة في مونروفيا إلى التأثيرات الغربية وكذلك إلى التأثيرات الافريقية الوثنية . ويمكن القول إن التأثيرات غير الإسلامية هي المسئولة أكثر من أى شيء آخر عن إعاقة تقدم الإسلام في ليبيريا . إن الاعتقاد الوثني بالقوى الخفية وبإمكان إخضاعها للسيطرة البشرية ظل وبطريقة معقدة ملتصقا بالإسلام والقرآن الكريم . وقد ظهرت في هذا المجال طبقة تسمى « الرجل المولى » وهو ببساطة نظير الطبيب الأبيض عندنا . وتمثل قدرة هؤلاء الناس على التأثير على مصائر غيرهم سواء بالخير أو بالشر شيئا رهيبا ومخيفا في نفوس الكثيرين . ولاشك أن ذلك قد أثر على الإسلام تأثيرا سلبيا . وقد أدت التناقضات التى خلقها تبادل الثقافات إلى جعل المسلم في نظر المواطن المسيحي شخصا غامضا يعيش حياة سرية مبهمة .

وليس هناك اتفاق موحد بين مسلمي ليبيريا حول ما يمثل بالفعل السلوك الإسلامى . فالفولاني النموذجي مثلا لا يميل إلى الموسيقى والرقص إلا في القليل النادر . وليس هناك في دنياه أية اجتماعات شعائرية أو أقنعة أو خيالات . ويعتبر الجريوت (وهو فنان شعبي) من أبغض الطوائف إليه . ويوجد بين الماندنجو من يشترك مع الفولاني فى أفكاره بشكل أو بآخر . وبعضهم أقل تمسكا بهذه الأفكار . ويشارك الكثير من الماندنجو في مناطق الغابات في الشعائر الوثنية مثل عبادة الثعبان التي وصفها كامارالاي في روايته « الطفل الأفريقي » .

وينتشر تأثير الثقافة الغربية بين الشباب في مونروفيا . فرقصات الديسكو والسينما (وهى تشمل فى الغالب أفلام الكاراتيه العنيفة والأفلام الهندية العاطفية والأفلام الخيالية

وأفلام هوليود التقليدية) والميل إلى المغازلة هي العادات المستشرية حاليا . كما بدأت المسكرات تجد طريقها إلى الشباب .

غير أن هناك عددًا كبيرًا من المسلمين المستغرقين في حياة الورع والتقوى . وتقوم حياة هؤلاء الناس على أركان الدين مثل الصلاة المنتظمة في المساجد وتلاوة القرآن الكريم وغيرها من الشعائر الإسلامية التي تشكل محور نشاطهم واهتمامهم .

ويعتبر حفل العقيقة أحد أعمق المناسبات المعبرة عن الثقافة الإسلامية . وتتم إقامة هذا الاحتفال عندما يبلغ سن المولود سبعة أيام . ويقوم أهل المولود عادة بذبح ذبيحة وإقامة وليمة كبيرة . ويمكن أن يقام هذا الحفل بشكل متواضع بتقديم المشروبات والمأكولات الخفيفة . ويحضر هذه الاحتفالات علية القوم وعلى رأسهم الأئمة . وتتميز هذه الاحتفالات بإقامة الصلوات وقراءة الأدعية بشكل مستمر ، وتصل إلى ذروتها بذكر اسم المولود في أذنه مصحوبا بالصلوات والأدعية كي يكون صالحا . تتم هذه الأمور عادة في ساعات الصباح الأولى ، ويترك المدعوون أعمالهم من أجل حضورها وليس هناك فرد في المجتمع ، مهما كانت أهميته ، لا يقيم مثل هذا الحفل لتسمية طفله . وتعتبر هذه الاحتفالات هي المناسبات الاجتماعية الرئيسية للالتقاء بين المسلمين الملتزمين .

كما أن الزواج يعتبر من المناسبات الاجتماعية الهامة . فحفل الزواج عادة هو لقاء بين علية القوم . ويتم تتويج هذا اللقاء بأن يقرأ الإمام الأدعية الخاصة بعقد القران . وغالبا لا يحضر العريس أو العروس هذا اللقاء . ولكن فى الحفل الذى يعقب عقد القران تتوافد جموع المهنئين للاحتفال والاستمتاع بأداء الموسيقيين والراقصين . وبعض حفلات الزواج الحديثة تتم على الطريقة الأمريكية حيث يحضر العريس والعروس الحفل وحولهما فتيات يحملن الزهور . . . الخ . وقد أصبح من الشائع أن يتم زواج الشباب المسلم المتعلم تعليما انجليزيا وفرنسيا بهذه الطريقة . وفي بعض الأحيان لا تختلف الاحتفالات التي تعقب ذلك عن حفلات الاستقبال المسيحية .

وتنتشر عادة تعدد الزوجات بين مسلمي غرب أفريقيا . وكانت هذه العادة تتم بصورة تقليدية بين كافة المجتمعات الافريقية . وقد أدى حظر تعدد الزوجات في ليبيريا من قبل المسيحيين إلى حدوث انهيار كامل في النظام الاجتماعي . فقد حل تعدد الخليلات محل تعدد الزوجات الرسمي . وكانت النتيجة أن أصبح عدد الأطفال غير الشرعيين يفوق عدد الأطفال الشرعيين . وقد أدى ذلك إلى وجود الخيانة وعدم الإخلاص بصورة فطرية فى نفوس الأجيال الجديدة وإلى انتشار التفسخ الخلقي التام بينهم . ولا يشكل الإخلاص في الحياة الزوجية بين طلبة الجماعات غير المسلمين (وهم أكثر العناصر وعيا للأخلاق في المجتمع) أي جزء من المثل الأخلاقية المتعارف عليها مثل الأمانة والإخلاص والولاء والوطنية .

ولا ينتشر تعدد الزوجات بين الشباب المسلم المتعلم ، ولكنه ليس من المستبعد تماما في غضون خمسة عشر عاما ، أن يقرر هؤلاء الشباب القانعون في الوقت الحاضر بزوجاتهم إضافة زوجات أخريات إليهم ، وعلى أية حال فإن حالات الزواج بواحدة بالنسبة للرجال الذين يتعدون سن الخامسة والأربعين هي حالات استثنائية . ومعظم الفتيات المسلمات وخاصة المتعلمات منهن فى المدارس المسيحية أو العامة يعارضن بصورة متزايدة مسألة تعدد الزوجات . ولعل رفض فكرة تعدد الزوجات وغيرها من الأفكار والمواقف المتعارضة مع التقاليد وكذلك مع القيم والتعاليم الإسلامية يجعل من غالبية هؤلاء الفتيات المتعلمات في مدارس غير إسلامية غير مرغوبات في الزواج . ويواجه أغلب الشباب المسلم المتعلم مشكلة خطيرة في اختيار الزوجة المناسبة . ويشعر الكثير منهم أنه ربما يكون من الأفضل له أن يعمل على تحويل فتاة مسيحية طيبة إلى الإسلام من أن يقترن بفتاة مسلمة المولد يكون احترامها للدين موضع تساؤل .

ويبدو أن هناك تقديرًا متزايدًا بين الشباب المسلم للخلق الإسلامي . ومنذ وقت قريب طلب أحد المدرسين المسلمين بجامعة ليبيريا (وهو زعيم بارز بين شعب الفاي) من جميع الذين يريدون أن يظلوا طلبة له في المدرسة الإسلامية التي يريدها أن يقسموا على القرآن الكريم بأن يقلعوا عن جميع العلاقات غير الزوجية وقد أدى جميع طلبته القسم (اليمين) .

وإذا كان للفتيات المتعلمات أن يحترمن الدين فإن عليهن أن يكن أكثر ممارسة له . إذ يجب تشجيعهن على الصلاة في المسجد وتلاوة القرآن الكريم وعلى الدراسة والتعليم . إن مستقبل الإسلام معلق بين كفتي الرجال والنساء . ويجب الاهتمام بالجنسين دينيا على قدم المساواة إذا أريد للمجتمع الإسلامى أن يظل مجتمعا سليما .

الاتجاهات السياسية :

من الواضح أن هناك تناقضات معينة تكمن في كون الإنسان مسلما وفي نفس الوقت عضوًا بارزا في الحكومة . فالمسلم التقى يعتبر خارج التيار الليبيرى الرئيسى الذي يعد في الوقت الحاضر متحررًا أكثر منه مسيحيا . وهناك مخاوف عامة من أن يقوم المسلمون بالاستيلاء على البلاد وإقامة جمهورية إسلامية . كما أن هناك مخاوف من سيادة الماندنجو على البلاد ومايتبع ذلك من الانضمام إلى جمهورية غينيا أو الاتحاد معها . والتوجه الرئيسي في ليبيريا معاد للإسلام بشكل كبير وقد تمت عملية غسيل مخ للحكومة الحالية ضد العرب وذلك على الرغم من الوجود اللبناني الكبير في البلاد . كذلك تساور الشكوك الحكومة في أن المسلمين يعارضون التقارب مع إسرائيل ذلك الذى يعد أحد مظاهر الخضوع للنفوذ الأمريكي . ولهذه الأسباب فإن أي مسلم يشغل منصبًا كبيرًا في الحكومة ينبغي أن يكون حريصا ألا يراه الناس مؤمنا صادقا . فالمسلم إذا حصل على منصب كبير في الحكومة يظهر له تلقائيا العديد من الأعداء الذين

يتربصون به ويعملون على إزاحته من منصبه . والطريقة الوحيدة التي يتأكد من خلالها جمهور المسلمين من أن المسئول الحكومي الكبير الذى يحمل اسما إسلاميًا هو مسلم صادق هي رؤيته في المسجد أو خلال أيام العيد . وحتى الآن لا يوجد سوى عدد قليل ممن حصلوا على مناصب وزارية استطاعوا أن يظهروا أنفسهم على أنهم مسلمين .

وقد شكل رئيس الدولة حديثا مجلسًا وطنيا مؤقتا ليقود البلاد إلى الحكم المدني ولا يوجد أي مسلم بين أعضاء هذا المجلس .

ومن بين الأشخاص التسعة الذين تصدوا لتشكيل أحزاب سياسية لتشترك في الحكومة الأولى للجمهورية الثانية لا يوجد شخص مسلم واحد . وعلى أية حال فإننا متفائلون من أنه عندما تجرى الجولة الثانية من الانتخابات عام ١٩٩٢ سوف يسري النشاط بين المسلمين في ظل روح الإسلام ، غير أننا ندرك أن قيام أى حزب يسيطر عليه المسلمون سيثير الكثير من الجدل . ويمكن بما سيتخذ من إجراءات لمنع تسجيل مثل هذا الحزب . وحتى إذا نجح في التسجيل فإننا لا نستبعد قيام معارضة عنيفة عليه ربما بمساعدة وكالة المخابرات المركزية .

إن الطريق إلى القوة السياسية في أفريقيا محفوف دائما بالمخاطر . وليست ليبيريا استثناء من ذلك . وبالنسبة للمسلمين فإن هذه المخاطر مضاعفة . وقد أخذ بالفعل يتردد حديث أطلقه أسقف الكنيسة الأسقفية البروتستانتية وغيره من الحمقى حول الحرب الدينية . ومن المشكوك فيه أن تقع مثل هذه الحرب . ذلك أن معظم الناس لا يصدقون حقيقة أن المسلمين يمثلون أقلية في ليبيريا خاصة وأن ثلثي المناطق الغربية من البلاد تبدو وكأنها في الحقيقة مناطق إسلامية . كما أن أقوى رؤساء المناطق النائية هم من المسلمين . وعلى الرغم من أنه لم يكن للمسلمين أبدا أي نفوذ يذكر في حكومة مونروفيا إلا أنهم كانوا دائما يتمتعون بالنفوذ على مستوى القاعدة . وعبر تاريخ جمهورية ليبيريا كله ، وباستثناء منصبين وزاريين شغلهما وزيران مسلمان اسميًا ، لم يحدث أنْ تولى أي مسلم منصبًا مؤثرًا ، أو احتل مقعدًا في السلطة التشريعية أو شغل منصبًا قياديا في الجيش . وعلى أن المتعلم وحده لا يعتبر مؤهلا كافيا لقبول المسلم في الدوائر السياسية في ليبيريا ، وإنما ينبغي على الفرد أولا أن يتخلى عن إسلامه . وإذا حامت الشكوك حول أي مسئول حكومي مسلم بأنه يسلك سلوك المسلم الصادق ، فقد ينظر إليه المجتمع على أنه يمثل خطرًا واضحًا وقائمًا . وكل ذلك لا يتفق مع خلفية ليبيريا التاريخية وطبيعة السياسة الأفريقية بصورة عامة .

الديــن :

توجد ثلاثة مساجد رئيسية في وسط مونروفيا . وفي كل صلاة من الصلوات الأربع الأخيرة تمتليء هذه المساجد دائما بالمصلين . أما في صلاة الفجر فإن نصفها فقط يمتليء بالمصلين . ويعتبر هذا المعدل مماثلا لجميع المساجد في ليبيريا . وهذا يوضح أن الإسلام حي وفاعل في منطقتنا من العالم . وقد يكون هناك بعض العجز في فهم القرآن الكريم على الرغم من القدرة على تلاوته ، ولكن مشاعر الحب والإجلال للدين عميقة الجذور في النفوس . ولقد استطاع الإسلام أن يقاوم الاستعمار بينما لم تستطع الوثنية ذلك . وتقف الثقافة الإسلامية متحدية الثقافة الغربية في حين تقف الثقافات الأفريقية التقليدية الأخرى عاجزة عن مواجهة العالم الحديث بصورة موضوعية .

ولاتوجد طوائف دينية في ليبيريا باستثناء الطائفة الأحمدية الوافدة والتي ليس لها إلا عدد قليل من الأتباع . وعلى الرغم من أن اللبنانيين ينقسمون إلى سنيين وشيعة ، إلا أنه يمكن استبعادهم لأنهم لا يقومون بأي دور على الإطلاق في الحياة الدينية بالبلاد . والحقيقة أننا إذا نحينا ادعاءاتهم جانبا فإننا لانجد ما يبرهن إلا على وجود عدد قليل من المسلمين بينهم . والحركة السلفية موجودة ، ولكن المناسبة الوحيدة التى تذكرنا بأن هناك بعض الاختلاف بين أتباعها وغيرهم من المسلمين هى مناسبة المولد النبوي . وفيما عدا ذلك فإن غالبية المسلمين يميلون إلى أفكار السلفية ويقدرونها .

وفي عام ١٩٧٣ تكوَّن مجلس إسلامي وطني للتنسيق بين أنشطة مختلف المنظمات الإسلامية في البلاد ولتقديم جبهة متحدة عند التعامل مع العالم الخارجي . وقد فشل هذا المجلس فشلا ذريعا فى إبراز قيادة موحدة لمسلمى ليبيريا . وقد استمر القائمون حاليا على إدارة المجلس مدة اثنتي عشرة سنة دون إجراء أية انتخابات وفضلا عن ذلك فإن المجلس يتكون فقط من منظمات توجد ثلاثة منها في مونروفيا ومنذ عامين بدأ المسلمون المهتمون في مختلف أنحاء البلاد في القيام بحركة للاعتراف بالمجلس . وقد لقيت هذه الحركة في بداية الأمر معارضة شديدة من الجماعة الأمية المتحكمة ، ولكن يتم حاليا وضع دستور جديد للمجلس وستجرى انتخابات في الشهر الأول بإذن الله .

إن النهضة واليقظة الإسلامية التي نسمع الناس يتحدثون عنها موجودة في ليبيريا . ويعتبر معدل التحول إلى الإسلام كبيرا . فبين عامي ١٩٨١ ــ ١٩٨٤م سجل مسجد مونروفيا المركزي ٣٨٠ شخصا اعتنقوا الدين الإسلامي . ولكن عددا كبيرا منهم ارتد مرة أخرى عن الإسلام . وقد اعتنق طبيب بارز هو حفيد أحد رؤساء ليبيريا السابقين الإسلام في العام الماضي مدعيا أنه أحس بأن الإسلام أفضل من المسيحية . غير أنه لم يدخل المسجد مطلقا و لم يتعلم كيف يؤدي الصلاة رغم الفرص المتاحة أمامه . كما أنه

يكره الصيام ، وقد ذكر لي مؤخرا أنه يعيد التفكير فى قراره وأنه على وشك العودة إلى حيث ينتمي ـــ إلى الكنيسة ـــ غير أن هناك من اعتنقوا الإسلام ـــ مثلى - ولا يفكرون في النظر إلى الوراء أبدًا .

ولا يوجد حقيقة نشاط للدعوة الإسلامية في ليبيريا يهدف إلى كسب المزيد من أتباع الدين الإسلامي . وإنما ينصب نشاط الدعوة فقط على ترسيخ الإيمان بين المسلمين ، وفي رأيي أن ذلك مدخل في غاية التعقل ، وذلك أن أكبر أعداء الإسلام في ليبيريا هم المسلمون أنفسهم والذين يسلكون سبلا تنعكس بصورة سيئة على دينهم ، وقد بدأت الدعوة تتطور إلى حد الوصول إلى المسلمين في محلاتهم وحثهم على إغلاقها والذهاب إلى المسجد عند سماع الأذان ، وتعتبر الدعوة أكثر تأثيرًا فى المناطق النائية منها فى مونروفيا وهناك بعض المنظمات القائمة لهذا الغرض والمجال مفتوح لقيام المزيد منه .

والتفاعل مع المسيحيين يتم في أضيق الحدود الممكنة ، وقد أصاب اليأس المسيحيين من إمكانية تحويل الماندنجو والفولانيين عن دينهم . كما أن الفاي والجولا الذين يؤدون الصلاة بشكل منتظم لا يمكن بأي حال خداعهم . وعلى أية حال فإن جمعية الخطابة الفكرية الإسلامية التي أنشئت حديثا ـــ والتي أنتسب إليها ـــ تعتزم البدء في إجراء حوار مع المجتمع المسيحي .

التوجيه .

إن هذا هو الوقت الذى فقدت فيه المسيحية فى ليبيريا كل أمل في توفير التوجيه الأخلاقي . ذلك أن ما تقوم به الكنيسة في الوقت الحاضر بأجهزتها الإذاعية والتليفزيونية العديدة هو دعوة الناس إلى ركوب عربة موسيقى المسيح والغناء حتى ترضى قلوبهم . إن معظم الليبيريين مثل أساتذتهم الأمريكيين ، لايهتمون كثيرا بالتوجيه الأخلاقي . وهم يتحدثون عن الله وكأنه أب رحيم يفسد أبناءه برحمته الواسعة . غير أن الإسلام من ناحية أخرى يعيش مرحلة يقظة أخلاقية . ولهذا فإن الطريق مفتوح أمام المسلمين لتحمل مسئولية القيادة الأخلاقية للبلاد .

وينبغي أن نكون نحن الكرماء ونمد أيدي الأخوّة المخلصة لمواطنينا المسيحيين . ولاشك أن في ذلك مكسب لنا لأن الإسلام هو الحق الأسمَى .

ولكن علينا أولا أن نسوى بعض مشاكلنا الداخلية ، وأولها مسألة القيادة . ذلك أن مسلمي ليبيريا في حاجة ماسة إلى قيادة تتمتع بالكفاءة الأخلاقية والروحية والفكرية والادارية . إننا في حاجة ماسة إلى قيادة تقدمية وفعالة تضم رجالا يخافون الله وحده

ومستقيمين أخلاقيا ومتحررين سياسيا . كما يجب تعبئة الناس وتعبئة جهودهم لتحسين الخدمات التعليمية . ولعل سبب عدم استكمال المدرسة العليا التابعة للمجلس الإسلامي بعد ثماني سنوات من البدء في إنشائها هو عدم ثقة الناس في المجلس . ذلك أن المجلس يقوده حاليا رجل لا يعرف اللغة العربية أو اللغة الإنجليزية . ولاشك أن مشروع المدرسة يحظى بالأولوية . وعلى أية حال فإن الكثيرين مقتنعون بأن المجلس الإسلامي الوطني لن تكون له أية فائدة . ويقوم بعض المثقفين الذين يشعرون بذلك بالتخطيط لإنشاء مشروع مدرسة مستقلة . ولاشك أنهم يدركون الاحتياجات الحقيقية التي يتطلبها الموقف .

ونحن نرى أن التعليم هو أكثر ما يحتاجه مسلمو ليبيريا . ولحسن الحظ فإن لدينا كادرا من المتعلمين المستقيمين من الناحية الدينية . ومهمتهم الآن هي تنظيم الاستفادة الفعالة من مواهبهم وقدراتهم . وفي هذا الصدد تبرز الحاجة الماسة إلى إنشاء مجلس للتعليم الإسلامي تكون مهمته تقييم أداء المدارس والمناهج وإعداد التوصيات اللازمة لتحسينها . كما يقوم أيضا بإنتاج المواد التعليمية . وإنني أعتزم بمجرد الانتهاء من أحد الكتابين اللذين أقوم بإعدادهما حاليا ، أن أعد كتابا في الجغرافيا الإسلامية لتدريسه في الصف الثانى عشر ، وذلك بالتعاون مع نائب رئيس منظمة الشباب الإسلامي في ليبيريا للشئون الدولية . ويمكن للمجلس المقترح أن يعمل على الحصول على الدعم المالي للأغراض التعليمية من مختلف الأوساط الإسلامية .

وقد استجابت منظمة الشباب الإسلامى في ليبيريا في شهر أغسطس الماضي لما أبداه جلالة الملك فهد بن عبد العزيز من استعداد لدعم إنشاء فرع للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في أية دولة إسلامية تطلب منه ذلك[١٤]. وعلى الرغم من أننا لم نتلق أي رد على طلبنا حتى الآن ، إلا أننا مازلنا نأمل في تحقيق حلمنا . ذلك أن وجود جامعة إسلامية وما يلحق بها من مدارس إعدادية وثانوية من شأنه أن يجعل منها المؤسسة الوحيدة والفريدة من نوعها في ليبيريا .
وفي نفس الوقت يمكننا تعبئة مواردنا المحلية لتنفيذ مشروع المدارس الإعدادية . كما أن هناك حاجة لإنشاء مؤسسة إنمائية إسلامية ليبيرية من شأنها تسهيل تضافر الجهود للعمل المشترك في مجالات الأعمال والزراعة والسياسة والدين والتعليم .

ففي المجال الاقتصادى يعتبر جزء كبير من طاقة المسلمين عاطلا فى الوقت الحاضر ، حيث أن تجارة الماس والمعادن الثمينة والحرف الأفريقية متوقفة بصورة فعلية . ولعل الزراعة هي مهنة المستقبل فالصحارى تزحف جنوبًا باتجاه غرب أفريقيا بمعدل عشرة كيلومترات في العام . وبالتالى فإن مشكلة توفير الغذاء ستزداد تفاقمًا بالمنطقة . وحيث

أن ليبيريا تقع في قلب منطقة الغابات الاستوائية الممطرة فإن لديها إمكانات هائلة في مجال الزراعة . وفى المناطق المعتدلة شمالى ليبيريا فإن الظروف ملائمة لتربية الماشية وخاصة أبقار الألبان . ومن ثم فإنه ينبغي على المسلمين توجيه مواردهم إلى تلك المناطق .

وختامًا ، فإن اعتبار مسلمي ليبيريا أقلية قد لا يكون في الواقع حقيقة . ذلك أن الهجرة المستمرة والزيادة الكبيرة في معدل المواليد والناجمة عن تعدد الزوجات بين الأسر الإسلامية تزيد عدد السكان المسلمين زيادة مضطردة . وقد كان نقص التعليم (وخاصة باللغة الإنجليزية) هو الذي حد من تغلغل المسلمين في المجالات الحيوية من السياسة والاقتصاد الليبيري . ومع انتشار الانحلال الخلقي الحاد في المجتمع الليبيري واليقظة الأخلاقية والفكرية والدينية بين الشباب المسلم ، فإن المسلمين هم الجماعة الأكثر استعدادا من الناحية النفسية لمواجهة المشكلات (الاقتصادية والاجتماعية) القائمة ولعل القيادة والتنظيم هي أكبر احتياجاتنا الأساسية .

إن منظمة الشباب الإسلامي في ليبيريا ، الممثل الرسمي لشباب الأمة (تحت سن الأربعين) ، مصممة على تكريس جهدها لسد هذه الاحتياجات بالتعاون مع غيرها من المسلمين التقدميين . وإذا كان الزمن قد ظل حتى حقبة الثمانينات يسير ضد تقدم مسلمي ليبيريا ، فمن الواضح أنه يعمل الآن لصالحنا .

كلمة تقدير وشكر :

قام الأشخاص الآتية أسماؤهم بتزويدى بالمعلومات وغيرها من المساعدات التي مكنتني من إعداد هذا البحث . ويسرني أن أتقدم لهم بالشكر والعرفان وهم : الدكتور محمد الفاباه * رئيس قسم التاريخ بجامعة ليبيريا ـــ أ . بوكاي دوكولي ـــ رئيس منظمة الشباب الإسلامي في ليبيريا (الذى زودني بمعلومات كثيرة عن تاريخ الماندنجو والفاى في ليبيريا) ـــ الإمام يا شريف (الذي زودني أيضا بمعلومات عن تاريخ الماندنجو والفاي والجولا) ـــ الحاج فامويا شريف ـــ رئيس الجمعية الإسلامية في ليبيريا (وقد أعطاني تقارير عن تقدم الإسلام في ليبيريا في القرن العشرين) ـــ وكابينه محمد جنه نائب رئيس منظمة الشباب الإسلامي في ليبيريا للشئون الدولية (والذي كلفني بإعداد هذا البحث) .

* يقوم الدكتور باه بتعليم الثقافة الإسلامية وعلم الاجتماع في غرب أفريقيا .

NOTES

1 . M. Richardson, **Liberia,s Past and present,** (1958).
2 . **Liberia's Past and Present.**
3 . **African Repository,** (Publication of American Col. Soc.)
4 . **Blyden of Liberia.**
5 . **History of Liberia, the First Negro African Rep.** - Cassell.
6 . **Blyden of Liberia.**
7 . Oral account.
8 . **Liberia's past and Present.**
9 . **Blyden of Liberia.**
10. Minstry of Education, Monrovia.
11. Ministry of Lands and Mines, annual report, 1973.
12. Local concensus.
13. Lebanese concensus.
14. **News & Views on Muslim Education,** (March, 1973, World Center for Islamic Education, Ummul Qura University, Makkah.)

* Dr. Bah provides insights into Islamic culture and sociology in West Africa.

تحـويـلات الـدخـل كاستراتيجيـة للبقـاء عنـد مجتمـــع الأقـلية النوبيـة المسـلمة في كينيـا نـمـوذج اقتصـادي

بقلـم: محمـد س. مكـراس

تحـويـلات الدخـل كاستراتيجيــة للبقــاء عنــد مجتمــع الأقـلية النوبيــة المسـلمة في كينيــا نـمـوذج اقتصــادي

محمـد س. مكـراس

موجـــــــز

عندمـا يواجه أعضاء الأقلية النوبية المسلمة الأكثر فقرًا دخلا منخفضا غير ثابت ، وعندما يعانون من الضيق بسبب قلة الفرص المتاحة أمام اشتراكهم في رؤوس الأموال الحكومية وبالتالي عدم استطاعتهم دخول أسواق العمل فإنهم يلجأون إلى تعاملات تبادلية خارج السوق من أجل البقاء والتقدم . ومن خلال تدفق التحويلات بين الأسر وبين منظمات الرعاية في المجتمع تصبح هذه الفئة قادرة على تحقيق انتعاش اقتصادي وتماسك اجتماعي وتقدم بين أعضائها .

ويمكن التعرف بدقة على ديناميكية بقاء الأسرة في هذا المجتمع عن طريق نموذج ارتدادي مضاعف ذي متغيرات متعددة ، تشكل فيه التحويلات الداخلية المتغير المستقل وسلسلة من المتغيرات الاجتماعية – الاقتصادية التي تشكل المتغيرات التوضيحية . ولكي نختبر هذا النموذج السلوكي باستخدام البيانات الاستقرائية ،ومن ثم استخراج تقديرات بارامترية تكون لازمة لرسم السياسة ، فإننا نحتاج للتمويل اللازم لعمل البحوث الضرورية .

١ - مقدمـــــة :

يتميـــز الاقتصاد الكيني ، كغيره من اقتصاديات الدول النامية الأخرى ، بوجود قيود هيكلية في سوق رأس المال والعمل . وعلى الرغم من وجود أعداد وفيرة من العمال غير المهرة وأنصاف المهرة في كينيا ، فإن تكنولوجيا الإنتاج المستخدمة في القطاع الصناعي تعتمد على تركيز رأس المال بصورة مفرطة . وإلى جانب ذلك ، فإن مخصصات رأس المال المتاحة محدودة ، الأمر الذي فرض قيودًا شديدة على العمالة الدائمة الإنتاجية في القطاع الصناعي الحضري . كما أن صورة القطاع الزراعي الريفي تبدو غير مبشرة بنفس الدرجة . ففي هذا القطاع تعد الكوارث الطبيعية كالجفاف والفيضانات أمورًا شائعة . فضلا عن أن الإفراط في الرعي وإجهاد التربة بتكرار الزراعة والاستنزاف الذي حدث لزراعة الأشجار ، كل ذلك كان يعني استمرار إجهاد التربة وتآكلها . وعلاوة على ذلك فإن استخدام الأسمدة والمبيدات الحشرية والمبيدات الكيماوية للأعشاب الضارة وتكنولوجيات الري وحفظ وتوفير المياه هي كلها ببساطة أمور لاوجود لها [١] .

ويشير كل ماتقدم إلى أن غالبية السكان الحضريين والريفيين في كينيا يواجهون بانخفاض الدخل وعدم استقراره . كما أن لكل منهما نصيبًا محدودًا في أسواق العمل الرسمية ورأس المال وكذلك الحال بالنسبة لنظام الضمان الاجتماعي الرسمي . ولعل السؤال المنطقي الذي يطرح نفسه عند هذه النقطة هو : كيف يبقى هؤلاء الناس على قيد الحياة ؟

وعلى ضوء هذه الخلفية فسوف نحلل استراتيجية البقاء لمجتمع الأقلية النوبية المسلمة ، والذي أوضحت الشواهد المتاحة أنه أسوأ حالا من الناحيتين التعليمية والاقتصادية من باقي المجتمعات العرقية غير المسلمة في كينيا[٢] إن أفراد هذا المجتمع من الفقراء – الذين يواجهون انخفاضًا في الدخل فضلا عن عدم استقراره ويعانون من القيود التي يفرضها نصيبهم المحدود في الأسواق الرسمية لرأس المال والعمل وكذلك في نظام الضمان الاجتماعي – قد التجأوا إلى نمط التعامل خارج السوق من أجل انتقال الدخل الضروري لبقائهم وتنميتهم . وقد ساعد على ذلك رباط التآخي الإسلامي القائم بين أفراد هذا المجتمع . ولقد أتاح لهم ذلك الرباط الأخوي أن يوطدوا صيغة علاقة تبادلية كانت هي العامل الحاسم المسئول عن بقائهم الاقتصادي وعن التنمية .

ويبدأ هذا البحث بتعريف معنى الانتقال أو التحويل في الحزء التالي ، ثم ينتقل إلى مناقشة الوظائف الرئيسية الثلاث للتحويل في الجزء الثالث . أما الجزء الرابع فسوف يتناول بالتفصيل خصائص التحويلات والتي على أساسها تقوم (في الجزء الخامس) بوضع نموذج استكشافي متعدد للـ Regression Model Stockastic بغرض شرح الخصائص العلمية للتحويلات . والجزء السادس يتناول التوصيات ، أما الاستنتاجات فيشملها الجزء السابع .

٢ - تعريف : التحويلات و « التجمعات الأخوية » :

٢ ـ ١ شواهد تدفق التحويل بين الأسر :

تشير الشواهد التجريبية المتاحة من كل من كينيا وماليزيا والسلفادور إلى وجود كم كبير من تدفق الدخل بين الأفراد والأسر من خلال المعاملات خارج نطاق السوق . وإلى جانب ذلك فإن هذه التحويلات للدخل تشكل استراتيجية بقاء وتنمية هامة للعائلات الفقيرة .

وفى كينيا ، أوضح نولز Knowles وآنكر Anker[٣] بعد إجراء مسح شامل أن تحويلات الدخل لاتتدفق فحسب من المناطق الحضرية إلى المناطق الريفية ، بل إنها تتدفق أيضا من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية ، ومن الحضرية إلى الحضرية ، ومن الريفية إلى الريفية[٤] . وكذلك بين المؤلفان أن تحويلات الدخل تشكل قطاعا هاما من الدخل الإجمالى للأسر الأكثر فقرا[٥] . وتوضح الشواهد التجريبية المتأخرة ، الاستنتاجات الإضافية التالية بالنسبة لكينيا : أن المنطقة الريفية هى الملتقى النهائي لتدفق التحويلات الحضرية / الريفية ، وأن التحويل يلعب دور توفير الدخل للإعاشة والتنمية الاقتصادية[٦] .

جدول ٢ ـ ١ : أنماط التحويلات الحضرية – الريفية

وصف حالة التدفق	عـدد التحويلات	النسبة المئوية للتحويـلات	النسبة المئوية لإجمالى الكميات المحولة
حضري إلى ريفـي	٤٣١	٣٧,٠	٥٠,٤
حضـري إلى حضري	١١٩	١٠,٢	١٥,٠
ريفـي إلى حضري	٧٦	٦,٥	٦,٣
ريفـي إلى ريفــي	٥٤٠	٤٦,٣	٢٨,٣
إجمــــالي	١,١٦٦	١٠٠,٠	١٠٠,٠

Knowles, J.C. and Anker, R.

المصدر : « تحليل لتحويلات الدخل في دولة نامية :
حالة كينيا » ــ جريدة اقتصاديات التنمية

Journal of Development Economics

ص ٢١٠ (١٩٨١) .

وفي السلفادور ، وجد كوفمان أنه بالنسبة لأشد الأسر فقرا يمكن أن تمثل التحويلات ٦٦ في المائة من إجمالي دخل الأسرة (انظر الجدول رقم ٢/٢) ، وأن احتمال تلقي دخل محدود ، وكمية الدخل تتأثر بعوامل من بينها ، تكوين الأسرة ، ومشاركة القوى العاملة ، هذا يناقض النظرة التقليدية أن تحويلات الدخل تظل ثابتة نسبيا طول الوقت بالنسبة للأسر الأكثر فقرا[٧] .

جدول ٢ ـ ٢ : أهمية تحويلات الدخل بالنسبة للأسر ذات الدخل المحدود في سانتآنا / السلفادور

توزيع المال المكتسب	النسبة المئوية لمن يتلقون التحويلات	نسبة التحويل لإجمالي دخل المتلقي
المستوى الأول (الأدنى)	٥٨	٦٦ ٪
المستوى الثاني	٤٨	٢٥ ٪
المستوى الثالث	٢١	٠٥ ٪
المستوى الرابع	٢١	٠٤ ٪

المصدر .. داني كوفمان « تكوين الدخل المنزلي والسلوك الإنفاقي : ملخص بالقضايا والموجودات وتطلعات البحوث » قسم الاقتصاديات الحضرية والإقليمية ، البنك الدولى عام ١٩٨١ م .

وهناك شواهد تجريبية أخرى من ماليزيا تؤيد الاستنتاجات السابق ذكرها . ففي دراستهم حول ماليزيا ، توصل بوتز Butz وستان Stan(٨) إلى استنتاج – بين أشياء أخرى – أن التحويلات ليست قاصرة على التدفق النقدي وحده ، بل إن السلع والوقت أيضا يقدمان للتحويل .

وينبغي أن نذكر في هذا المجال أن جميع هذه التعاملات التي تتم خارج إطار السوق والتي تنطوي على تدفقات تحويلية تتم بين الأسر الصغيرة والعائلات الممتدة والجيران والأصدقاء في شكل « شبكة للبقاء » يمكن من خلالها أن تتلقى تحويلات دخل تعد ضرورية من أجل البقاء الاقتصادي .

٢ ـ ٢ تعريفات : التحويلات و « نظام التآخي للبقاء » :

إن « نظام التآخي للبقاء » سيعرف هنا على أنه نظام علاقات بين مجموعة من الأفراد أو الأسر يمكن من خلالها أن تتدفق وحدة تحويل أو أكثر . ويقوم نظام العلاقات أساسًا على رابطة الأخوة الإسلامية القائمة بين

الأفراد المعنيين . ويوصف هذا النظام على أنه « نظام بقاء » حسب ما يستخدم فيه ، بين أشياء أخرى ، لتحويل الموارد التي يتطلبها البقاء الاقتصادي والتنمية .

ويمكن لوحدات مختلفة من التحويل أن تتدفق في آن واحد من خلال نظام البقاء . فالوحدات الثلاث الرئيسية هي : المال والسلع (كالأغذية ومواد البناء الخ) والخدمات . وعلى الرغم من أن الوحدتين الأوليين يسهل تقديرهما كميا ، فإن التقدير الكمي للأخري يثير بعض الصعوبات . ومن أمثلة الفئة الأخيرة الخدمات المحلية والعمل وخدمات المبيت والطعام .

ويمكن أن تتدفق التحويلات بين الأفراد والأسر ومنظمات المجتمع ، أو أي تجمع يضم هذه المجموعات الثلاث . وتعرف التحويلات التي تتدفق بين الأسر على أنها تحويلات بين الأسر . والتحويلات بين الأسر هي تلقي أو إعطاء واحد أو أكثر من وحدات التحويل من جانب أسرة لأخرى . ومن ناحية ثانية ، فإن اصطلاح « تحويلات داخل المجتمع » يستخدم للإشارة إلى تلقي أو إعطاء واحدة أو أكثر من وحدات التحويل من جانب إحدى منظمات المجتمع أو إليها .

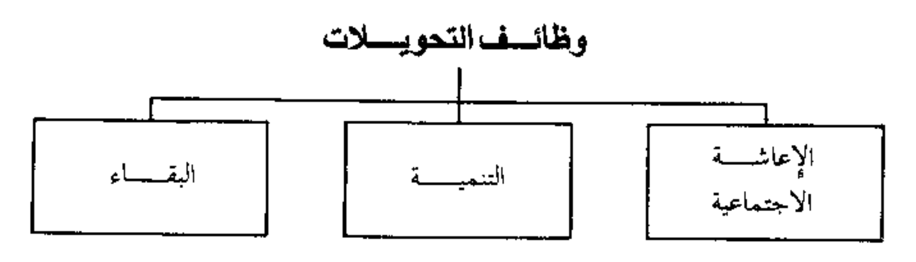
وسيستخدم اصطلاح « تحويلات » مابين الأسر لتشمل كل وحدات التحويل بين الأسر ، بصرف النظر عما إذا كانت المبادلة بالمثل متوقعة ، أم لا ، وعندما تكون المبادلة بالمثل متوقعة ، يكون لفظ « تبادل » هو المناسب للاستخدام . ومن الناحية الأخرى فعندما لا تكون المبادلة بالمثل غير متوقعة ، فإننا نستخدم لفظ « تحويل النقد » .

٣ – وظائف التحويـلات :

تشير الشواهد التجريبية التي تضمنها الجزء السابق إلى أن التحويلات تشكل استراتيجية هامة للبقاء بالنسبة للفقراء الذين ليس لهم سوى نصيب محدود في السوق الرسمية للعمل والقروض وبرنامج الضمان الاجتماعي . وعلاوة على ذلك فإن المشاركة في « نظام البقاء » قد لا توفر فحسب التحويلات الضرورية لبقائهم الاقتصادي ، بل إنها تشكل أيضا مصدرا لرأس المال من أجل التنمية[٩] .

وللتحويلات ثلاث وظائف أساسية ، هي : وظيفة البقاء ، ووظيفة التنمية ووظيفة الإعاشة الاجتماعية[١٠] . وتتضح هذه الوظائف في شكل رقم ٣/١ .

شكل رقم ٣/١ وظائف التحويلات



٣ ـ ١ وظيفة البقاء :

إن كثيرًا من الأسر الفقيرة التي تواجه دخلا محدودا وغير مستقر تواجه أيضا باحتمال عدم الحصول على مستوى الدخل الأدنى الذي يعد ضروريا لتوفير الإعاشة الأساسية للأسرة . وقد تعتبر مثل هذه الأسر إشباع الحد الأدنى من متطلبات العيش أمرا يعادل في أهميته محاولة حصولهم على الحد الأقصى من الدخل . ويستدعي ذلك تطبيق استراتيجية « الحد الأدنى من المخاطرة » والتي تدخل في إطارها الأسر في شكل ما من ترتيبات « المشاركة في المخاطرة » ويعني ذلك أن هؤلاء الذين يجدون أنفسهم في وضع اقتصادي أكثر ثراءً نسبيا في فترة ما سوف يحول أموالهم إلى من هم أقل ثراء ، على أمل المبادلة بالمثل في وقت ما في المستقبل إذا تغيرت المقادير . وفي إطار ترتيب « التأمين » غير الرسمي مع المشاركة في المخاطرة ، فإن المنفعة التي يحصل عليها محولو النقود هي أقل من المنفعة المتوقعة من مبادلة التحويلات في حالة ما إذا تغيرت المقادير وأصبح محول النقود هو المتلقي .

وتلعب التحويلات في هذه الحالات دور الضامن للبقاء الاقتصادي لمن يحصل عليها وعن طريق مثل هذه التحويلات يضمن الحاصل عليها العيش عند حد الكفاف من الدخل والاستهلاك(١١) .

٣ ـ ٢ وظيفة التنمية :

ترتبط وظيفة التنمية الخاصة بالتحويلات بتعبئة مثل هذه التحويلات كموارد لمشروعات استثمارية . ولقد أوضحت الشواهد المتوافرة أن الأسرة تحشد مثل هذه الاستجابات لإقامة مقر سكني جديد أو إدخال تحسينات على مسكنها القديم ، وتحشدها لشراء الأرض ومعدات الزراعة وإقامة شركات تجارية صغيرة وإدارتها(١٢) .

ويتضمن جدول ١/٣ بعض الشواهد الإحصائية المتعلقة بذلك .

جـــدول ١/٣
أوجه الإنفاق والتحويلات بين الأسر في مجال التنمية

وجــه الانفــــاق	النسبة المئوية من إجمالى الأســر (الإجمالي = ٤٢٧)
١ – بناء منزل	٤٣,٥
٢ – تنمية الأرض أو تحسينها	٢١,٨
٣ – شـراء أرض	١٥,٧
٤ – دفع رسوم مدارس	١٠,٦
٥ – شراء جرار أو غير ذلك من معدات الزراعة	٢,٦
٦ – تشغيل متجر صغير	٢,١

المصدر
– محمد مكراس ، النتائج الأخيرة الخاصة بتحديد تحويلات الدخل الريفية الحضرية في كينيا « معهد تيكوزا للأبحاث رسالة رقم/٢ ص ٩ .

وعلى مستوى المجتمع فإن التحويلات داخل المجتمع تستخدم لإقامة مرافق اقتصادية واجتماعية ودينية مثل بناء مدارس جديدة أو توسيع مدارس قائمة بالفعل وإقامة مساجد ومعاهد دينية وإقامة طرق ومشروعات إمداد المياه[١٣] .

٣ ـ ٣ وظيفة التكافل الاجتماعي :

يصـح القول بأن الأسرة في كينيا مثلها في ذلك مثل كثير من الدول الأفريقية الأخرى لديها نطاق واسع من الالتزامات نحو قريتها بصفة عامة وكذلك الالتزامات تجاه أسرهم الممتدة بصفة خاصة . وفضلا عن ذلك أن هذه الأسرة حتى لو كانت تقوم بعمل بالأجر في مناطق بعيدة عن قراها فإنها ترى من المهم أن تواصل الاحتفاظ بروابط وثيقة مع قريتها الأصلية وتبذل في كثير من الأحيان قدرًا كبيرًا من الجهد لتنال التقدير والاحترام بين أهل قراها الأصلية . وفي هذا الصدد

تشير موك [١٤] في دراستها في كينيا أن شبكة العلاقات بين الحضر والريف تتميز بإقامة نظام من الاعتماد المتبادل يوفر بمقتضاه المهاجرون إلى الحضر الإقامة ويساعدون في البحث عن عمل للمهاجرين الجدد إلى الحضر ، ويرسلون التحويلات إلى مواطنهم في حين يساعد الأعضاء القرويون في هذه الشبكة في ضمان حق حيازة الأرض وإدارة أملاك المهاجر والتدخل في عدد من المشكلات الأسرية .

ولا تقتصر التحويلات من جانب الأسر على أعضاء الأسرة الصغيرة فحسب . بل إن ممن يشملهم العون أعضاء في الأسر الممتدة وأعضاء من خارج الأسرة ربما كانوا أصدقاء أو جيران . كما أن التحويلات توجه كذلك إلى منظمات الرعاية الاجتماعية وكذلك إلى المنظمات الدينية والثقافية .

وعلى الرغم من أنه مفهوم ضمنا أن هذه التحويلات ذات مكونات تتعلق بالتنمية والبقاء ، فلن يكون من الصحيح أن نصفها تحت وظائف البقاء أو التنمية . فالهدف الذي تقدم من أجله التحويلات هو الذي يحدد ذلك . فإذا كان الهدف هو الحفاظ على علاقات وطيدة مع جماعات اجتماعية وثقافية واقتصادية تنتمي إليها الأسر دون توقع مقابل لذلك فإن من المناسب أن نصفها على أنها تحويلات متعلقة بالتكافل الاجتماعي .

٤ -خصائص التحويلات :

٤ ـ ١ أنماط وتدفق التحويلات :

إن كلا من التحويلات بين الأسر وداخل المجتمع تكشف عن نفس خصائص التدفق على أساس إقليمي . فكلا النمطين من أنماط التحويلات ذات طابع ريفي – حضري ، وريفي – ريفي ، وحضري – حضري[١٥] .

وعلى الرغم من أن منافع التحويلات بين الأسر تعود على عدد كبير من الأفراد كما أشرنا من قبل ، تشمل الأقارب وغير الأقارب فإن معظم هذه التحويلات تقتصر على الأسر بمعناها الصغير . فمن حيث الحجم يحصل أعضاء الأسرة بالمعنى الضيق للكلمة على القسط الأكبر من التحويلات بين الأسر في حين يحصل غير الأقارب على أقل قدر ، في حين يقع أعضاء الأسرة بالمعنى الواسع للكلمة أو الأسرة الممتدة في منزلة بين هاتين المنزلتين[١٦] . ويعد طابع التبادل المتضمن في هذه المعاملات ذا أهمية إضافية . وحين يتعلق الأمر بأعضاء من الأسرة بالمعنى الضيق فإن التبادل لايكون متوقعا في حين أن المبادلة بالمثل تكون موجودة في ظروف المبادلة مع أطراف ليسوا من الأقارب . أما حالة أعضاء الأسرة بالمعنى الواسع للكلمة فإنها تقع مرة أخرى في منزلة بين هاتين المنزلتين[١٧] .

والأطراف الرئيسية في عمليات تدفق التحويلات داخل المجتمع هم الأسر وهيئات الرعاية الاجتماعية . وتحصل هذه الهيئات على معظم مواردها التحويلية من الأسر التي ربما كانت تقيم فى مناطق حضرية أو ريفية . وما دام أن أطراف معاملات التحويل داخل المجتمع يمكن أن يكون محل إقامتهم في مناطق ريفية أو حضرية ، فإن أنماط تدفق التحويلات داخل المجتمع الناشئة عن ذلك إما أن تكون حضرية ــ ريفية أو حضرية ــ حضرية ، أو ريفية ــ ريفية .

وتوحي الشواهد المتاحة أن نحو ٥٪ من التحويلات داخل المجتمع في بعض أنحاء كينيا تتم من الحضر إلى الريف .[١٨] ونظرًا لأن هذه التحويلات تخصصها هيئات اجتماعية لأغراض التنمية بصفة رئيسية [١٩] ولأن نسبة سكان الحضر لا تزيد عن ٢٠٪ فبوسع المرء أن يتخيل الإسهام الذي يقدمه هؤلاء السكان في التنمية الريفية في كينيا .

٤ ـ ٢ التفسير الاقتصادي للتحويلات بين الأسر :

توحى الشواهد التجريبية التي عرضت في أبواب سابقة أن الأسر في عدة دول لوحظ أنها تشارك بصفة منتظمة في معاملات تحويل دون أن يكون لذلك تفسير نظري واضح . هل يمكن تفسير هذا السلوك في إطار رغبة جزء من الأسر المشاركة في تحقيق أقصى قدر من النفع ؟ هل من الصحيح القول إن أطراف هذه العملية تدفعهم توقع منافع أكبر من النفقات المتوقعة ؟

إن الطائفة النوبية المسلمة في كينيا تشكل أقلية اجتماعية أفقر نسبيا من غيرها من طوائف المجتمع الأخرى في التعليم وفي إطار الرفاهية الاقتصادية . وتضفي وسائلهم المحدودة فى الوصول إلى أسواق رأس المال ــ العمل على نظام البقاء عن طريق التآخي القائم بينهم أهمية بالغة بالنسبة لبقائهم الاقتصادي . ونظام البقاء عن طريق التآخي الذي يضم أفراد الأسرة بالمعنى الضيق والأسرة الممتدة وكذلك الجيران والأصدقاء المقربين تدعمه رابطة الأُخوة الإسلامية التى ينتمي إليها كل المشاركين . وينشأ عن هذا النظام من الدعم على أقل تقدير الحد الأدنى من الأمن الاقتصادي من خلال المعاملات المتبادلة في مجال المال و السلع والخدمات الثمينة من الزاوية الاقتصادية الضرورية لبقاء أفراد هذا النظام . إن التقارب الديني والمكاني والاجتماعي والدرجة الكافية من الثقة عوامل مهمة تيسر المعاملات المتبادلة داخل هذا النظام من الدعم .

ومن وجهة النظر الاقتصادية فإن نظام الدعم عن طريق التآخي يمكن النظر إليه باعتباره شكلا من أشكال مؤسسات التأمين غير الرسمية يلبي مصالح أعضاء الأسر . فالروابط الوثيقة القائمة بين الأعضاء التى تقترن بدرجة من الثقة والوسائل الفعالة

للوصول إلى معلومات عن الأعضاء يجعل لهذا النظام من التأمين ميزة لا تقارن إن لم تكن أكبر بالنسبة لمشروعات التأمين الرسمين بقدر ما يتعلق الأمر بمشاكل الأخطار المعنوية والاختيار المضاد الخداع

وفيما يتعلق باسرة تعيش ضمن نظام البقاء عن طريق التآخي فسنرمز لدخلها بالرمز (د) ويمكن افتراض أن هذه الأسرة تنفق دخلها على نوعين من النفقات الاستهلاكية : نفقات استهلاكية على الضروريات (ن ض) ونفقات استهلاكية على غير الضروريات (ن . غ . ض .) والقدر المخصص من الدخل الضروري لتلبية احتياجاتها الاستهلاكية الضرورية سنرمز له بالرمز (د ض) .

وفيما يتعلق بالدخل الذي يكفي الحاجات الأساسية وبالاستهلاك فإن أسرة بعينها يمكن أن تعانى من **عجز** في الدخل أو أن يكون لديها **فائض** في الدخل أو أن يكون دخلها **متوازنا** يوفي بالكاد باحتياجاتها الضرورية . وقد تم إيضاح هذه الحالات الثلاث في (١/٤) و (٢/٤) و (٣/٤) على التوالي .

د > د ض	(١/٤)
د < د ض	(٢/٤)
د = **د ض**	**(٣/٤)**

ومادامت الأسرة تواجه تقلبات فيما يتعلق بالعمل والدخل فإن مسار دخلها يكون متذبذبا وفي شهور العسر عندما يكون د > د ض تحتاج الأسرة إلى دخل محول من نظام البقاء لتعويض العجز . وفي شهور اليسر عندما يكون د < د ض فإن العكس هو ما يحدث : فعن طريق المعاملة بالمثل تقوم الأسرة بتحويل دخل للأعضاء الأقل حظا من الثروة داخل نظام البقاء .

ومن ثم فإننا نتبين أن الأسرة تتوافر لها الحماية عن طريق نظام البقاء وعن طريق التآخي ضد التقلبات غير المواتية للدخل . وبعبارة أخرى فإن هذا النظام يوفر نوعا من الحماية التأمينية ضد التقلبات غير المواتية للدخل . وعلى ذلك فإن الأسرة يكون لديها حافز اقتصادي لأن تكون عضوا فى هذا النظام (ليحميها) . والتحويلات التى تقدمها في إطار نظام المساندة عن طريق التآخي يمكن اعتباره بمثابة « اشتراك تأمين » .

وينبغي التنويه إلى أنه داخل جماعة التآخي من أجل البقاء ، لا يكون في مقدور بعض الأسر — أعضاء فيه — أن يكون لها نفس القدرة على الكسب فهى تختلف من حيث الدخول المتوقعة وطبيعة ودرجة تقلب مثل هذه الدخول . ومع ذلك فإنه مهما كانت الخلفية الاقتصادية للأسرة العضو شريطة ألا تخصص مثل هذه الأسر فائضا ضخما . على نحو غير متكافيء (د < د ض) فإن النظام سوف يؤمنها من العجز في الدخل بإمدادها بدخل في شهور العسر . ويكون ذلك ممكنا من خلال دور هذا النظام في إعادة توزيع الدخل : فالموارد الكافية تؤخذ من الميسور لتسد العجز الذي تمر به الأسر التي تعاني من العجز .

٤ ـ ٣ أهمية التحويلات داخل المجتمع :

يتضح من الفصل السابق أن التفسير الرئيسي لتحويلات الأسر هي المحافظة على البقاء الاقتصادي للأسرة . ومن ناحية أخرى وبقدر ما يتعلق الأمر بالتحويلات داخل المجتمع فإن أحد الأدوار الرئيسية التي تقوم بها التحويلات هو التنمية الاقتصادية . إن منظمة الرعاية الاجتماعية تغطي عادة مناطق جغرافية واسعة ومن ثم فإنها تضم عدة جماعات من جماعات التآخي في سبيل البقاء في المناطق الجغرافية التابعة لها . وعلى الرغم من ذلك فمن غير المرجح أن تجد وضعًا تكون فيه جميع الأسر في المناطق الجغرافية التابعة لمنظمة الرعاية الاجتماعية تمارس أنشطة تعود بالنفع على السكان بصفة عامة في المنطقة .

ذكرنا من قبل أن هذه المنظمات تحشد مواردها عن طريق التحويلات من الأسر الأعضاء والمنظمات المماثلة وتستثمر هذه الموارد في مرافق دينية واقتصادية واجتماعية . وتنصب هذه الاستثمارات بصفة خاصة في مشروعات من بينها المدارس والمستوصفات ومشروعات الامداد بالمياه والطرق والكنائس واحواض لتنظيف الماشية .[٢٠] ونتيجة للطابع العام لمثل هذه المشروعات الاستثمارية فإنها تعود بالنفع على السكان بصفة عامة بغض النظر عن عضويتهم في المنظمة الاستثمارية .

ولكي يتمكن المرء من تقدير أهمية الوظيفة التنموية للتحويلات داخل المجتمع في كينيا فإن المرء يلزمه أن يتعرف على مختلف المشاكل الاقتصادية التى تمر بها البلاد منذ فترة . ومن بين هذه المشاكل انخفاض معدل النمو الاقتصادي وزيادة معدل النمو في السكان ومشاكل ميزان المدفوعات الحادة والزيادة الكبيرة في تكاليف المعيشة وتسارع معدل الهجرة من الريف إلى الحضر مما يتسبب في ازدحام المدن بالسكان والضغط الشديد على المرافق الاقتصادية والاجتماعية . وقد أكدت المناقشات التى تركزت على استراتيجيات التنمية التي يتعين تبنيها لمعالجة هذه المشاكل ، أكدت على عدم كفاية مصادر التمويل الرسمية التقليدية مثل البنك الدولي وغير ذلك من الوكالات المقرضة .

وفي ضوء ذلك فإن الوظيفة التنموية للتحويلات داخل المجتمع أمر غني عن البيان . فالجهود التنموية لهذه المنظمات مكملة لجهود الحكومة وباستخدام التخطيط السليم فإن هذه المنظمات يمكنها أن تتحول إلى مكون في غاية الأهمية من مكونات استراتيجية التنمية وبخاصة في أوقات المشاكل الاقتصادية

وتوضح البيانات الإحصائية المتوافرة تحت أيدينا أن التحويلات داخل المجتمع بين الأقلية النوبية المسلمة في كينيا تستخدم بصفة رئيسية في إضافة مرافق دينية واجتماعية ، ويوضح جدول ٣/٤ البيانات الخاصة بذلك فى مواطن النوبيين المسلمين في نيروبي وكيبجورى وكيسي .

جدول ٣/٤ استثمارات النوبيين المسلمين في كينيا
في المرافق (١٩٨٥)

	السكان	مساجد		مدارس دينية		مدارس تمريض		مستشفيات	مدارس ابتدائية
		حجرية	طينية	حجرية	طينية	حجرية	طينية		
نيروبي	١٢٠٠٠	١	٢	١	—	١	١	١	١
كيسي	١٥٠٠	١	—	—	١	—	—	—	١
كيبجوري	٩٥٠	—	١	—	١	—	—	—	١

٥ ـ نحو نموذج اقتصادي :

لابد أنه قد اتضح حتى الآن أن التحويلات تلعب دورًا مهما في استراتيجيات البقاء والتنمية لدى النوبيين المسلمين في كينيا . ونظرًا لذلك فإن من المنطقي إجراء دراسة حاسمة تهدف إلى مزيد من الفهم لخصائص « التحويلات » داخل المجتمع . وبصفة خاصة من المهم تحديد وتقييم العوامل المحددة للتحويلات . ذلك لأن معرفة محددات التحويلات سوف تمكننا على نحو مباشر من التوصل إلى توصيات سياسية تهدف لزيادة حجمها وتمكننا من التأثير على تدفقها لصالح مشروعات التنمية .

٥ ـ ١ تحديد المتغيرات التابعة والتفسيرية :

ألقت المناقشات التي تضمنها القسم الرابع (٤) بعض الضوء على دينامية تكوين الداخل بين النوبيين المسلمين عن طريق المعاملات بين الأسر . وأوضحت المناقشات أن هناك رابطة قوية بين دخل الأسرة والتحويلات . مثل هذه الرابطة توفر مؤشرا لنقطة البدء في اقامة نمط سلوكي يهدف لتصوير خصائص التحويلات بين الأسر . ويتعين علينا أن نضيف بغض النظر عن الأهمية المركزية التي تعلق على دخل الأسرة كمتغير تفسيرى للتحويلات بين الأسر ، أن نضيف قولنا إن متغيرات تفسيرية ممكنة سوف تقترح لتندرج ضمن نموذج قياس اقتصادي متعدد المتغيرات يتعين طرحه في موضع لاحق من هذا القسم .

في مستهل جهودنا ينبغي أن نوضح أن هذا المجال لم يحظ بالكثير من الدراسة في الاقتصاد . وفضلا عن ذلك فإنه يفتقر إلى نموذج نظري قبلي a priori يهدف إلى تفسير سلوك التحويل بين الأسر . وعلى الرغم من هذا العيب فسنمضي قدمًا في بحثنا بأسلوب تفسيري . والعقبة الوحيدة الخطيرة هو أن هذا النموذج الذي سنقترحه هنا لن يجري اختباره من خلال بيانات تجريبية إلا بعد جمع هذه البيانات عندما تتوفر الأموال اللازمة .

ونظرًا لأن الهدف الرئيسي هو دراسة خصائص تحويلات الدخل بين الأسر فإن المتغير التابع سيكون نتيجة لذلك هو « تحويلات الدخل بين الأسر » ومن المفترض أن تحويلات الدخل بين الأسر تتوقف أو تفسر بالمتغيرات التفسيرية التالية : دخل الأسرة ، سن رب الأسرة وجنس رب الأسرة وحجم الأسرة ومشاركة قوة العمل والحالة الاجتماعية (الزواجية) و المقر السكني للزوجة وعدد الأطفال الذين يعيشون مع الأسرة في موطنها الأصلي ، وعدد الأطفال الذين يعيشون مع رب الأسرة في المكان الذي انتقل إليه ، وبعد هذا المكان عن الموطن الأصلي والملكية من العقارات وموقع هذه العقارات ودرجة تدين رب الأسرة .

وإجمالًا فقد افترضنا أربعة عشر متغيرًا تفسيريا بهدف الاستكشاف التجريبي في نموذج ارتدادى مضاعف . فمن خلال تحليل ارتدادى ينبغي لنا أن نتمكن من تحديد هذه المتغيرات التفسيرية التي تؤثر إلى حد كبير على المتغير التابع وتحدد في الآن نفسه حجم واتجاه آثاره على المتغير التابع .

٥ ـ ٢ الشكل الوظيفي للنموذج المقترح :

إن النموذج الذي نقترحه نموذج عشوائي متعدد المتغيرات للصورة العامة التي طرحت في (٥/١) .

$$TR = F (Xi‘ e) \qquad (5 . 1)$$

TR = التحويلات بين الأسر

xi = متغير تفسيري

= حد عشوائي

i = ١ ، ٢.... ن

ونقترح شكلين ممكنين محددين ، وكلاهما معادلة فردية . والمعادلة الأولى منهما صورة جمعية لما هو معطى في (٥/٢)

(5.2)

$$Tr = A + 3 + 3i$$

حيث

Tri = التحويل بين الأسرة للأسرة ith

A = حد ثابت

Xi J = ملاحظة ith للمتغير التفسيري ith

3i = حد عشوائي

(5 .3)

$$TR = Axl\ a_l - - X_n al\ 3_e$$

TR = التحويلات بين الأسر

A = ثابت

X = متغيرات تفسيرية

3 a = حد عشوائي

a_l - an = عوامل مرنة ثابتة

هذان الشكلان يؤلفان وظيفتين تفسيريتين ـــ وفي غياب شكل وظيفي نظري قبلي فإن أدوات القياس الاقتصادي المتاحة والبيانات التجريبية ينبغي أن تستخدم لاكتشافات هذه الأشكال الوظيفية (وغير ذلك من الأشكال إذا لزم الأمر) بحيث نصل إلى الشكل الذي يتوافر فيه التناسب مع البيانات المتوافرة . ومن خلال هذا العمل يمكننا التوصل إلى فهم أكبر للتحويلات بين الأسر . ومثل هذا مقترنًا بالمقياس الناتج عن النموذج سيمكننا من وضع توصيات لتوجه التحويلات بين الأسر إلى الاتجاه المرجو .

٦ ـ توصيـــات :

٦ ـ ١ ضرورة البحث ونشر نتائجه :

يبدو أن العالم الإسلامي ليس لديه سوى معرفة ضئيلة بالأوضاع الاقتصادية لمختلف جماعات الأقلية الإسلامية فى مختلف أنحاء العالم . وفضلا عن ذلك فإنه على الرغم من أن هناك عملا فى هذا الصدد فإن هناك الكثير مما يمكن القيام به عن طريق تشجيع تجميع وتحليل ونشر المعلومات عن الأوضاع الاقتصادية لهذه الجماعات ، فما زال من المتعين أن تستفيد هذه الجماعات من اهتمام العالم الإسلامى ، وفي عدد من الحالات فإنها تكون فقيرة للغاية ولا تحصل التعليم العلماني ، كما تكون قليلة عدديا حيث يكون العدد ميزة . وفي غالب الأحوال لا يكون لها تأثير على الإطلاق على أى قرارات تؤثر على جوانب عديدة من حياتها . وطالما أن أولئك الذين يمكن أن يهبوا لمساعدتها لا يعرفون من الناحية العملية شيئا عن

هذه الجماعات فإنهم لن يمكنهم القيام سوى بالقليل إزاء هذه الأقليات المسلمة . ولهذا السبب فإن هذه الجماعات تشعر بأنها معزولة وعاجزة وفي موقف ضعيف للغاية . ولذلك فإن الخطوة الأولى ينبغي أن تكون تشجيع البحث الذى يهدف لتقديم معلومات عن الجماعات وتقديم توصيات سياسية وثيقة الصلة بالموضوع . وهذه الخطوة هي الخطوة الأولى والأساسية فى أي جهود تبذل لفهم هذه الجماعات ومن ثم تقديم العون لها . وبتوافر هذه المعلومات التجريبية معالمها للتوصل إلى طبيعة ومدى أي عون تحتاجه مثل هذه الجماعات وكيف ومتى يمكن تقديم مثل المعونات .

والخطوة الأولى في هذا التدريب هو جمع المعلومات وتحليلها ، وإذا تم القيام بذلك على نحو صحيح فإنه يتعين أن تكون لدينا معلومات مفصلة عن جماعات الأقلية المسلمة تتضمن بيانات مثل : اسم الجماعة ، الموقع الجغرافي للجماعة والبلد والإقليم والمنطقة : سكانها والأوضاع التعليمية والاقتصادية ومشاكل الجماعة الاجتماعية .

والخطوة الثانية هي نشر المعلومات التي تم تحليلها . وهناك عدة سبل لنشر هذه المعلومات . مثل عقد ندوة أو مؤتمر مثل الذي نحضره الآن ، كما أن المعلومات يمكن نشرها عن طريق الصحف أو الدوريات في الكتب وتعتمد المفاضلة بينها على الأهداف التي يرجى تحقيقها .

وهناك خطوة ثالثة تتمتع بنفس القدر من الأهمية (إن لم تكن أهم) وهي أنه ماإن يتم تحديد طبيعة ومدى المشاكل التي تواجه هذه الجماعات فإن محاولات جادة ينبغي القيام بها للتوصل إلى حلول لهذه المشاكل . وفي عديد من الأحوال لا يتجاوز البحث نشر المعلومات الناتجة عن البحث دون اتخاذ أي عمل بما يتفق مع التوصيات التي تضمنتها هذه المطبوعات حتى ولو كانت مثل هذه التوصيات تدعو إلى عمل طارىء لتخفيف مشكلة حادة منيت بها الجماعة موضوع البحث .

٦ ـ ٢ تمويل البحث :

إن إجراء الأبحاث يتطلب مالًا . فجمع المعلومات وتحليلها ونشرها ربما تطلب بضع مئات من الدولارات أو مئات الآلاف من الدولارات ويتوقف ذلك على نمط وحجم البحث . وتجربتي في هذا الصدد هي أن مسلمي الأقلية في وضع غير مواتٍ للغاية . ففي بلادي لدينا عدة وكالات تقدم منحا للأبحاث لاتهتم بتمويل الأبحاث الخاصة بالأقليات . ومن ناحية أخرى فإن مؤسسات الأبحاث والمؤسسات الأكاديمية الإسلامية التي تعاملت معها في العالم الإسلامي يبدو أنها لم تصل إلى موقف واضح بشأن تمويل هذه الأبحاث .

ومهما كان الموقف فإن هناك أمرًا واضحا : إذا كان يلزمنا أن نعرف المزيد عن الأقليات المسلمة فمن الضرورى أن نجري أبحاثا على هذه الجماعات . ولن يكون ذلك ممكنا إلا إذا توافر التمويل .

٧ ـ الخلاصة والنتائج :

لقد أوضحت المناقشات التي وردت في بحثنا أن الأعضاء الأكثر فقرا في الأقلية النوبية المسلمة يعتمدون على تحويلات الدخل بين الأسر للحفاظ على بقائهم الاقتصادى ، وذلك نظرًا لضيق السبل المتاحة لهم للوصول إلى أسواق العمل ورأس المال ونظام التأمين الاجتماعي . فعن طريق معاملات تبادلية تتم خارج السوق تنتظم الأسر في « نظم بقاء » تقوم بدور مؤسسات تأمين غير رسمية يتدفق من خلالها تحويلات الدخل من الأسرة التي تحقق فائضا إلى الأسرة التي تعاني من العجز ويضمن بذلك البقاء الاقتصادي لهذه الأسرة . وفضلا عن أن هذه الدخول التي تأتي عن طريق التحويلات تضمن البقاء الاقتصادي فإنها تقوم أيضا بدور في إيجاد تنمية اقتصادية وتلعب دورا في التكافل الاجتماعي .

فإن علمنا أن هذه التحويلات مهمة للغاية في بقاء وتنمية وتماسك هذا المجتمع ، كيف يمكننا التقدم لتحليل خصائصها الفاعلة بحيث تكون في وضع يمكننا من التأثير عليها على النحو المطلوب ؟ . الرد على ذلك السؤال هو اللجوء إلى نموذج ارتدادي عشوائي متعدد المتغيرات يكون فيه « التحويل » هو المتغير التابع . وأن يقترن ذلك بمجموعة من المتغيرات التفسيرية الاقتصادية والاجتماعية . وكل من المتغيرات التفسيرية والشكل الوظيفي لهذا النموذج سوف يكونان تفسيرين وبخاصة نظرا لغياب نموذج نظري **قبلي** لهذه الظاهرة .

واختيار هذا النموذج يتطلب بحثًا يتركز على الأقلية النوبية المسلمة . وضرورة مثل هذا البحث ليس في الواقع المبالغة في التأكيد عليها . ولكن هذا البحث لن يكون ممكنًا إلا إذا توافر التمويل . وفضلا عن ذلك فإن البحث لن يكون مفيدًا إلا إذا (ونؤكد على إذا) تم طبع النتائج والتوصيات ونشرت بحيث تصل لمن يستفيد منها . وفضلا عن ذلك فإن البحث سيحقق أهدافه النهائية إذا أدت نتائجه إلى سلسلة من الأعمال التي تجري على أساس توصيات هذا البحث وبما يتفق معها .

NOTES

1 . **Theis is part of data collected in an ongoing research by Mukras and oucho : MUKRAS,Mohammed S . and OUCHO,John,Migration, Income and Technological Transfers, Inter - community Investments and Rural Development in Kenya''** An ongoing research funded by IDRC . 1985 .
2 . MUKRAS,Mohammed S .''The Nubian muslim Community in Kenya : An Econmic Appkaisal '' **Journal Institute of Muslim Minority Affairs,** Vol . 3, No . 2, 1982
3 .KNOWLES, James and ANKER,Richar,An ''Analysis of Income An Transfers in a Developing Country : The Case of Kenya, **Journal of Development Economics** 8 (1981), 1981, 205 - 226 .
4 .Ibid p . 210
5 .Ibid p . 212
6 .OUCHO, John and MUKRAS, Mohammed S . ''**Migration Transfers, and Rural Development :** A Case study of Kenya'' Unpublished Report Based on Primary Research covering 2 districts in Kenya (Nairobi : University of Nairobi, Department of Economics or Population Studies and Research Institute),1983 .
7 .KAUFMAN, Dani ''**Household Income Formation and Expenditures Behaviour :** A summary of Issues, Findings and Research ''Urban and Regional Economics Division,World Bank,1981 .
8 .BUTZ, William and STAN, Peter '' **The Microstructure of Malaysian Interhousehold Exchange Networks, UCLA Labour Economics Workshop,** April 14,1981 .
9 .MUKRAS, Mohammed S .''**Recent Findings on the Determinations of Urban - Rural Income Transfers in Kenya**'' Tekuza Research Institute, Research paper series NO . 2, 1985 .
10 .Ibid, pp . 3 - 9 .
11 .The survival function of transfers is documented by : LOMNITZ, Larissa **Networks and Marginality : Life in a Maxican Shantytown** (New York : Academic Press, 1977); MUKRAS, Mohammed S ., 1985, **op . cit,** BAMBERGER, Michael, ''Support Networks and Survival Strategies of the Urban Poor : Background to a Proposed Research Research Projech Project in Kenya ''Urban and Regional Economic Division, World Bank, 1982 .
12 .Extensive literature is provided on the development function of transfers at the household level by RAMPEL, H . and LOBDELL,R . A ., (1978) ''The Role of Urban to Rural Remittances in Rural Development'', **Journal of Development Studies .**

13 .For empirical evidence on the development function of transfers at the community level, see OUICHO, John and MUKRAS,Mohammed S., " **The Role of Social Welfare Organizations in Inter - Community Transfers and Rural Development in Kenya** "Tekuza Research Institute, Research Poper NO . 1 , 1985

14.MOOK, Joyce L . 1978"The Content and Maintenance of Social Ties between Urban Migrants and thir Home - Based Supoprt Groups : The Maragoli Case"**African Urban Studies** Vol . 3 (Winter 1978 - 79) : 15 - 31 .

15 .KNOWLES, James and ANKER, Richard, **Op . cit** . p . 210 .

16 .Ibid, p 209 .

17 .MUKRAS,Mohammed S ., **Op . cit,** pp . 6 - 8 .

18 .OUCHO,John and MUKRAS, Mohammed S . (1985)**Op .cit** p .13 .

19 .Ibid, pp .8 and 11 - 16 .

20 .Ibid .

التعليم في موريشيوس مع التركيز على الجالية الاسلامية

هاشم مالك أمود



التعليم في موريشيوس مع التركيز على الجالية الإسلامية[1]

هاشم مالك أمود

يقدم هذا البحث عرضا موجزا للتعليم في موريشيوس مع التركيز بصفة خاصة على كيفية توافق الجالية الإسلامية مع نظام التعليم هناك ، وسنبدأ بإلقاء نظرة على الوضع الجغرافي والتركيب العنصري لأجناس الجزيرة ، ويلي ذلك عرض للأنواع والمستويات المختلفة للتعليم المتاح لسكانها ، وفي ختام البحث نقدم قائمة بالمشكلات العديدة التي تواجه الجالية الإسلامية ، وبعض التوصيات العملية لتحقيق الرفاهية للمسلمين في المستقبل .

وقد حصلت موريشيوس على استقلالها منذ عام ١٩٦٨ ، وهي تقع على بعد ٨٠٠ كم إلى الشرق من جمهورية ملاجاش ، ومساحتها ٢٧٠٠ كيلومترا مربعا حيث يبلغ طولها ٦٠ كم وعرضها ٤٥كم ، وعدد سكانها مليون نسمة بما فيها سكان الجزر التابعة لها وهي جزر رودريجز وكاراجوس وجزر اجاليجا ، وسكان موريشيوس من عناصر متعددة ، وتضم خليطا من العناصر والديانات والثقافات ، ويتعايش على أرضها جنبا إلى جنب عناصر من أصول أفريقية وأوروبية وهندية وصينية ، مع احتفاظ كل مجموعة عرقية منها بشخصيتها الخاصة .

ويمكن توزيع سكان موريشيوس على النحو التالي :[*]

---

(١) لمعرفة مزيد من التفاصيل (ص ٨٤٣)

(*) انظر الملحق

الهندوس	٣٩ ٪
التاميل ، التليجوس ، الماراثيون	١٢ ٪
عامة السكان (المسيحيون)	٢٨ ٪
المسلمون	١٨ ٪
الصينيــون	٣ ٪

ومن هذه النسب يتضح أن المسلمين يشكلون أقلية لها وزنها بين مجموع السكان ، وهم ينتشرون في جميع أنحاء الجزيرة ، وإن كانوا يتمركزون في ضواحي بورت لويس وبلين ويلهمس ، وتعيش معظم الأسر المسلمة أو بالأحرى أغلبيتها في المناطق الحضرية أو شبه الحضرية ، بينما يشكل الهندوس أكثرية سكان الريف ، ويتمتع أهالي موريشيوس دائما بحرية العقيدة الدينية والثقافية ، وكان من نتيجة ذلك أنه يوجد في الجزيرة التي يقطنها ١٨٠٫٠٠٠ مسلم حوالى ١٢٥ مسجدا ويسيطر الأعضاء الهندوس في البرلمان على حكومة البلاد بدرجة كبيرة حيث يشكل الهندوس والماراثيون والتليجوس والتاميل أغلبية السكان .

ويواجه المسلمون ، كما هو الحال بالنسبة للهندوس والتاميل وغيرهم من الجماعات نوعا من الازدواجية في مجال التعليم ، بمعنى أنهم يدرسون نوعين من البرامج التعليمية لكل منها هدف مختلف ابتداء من المرحلة الأولية ، وبالنسبة للمسلمين يقدم النوع الأول من التعليم في « المدارس » التي تزود الناشئة من المسلمين ، بنين وبنات ، من سن الخامسة أو السادسة بالتعليم الديني ، وتدرس هذه البرامج للأطفال المسلمين مدة خمس أو ست سنوات فقط ، في حين تبدأ دراسة النوع الثاني من التعليم ، وهو التعليم غير الديني في المرحلة الابتدائية ويستمر حتى المستوى الجامعي أي يمتد لفترة تتراوح بين ١٢ ــ ١٦ سنة .

ويبين الجدول التالي المراحل المختلفة للتعليم في موريشيوس مع بيان مقدار تأثير التعليم الإسلامي فى نظام التعليم الحالي .

التعليم الابتدائي :

الفترة	المدارس		عدد التلاميذ			المعلمون
	عدد المدارس	حكومية	معانة	غير معانة	المجموع	عدد المعلمين
يونيو٧٩	٢٥٣	٩٣٩٤٠	٢٧٧٥٩	٣٤٤٦	١٢٥١٥٦	٦٣٧٣
يونيو٨٠	٢٥٦	٩٣٣٨٩	٢٦٩٠٣	٣٤١٨	١٢٣٧١٠	٦١٨٢
يونيو٨١	٢٥٨	٩٩٧٦٢	٢٧٦٨٠	٢٧٠٣	١٣٠١٤٥	٦٤٤٧
يونيو٨٢	٢٦٢	١٠٢٦٥١	٢٦٦٠٣	٢٣٤٠	١٣١٥٩٤	٦٤٢٠

الملخص نصف السنوي للإحصاءات ـــ يونيو ١٩٨٣ .
وزارة التخطيط الاقتصادي والتنمية .

وطبقا لما يرويه المؤرخون المحليون فقد بدأ التعليم الابتدائي في البلاد على أيدي المنظمات المسيحية منذ أكثر من ١٥٠ عاما ، وكان مقصورا حينذاك على الأسر الموسرة ، وما زالت بعض هذه المنظمات تدير المدارس المعانة على الرغم من أن الحكومة تسيطر بالفعل على نظام التعليم بأكمله وكان المبشر البروتستانتي جان ليبرون هو الذى بدأ التعليم المجاني على المستوى الابتدائي في عام ١٨١٥ ، وقد تحقق تقدم كبير في هذا المجال حيث ظل أهالي موريشيوس يقدم لهم التعليم الابتدائي بالمجان لفترة طويلة ، وتبلغ نسبة الملتحقين بالمدارس الابتدائية من مجموع الأطفال من سن ٥ ـــ ١٢ سنة حوالي ٩٥٪ يدرسون في ٢٦٢ مدرسة ابتدائية تقع في أركان الجزيرة الأربعة .

ويتركز الاهتمام على المواد الأربعة الرئيسية وهي اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية والرياضيات والجغرافيا (التي يجري تدريجيا استبدالها بالدراسات البيئية) كما تدرس مادة اختيارية من بين اللغات الهندية ، التليجو ، الماراثي ، الأوردو ، العربية ، الصينية ، التاميل . ونتيجة لذلك يدرس الأطفال المسلمون بنين وبنات أساسيات اللغة الأوردية أو العربية بينما يدرسون القليل جدا من المعلومات عن الدين الإسلامي والثقافة الإسلامية طوال مرحلة دراستهم الابتدائية ، بل إن منهج تدريس اللغة الاوردية أو اللغة العربية تنقصه القواعد التدريسية الصحيحة كما يفتقر إلى التجانس والتنسيق مما يجعل المعلمين يدرسون هذه اللغات بطريقة روتينية ودون أي هدف محدد . ومن جهة أخرى فإنه نظرا لشدة

التنافس في دراسة المواد غير الدينية في هذه المرحلة لضمان الالتحاق بإحدى المدارس الثانوية الحكومية أو غير الحكومية والذي تحكمه الدرجات التي يحصل عليها التلميذ في المواد الأربعة الرئيسية المشار إليها فإن تلاميذ المدارس الابتدائية من المسلمين لا يتوفر لديهم حافز قوي لدراسة اللغة الأوردية أو اللغة العربية دراسة جادة . وقد بدأ التلاميذ يعرضون عن دراسة هذه اللغات الشرقية ليتسنى لهم تركيز الجهود على المواد الرئيسية الأربعة .

وينجح كل عام حوالى ٥٠ ٪ من التلاميذ في امتحان شهادة الدراسة الابتدائية ، ويلتحق الأربعة آلاف طالب الأوائل في هذا الامتحان (٢٠٠٠ من البنين و ٢٠٠٠ من البنات) بالمدارس الممتازة ، أما الباقون فيلتحقون بالمدارس الثانوية الخاصة ، وأكثرية هذه المدارس مستواها متدنٍ نسبيًّا .

ولما كان أولياء أمور التلاميذ المسلمين لا يمكنهم الركون إلى المدارس ـــ الابتدائية لتعليم أولادهم الدين الإسلامي ، فقد لجأت غالبيتهم إلى إلحاق أولادهم بالمدارس الإسلاميةMadrassahs أو الاستعانة بمدرسين خصوصيين لهذا الغرض ـــ وقد استمر هذا الوضع فترة طويلة مما يعتبر تبريرًا قويا للدور الذي تلعبه هذه المدارس التي تقع على عاتقها مسئولية تعليم الإسلام للشباب المسلم .

ويستخلص من ذلك أن كلا من الآباء والتلاميذ يدركون منذ بداية المرحلة التعليمية الأولى أن التعليم الدنيوي أهم من التعليم الديني وأن هذين النوعين من التعليم سيظل كل منهما بمعزل عن الآخر ، ولكل منهما كيانه الخاص .

المدرسة (المكتب) :

تكافح الجالية الإسلامية ، شأنها في ذلك شأن بقية الجماعات العرقية الأخرى ، من أجل المحافظة على شخصيتها الثقافية والدينية وتنميتها في خضم مجتمع موريشيوس المتعدد العناصر ، ومنذ عهد بعيد قبل أن يبدأ التحاق غالبية الشباب المسلم بالمدارس الابتدائية أي منذ ما يقرب من ١٠٠ ـــ ١٥٠ سنة ، كان التلاميذ يلتحقون أولا « بالمدرسة » أو« المكتب » وهو الاسم الشائع الذي يطلق عليها في هذه البلاد ، وقد استمرت هذه المؤسسة التعليمية التي تشرف عليها المساجد أو الجمعيات أو يديرها الأفراد ، رغم مرور الزمن ، صامدة أمام الضغوط العديدة التي تعرضت لها نتيجة لتزايد أهمية التعليم الدنيوي ، وأبلت بلاءً حسنا جعلها تنتشر في أنحاء البلاد ، إذ يوجد حاليا حوالي ٢٥٠ مدرسة في مختلف أنحاء الجزيرة وخاصة في مناطق التجمعات الإسلامية أو حيثما يوجد المسجد .

وتعمل هذه المدارس لمدة تتراوح بين ١٢ ـــ ١٥ ساعة في الأسبوع إما في الصباح الباكر أو في المساء حتى لاتتعارض الدراسة فيها مع الدراسة بالمدارس الابتدائية التي

تستمر عادة من التاسعة صباحا حتى الثالثة بعد الظهر ، والمواد التي تدرس في هذه المدارس تشمل الدياناتDiyanat والتجويد واللغة الأوردية واللغة العربية ، وتحتاج في هذا المجال إلى كثير من التنظيم وإعادة التشكيل ، فالمدرس الذي يعمل في مثل هذه المدرسة إما متطوع أو يتقاضى راتبًا منخفضًا جدًا لأن التدريس بها يعتبر عملا إضافيا ، وجميع هؤلاء المدرسين تقريبا لم يسبق أن تلقوا أي تدريب فني في هذه المهنة وإنما يعمل كل منهم حسب الطريقة التي تعلم بها هو نفسه من قبل .

وعلى الرغم من أن المدارس لعبت وما زالت تلعب دورا مهما للغاية في حياة الجالية الإسلامية فإن نظامها الحالي يتضمن كثيرا من السلبيات ولابد من إدخال تعديلات عليه لرفع كفاءته والنهوض به ، ففي المجال الأول نجد أن المواد الدينية يتم تدريسها بدون منهج محدد أو إشارات سليمة ، وثانيا يفتقر نظام التعليم إلى قواعد التدريس الصحيحة ، كما لا يوجد تناسق بين المواد أو محتويات المواد التي يجري تدريسها . وعماد عملية التعليم هو التكرار و التسميع دون أدنى قدر من الفهم ، حقا إن معظم البنين والبنات في هذه المدارس يحصلون على قدر كاف من المعلومات عن مبادئ الإسلام الأساسية وأنهم يتمون قراءة القرآن الكريم ، ولكن النقطة التي نريد أن نلفت إليها النظر هي أن هذه المدارس ظلت جامدة على حالها ورانت عليها حالة من البلادة وفي هذا الصدد نجد أن مسلمي جزيرة ريونيون التي تبعد ٢٥٠ كم إلى الجنوب الغربي من موريشيوس قد نظموا مدارسهم بطريقة أفضل ، حقا إن عدد المسلمين في ريونيون لا يزيد عددهم عن ١٥٠٠٠ ، إلا أن الجالية الإسلامية هناك أكثر تنظيما بفضل ما لديهم من إمكانات جيدة في مجال الموارد المادية والمالية .

ولا يسع المرء أن ينهي حديثه عن المدارس في موريشيوس دون أن يأتي على ذكر شخصيتين مرموقتين أسهمتا بالكثير في انشاء هذه المؤسسات و تقدمها خلال القرن الحالي .

قدم الشيخ عبد الله راشد نواب المولود في المدينة ، إلى موريشيوس في أكتوبر ١٩١٥ للعمل كإمام لمسجد الجمعة ، وقد أبدى منذ قدومه إلى الجزيرة اهتمامًا كبيرا بالجوانب الاجتماعية والدينية والتعليمية للمسلمين ، وقد تمكن بصفته هذه كعالم ديني ضليع وكمرب بعيد النظر ، من تجميع الشباب المسلم من المهنيين وغيرهم تحت لواء الجمعية التربوية الإسلامية التي أسسها في عام ١٩٢٥ ، وبعد عام أسس المدرسة العليا الإسلامية ، وقد ظلت هذه المدرسة طوال حياته مركزًا ونموذجا يحتذى بالنسبة لجميع المدارس الأخرى في الجزيرة وقد أدخل تغييرات جذرية على طرق التدريس ، ونظم فصولا مسائية لتدريب المعلمين كما كان يشرف على التدريس في مدارس أخرى كثيرة ، وقد كرس حياته كلها لتحقيق التقدم الثقافي والعلمي للمسلمين إلى أن وافته المنية في الجزيرة عام ١٩٥١ وهو في الثامنة والستين من عمره ، غفر الله له وتغمده برحمته الواسعة .

أما الشخصية الثانية فهي غلام محمد داعوجي أتشيا الذى ظل طوال عدة سنوات أبرز شخصية في الجالية الإسلامية ، وكان يتصدر دائمًا المناسبات الدينية والاجتماعية والثقافية والتعليمية ذات العلاقة بالمسلمين وكان يعمل جنبًا إلى جنب مع الشيخ نواب وكان يتولى إدارة مدرستين ابتدائيتين من المدارس المعانة من الدولة .

وبمرور السنين ساد الركود وعدم الاكتراث بتحسين التعليم الديني في المدارس ، وإن كان بعض الإخوة المسلمين قد نظموا أنفسهم مؤخرا ، بفضل الله بإنشاء مجلس التعليم الإسلامي وبدأوا في دراسة التعديلات والإصلاحات والتحسينات المختلفة التي يمكن إدخالها على نظام المدارس ، ندعو الله أن يمنحهم القوة وأن يوفقهم فى مسعاهم الحميد .

التعليم الثانوي :

الفترة	المدارس	عدد الطلاب					المعلمون
	عدد المدارس	الحكومية	الفئة أ	الفئة ب	غير المعانة	المجموع	عدد المعلمين
يونيو ٧٩	١٤٨	٧٦٧٣	١٨٩٣٨	٥٥٢٦٦	٦٩	٨١٩٤٦	٣٠٤٢
يونيو ٨٠	١٤٨	٩٦٩٢	١٩٦٦٣	٥١٤٦٥	٦١	٨٠٨٨١	٣٠٧٥
يونيو ٨١	١٤٧	١١٣١١	٢١٧٤٩	٤٥٢١٤	٥٨	٧٨٣٣٢	٣٠٩٣
يونيو ٨٢	١٤٨	١٣١٩٩	٢٢١٩٠	٤٠٨٤٢	٧٦	٧٦٣٠٨	٣١٤٤

الملخص نصف السنوي للاحصاءات ١٩٨٣ م .
وزارة التخطيط الاقتصادى والتنمية .

بدأت موريشيوس تقديم التعليم الثانوي بالمجان اعتبارًا من ١٩٧٦ ، ومنذ ذلك التاريخ بدأت الحكومة تسيطر بالتدريج على جميع المدارس ـــ الثانوية ، وكانت المدارس الحكومية تخضع دائما لإشراف وزارة المعارف بينما تدير الكليات الأخرى منذ عام ١٩٧٦ هيئة شبه حكومية تعرف باسم هيئة المدارس ـــ الثانوية الخاصة ، والتي تخضع هي نفسها لإشراف وزارة المعارف ، فهذه الهيئة تشرف على الجهاز الإداري بأكمله ، وقبول الطلاب وتعيين المدرسين ورواتبهم وتأجير المباني ، والتفتيش على المدارس وغير ذلك من الشئون المدرسية كلها تدخل ضمن الصلاحيات القانونية التي يتضمنها قانون هيئة المدارس الثانوبة الخاصة والذي أقره البرلمان فى ١٩٧٦م .

ويقضي طلاب المدارس الثانوية ٥ سنوات من الدراسة قبل أن يسمح لهم بدخول امتحان شهادة مدرسة كامبريدج أو شهادة التعليم العام من أوكسفورد (المستوى العادي) ، وبعد سنتين أخريين يستطيع من ينجح في امتحان أي من هاتين

الشهادتين أن يسجل في شهادة مدرسة كامبريدج العليا أو شهادة التعليم العام (المستوى المتقدم) ، ومما يجدر الإشارة إليه أن الترق الأوتوماتيكي أمر شائع خلال سنوات الدراسة الأربع في معظم المدارس الثانوية .

ويوضح الجدول الآتي مستوي الأداء العام لطلاب موريشيوس في هذه الامتحانات الخارجية :

	١٩٨١		١٩٨٢	
	عدد المتقدمين	عدد الناجحين	عدد المتقدمين	عدد الناجحين
شهادة مدرسة كامبريدج	١٣٢٧٧	٥٣٥٠	١٢٦٧٤	٥٤٧٧
شهادة مدرسة كامبريدج العليا	٢٣٥٣	٨٧٩	٢٦١٧	١٠٠٩
شهادة التعليم العادى (المستوى العادى)	٣٣٠٠	×	١٥٧٩	×
شهادة التعليم العام (المستوى المتقدم)	١٧١١	×	١١٧٤	×

التقرير نصف السنوي عن التعليم ١٩٨٠ ــ ١٩٨٢

× أرقام غير متوافرة .

ومما يجب التنويه إليه أن كثيرا من الطلاب الذين يتقدمون لامتحان الشهادة العام في التعليم. G .C .E في المستوي العادي level« o » أو في المستوي المتقدم(level « A ») يسجلون أنفسهم على أنهم طلاب غير مسجلين في أي كلية .

ويوجد ٢٣ مدرسة ثانوية حكومية (تديرها وزارة المعارف) و ٢١ مدرسة لا تستهدف تحقيق الربح (تديرها المنظمات الدينية المختلفة) وحوالى ٧٥ مدرسة ثانوية خاصة وتدخل ضمن الفئة الثانية المدارس التالية : الكليتان الثقافيتان الإسلاميتان (للبنين فقط) مدد الإسلام (للبنات فقط) الكلية العالمية (للبنين والبنات) كلية البنات الإسلامية ، وإن كانت هذه الكليات جميعها تخضع لإشراف هيئة المدارس الثانوية خاصة ، وتقبل الطلاب من كافة الجماعات الدينية التي تعيش في الجزيرة .

ويدرس جميع طلاب المرحلة الثانوية منهجا مشتركا في السنوات الثلاث الأولى يتضمن دراسة اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية والرياضيات والدراسات الاجتماعية والعلوم الموحدة والفنون البصرية والفنون الصناعية (للبنين) والاقتصاد المنزلى (للبنات) ، ولمن أراد أن يدرس إحدى اللغات الشرقية مادة اختيارية ، مثل الهندية أو الأوردو أو العربية أو الماراثي أو التليجو أو التاميل أو الماندرين بحسب توفر المدرسين ، ومما يؤسف له أن اللغات الشرقية لا توضع على قدم المساواة مع المواد الدراسية الأخرى ، ولذلك لا يوجد حافز قوى لدى الطلاب لاختيار أي منها ، ونتيجة لذلك فإن مستواها متدن للغاية ، وكان الطلاب المسلمون فيما مضى يدرسون الأوردية بدلا من العربية نظرًا لعدم وجود مدرسين للغة العربية لدى وزارة المعارف أو هيئة المدارس الثانوية الخاصة ، وقد ازداد في الآونة الأخيرة بالتدريج عدد الطلاب الذين يدرسون اللغة العربية ، ولكن ما يزال هناك نقص ملموس في المدرسين المؤهلين .

واعتبارا من السنة الرابعة يسمح للطلاب باختيار المواد مع دراسة اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية والرياضيات كمواد إجبارية ، وبعد السنة الخامسة يدخل الطلاب امتحان الشهادة العامة أو شهادة التعليم العام ومن ينجح في هذين الامتحانين يواصل دراسته حتى شهادة المدرسة العليا بعد سنتين من الدراسة ويتقدم لامتحان شهادة المدرسة العليا عدد يتراوح بين ٢٥٠٠ ـــ ٣٠٠٠ طالبًا ، ويحصل الستة عشر طالبا الاوائل (بنين وبنات) تلقائيا على منح دراسية من الحكومة لمواصلة دراستهم الجامعية ، وهناك منح دراسية أخرى تقدمها الدول الصديقة مثل فرنسا والهند وكندا واستراليا يصل مجموعها إلى حوالى مائة منحة ، وإن كان تقديم هذه المنح يعتمد على إجراء مقابلة مع الطلاب والاختيار من قائمة الأولويات أكثر مما يعتمد على أداء الطلاب فى الامتحان .

يتضح من هذا العرض الموجز لبرنامج التعليم الثانوي أن المقررات الدراسية موجهة لدراسة المواد الأكاديمية والنجاح في الامتحان أساسا ، ولا تجد إمكانية لدراسات إسلامية إضافية على الرغم من أن المنهج يتضمن مادة تحمل اسم « الدين والثقافة الإسلامية» ويتضمن الملحق (١) تفصيلات منهج الدراسة (نموذج ١ ـــ ٥) وعينة لورقة الامتحان الخاصة بالنموذج (٥)(*) ومع ذلك فإن قلة ضئيلة من الطلاب المسلمين يدرسون هذه المادة نظرا لضخامة العبء الدراسى في المواد الأخرى ، كما أن دراسة المواد الأكاديمية لها أهمية فائقة وإذا أبلى الطالب بلاءً حسنا في هذا المجال فستكون لديه فرصة أكبر لدخول الجامعة أو العثور على وظيفة .

(*) الملحق ص ٨٤٣

دار العلوم :

ومن أجل ملء هذا الفراغ في منهج الدراسة الثانوية بالنسبة لتدريس المواد الإسلامية ، توجد داران للعلوم إحداهما في فونيكس والأخري في جراندبوا تديرهما المؤسسات الإسلامية الخاصة ، وتدرس في هذين المعهدين الداخليين المواد الدينية فقط لتدريب الشباب (من البنين فقط) من سن ١٣ ـــ ١٦ سنة لتخريج حفظة للقرآن الكريم وأئمة للمساجد ، مع تدريس قدر يسير من اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، ومن المؤسف أن منهج الدراسة فيها دون المستوى ويحتاج إلى تعديلات وتحسينات يمكن إدخالها إذا تم تدبير المعلمين والمرشدين المؤهلين لكي يسير هذان المعهدان ، في المسار الصحيح ، والدراسة في هذين المعهدين بالمجان ، ويقدر عدد طلابها في الوقت الحالي بما يترواح بين ٥٠ ـــ ٦٠ طالبا فقط .

مراكز التدريب المهني :

يوجد ثلاثة مراكز للتدريب المهنى تقدم دورات وبرامج لتدريب الشباب على حرف الميكانيكا والكهرباء والبناء وغيرها ، كما توجد مدرسة أخرى للتدريب على الأعمال الفندقية ، إضافة إلى مدرسة للتمريض وتقدم هذه المدارس التدريب الفني لعدد يقل عن ٥٠٠ طالبا ، وقد افتتحت الحكومة الفرنسية في العام، الماضى معهد « ليسيه بوليتكنيك » في فلاك ، وهو مجهز بأحدث الآلات والمعدات الفنية لتدريب الشباب على الحرف المختلفة مثل الميكانيكا والنجارة وغيرها(**) .

تعليم المرحلة الثالثة :

توجد مؤسستان للتعليم في المرحلة الثالثة وهما :

أ ـــ معهد موريشيوس التربوي ومقره في ردويت .

ب ـــ جامعة موريشيوس ومقرها ردويت .

كما يوجد معهد ثالث لم يبدأ نشاطه بعد وهو معهد الدراسات الموريشيسية والأفريقية والآسيوية .

ويتولى معهد موريشيوس التربوي إعداد معلمي المدارس الابتدائية والثانوية بالإضافة إلى تطوير مناهج التعليم الابتدائي والثانوي ، وإعداد ومراجعة مواد التدريس الخاصة بالمدارس من الكليات ، ويمنح هذا المعهد الخريجين دبلوما في التربية وشهادة الدراسات

(**) انظر ص ٨٤٢

العليا التربوية ، وفيما يختص باللغات الشرقية يتعاون معهد المهاتما غاندى مع موريشيوس التربوي في توفير التدريب لمدرسى اللغات الشرقية .

أما عن جامعة موريشيوس التي كانت مدرسة للزراعة أصلا فإنها تمنح لخريجيها دبلومات ودرجات علمية في بعض التخصصات منها الزراعة والتقنية والإدارة ، ويعطي الجدول التالي فكرة واضحة عن هذه الجامعة ونشاطها :

	معهد الادارة		معهد الزراعة		معهد التقنية		المجموع	
	٨٢/٨١	٨٣/٨٢	٨٢/٨١	٨٣/٨٢	٨٢/٨١	٨٣/٨٢	٨٢/٨١	٨٣/٨٢
برامج الدرسات العليا	—	—	١١	٦	٤	٤	١٥	١٠
برامج الدرجات الجامعية	—	—	٤	—	٢٢	٣٠	٢٦	٣٠
برنامج الدبلوم	٧٥	١٠١	٢١	٢٤	١٣	—	١٠٩	١٢٥
براج الشهادات	١٢	٢٧	١٥	٣٢	١٧	٦٢	٤٤	١٢١
البرامج المهنية	٦٧	٣٠	—	—	١٠٥	٨٣	١٧٢	١١٣
المجموع	١٥٤	١٥٨	٥١	٦٢	١٦١	١٧٩	٣٦٦	٣٩٩

الملخص نصف السنوي للاحصاءات ــ يونيو ١٩٨٣م .

ويبتعث معظم طلاب موريشيوس للالتحاق بالجامعات في الخارج ، ويأتى ترتيب الدول التي يفضلون الدراسة فيها كالآتى : الهند ــ فرنسا ــ المملكة المتحدة ــ كندا ، وإن كان التعليم الجامعي قد أخذت تكاليفه تتزايد تدريجيا ولم يعد في مقدور الطالب العادي أن يطيقها .

وقد لعبت الجالية الإسلامية دورا بارزا في تاريخ الجزيرة ، فقد قدمت الدفعة الأولى من المهاجرين الأوائل من شبه القارة الهندية أثناء الحكم الفرنسي في القرن الثامن عشر للعمل إما بحارة أو حمالين للعمل في مزارع قصب السكر ، وقد انتشرت تلك المجموعة الصغيرة في المناطق الريفية والحضرية وعاشت في سلام وتآلف مع الجاليات الأخرى ، مع الاحتفاظ بشخصيتهم الدينية كما تمثل ذلك في إقامة المساجد والالتزام بالشعائر الدينية ، فقد هاجرت تلك الجماعة ولديها عزم أكيد على الاستقرار في الجزيرة .

وقد بلغ نفوذ المسلمين أوجه في الجزيرة أثناء الحربين العالميتين عندما ازدهر نشاط كثير من التجار المسلمين وأصبحوا يشكلون قوة لها وزنها وقد جاء حين من الدهر كانت فيه كثير من المشروعات التجارية بأيدي المسلمين ، وكانت تتزعم الجالية الإسلامية عدة

شخصيات منها غلام محمد آتشيا ، وأبو بكر محمد طاهر ، والدكتور حسن ساكر ، وراشد جاسيتا ، وسرعان ما أدرك المسلمون أنهم يجب أن يخوضوا مجال التعليم أيضا ، وبدأ الشباب المسلم يسافر إلى الخارج لتحصيل التعليم الجامعي ولكن بأعداد صغيرة قبيل الحرب العالمية الثانية ، وأخذت الجالية المسلمة تدعم موقفها بالتدريج في مجال المهن العقلية مثل القانون والتعليم والطب وطب الأسنان ، وقد بلغت الجالية الإسلامية قمة ازدهارها في الخمسينيات والستينيات عندما عززت مواقعها في مجالي الاقتصاد والتعليم .

غير أنه مما يؤسف له أن السنوات الست أو الثماني الماضية شهدت ركودًا ملحوظا في تقدم التعليم ولابد من إصلاح هذا الوضع إذا أريد للجالية المسلمة أن تستمر في دورها الرئيسي في هذه البلاد مستقبلا .

إن المسلمين كأقلية تعيش في مجتمع متعدد العناصر مثل موريشيوس يواجهون في الوقت الحاضر عديدا من المشكلات فيما يختص بتعليم أبنائهم سواء العلوم الأكاديمية أم العلوم الدينية ، وفيما يلي بيان بالعقبات الرئيسية :

١ ــ إن المسلمين منتشرون في جميع أنحاء البلاد حيث يعيشون في تجمعات صغيرة أو كبيرة ، ومن ثم فإن توحيد العمل وتجانسه ليس من السهل تحقيقه في بعض الأحيان .

٢ ــ ينقصهم التنظيم الصحيح والتوجيه السليم الذي يمكنهم من استغلال قوتهم الجماعية للتأثير على الحكومة لكي تسعى لحل المشكلات التعليمية والدينية التي قد تواجههم ، أو لتغيير القرارات الحكومية التي يمكن أن تعوق تقدم الإسلام في المدى الطويل .

٣ ــ إن كثيرا من الآباء مشغولون بطلب الرزق ، وكثيرا منهم يتركون « المدرسة » لتزويد أبنائهم بالثقافة الدينية .

٤ ــ إن جانبًا كبيرًا من الآباء المسلمين قد تأثروا بالتعليم الأكاديمي العلماني تأثرا كبيرا جعلهم يرضون عن الوضع القائم مما يؤدي إلى ركود الجماعة الإسلامية وتأخرها .

٥ ــ يوجد نقص ملحوظ في عدد المدرسين المؤهلين تأهيلا جيدا ومن ذوي الشخصية القوية والعلم الغزير ولديهم استعداد للتفاني في عملهم ، كما يوجد نقص أيضا في المدارس والمراكز الدينية .

٦ ــ تخضع جميع المدارس الابتدائية والثانوية لإشراف وزارة المعارف ، وبالتالي فإن أى مدرسة خاصة لابد وأن تتقاضى رسوما عالية من الطلاب .

٧ ــ يتميز مجتمع موريشيوس بتعدد العناصر وتعدد الثقافات والديانات ولم يكن تأثير هذه الاختلافات في الدين والثقافة والعرق أكبر مما هو الآن فالشباب

المسم الذي يعيش في هذا المجتمع كأقلية يواجه مشكلات اجتماعية واقتصادية خطيرة .

٨ — في الوقت الذي يواجه فيه الآباء المسلمون صعوبات داخلية وخارجية فإن أبناءهم يواجهون عدواة ذات ثلاث شعب تتمثل في الطائفية والليبرالية والإلحاد ، سواء داخل المدارس أو في محيط حياتهم اليومية .

وإذا كان المسلمون قد واجهوا في الماضي مشكلات معينة وعرفوا طرق التغلب عليها ، فما زال هناك أمل في أن تسود الروح نفسها بين الأجيال القادمة . وفي الختام نقدم بعض التوصيات التي يمكن أن تساعد المسلمين في موريشيوس على الازدهار والإسهام في بناء الكيان الوطني لموريشيوس .

١ — هناك حاجة ماسة وضرورة ملحة لكي يولي أولياء الأمور مزيدا من الاهتمام للتعليم الديني والأكاديمي الذي يحصله أبناؤهـم .

٢ — يجب أن يعلم المسلمون أن التعليم الإسلامى والشخصية الثقافية يُمثلان مصادر قوتهم وأنهما لا يشكلان عبئا إضافيا في عملية تعليم أجيال المستقبل ، ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال توثيق عرى الاتصالات بين مسلمي موريشيوس والعالم الإسلامي .

٣ — تحتاج الجالية الإسلامية حاجة ماسة لزيارات متكررة يقوم بها العلماء المتفقهون في الدين ورجال التربية من العالم العربي والذين يمكن أن يقضوا في الجزيرة فترات قصيرة تتروواح بين ٣ — ٦ أشهر للمساعدة على إحياء المشاعر الإسلامية بين الشباب المسلم .

٤ — يجب زيادة التركيز على تعليم اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم لما يحققه ذلك من أهداف دينية واقتصادية .

٥ — وأخيرا يجب إنشاء مركز إسلامي مجهز تجهيزا جيدا فى موريشيوس ليكون مصدر إشعاع لنشر القيم والمبادىء الإسلامية ، ليس بالنسبة للسكان المحليين ، وإنما بالنسبة للمناطق المجاورة في المحيط الهندي ، وفي هذا المجال يمكن لأبناء موريشيوس أن يستغلوا إتقانهم للغتين الإنجليزية والفرنسية لخدمة المناطق الأخرى مثل جزر كومورو ومالاجاش وسيشل .

القسم الاول ـ تعداد السكان والاحصاءات الحيوية

١ — ١ العدد التقديري لسكان موريشيوس فى ٣٠ يونيو ١٩٨٣ على أساس بيانات تعداد السكان لعام ١٩٧٢م .

الجزيرة	الجنسين	الذكور	الإناث	المساحة			الكثافة السكانية
				ميل٢	كم٢	شخص/ل٢	شخص/كم٢
جزيرة موريشيوس	٩٥٧٣٠١	٤٦٨٣٠١	٤٨٩٠٠٠	٧٢٠	١٨٦٥	١٣٣٠	٥١٣
جزيرة رود ريجز	٣٥٢٠٤	١٧٢٣٩	١٧٩٦٥	١٠	١٠٤	٨٨٠	٣٣٨
الجزر الأخرى	٣٥٠	٢٥٠	١٠٠	٢٧,٥	٧١,٢	١٣	٥
موريشيوس	٩٩٢٨٥٥	٤٨٥٧٩٢	٥٠٧٠٦٥	٧٥٧,٥	٢٠٤٠,٢	٢٢٢٣	٨٥٦

١ ـ ٢ تطور عدد سكان جزيرة موريشيوس ورودريجز اعتبارا من تعداد ١٩٧٢م

	جزيرة موريشيوس			جزيرة رودريجز		
	الجنسين	ذكور	اناث	الجنسين	ذكور	اناث
السكان ٧٢/٦/٣٠	٨٢٦١٩٩	٤١٣٥٨٠	٤١٢٦١٩	٢٤٧٦٩	١٢٢٧٠	١٢٤٩٩
المواليد يوليو ٧٢ يونيو ٨٣	+٢٤٨١٣٠	+١٢٦١٨٦	+١٢١٩٤٤	+١٢٣٧٣	+٦٢١٩	+٦١٥٤

الوفيـــــات						
يوليو٧٢						
يونيو٨٣	٧٢٤٣٤-	٤١٤٣٣-	٣١٠٠١-	٢٣٧١-	١٢٢٦-	١١٤٥-
القادمون						
يوليو٧٢						
يونيو٨٣	١٥٥٨٣٤٩+	٩١٤٢٨٧+	٦٧٤٠٦٢+	٥٠٧٤٧+	٣٣٠٩١-	١٧٦٥٦-
المغادرون						
يوليو٧٢						
يونيو٨٣	١٦٣٢٩٤٣-	٩٤٤٣١٩-	٦٨٨٦٢٤-	٥٠٣١٤-	٣٣١١٥-	١٧١٩٩-
عدد السكان						
التقديرى ٨٣/٦/٣٠	٩٥٧٣٠١	٤٦٨٣٠١	٤٨٩٠٠٠	٣٥٢٠٤	١٧٢٣٩	١٧٩٦٥

ملحوظة : بالنسبة لتعليم الكبار انظر الملحق رقم (١) ص ٨٨٣

الجدول ١ - ٥ : عدد تلاميذ المدارس الثانوية حسب الصف والجنس - جزيرة موريشيوس ٧٨ - ١٩٨٢

	١٩٧٨			١٩٧٩			١٩٨٠			١٩٨١			١٩٨٢		
	الجنسين	بنين	بنات	الجنسين	بنين	بنات	الجنسين	بنين	بنات	الجنسين	بنين	بنات	الجنسين	بنين	بنات
الصف الأول	١٧,٢٣١	٨,٦٧٨	٨,٥٥٣	١٤,٩٥٣	٧,٥٨٩	٧,٣٦٤	١٣,٩٧٠	٦,٩٦٩	٧,٠٠٠	١٣,٧٧٤	٧,١٣٧	٦,٦٣٧	١٣,٠١٤	٦,٥٨٦	٦,٤٢٨
الصف الثاني	١٧,١٨٨	٨,٧٢٣	٨,٤٦٥	١٦,٨٤٧	٨,٥٧٨	٨,٢٦٩	١٤,٤٢٤	٧,٢٤٢	٧,١٨٢	١٣,٥٠٠	٦,٨٢٠	٦,٦٨٠	١٣,١٧٨	٦,٩٦٨	٦,٢١٠
الصف الثالث	١٣,٧٤٥	٧,٠٣٢	٦,٧١٣	١٦,٣٥٦	٨,٤٣٨	٧,٩١٨	١٦,٠٨٧	٨,١٢٠	٧,٩٦٧	١٢,٩١٥	٦,٦٠٠	٦,٣١٥	١٢,٥٣٥	٦,٢٩٠	٦,٢٤٥
الصف الرابع	١٣,٦٣١	٧,١٢١	٦,٥١٠	١٤,٧٦٠	٧,٧٤٤	٧,٠١٦	١٦,٢٧٢	٨,٢٤٦	٨,٠٢٦	١٧,٠٠٢	٨,٧٠٩	٨,٢٩٣	١٥,٣١٨	٨,٠٣٢	٧,٢٨٦
الصف الخامس	١٤,٥٣٣	٨,١٣٥	٦,٣٩٨	١٤,٣٥٨	٧,٩٨٩	٦,٣٦٩	١٥,١٢٩	٨,١٦٠	٦,٩٦٩	١٥,٧٩١	٨,٥١٧	٧,٢٧٤	١٦,١٢٩	٨,٥٨٦	٧,٥٤٣
الصف السادس	٤,١٥١	٢,٦٧٨	١,٤٧٣	٤,٦٧٢	٢,٩١٩	١,٧٥٣	٤,٩٩٩	٢,٩٨٠	٢,٠١٩	٥,٣٥٠	٣,٢١٠	٢,١٤٠	٦,١٣٤	٣,٦٢٩	٢,٥٠٥
المجموع	٨٠,٤٧٩	٤٢,٣٦٧	٣٨,١١٢	٨١,٩٤٦	٤٣,٢٥٧	٣٨,٦٨٩	٨٠,٨٨١	٤١,٧١٧	٣٩,١٦٤	٧٨,٣٣٢	٤٠,٩٩٣	٣٧,٣٣٩	٧٦,٣٠٨	٤٠,٠٩١	٣٦,٢١٧

الجدول ١ - ٣ : عدد تلاميذ المدارس الابتدائية حسب الصف والجنس - جزيرة موريشيوس ٧٨ - ١٩٨٢

	١٩٧٨			١٩٧٩			١٩٨٠			١٩٨١			١٩٨٢		
	الجنسين	بنين	بنات	الجنسين	بنين	بنات	الجنسين	بنين	بنات	الجنسين	بنين	بنات	الجنسين	بنين	بنات
المستوى الأول	١٩,٠٢٩	٩,٦٦٢	٩,٣٦٥	١٨,٤٥٧	٩,٢٥٤	٩,٢٠٣	٢١,١٨٥	١٠,٧٨٠	١٠,٤٠٥	٢٨,١١٢	١٤,١٢٤	١٣,٩٨٨	٢١,٤١١	١٠,٩٢٦	١٠,٤٨٥
المستوى الثاني	١٨,٤٤٠	٩,٣٨٤	٩,٠٥٦	١٨,٤٠٢	٩,٣٢٧	٩,٠٧٥	١٨,٢٥٥	٩,٠٩٤	٩,١٦١	٢٠,٨٦١	١٠,٥٧٠	١٠,٢٩١	٢٧,٤٩٤	١٣,٨٠٣	١٣,٦٩٢
المستوى الثالث	١٩,٨٥٣	١٠,٠٧٢	٩,٧٨١	١٨,٣٠٣	٩,٣٢٠	٨,٩٨٣	١٨,٣٣٤	٩,٣١٧	٩,٠١٧	١٨,٠٨٤	٨,٩٩٦	٩,٠٦٨	٢٠,٧١٣	١٠,٥١٩	١٠,١٩٤
المستوى الرابع	١٩,٦٢٤	١٠,٠٨٥	٩,٥٣٩	١٩,٦٠٤	٩,٩٨٠	٩,٦٢٤	١٨,١٦٨	٩,٢٧٣	٨,٨٩٥	١٨,١٢٧	٩,٢٠٩	٨,٩١٨	١٧,٩١٣	٨,٩٢٠	٨,٩٩٣
المستوى الخامس	٢٠,٥٤٥	١٠,٤٩٠	١٠,٠٥٥	١٩,١٦٣	٩,٨٩٤	٩,٢٦٩	١٩,٤٥٥	٩,٨٧٦	٩,٥٧٩	١٧,٩٥٥	٩,١٦١	٨,٧٩٤	١٧,٩٧٥	٩,١٤٤	٨,٨٣١
المستوى السادس	٣٥,٩٤٣	١٨,٧٦٣	١٧,١٨٠	٣١,٢٣٦	١٦,١٥٦	١٥,٠٨٠	٢٨,٣١٣	١٤,٨٦٣	١٣,٤٥٠	٢٧,٠٠٦	١٣,٩٨٥	١٣,٠٢١	٢٦,٠٨٨	١٣,٤٧٦	١٢,٦١٢
المجموع	١٣٣,٤٣٢	٦٨,٤٥٦	٦٤,٩٧٦	١٢٥,١٦٥	٦٣,٩٣١	٦١,٢٣٤	١٢٣,٧١٠	٦٣,٢٠٣	٦٠,٥٠٧	١٣٠,١٤٥	٦٦,٠٤٥	٦٤,١٠٠	١٣١,٥٩٤	٦٦,٧٨٧	٦٤,٨٠٧

المنهج الدراسي للثقافة الإسلامية

الصف الأول

١ ــ عرض الإسلام والعالم الإسلامي بالاستعانة بخريطة ، وإبراز تنوع الشعوب والعناصر بعد الإسلام .

٢ ــ تقديم مفهوم الإله الخالق والحافظ والقيوم والرحيم ، الذى يحب مخلوقاته ويمن عليهم بالرحمة ومن بينها الهدى عن طريق الأنبياء .

٣ ــ قصص الأنبياء وأسماؤهم ، آدم ــ نوح ــ إبراهيم ــ يوسف ــ موسى ــ عيسى .

٤ ــ النبى محمد ﷺ : ملخص لسيرته وإنجازاته .

٥ ــ أركان الإسلام : شرح لما يلى :

أ) الكلمة (الشهادة)

ب) الصلوات

ج) الصيام

د) الزكاة

هـ) الحج .

٦ ــ نشاط عملى :

أ) الصلاة : معناها ــ أسماؤها ــ أوقاتها ــ طريقتها .

ب) تسميع

ــ السورالخمس الآتية :

الفاتحة ــ الناس ــ الفلق ــ النصر ــ الإخلاص .

ــ التحيات

ــ ٥ أحاديث .

ملحوظة :

النشاط العملي يمتد على مدى السنة كلها .

الصف الثاني

١ ــ إعادة مختصرة لدروس العام الماضي .

٢ ــ أركان الإيمان : معني الإيمان بما يلي :

أ) التوحيد ــ الكلمة / الشرك

ب) الملائكة

ج) الكتب

د) الرسل

هـ) يوم الحساب .

٣ ــ النبي محمد ﷺ ، الإنسان المثالي مع التركيز على سلوكه في المجتمع ــ ويمكن إبراز الجوانب الآتية من شخصيته مع رواية بعض القصص .

أ) تسامحه .

ب) شجاعته .

ج) صدقه .

د) احترامه للآخرين .

٤ ــ أبطال وبطلات الإسلام :

أ) علي رضي الله عنه وأرضاه .

ب) خديجة وأسرة النبي ﷺ .

٥ ــ نشاط عملي :

أ) تسميع السور الآتية :

الناس ــ الكوثر ــ الماعون ــ القدر ــ الانشراح .

ب) ٥ أحاديث

ج) ١ دعاء

الصف الثالث

١ــ إعادة مختصرة لدروس العام الماضي .

٢ ــ دراسات أخرى عن النبي محمد ﷺ .

٣ ــ الخلافة والخلفاء الراشدون

أ) أبو بكر

ب) عمر

ج) عثمان

د) علي

٤ ــ القرآن الكريم :

أ) مكانته وأهميته في الإسلام .

ب) شرح مختصر للتنزيل والوحي وجمعه .

٥ ــ الحديث :

أ) تعريف

ب) تسجيل الحديث

٦ ــ أسلوب الحياة الإسلامية :

أ) مفهوم الأمة

ب) الإطار السياسي والاجتماعي والاقتصادي والروحي .
ج) واجبات المسلم :
(١) نحو ربه
(٢) نحو الآخرين ، أى والديه وأقاربه وجيرانه والأيتام والأرامل وغيرهم .
د) وضع المرأة فى الإسلام .
هـ) الابتعاد عن الحرام : القمار ـــ الربا ـــ الكحول ـــ الزنا وغيرها .
٧ ــ عملـــى :
أ) السور الخمس الآتية : الكافرون ـــ قريش ـــ الفيل ـــ التكاثر ـــ العلق .
ب) ٥ احاديث
ج) ١ دعاء

الصف الرابع

١ ــ معنى الإسلام :
أ) لغويا
ب) استنتاج إبراهيم
ج) الفرق بين الخالق والمخلوق .
٢ ــ الإيمان والطاعة :
أ) معنى الإيمان .
ب) كيف نحصل العلم بالله .
ج) الإيمان بالغيب .
٣ ــ النبـــوة :
أ) طبيعة النبوة وضرورتها
ب) تاريخ مختصر للنبوة
ج) نبوة محمد ﷺ
د) خاتم النبيين
٤ ــ الصلاة والعبادة :
أ) روح العبادة
ب) الصلاة
ج) الصوم
د) الزكاة
هـ) الحج

٥ ــ عناصر الايمان :
أ) التوحيد : الإيمان بوحدانية الله ، معنى الكلمة
ب) الإيمان بملائكة الله
ج) الإيمان بكتب الله
د) الإيمان بأنبياء الله
هـ) الإيمان بالحياة الآخرة
٦ ــ الدين والشريعة :
أ) مفهوم الدين والشريعة .
ب) مصادر الشريعة : القرآن الكريم ــ الحديث ــ الفقه
ج) مبادىء الشريعة
د) الفرائض كما حددتها الشريعة
(١) قدرة الله .
(٢) الواجبات تجاه الله .
(٣) الواجبات تجاه المخلوقات الاخرى
(٤) الواجبات تجاه المجتمع .

نقابة الامتحانات المحلية لجامعة كامبريدج

الشهادة المدرسية
الدين والثقافة الإسلامية
للطلاب فى موريشيوس
١٩٧٩ م

تقدم ورقة امتحان واحدة ، ومدة الامتحان ساعتان ونصف ، ويطلب من الطلاب الإجابة على ٥ أسئلة .

المنهج

١ ــ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام :
أ) النظام القبلى
ب) الأحوال الاجتماعية
جـ) المعتقدات الدينية
٢ ــ حياة النبى ﷺ وتعاليمه .

٣ ــ الخلفاء الراشدون الأربعة :

أ) التنظيم السياسي

ب) الإنجـــازات

٤ ــ القرآن الكريم :

أ) الوحي إلى النبي محمد ﷺ

ب) جمع القرآن

جـ) سور القرآن ومعاني الآيات .

د) مكانته في الإسلام

٥ ــ الحديث :

أ) معنى الحديث

ب) مكانة الحديث فى الإسلام

جـ) تاريخ الحديث

د) العلاقة بين القرآن الكريم والحديث

الكتب التي ينبغي قراءتها :

- P . K . Hitti, A Short History of the Arabs .
- J .B . Taylor, Thinking about Islam .
- A .J . Arberry, The Koran Interpreted .

- Maxime Rodinson, Mohammed .
- S .A .A . Maudidi, Towards an Understanding of Islam .
- W .Montgomery Watt, Islamic Surveys 8 (revision of Bell's Introduction to the Quran - Edinburgh M . P ., 1970) .

أسئلة نموذجيـة

١ — ما الخصائص الرئيسية لديانة البدو في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ؟

٢ — اشرح الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الجزيرة العربية قبل بعثة محمد ؟

٣ — ما المقصود بوصف محمد ﷺ بأنه رسول الله ؟

٤ — اذكر المراحل التي مرت بها جهود النبي محمد لجعل الجزيرة العربية تقبل قيادته ؟

٥ — من هم الخلفاء الأربعة الأوائل في الإسلام وما الذي فعلوه لتوطيد دعائم الإسلام بعد موت النبى محمد ؟

٦ — تتبع انتشار الإسلام حتى وفاة « على » (٣٥ هجرية) .

٧ — كيف كان النبي محمد ﷺ يستقبل الوحي ؟

٨ — القرآن كلمة الله ، وكلمته التي أوحاها وأنزلها (أبو حنيفة) إشرح هذا التعريف للقرآن .

٩ — متى وكيف جمع القرآن في شكله الحالي ؟

١٠ — ماذا يقول القرآن عن الزواج والطلاق ؟

١١— بين كيف ظهر الحديث والغرض الذي حققه فى الإسلام ؟

١٢ — ما أركان الإسلام الخمس ؟ إشرح بايجاز ثلاثة منها .

الملحق (١)
تعليم الكبــار

١ــ اعتبارًا من يوليو ١٩٨١ صدرت تعليمات لأقسام الأحياء والكيمياء والفيزياء بالكلية الملكية في كيوربايب ، بتنظيم فصول ودروس إضافية في الأحياء العملية والكيمياء والفيزياء للطلاب المتقدمين من منازلهم لامتحان المستوى المتقدم " A "والصيدلة .

٢ ــ قدمت هذه الدروس لـ ١٤ طالبا فى الأحياء والفيزياء و٣٠ طالبا في الكيمياء لمدة ساعتين أسبوعيا تحت إشراف مسئول تربوي واحد في الأحياء والفيزياء ، واثنين من المسئولين التربويين فى الكيمياء ، ولم تنظم فصول إضافية خلال الفترة ما بين يوليو ٧٩ ويونيو ١٩٨٠ م .

٣ ــ قدمت مساعدات في الكلية الملكية في بورت لويس لطلاب المنازل الذين يستعدون لامتحان G .C .E.[1] من المستوى" A " في الفيزياء والكيمياء والأحياء ، وقد توقف تقديم هذه الدروس فى عام ١٩٨٠ م نظرا لظهور بعض المشكلات فيما يتعلق بسداد الرسوم الخاصة بها .

٤ ــ لم تعقد فصول مسائية في كلية جون كنيدي لتدريس الأشغال المعدنية والأشغال الخشبية والرسم الفنى والاختزال والنسخ خلال عامي ٨٠ ، ٨١ وكذلك لم تعقد خلال هاتين السنتين فصول لتدريس الطهي في كلية كوين اليزابيث .

فصول محو الأميــة :

٥ ــ عقدت فصول اللغة الهندية كما هي العادة في المدرسة الحكومية في رامسور بالجوبين خلال عامي ٨٠ ، ٨١ ، والهدف منها إعداد الكبار لاكتساب المعرفة في مجال الحرف والزراعة .

الامتحــانــات :

٦ ــ بلغ عدد المتقدمين لامتحان P .S .L .C ٣٣٤٠٦ طالبًا في عام ١٩٨٠ م وقد نجح منهم ١٥٨٧٦ ، أي بنسبة ٤٧٫٥٪ .

٧ ــ كان عدد المتقدمين للامتحان في رودريجز ٨٥٦ طالبا نجح منهم ٣٣٠ طالبًا أي بنسبة ٣٨٫٦٪ .

---

(١) G .C .E. = الشهادة العامة في التعليم .

٨ — بلغ عدد المتقدمين لامتحان.P .S .L .C في عام ١٩٨١م ماجموعه ٣٠٢٤٢ طالبا نجح منهم ١٥٣٩٢ ، بنسبة ٥٠,٩٪ .

٩ — بلغ عدد المتقدمين للامتحان في روردريجز ٩٥٧ طالبا نجح منهم ٣٥٨ أي بنسبة ٣٧,٤٪ .

١٠ — في عامي ١٩٨٠ ، ١٩٨١ تقدم ٣٠٥٢٥ ، ٢٧١٥٨ طالبا على التوالي لامتحانات خارجية مختلفة عقدت في موريشيوس .

١١ — فيما يلي توزيع هذه الأعداد :

دراسة المرحلة الثانوية	عدد المتقدمين للامتحان	الناجحون	عدد المتقدمين للامتحان	الناجحون
شهادة مدرسة كامبريدج	١٣٢٧٧	٥٣٥٠	١٢٦٧٤	٥٤٧٧
شهادة المدرسة العليا الجامعية	٢٣٥٣	٨٧٩	٢٦١٧	١٠٠٩
شهادة. G .C .E من جامعة لندن المستوىO	٣٣٠٠	٠	١٥٧٩	٠
المستوىA	١٧١١	٠	١١٧٤	٠
التعليم الفني والمهني				
الغرفة التجارية بلندن	٦٦٩٧	١٥١٣	٥٤٨٣	١٢٢٧
الرابطة الدولية لماسكي الدفاتر	١١٠٥	٣٤٣	١٤١٣	٤٩٣
	١٢٦٢	٥٣٥	١٣٢٣	٧٠١
جمعية المحاسبين القانونيين	٢٦٨	٠	٣٨٨	٠
مدرسة الموسيقي الملكية	٢٦٩	٢١٥	٢٧١	٢٢٤
دراسات المرحلة الثالثة (الجامعية)				
امتحان الدرجات الجامعية والدبلومات	٢١	٩	٤٢	١٨
امتحانات مختلفة	٢٦٢	٠	٢٢١	٠
المجموع	٣٠٥٢٥		٢٧١٨٥	

١٢ — فيما يلي النسب المئوية للناجحين في امتحانات شهادة مدرسة كامبريدج وشهادة مدرسة كامبريدج العليا والمتقدمين من المدارس الحكومية والمدارس الخاصة ومن منازلهم .

شهادة مدرسة كامبريدج

سنة ١٩٨٠	عدد المتخلفين	عدد الناجحين	نسبة النجاح
مدارس حكومية	٧٤٧	٦٨٧	٩٢,
مدارس خاصة	١٠٥٠٤	٤١٢٩	٣٩,٣
من منازلهم	٢٠٢٦	٥٣٤	٢٦,٤
المجموع	١٣٢٧٧	٥٣٥٠	٤٠ر٣
سنة ١٩٨١	**عدد المتخلفين**	**عدد الناجحين**	**نسبة النجاح**
الحكومية	٨٠٨	٧٣٨	٩١ر٣
الخاصة	١٠٤٤٥	٤٢٩٠	٤١ر١
المنازل	١٤٢١	٤٤٩	٣١ر٦
المجموع	١٢٦٧٤	٥٤٧٧	٤٣ر٢

شهادة مدرسة كامبريدج العليا

سنة ١٩٨٠			
المدارس الحكومية	٦٨٩	٤٠٣	٥٨ر٥
المدارس الخاصة	١٦٦٤	٤٧٦	٢٨ر٦
المجموع	٢٣٥٣	٨٧٩	٣٧ر٤
سنة ١٩٨١			
الحكومية	١٠٢٣	٥٢٦	٥١ر٤
الخاصة	١٥٩٤	٤٨٣	٣٠ر٣
المجموع	٢٦١٧	١٠٠٩	٣٨ر٥

التعليم الفني والحرفى

مركز التدريب المهني الصناعي - بوباسين

١٣ ــ تم إنشاء مركز التدريب المهني الصناعي في فويليمان ــ بوباسين لتقديم التدريب المهني على الحرف التي يوجد فيها نقص في الأيدي العاملة للمساعدة على تحقيق التنمية الصناعية للبلاد .

١٤ ــ تتألف الأنشطة الرئيسية لمركز التدريب المهنى الصناعي من الآتى :
أ) دورات في التدريب الأساسي .
ب) دورات قصيرة .
ج) التدريب الرئيسي لطلاب الجامعة .
د) دورات تدريبية إشرافية .

١٥ ــ اعتبارا من عام ١٩٨٠ بدأ مركز التدريب المهني الصناعي في كل من بوباسين وبيتون ، عقد امتحان مشترك لاختيار المتدربين الذين يلتحقون سنويا بالدورات الأساسية في كلا المركزين .

حول الأقليات الإسلامية
في أفريقيا

إدارة التوعية الإسلامية
بوزارة الحج والأوقاف



حــول الأقــليات الإســلامية
في أفريقيــا

بحث عن الأقليات الإسلامية في إفريقيا

مقدمة :

الصراع بين الخير والشر وبين الإسلام وأعدائه قديم قدم الإسلام فقد واجه الرسول ﷺ منذ بداية دعوته صنوف العذاب وألوانها ، وصبر على أعدائه من المشركين واليهود حتى أيده الله بنصره ، قال عز من قائل في محكم كتابه : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (سورة البقرة آية ١٢٠) وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾ (البقرة آية ٢١٧) وتعددت وسائل هؤلاء الكفار والمشركين وقد أوضحها لنا الحق تبارك وتعالى في قوله سبحانه : ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ (النساء آية ٨٩) .

فالهدف الأساسي لهذا الصراع إنما هو فتنة المسلمين عن دينهم وصرفهم عن التمسك به لأنهم مكمن القوة في هذا الدين يقول عنهم رب العزة والجلال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ (البقرة آية ١٤٦) لذلك تراهم يعملون كل ما في وسعهم من أجل إضعاف هذه القوة وسلب المسلمين إياها إنهم يعرفون أن هذا الدين إنما هو دين الفطرة المنزل

من عند الخالق عز وجل فهو وحده الذي يعلم مستقرها ومستودعها وهو الخبير بما يصلحها يقول سبحانه مخاطبًا رسوله ﷺ ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الروم آية ٣٠) .

فالدين هو الذي يجمع شتات النفس ويوحد طاقاتها فتنطلق تعمل في واقع الأرض تشيد وتعمر وتصلح وتقيم الحق والعدل وتقوم بدور الخلافة الراشدة عن الله في أرضه . قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة آية ٣٠) فالإسلام هو سر القوة الهائلة التي يمنحها لأتباعه حين يستقيمون عليه فتتوحد طاقاتهم وتتوازن وتنطلق جميعها تعمل لا تتعطل منها واحدة لأنها تستمد القوة من الله – يخاطب المولى عز وجل عباده المؤمنين بأنه يستخلفهم في الأرض ويعدهم بتمكين دينهم في نفوسهم فيقول : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ (سورة النور آية ٥٥) إن أعداء الإسلام يعرفون ذلك حق المعرفة وتمتلئ نفوسهم وقلوبهم حقدًا وحسدًا على هذه النعمة التي أفاء الله بها على عباده المؤمنين ، ومن هنا كان إعلان الحرب على الإسلام وعلى أمة الإسلام حسدًا من عند أنفسهم ، قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ (سورة البقرة آية ١٠٩) ولقد بدأوا هذه الحرب من أول يوم لقيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة والتاريخ يسجل لهم وقائع الحرب الضروس التي شنها اليهود من ناحية والمشركون من ناحية ثانية والنصارى من ناحية ثالثة بمجرد أن أحست الدولة الرومانية بقيام الدولة الجديدة في شبه الجزيرة العربية وتصدى المشركون لحرب الإسلام عن طريق الدعم بالمال والسلاح والرجال وشاركهم اليهود بالكيد والدس والخبث ونشر الأراجيف والشائعات ومحاولة تشكيك المؤمنين في كل ما جاء به محمد ﷺ وفي صدق الوحي ، فضلا عن إثارة الفتن بينهم وتأليب القبائل عليهم ، وإحياء الحساسيات القديمة القائمة وتشجيعهم على غزوهم واستمالة المنافقين وضعاف النفوس إلى صفوفهم لاستخدامهم في تمزيق الصفوف وتفريق الكلمة وبث روح التخاذل والقضاء عليهم ، وقد حاولوا جهدهم قتل الرسول ﷺ أكثر من مرة .

أما النصارى فقد أعدوا العدة وجهزوا الجيش لغزو الدولة الجديدة والقضاء عليها قبل أن تثبت أقدامها وتنطلق توسع نفوذها وسلطانها في الأرض فلما فشل هؤلاء وأولئك في وأد الدعوة الإسلامية والقضاء على أتباعها وعصم الله رسوله ﷺ منهم ونصر أولياءه ومكنهم من الأرض حاولوا الكرة في أشكال وصور متعددة كالحروب الصليبية والإغارات المستمرة على دولة الإسلام بين الحين والآخر حيث لا تزال الروح الصليبية تسيطر على نفوس الأوربيين وتكيد للإسلام والمسلمين رغم كل التطور الهائل والتغيير السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري والعقائدي .

وكذلك الحال مع اليهود الذين أكرمهم الإسلام وفتح لهم المجال وآمنهم على أنفسهم وأموالهم وعباداتهم ونشاطهم ولم يكن لهم في أوربا من ينقذهم من الاضطهاد الواقع عليهم سوى الأندلس المسلمة ومع كل ذلك فقد ظلوا يحاربون الإسلام ويهدمون حصونه ، في محاولة للقضاء عليه وعلى أتباعه ويضعون أيديهم في أيدي الحاقدين من الصليبيين للقضاء على الإسلام مستغلين فترات ضعف المسلمين وعدم تمسكهم بكتابهم وعقيدتهم فيجردونهم من سلاح قوتهم ويغزونهم فكريًا وروحيًا .

من هنا كانت الطامة الكبرى في تضييق الخناق على المد الإسلامي ومحاولة حصاره والحد من نفوذه وانتشاره مما أدى إلى وجود أقليات إسلامية بدول كثيرة من العالم وبخاصة الدول الإفريقية .

***

العوامل التي ساعدت على محاربة الإسلام في القارة الإفريقية

إن وضع المسلمين في أي دولة من دول الجمهوريات الإفريقية التي تعيش بها أقليات إسلامية لا يكاد يختلف كثيرًا عن وضعهم في بقية أجزاء القارة الإفريقية .

وتضافرت على محاربة الإسلام فيها عوامل ساعدت على إبعادهم عن المراكز القيادية وسلبهم حقوقهم الشرعية في حكم أوطانهم ووصفهم بالقصور والجهل وعدم صلاحيتهم لغير الأعمال الحقيرة ويرجع ذلك في جوهره إلى الأمور الآتية :

١ – كثافة حركة المد المسيحي واستمراريته .

٢ – الجهل بتعاليم الدين الإسلامي وأنه دين ودنيا .

٣ – التركيز على بقاء الاستعمار الفكري والاقتصادي مسيطرًا على مجريات الأمور والأحداث .

٤ – التأخر الاجتماعي والثقافي الذي تعيش في ظله القارة وفصل الدين عن حركة تطور الحياة .

٥ – مواقف الدول المحلية واتجاهاتها غير الواضحة .

وتشابه وضع الأقليات هذه في إفريقيا في مظاهره وفي عوامله مع وضع الأكثريات المسلمة في مختلف الأقطار الإفريقية وذلك تبعًا لما واجهته هذه الأقليات في مجموعها وفي تاريخها من صدمات محلية ونكسات حضارية ومن أبرزها وجود الاستعمار بمختلف أشكاله وصوره والفكر الغربي المناوئ للإسلام ومبادئه عقيدة ودستورا وشريعة وتتجلى خطورة هذا الوضع فيما تقوم به بعض الحكومات من تشديد وطأتها على المسلمين سواء أكانوا أقليات أم أكثريات لتبقى طيلة حياتها في حالة من الذل والاستكانة حتى إذا ما تنبهت إحدى الدول الأخرى من هنا أو هناك لتلك الخطورة بتقديم أي نوع من الإعانات والمساعدات ثارت وغضبت نفوس الحاقدين وعلت أصواتهم وارتفعت أبواقهم واعتبروا ذلك تدخلًا في الشئون الداخلية لهذه الدولة التي هي في حاجة إلى دعم ومساعدة ومساندة الدول الإسلامية الأخرى .

إننا نعرف أن الإسلام دخل إفريقيا عن طريق العديد من المنافذ : فمن الحبشة في أول الأمر عبر البحر الأحمر حين أوصى الرسول ﷺ صحابته بالخروج إلى الحبشة لأن فيها ملكًا لا يظلم عنده أحد ، وقد زرع الصحابة بذور الإسلام منذ هجرتهم الأولى إليها وأسلم إبان ذلك العهد ملكها النجاشي ودخل الإسلام عن طريق التبابعة الذين كانوا يدخلونها من قبل عبر السواحل الشرقية في أرتيريا ثم أسلموا ودخلوا في الإسلام بعد ذلك ، وربما كان أغلب ذلك عن طريق باب المندب إلى الصومال وشرق إفريقيا وشمالا إلى سهول أرتيريا . ودخل الإسلام أيضا عن طريق المحيط

الهندي ويبدأ من الأطراف الجنوبية والشرقية لبلاد العرب ويعتبر المدخل الشمالي الشرقي أهم هذه المداخل ، إلى جانب المداخل الشرقية البحرية السابقة ، والتي دخل من خلالها المسلمون بقيادة عمرو بن العاص إلى مصر مرورًا بشبه جزيرة سيناء فيعد هذا المدخل من أهم الطرق التي اتبعها الإسلام وانتشر فيها في إفريقيا ، ويسجل التاريخ العديد من صور البطولات لقادة جيوش المسلمين الذين اقتحموا بخيولهم مياه المحيط الأطلسي (الساحل الغربي لإفريقيا) كعقبة بن نافع وغيره .

واستمر جهاد المسلمين في إفريقيا حتى امتد سلطانهم إلى مناطق لم يصل إليها الرومان ، وتتابعت بعد ذلك هجرات المسلمين ليندمجوا مع السكان الأصليين مكونين نسيج ذلك المجتمع الذي حمل الدعوة عبر الصحراء إلى الداخل البعيد من مجاهل إفريقيا وغاباتها الاستوائية ، وقامت للإسلام في هذه الأصقاع حياة جديدة لها قسماتها الحضارية المتميزة التي أفرزت من بعد خصائص أكبر كتلة متجانسة في إفريقيا .

وقد أورد ياقوت الحموي في (معجم البلدان) :

(كان عقبة بن نافع مقيمًا في نواحي برقة وزويلة منذ ولاية عمرو بن العاص له فجمع من أسلم من البربر وضمهم إلى الجيش الوارد له من معاوية وسار في إفريقيا ونازل مدنها وأسلم على يده خلق من البربر وفشا فيهم دين الله حتى اتصل ببلاد السودان – وليس المقصود هنا السودان الحالية بطبيعة الحال لأنهم كانوا يطلقون السودان على مناطق في غرب إفريقيا أو الأجزاء الشمالية من غرب إفريقيا – لقد جمع عقبة حينئذ أصحابه وقال : (إني رأيت أن أبني ها هنا مدينة يسكنها المسلمون فاستصوبوا رأيه وبنى القيروان) .

ويعود انتشار الإسلام في إفريقيا إلى منتصف القرن الأول الهجري برغم أن معظم المراجع الأوربية تمر مرورًا سريعًا على القرون الأربعة الأولى . ويرجع الفضل في انتشار الإسلام في غرب إفريقيا إلى جهود عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين في القرن الثاني عشر الميلادي ثم جاءت بعدها مرحلة التوسع في القرن الثامن عشر الميلادي على يد عثمان دنفديو التي أضافت الكثير إلى الجهود المتصلة التي بذلها المسلمون منذ وطئت أقدامهم أرض القارة ، ولإفريقيا فضل كبير على أوربا فلولا انطلاقة الإسلام وعبوره إلى أوربا قادمًا من إفريقيا الشمالية لظلت أوربا ترسف في ظلمات الجهل والتخلف قرونًا أخرى حيث ساهمت في تنوير العقول بشتى العلوم والمعارف ، وكان الجزاء على ذلك ممثلًا في أبشع أنواع التعذيب والإبادة والقمع والسيطرة الاستعمارية فلا يمكن لمنصف عادل أن ينكر فضل الإسلام على أوربا ، وعندما بدأت أوربا عصر النهضة انحسر المد الإسلامي عن الأندلس وتراجع إلى السواحل الإفريقية .

ولا يتسع المجال لبيان آثار الاستعمار في إفريقيا فالواقع اليوم بكل أدواته البشعة هو بعض نتائجه التي شاركت أوربا المتمدينة ودول أخرى في صنعه وعلى رأس هذه الدول البرتغال وفرنسا

وأسبانيا وإنجلترا وإيطاليا ثم الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي والصين وغيرها . لقد نشرت أوربا في إفريقيا مع القمع والقتل والتعذيب والاستنزاف تجارة الرقيق وكانت النخاسة واسترقاق البشر وبيع من سموهم بالعبيد تجارة رابحة ولم يعد هذا الموضوع خافيًا على أحد بما في ذلك الإفريقيين أنفسهم وكانوا يعمدون إلى نشر صور للعبيد مقيدين بالسلاسل والحبال يشد طرفها الآخر رجل عربي بملابس عربية تزييفًا للحقائق وتشويهًا لصورة العرب .

وكل ما قاموا به يخالف الواقع بطبيعة الحال ، فالإفريقيون أنفسهم أدركوا من خلال اندماج المسلمين بهم مدى التسامح الإسلامي فلا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح .

ويدل على بطلان افتراءاتهم ما بذله بعض الأوربيين في القرن التاسع عشر في محاربة أنواع الاستغلال سالفة الذكر حتى استصدروا قانونا يحارب تجارة الرقيق في مارس ١٨٠٧ م . وقدر عدد الرقيق الذين أمكن إنقاذهم من السفن عابرة المحيط بحوالي ١٤٠٠ سنويًا ، كما تم تحرير حوالي خمسين ألف رقيق فيما بين عامي ١٨٢٧ و ١٨٧٨ م وكان الإسلام قد فرغ من مثل هذه القضية منذ ١٣٠٠ سنة .

ومن المحاولات المستمرة التي بذلها المستعمرون في إفريقيا من أجل السيطرة أنهم وجدوا في بعض أجزاء القارة أرضًا خصبة لزرع أفكارهم ونشر سمومهم مستغلين في ذلك حالات المرض والجوع والجهل وذلك بإنشاء المستشفيات الحديثة ، والمؤسسات الثقافية المتطورة والمزارع الشاسعة والكنائس الفخمة ورياض الأطفال ودور الأيتام وشرعوا كذلك في مساومة بعض الأسر المسلمة في أبنائها بتوقيع عقود يقدمون بموجبها بعض الغذاء لأفراد الأسرة في مقابل اختيارهم لطفل من أطفال هذه الأسرة دون الخامسة من عمره كي ينشئوه نشأة مسيحية ويرسلوه إلى الخارج لإكمال دراسته بإحدى الدول الغربية وإعادته بعد ذلك إلى البلاد لاستخدامه في أغراضهم الدنيئة سواء كانت سياسية أو تنصيرية وبذلك يكتمل العقد وينشأ جيل مثقف بثقافة الغرب ، حاملا لدينه وعقيدته ومنبهرًا بحضارته ، ومنفذًا لتعليماته .

كما أن أعداء الدين الإسلامي الحنيف لم يحاولوا الدخول مع الإسلام في هذه المناطق والبلدان في صراعات بل واستطاع الاستعمار أن ينشيء مؤسسات جديدة في مقابل تلك التي يتردد عليها الوطنيون وأعلن القبول فيها لأبناء الأغنياء الذين يؤهلون لقيادة مجتمعاتهم وبذلك قضى على كل مظاهر العلم والثقافة وتركت هذه المؤسسات التعليمية تموت من تلقاء نفسها بتوجيه الدعم المالي والمساعدات للمؤسسات التابعة لهم واستطاعوا كذلك أن يعرضوا مباديء الإسلام بطريقة مشوهة وإدخال إضافات لا تمت لها بصلة بطريق الدس في تعاليمه لينالوا من داخل أبنائه بعد أن عجزوا عن قهره والتغلب عليه من الخارج .

جانب من التحديات التي فرضها المستعمرون على إفريقيا :

شملت التحديات التي تواجه إفريقيا والإفريقيين مختلف جوانب الحياة سواء أكانت متعلقة بمشكلات سياسية أو ثقافية أو اجتماعية أو دينية أو مادية ومن أهم هذه المشكلات :

١ ـ استطاع المستعمرون السيطرة التامة على ثروات هذه البلاد ومواردها واستنزاف كل ما تستطيعه منها وتقويض كل ما فيها من المؤسسات التي اصطنعها لتعينه على تحقيق مآربه وأغراضه ومن ثم ترك البلاد عند رحيله منها بلا رؤوس أموال وبلا كوادر بشرية لتسيير العمل الوطني ومازالت سيطرة هذه الدول على الاقتصاد الإفريقي والثروات الإفريقية قائمة حتى الآن ولكن بدرجات متفاوتة .

٢ ـ من الأمور المسلم بها أن الاستعمار لم يمنح الاستقلال للدولة التي كان يستعمرها فخرج من الباب ليعود إليها من النافذة في صور شتى ممثلة في عرضه للخدمات والمساعدات ومحاولة إنقاذ البلاد بطرق مشبوهة متجاهلا أنه هو صاحب اليد الطولى في هذا التخلف وذاك الضياع ، وهو المسئول عن التردي في هذه الأوضاع السيئة التي تعاني منها البلاد فضلا عن أن كل عروضه لا تمثل نهضة حقيقية بقدر ما هي محاولة للتبعية والاعتماد عليه اقتصادياً وتعليمياً وفي جميع جوانب التنمية فهو لا يعطي إلا ما يعينه على إحكام السيطرة ودوام استمرارها وضمان ذلك بشكل جديد في صورة امتيازات للأوربيين واليهود لامتصاص هذه الثروات الوطنية .

٣ ـ ورثت إفريقيا أمية متفشية وجهلاً مطبقاً لم تحاول الدول الاستعمارية القضاء عليها لأنها كانت تعتمد عليها ضمن أسلحتها في محاربة هذه البلدان بل وتعتبرها من عوامل استقرارها وسيادتها ويستثنى من ذلك بعض العناصر التي تخطت حواجز الاستعمار أو ساعدها الاستعمار ذاته ليستعين بها في بعض الأحيان . ومن أبرز المشكلات التي زرعها الاستعمار في هذا المضمار ثنائية التعليم وازدواجيته . فالمدارس الحكومية في الدول الإفريقية المسلمة ليس فيها شيء عن الإسلام ومناهجها خالية من تعاليم الدين الحنيف وتؤهل عادة لتولي المناصب المختلفة في الدولة وقليل من الأنشطة الأخرى ، في حين أن المدارس الدينية قاصرة على تعليم اللغة العربية والإسلام وهذه الفجوة التعليمية ثمرة من ثمار الفكر الاستعماري المخطط والمدروس الذي ينبغي علينا معشر المسلمين محاربته والتصدي له ليس فقط في إفريقيا بل وفي غيرها من الدول العربية التي تتأثر بالفكر الغربي وثقافته ، لأن كل المناهج التي يضعها المستعمرون إنما تخدم قضية التبعية الثقافية رغم حرص هذه الدول على التخلص من مثل هذه المناهج والنظم التعليمية .

٤ ـ من المعروف أن إفريقيا تزخر بالعديد من الثقافات والديانات والمذاهب واللغات والعناصر المختلفة التي تتصارع فيما بينها ويجب أخذ هذا في الاعتبار عند التخطيط للمستقبل ومحاولة البناء على أسس سليمة تضمن توحيد الجهود ، ونبذ الفرقة والاختلاف .

٥ ـ منح الدولة اليهودية فرصة بأن يكون لها دور في المصالح الإفريقية وفي عمليات التنمية وذلك عن طريق دعمها بكل مقومات الوجود في هذه المناطق لأن هذه الدولة كما هو معروف تعيش على إعانات الولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة والدول الغربية الأخرى بصفة عامة فكيف يتسنى لها أن تساعد غيرها من الدول الأفريقية ؟ إن الاستعمار قد دأب على استخدام دولة العدو رأس جسر مستديم لضرب مستقبل الأمة العربية والإسلامية تأكيدًا وتدعيماً لدورها في هذه البلدان الإفريقية .

٦ ـ مع كل المراحل والتطورات التي شهدتها القارة الإفريقية كانت هناك دائما الحرب الضارية ضد الثقافة العربية والإسلام . وعلى اختلاف الدول الاستعمارية كان العداء للإسلام وللعرب هو القاسم المشترك في كل الظروف بينما تسابقت على نشر ثقافتها ونظرياتها وكان على الدول المستعمرة أن تتخير لنفسها أحد المنهجين ، إما أن تتخلص من آثار الاستعمار نهائياً وتضرب عرض الحائط بأفكاره وهذا بالطبع سيوقعها في أحضان العديد من المذاهب الأخرى وإما محاولة التمسك بالعقيدة الإسلامية ومثلها من خلال العلماء والمفكرين ورجال الطرق والمثقفين المسلمين لقد استطاع المستعمر أن يقوم بغزو فكري وهجمة ثقافية غربية بقصد اجتياح الثقافة الإسلامية التي يشكك البعض في عمق جذورها والاستحواذ على أجيال الشباب والمثقفين والقادة . وساعدهم على ذلك عدة أمور منها :

(أ) الفقر العقائدي الإسلامي كمحطة للاستعمار الطويل وعدم وجود التعليم الإسلامي الشامل .

(ب) السيطرة بالتعليم على عقول الأجيال وزرع الثقافة الغربية فيهم جيلا بعد جيل .

(ج) توجيه البعثات التعليمية إلى البلاد الأوربية واستقطاب العائدين بكل ما لديهم من قوة .

(د) التركيز على ثنائية التعليم ليكون لديهم الفرصة للقضاء على الدين الإسلامي ووقف انتشاره بين أبناء القارة .

(هـ) آثار الجهل والمرض والشعوذة والخرافة والسحر التي حاول المستعمر بثها في عقول الشباب .

(و) انعدام وسائل الاتصال بين الدول الإسلامية أو المنظمات الشعبية وصعوبة الاتصالات بين الدول الإسلامية وبخاصة بين عاصمتين إفريقيتين .

(ز) التبعية الإعلامية الكاملة أو شبه الكاملة للأجهزة الإعلامية الكبرى في العواصم الأوربية وإنشاء إذاعات محلية صغيرة ولا تتجاوز الاستفادة منها نطاقات محدودة جداً .

(ح) نشر العلمانية حيثما كانت الأغلبية للمسلمين والغلبة لغير المسلمين وكذلك العمل على نشر الكتب والأفلام والصحف والمجلات التي تفسد القيم الإسلامية وتروج الفكر الغربي والحياة الماجنة من خلال أفكارها ومبادئها .

وعلى ذلك يمكننا القول بأن الغزو الفكري والثقافي في القارة الإفريقية اعتمد على أسس متينة وخطط مشبوهة أتقن المستعمر نسج خيوطها والسيطرة التامة عن طريقها ونعرض هنا لأهم هذه الأسس ومنها :

١ – تشويه الإسلام وتعويق انتشاره والاستفادة من غيبته في تطوير أفكاره والترويج لمبادئه .

٢ – نشر الفكر الإلحادي والماركسي والصهيوني والصليبي .

٣ ـ تشجيع الأفكار والمعتقدات الهدامة في القضاء على الإسلام كمحاولة لنشر الماسونية والبهائية والقاديانية والصهيونية ، الذي يهمنا في هذا المجال هو كيفية نشر الصهيونية ومبادئها الهدامة وخطرها المحقق على أبناء القارة الإفريقية خاصة والأمة العربية والإسلامية عامة حيث إن أفكارها تنطلق من استعلائية الفكر العنصري وتفوق العنصر اليهودي المتمثل في شعب الله المختار وأن ما عداه من البشر ما هم إلا حيوانات مسخرة لخدمتهم ، وتتطلع الصهيونية إلى السيطرة على العالم أجمع وتحاول التسلل إلى كافة المعتقدات والمذاهب السائدة لهدمها ، ولها وسائلها ومخططاتها لإفساد الشباب والأجيال فكريًا وخلقيًا باستخدام وسائل الثقافة والإعلام والترفيه والأفلام والنوادي الليلية والفنون الموضوعة وكل ما يشهده العالم من ذلك يدل على أفكارهم الخبيثة في تخطي كل الحواجز التي تقام من أجل وقف انتشارها ومقاطعتها .

لقد استطاعت الصهيونية أن تسيطر على بعض وسائل الإعلام الحديثة في العالم وقد توصلوا

إلى توظيف الوسائل لخدمة أهدافهم ونشر أفكارهم الهدامة باستخدام أحدث الأساليب الإعلامية تحت إشراف فرق ومراكز دراسات على مستوى عال من العلم والخبرة فهناك على سبيل المثال نحو مائة وإحدى عشر محطة إذاعية للطائفة المسيحية تتمركز في مناطق مناسبة لتوسعة بث البرامج وتوزيع أشرطة الفيديو والكاسيت ومجلات الأطفال والنساء وملايين النسخ من الكتب الإباحية والمضللة ، كما أنهم أنشأوا النوادي الليلية وساعدوا على انتشار الفساد والسيطرة على غرائز الناس . وفي غمار ذلك كان للشيوعية دورها في تنفيذ مخططاتها الرهيبة التي تهدف إلى القضاء على الأديان والأسرة والأخلاق ، وهي تستغل عواطف الأفارقة الفقراء بنظرياتها الكاذبة والداعية إلى إلغاء الملكية والفردية والطبقية بين الناس .

وضع اللغة العربية في إفريقيا :

من المعروف أن اللغة العربية قد تطورت في إفريقيا من لغة دين إلى لغة تكامل بين كافة الشعوب الإفريقية التي اعتنقت الإسلام ، واللغة العربية في إفريقيا جنوب الصحراء ارتبط وجودها التاريخي بدخول الإسلام وانتشاره في أنحاء القارة باعتبارها لغة القرآن التي ينبغي على كل مسلم أن يعرف منها ما يمكنه من قراءة القرآن والحديث وممارسة الشعائر الدينية وبخاصة الصلاة .

تطورت اللغة العربية بين الشعوب الإفريقية التي اعتنقت الإسلام وأصبحت أساسا من أسس التعليم الإسلامي ومادة من مواد الدراسة في التعليم الحديث ولقد كان للدول الإسلامية والعربية فضل كبير في انتشار هذه اللغة وعلى رأسها المملكة العربية السعودية بما أنشأته من مراكز ثقافية ومدارس ومساجد في أنحاء القارة .

والمدرسون المنتشرون في مناطق تجمعات المسلمين يمدونهم بالعلم والمعرفة والدعوة إلى الله وما يحملونه من كتب ومراجع ومطبوعات دينية وإسلامية تساعد على التعليم والتفقه في الدين وكذلك المنح العلمية للطلبة الأفارقة كي يدرسوا في الخارج وفي جامعات المملكة . وكلها موجهة لإعلاء كلمة الإسلام وخدمة المسلمين في هذه القارة مما انعكس على اللغة العربية والثقافة الإسلامية التي طالما حرم منها المسلمون الأفارقة على عهد الاستعمار اللعين .

وعرفت اللغة العربية على مستويين رئيسيين مستوى الخاصة ومستوى العامة .

١ ـ فعلى المستوى الخاص نجد أن كل من يشتغل بأمور الدين والشريعة والتعليم قد وجد نفسه مضطرًا لإتقانها وتعلمها بدرجة تسمح له بأداء مهام وظيفته على الوجه الأكمل وفقاً لما تقتضيه هذه المهام من علم وفقه وتبحر في أمور الدين وعلى رأس هؤلاء كان الفقهاء الذين يؤمون في الصلاة ويعظون الناس ويخطبون على المنابر والدعاة الذين يلمون بشئون الدين حتى يتمكنوا من الدعوة والإرشاد ـ كان على أمثال هؤلاء أن يتعلموا العربية إتقانا وإجادة تمكنهم من الاطلاع على

التفسير والحديث والسيرة والشريعة والأصول وكان أولى الناس بتعلم العربية من يتولون القضاء ليمكنهم تعلمها وإتقانها من العلم بأسرار التشريع الإسلامي وقوانينه وأصوله من القرآن والسنة . ولقد اعتاد الكثيرون من هؤلاء الخاصة من أئمة ودعاة وقضاة ومعلمين أن يتجهوا إلى مراكز الثقافة الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة أو المدارس الإسلامية الكبرى في الشمال الإفريقي مثل الزيتونة في تونس والقرويين في المغرب والأزهر في مصر لينهلوا من مناهل العلم بها وحضور مجالس العلماء والفقهاء وأعلام الفكر والثقافة الإسلامية في تلك البقاع . وأنشئت في العصور الحديثة عدة مدارس إسلامية لتخريج خاصة من القوم من أبناء أقطار غرب إفريقيا مثل مدرسة الشريعة الإسلامية ومدرسة العلوم العربية في كانو بنيجيريا ومدرسة المعلمين العربية الفرنسية بمالي وغيرها ، ولقد أصبحت مثل هذه المدارس مصدراً للتلاميذ الذين يتمون دراساتهم الجامعية والعليا بجامعات العالم العربي والإسلامي في السعودية ومصر وشمال إفريقيا .

٢ ـ وعلى مستوى العامة فإن على كل مسلم أن يتعلم ثلاثة أمور :

(أ) معرفة القراءة والكتابة ليتمكن من قراءة القرآن وأداء الشعائر الدينية .

(ب) معرفة بعض القواعد الأساسية للإسلام والمعاملات الإسلامية حتى يسلك الفرد المسلم سلوكاً قويمًا يتفق مع تعاليم دينه .

(ج) تفهم بعض ما يستمع إليه من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ليكون دائم الاتصال بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ولذلك فقد كان لزامًا على كل من دخل الإسلام أن يتجه إلى مجلس أحد العلماء الذين صحبوا التجار في هجرتهم أو إلى المسجد من أجل تلقي هذا التعليم الأساسي ، وسارع المسلمون في إرسال أبنائهم إلى المدارس القرآنية لتحفيظ القرآن ، وتعلم اللغة والفقه والشريعة والحساب مما يمكنه من ممارسة حياته في ظل الإسلام .

ظاهرة اتساع نطاق استخدام العربية في المجالات الاجتماعية والتجارية والاقتصادية :

لم يقتصر استخدام اللغة العربية على أوساط المتعلمين فقط كلغة أدب ومراسلة بل إنها لغة تخاطب العامة بين جماعات مختلفة اللسان مثل الطوارق والكتوري والهوسا والفولاني والتولي واليوربا .

ويؤكد موري لاست في كتابه : « تاريخ الخلافة في سوكوتو » ظاهرة هذا الاتساع في استخدام اللغة العربية فأصحاب اللغة الفلانية الذين انتشروا من المحيط الأطلسي شرقًا إلى سفوح هضبة الحبشة ويمتدون من الكمرون جنوبًا إلى الكونغو كانوا وما زالوا يتكلمون العربية إلى جانب لغتهم الأصلية كما تحدث بها الماندي في غينيا ومالي ، والباميارا في مالي والوولوف في السنغال

وغيرهم من الجماعات التي دخلت الإسلام ، بل إن بعض أبناء هذه الجماعات ممن هاجروا جنوبًا حتى ساحل غانا حملوا معهم العربية كلغة تخاطب عامة يتحدثون بها في مجتمعاتهم الجديدة التي أنشأوها في المدن الساحلية .

كيفية انتشار اللغة العربية :

كان الانتشار أولا من منطلق ديني تمثل في اعتناق القبائل والشعوب للإسلام وحاجتها إلى اللغة العربية التي هي لغة القرآن وغيره من الشعائر الدينية .

ثم كان الانتشار من منطلق ثقافي واجتماعي حيث إن الإسلام أدى إلى تقارب هذه القبائل والشعوب وتعارفها وعمل على إزالة ما بينها من حواجز ليحل التفاهم والود والإخلاص محل الصراع والشقاق والخلافات ، ودعت الحاجة إلى ضرورة الاتصال والتفاهم والترابط في التعامل السلمي وكانت اللغة العربية هي وسيلة هذا الاتصال والتفاهم ثم تلا ذلك الانتشار الاقتصادي والسياسي الذي يتمثل في أن الشعوب الإفريقية التي تعربت في الشمال الإفريقي والتي ترجع إلى أصول عربية ، وبخاصة في الحجاز انفتحت بينها العلاقات عبر الصحراء تجاريًا وسياسيًا وامتدت على طرق الحج مما ألزمها باستخدام اللغة العربية كلغة تفاهم .

ولقد استطاعت اللغة العربية أن تثري لغات الشعوب والقبائل التي دخلت الإسلام بما لها من مميزات تفوق غيرها من اللغات كالألفاظ والمترادفات والمعاني والاستعمالات ، واستعارت تلك اللغات المحلية من العربية الكثير من الكلمات والاستخدامات التي استخدمها أهلها في أمور دينهم ودنياهم ، وأكملت العربية ما كان ينقص تلك اللغات المحلية من ألفاظ وكلمات وبخاصة بعد خروج أهل تلك اللغات من بيئتهم المحدودة إلى عالم أوسع انتشارًا .

ونعرض هنا لأهم اللغات الإفريقية بالنسبة لعدد المتكلمين بها وسعة انتشارها وعراقتها في التاريخ الإسلامي والتي تأثرت جميعها باللغة العربية عن طريق الاستعارة من كلماتها وألفاظها :

١ – الهوسا : ويتكلم بها أكبر شعوب غرب إفريقيا عددا .
٢ – الماندي : ويتكلم بها الشعب الذي أنشأ مملكة مالي الإسلامية .
٣ – الصنغاي : التي أقام أهلها امبراطورية امتدت من ساحل الأطلسي إلى النيجر في الداخل .
٤ – الفولاني : التي انتشرت في أكبر رقعة في غرب إفريقيا .
٥ – الولوف : ويتكلم بها أكبر شعوب ساحل غرب إفريقيا .
٦ – الكاتوري : ويتكلم بها أكبر شعوب غرب إفريقيا وهم من أقدم الشعوب وأسبقها إلى الإسلام .

وتتراوح نسب استعارة الألفاظ العربية فهي تمثل ١٠٪ من لغة اليوربا ، ٢٠٪ في لغة الولوف وما بين ٤٠ — ٥٠٪ في لغات الهوسا والكاتوري والفولاني .

ومما ساعد على انتشار اللغة العربية بإفريقيا ورفع مستوى تعليمها في أقطارها ما قدمته الدول العربية والإسلامية من معونات تمثلت في :

١ — معونات من أجل تمويل إقامة المنشآت التعليمية والدينية .

٢ — إعانات مالية للجمعيات الإسلامية .

٣ — إيفاد المدرسين والمعلمين للمناطق الإفريقية المختلفة .

٤ — منح دراسية لطلاب الدول الإفريقية للدراسة خارج حدود بلادهم .

٥ — تقديم الكتب والمطبوعات الدينية .

فمن حيث تمويل المنشآت الدينية قامت حكومة الكويت بإنشاء كلية شيخ صباح في كادونا بنيجيريا وساهمت بالنصيب الأكبر في بنائها كمدرسة ثانوية إسلامية تابعة لجماعة نصر الإسلام .

وقدمت المملكةالعربية السعودية التمويل الأكبر اللازم لإنشاء المركز الإسلامي ومجمع المدارس الإسلامية إلى جانب إنشاء العديد من المساجد التي ألحقت بها فصول قرآنية أو مدارس إسلامية وكان للسعودية النصيب الأكبر في إنشائها . وفي عام ١٩٦٢ م قدمت مصر إعانة لجماعة أنصار الدين عبارة عن إنشاء معهد الدين في ايلورين وهو معهد يسير على منهج الأزهر الابتدائي والإعدادي والثانوي . كما أسهمت السعودية في إنشاء مدرسة شمس سعود الإسلام الثانوية لإلحاق أبناء المسلمين في ابادان بنيجيريا تمهيدا لإلحاقهم بالجامعات .

وبالنسبة للإعانات المالية للجمعيات الإسلامية فهي كثيرة وتقدم المملكة العربية السعودية النصيب الأكبر منها عن طريق رابطة العالم الإسلامي وغيرها من المنظمات الإسلامية التي ترعاها الحكومة السعودية وتهدف إلى نشر الإسلام وتعاليمه خارج حدود بلادها ، وكذلك المنح الدراسية التي تقدمها العديد من الدول والشعوب وأبناء الأمة للتعليم في الجامعات الإسلامية بها توطئة لتأهيلهم للقيام بالدعوة والإفتاء والقضاء والتدريس في بلادهم عند عودتهم إليها .

وتقدم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية ومعهد تعليم اللغة العربية بالخرطوم التابع لها منحا دراسية ومساهمات تعليمية .

وللمدرسين العرب الموفدين إلى هذه المناطق الإفريقية دورهم الرائد حيث يؤدون عملهم بكفاءة نادرة وتمثل الكتب التي ترسل بها المملكة العربية السعودية وغيرها من بلدان العالم الإسلامي إلى المناطق الإفريقية أهمية كبيرة في توطيد التعليم واللغة العربية بها وهي عبارة عن كتب

عامة للمكتبات والجمعيات الإسلامية ومصاحف قرآنية وكتب حديث وغيرها من الكتب المدرسية باللغة العربية تمثل عنصرًا هامًا في حياة الشعوب الإفريقية .

لقد أصبحت اللغة العربية من العناصر الأساسية التي لا غنى عنها في حياة الشعوب الإفريقية المسلمة وإن الاهتمام بها قد زاد بعد مراحل الاستقلال وزيادة الارتباط والاتصال مع العالم الخارجي . ومن الحقائق التي يجب التأكيد عليها أن تدريس اللغة العربية يحتاج إلى مزيد من العناية والتخطيط وصولا بها إلى أعلى المستويات التي تمكنها من الوقوف في وجه منافسات اللغات الأجنبية الأخرى التي تحاول فرض نفسها على أناس لا يريدونها بل يريدون العربية غير أنهم عاجزون وحدهم عن تحقيق هذه الغاية لذلك فمن الواجب على البلدان العربية والإسلامية أن توجه اهتمامها وجهودها على أمور هي في غاية الأهمية ومنها :

١ - وضع المناهج الحديثة والمتطورة أو تطوير المناهج القليلة الموجودة بحيث تساير النظم الحديثة للتعليم وتطبق الفنون التعليمية المستحدثة في تعليم اللغات لغير الناطقين بها وتكون متلائمة مع البيئة التي تدرس فيها هذه المناهج .

٢ ـ الإسهام في عملية تأليف الكتب التي تخدم تلك المناهج وتكون مناسبة للعصر والبيئة وفنون التربية الحديثة على أسس إسلامية صحيحة .

٣ ـ القيام بعمليات تأهيل المدرسين والمعلمين القائمين بالعمل حالياً وتدريبهم على متطلبات المهنة مع التوسع في تخريج الأعداد الكبيرة منهم بما يتناسب مع الزيادة المضطردة في عدد الطلاب والمدارس التي يتم افتتاحها وذلك عن طريق زيادة المنح الدراسية للطلاب والإسهام بالمساعدات الفنية والبشرية اللازمة لتدعيم معاهد المعلمين العربية وإلحاقهم بدورات منتظمة تمهيدًا لتوزيعهم على مختلف المدارس والمعاهد وتحمل أعباء رسالتهم السامية .

٤ ـ الاستغلال الأمثل للمعونات العربية المباشرة وذلك عن طريق جامعة الدول العربية حتى يتم توجيهها إلى حيث ينبغي لها أن تكون بما يتمشى مع الأهداف والخطط الموضوعة لرفع مستوى التعليم ونجاح العملية التعليمية بكاملها لذلك فمن المناسب وضع خطة عمل دقيقة وطموحة تشترك فيها المنظمات العربية المتخصصة والدول ذات الإمكانات مع وزارات التعليم بالدول الإفريقية من أجل المحافظة على سلامة اللغة العربية ووسائل انتشارها وتعليمها وتعلمها لأنها إحدى وسائل الربط بين الشعوب وأساس من أسس بناء الوحدة الإسلامية .

بيان توضيحي لأقل الأقليات المسلمة في إفريقيا :

١ - زامبيا وبها ١٢٠,٠٠٠ مائة وعشرون ألف مسلم بنسبة ٢,٤٪ من مجموع السكان بها .

٢ ـ أنجولا وبها ٩٠٠,٠٠٠ تسعمائة ألف ونسبتهم ١٥٪ من مجموع السكان .
٣ ـ ناميبيا وبها ٢٤٠٠ ألفان وأربعمائة مسلم ويشكلون ٤,٠٪ من مجموع السكان .
٤ ـ ليسوتو وبها ٥٠٥,٠٠٠ خمسون ألف مسلم ويشكلون ٥٪ من مجموع السكان .
٥ ـ اتحاد جنوبي إفريقيا ٤٠٠,٠٠٠ أربعمائة ألف مسلم ونسبتهم ٢٪ من مجموع السكان .
٦ ـ سوازيلاند وبها ٢٥,٠٠٠ خمسة وعشرون ألف مسلم ويشكلون ٥٪ من مجموع السكان .
٧ ـ بتسوانا وبها ٣٠,٠٠٠ ثلاثون ألف مسلم ويشكلون ٥٪ من مجموع السكان .
٨ ـ جزر سيشل ٥٠٠ خمسمائة مسلم ويشكلون ١٪ من مجموع السكان .
٩ ـ جزر ريونيون ٨٠,٠٠٠ ثمانون ألف مسلم ويشكلون ٢٠٪ من مجموع السكان .
١٠ ـ كابيندا ٥٢٥٠ خمسة آلاف ومائتان وخمسون مسلما ويشكلون ٣٪ من مجموع السكان .
١١ ـ ليبيريا وبها ١,٠٨٦,٠٠٠ مليون وستة وثمانون ألف مسلم ويشكلون ٣٠٪ من مجموع السكان .
١٢ ـ غانا وبها ٢,٨٠٨,٠٠٠ مليونان وثمانمائة وثمانية آلاف مسلم ويشكلون ٣٠٪ من مجموع السكان .
١٣ ـ غينيا الاستوائية وبها ١٠٥,٠٠٠ مائة وخمسة آلاف مسلم ويشكلون ٣٥٪ من مجموع السكان .
١٤ ـ كينيا وبها ٣,٨٥٠,٠٠٠ ثلاثة وملايين وثمانمائة وخمسون ألف مسلم ويشكلون ٣٥٪ من مجموع السكان .
١٥ ـ موزمبيق وبها ١,٧٥٠,٠٠٠ مليون وسبعمائة وخمسون ألف مسلم ويشكلون ٢٥٪ من مجموع السكان .
١٦ ـ الكونغو وبها ٦٠,٠٠٠ ستين ألف مسلم .
١٧ ـ مالاجاس وبها ١,٧٥٠,٠٠٠ مليون وسبعمائة وخمسون ألف مسلم ويشكلون ٢٥, من مجموع السكان .
١٨ ـ زيمبابوي (روديسيا) وبها ٢٠,٠٠٠ عشرون ألف مسلم .
١٩ ـ مالاوي وبها ١,٧٥٠,٠٠٠ مليون وسبعمائة وخمسون ألف مسلم ويشكلون ٣٥٪ من مجموع السكان .
٢٠ ـ أوغندا وبها ٤,٤٠٠,٠٠٠ أربعة ملايين وأربعمائة ألف مسلم ويشكلون ٤٠٪ من مجموع السكان .

٢١ ـ بورندي وبها ١,٠٠٠,٠٠٠ مليون مسلم ويشكلون ٢٥٪ من مجموع السكان .
٢٢ ـ زائير وبها ٢,٤٠٠,٠٠٠ مليونان وأربعمائة ألف مسلم ويشكلون ١٠٪ من مجموع السكان .
٢٣ ـ رواندا وبها ٢٤٠,٠٠٠ مائتان وأربعون ألف مسلم ويشكلون ٦٪ من مجموع السكان .
٢٤ ـ أقليات ضئيلة متناثرة في غرب إفريقيا ١,١٨٨,٨١٠ مليون ومائة وثمانية وثمانون ألف وثمانمائة وعشر مسلم موزعة في غرب إفريقيا .

وبذلك يبلغ مجموع الأقليات الإسلامية في إفريقيا ٢٤٫٢٨٩٫٩٦٠ أربعة وعشرون مليونا ومائتان وتسعة وثمانون ألف وتسعمائة وستون مسلما وهذا العدد من المسلمين موزع على (٣١) إحدى وثلاثين وحدة سياسية أكثرها مستقل وأقلها وهو الجزر المتناثرة في المحيطات لا تزال تخضع للسيطرة الأجنبية وهذه الوحدات السياسية قليلة السكان بوجه عام كثيرة العدد .

بيان بالأقليات المسلمة التي تعيش في جزر المحيط الأطلسي تجاه غربي أفريقية :

١ ـ جزر الرأس الأخضر وبها ٥٢٧,٠٠٠ خمسمائة وسبعة وعشرون ألف مسلم يشكلون ١١٪ من مجموع السكان .
٢ ـ جزر الأزور وبها ٥١٦,٠٠٠ خمسمائة وستة عشر ألف مسلم يشكلون ٥٪ من مجموع السكان .
٣ ـ جزر ماديرا وبها ٣٠,٠٠٠ ثلاثون ألف مسلم ويشكلون ١٠٪ من مجموع السكان .
٤ ـ جزر برنسيب وساتومس وبها ١٥,٧٥٠ خمسة عشر ألف وسبعمائة وخمسون مسلما يشكلون ٢١٪ من مجموع السكان .
٥ ـ جزر أنوبون وبها ٣٠,٠٠٠ ثلاثون ألف مسلم يشكلون ما نسبته ٢٥٪ من مجموع السكان .
٦ ـ جزر الخالدات الكناري وبها ٧٠,٠٠٠ سبعون ألف مسلم يشكلون ٧٪ من مجموع السكان .
٧ ـ جزر القديسة هيلانه ٠٠٠,٠٦٠ ستون مسلما يشكلون ١٪ من مجموع السكان .

أوضاع الأقليات المسلمة في بلدان إفريقيا :

١ – جمهورية كينيا :

تعداد سكانها أكثر من ١١ أحد عشر مليون نسمة ونسبة عدد المسلمين بها يقرب من **يبلغ** ٣٥٪ بالنسبة لعدد سكانها المذكور . وفي كينيا رجال لا يرتبطون بأية هيئة أو جمعية وهم من أصحاب رؤس الأموال الهائلة ويبذلون الكثير منها في سبيل الدعوة الإسلامية وانتشار المدارس الدينية والعربية .

وحركة الدعوة الإسلامية يقوم بها أفراد وبعض جماعات من الدعاة يرتبطون ببعض الهيئات والمؤسسات الدينية وليس في كينيا مدارس إسلامية تؤهل الطالب المتخرج للوظائف الحكومية وتنتشر بها الكتاتيب والمدارس التي تهتم بعض الشيء بالدين الإسلامي واللغة العربية في كافة أنحاء كينيا .

وإذا ما وجدت هذه الأقليات قيادة صالحة فإنها سوف تشكل قوة فعالة تؤثر في مجريات الأمور والأحداث هناك ، ومما يشكل خطورة على نشر الدعوة الإسلامية النشاط المعادي الذي تقوم به حركة التنصير ويتمثل في بناء المدارس ودور الأيتام ، والمصحات في الأماكن المكتظة بالسكان المسلمين مما يجعلهم يعيشون في قلق أمام حركة التبشير المتزايدة التي تدعمها قوى أجنبية وفي المقابل فإن المقاومة محدودة الطاقات وتجد نفسها في غالب الأحيان مغلوبة على أمرها . وتركز الإرساليات على مدينة نيروبي باعتبارها أهم المدن وأكثرها اتصالا ، ومخطط لها أن تكون مركزا للمؤتمرات المسيحية في إفريقيا ، وهي في حاجة إلى دعم وتأييد من الدول الإسلامية ومؤسساتها حتى تتمكن من مواجهة هذه التيارات التبشيرية المسيحية والصمود أمامها .

٢- جمهورية ليبيريا :

تعد جمهورية ليبيريا من الدول التي يتحكم فيها المسيحيون بشدة ويبلغ عدد سكانها نحو ٣٫٥ ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة ونسبة المسلمين بها حوالي ٣٠٪ من عدد سكانها وليس للمسلمين بها أي تنظيم أو نشاط مذكور وجميع الأمور ومقدراتها بأيدي المسيحيين وغالبيتهم من الأمريكيين السود الذين نقلوا من أمريكا إلى ليبيريا والحكام في ليبيريا متعاطفون إلى حد مع المسلمين ولكن هذا لا يؤثر في شيء لأن الحركة التعليمية تخضع لتوجيه الإرساليات التنصيرية .

وقد تأسست مدرسة إسلامية حديثة تحت إشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد السعودية ويعتبر مستوى المعيشة في ليبيريا من أرقى المستويات الإفريقية وتتعامل بالدولار الأمريكي ، كما تعد مركزًا تجاريًا هامًا في تجارة الترانزيت نتيجة لسهولة الإجراءات والمسلمون بها في حاجة ماسة إلى المدارس الإسلامية لمواجهة التنصير ووقف زحفه المنظم والمدعوم بكل الإمكانات المتصورة .

٣- جمهورية أوغندا :

يبلغ عدد سكان جمهورية أوغندا حوالي ١١ مليون نسمة وتمثل هذه النسبة ٤٠٪ من تعداد السكان بها ويرجع السبب في زيادة عدد المسلمين إلى اعتناق كثير من المسيحيين للإسلام ويبلغ تعداد المسلمين حوالي أربعة ملايين ونصف المليون من المسلمين . وعدد المسيحيين لا يزداد نظرًا لضآلة المنضمين إليه وكثرة المنفصلين عنه إلى الإسلام ، والتنصير المسيحي في أوغندا متأرجح بين ثقل الكنيسة وإرسالياتها التي تستجلب الأنصار وتغريهم بالمال والتعليم وبين النشاط الإسلامي الذي يجد الدعم والتأييد من الدولة ولقد مر المسلمون بفترات عصيبة خلال حكم المستعمر والحكام الذين جاءوا بعده وما زالت الجهود التي تبذلها الدولة والمجلس الإسلامي غير كافية نتيجة عدم وجود الكفاءات العلمية لقيادة المسيرة الإسلامية إلى مراتب القيادة والريادة وأن المعاهد التنصيرية تدفع بأعداد وافرة إلى جانب خريجي الجامعات والمدارس حيث يتسلمون الوظائف الحكومية ويحتلون المناصب الهامة ، في مقابل أعداد قليلة جدًا من المسلمين وعجزهم أمام هذه الإرساليات التنصيرية التي غزت إفريقيا غزوًا منظمًا وقد أثرت قلة وجود المال على الحركة الإسلامية وأنشطتها حيث إن أوغندا تعاني أزمات اقتصادية حادة . وبرغم كل الظروف فإن حركة التعليم الديني ولله الحمد آخذة في الازدياد ، فهناك عشرات المدارس الإسلامية والمعاهد الدينية قد طبقت مناهج الحكومة مع احتفاظها بمنهجها الديني العربي .

٤- جمهورية الكونغو الشعبية (برازافيل) :

تقع هذه الدولة على امتداد شاطيء نهر الكونغو الذي يرسم الحدود الوهمية الفاصلة بينها وبين جمهورية الكونغو (زائير) والتي كان يطلق عليها من قبل إقليم الكونغو الأوسط في إفريقيا الاستوائية الفرنسية . ويبلغ تعداد سكانها حوالي مليون نسمة وعاصمتها (برازافيل) وقد نالت استقلالها في ١٥ أغسطس ١٩٦٠م ويشكل المسيحيون فيها حوالي ٤٥٪ من تعداد سكانها ، أما المسلمون فيتراوح عددهم بين ستين وتسعين ألف ويعيش بالكونغو عدة جاليات إسلامية من أبناء السنغال ومالي ونيجيريا ولبنان ، واللغة الرسمية هي الفرنسية ثم تأتي بعدها اللغة الوطنية (مبوش) ثم تتعدد اللغات في القرى والمزارع النائية عن المدينة ، وتعتبر الكونغو برازافيل من الجمهوريات التي كانت تشكل فيما سبق وحدة في الأرض والجوار ثم ابتيعت هذه الجمهورية من الاستعمار البلجيكي لفرنسا ، وقد نال شعبها المغلوب على أمره كل أنواع الذل والاضطهاد من الحكمين الاستعماريين البلجيكي والفرنسي وكان نصيب المسلمين مرًّا وقاسيًا فقد أهملوا إهمالًا تامًا ، واستجلبت الكنيسة الكاثوليكية الكثير من أطفالهم وترك آخرون من الشباب والكهول والشيوخ نهبًا للجهل والفقر والمرض والتخلف .

وعندما جاء الحكم الوطني أعطى المسلمين شيئًا من الأمل فنشطت الدعوة نسبيًا بسبب اعتراف الدولة بالدين الإسلامي ومنح دعاته الحرية المطلقة في الدعوة إلى الله وقد ساعد وجود المسلمين في العاصمة ، بين الكونغوليين الأجانب على بروز الشخصية المسلمة ، وتضم العاصمة أربعة مساجد كلها عامرة بالمصلين من المواطنين والأجانب ، كما أن فيها مدارس إسلامية وكتاتيب ، وقد ألحق المسلمون مؤخرًا أبناءهم بالمدارس الحكومية كما ساعد على ذلك وجود علاقات عربية تزداد عمقًا بمرور الوقت وقد ساهمت رابطة العالم الإسلامي بالمملكة العربية السعودية بإرسال دعاة ومدرسين للتدريس والدعوة والإشراف على حركة المجلس الإسلامي الكونغولي .

ونكتفي في هذا العرض بتقديم هذه النماذج الأربعة للتدليل على أوضاع الأقليات المسلمة في بلدان إفريقيا ويمكن أن تقاس عليها الأوضاع في بقية هذه البلدان مثل جمهورية رواندا وجمهورية زيمبابوي (روديسيا) وجمهورية بورندي وغانا وغينيا الاستوائية وملاوي ومدغشقر وزائير (كينشاسا) وموزمبيق وغيرها .

والتي يتبين بعد هذا العرض أن المسيحية لم تكن لتعرف في هذه البلدان مالم يتوغل الاستعمار ويبسط عليها نفوذه وخرج الاستعمار العسكري وبقيت المسيحية التي تشد بعض المواطنين إليها وتربطهم برباط وثيق .

وهكذا كان انتشار المسيحية متناسبًا عكسيًا مع انتشار الإسلام وعلى ذلك فلم تجد المسيحية منفذًا لها في الشمال ، أما في الغرب فقد اقتسمت النفوذ مع الإسلام ، وأما في الشرق والوسط والشرق الجنوبي فقد تهيأت لها الظروف فتغلغلت وازداد نفوذها ونشاطها .

ومما نتبينه كذلك أن الاستعمار لم يترك الفرصة للمسلمين كي يعيشوا في سلام بل أحاطهم بسياج حديدية تحجب عنهم النور والمعرفة والاتصال بغيرهم من الدول العربية والإسلامية وتركز نشاطه في المناطق التي انتشرت فيها المسيحية فطوّرها وأمدّها بالعلوم الحديثة والفكر الغربي ثم وحد بين أجزاء الكنيسة في الغرب مع الشرق وفي الجنوب مع الوسط لهدف واضح هو أن تتحكم المسيحية أيًّا كانت باسم الثقافة والمدنية على الأكثرية المسلمة التي حكم عليها أن تعيش في ركود وتخلف بعيدًا عن نور العلم والمعرفة والفكر الإسلامي الهادي إلى سواء السبيل .

حركة التنصير في إفريقيا :

لا يمكن لنا أن ننكر الصراع الدائر في كل مكان بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين أنصار الله وأتباع الشيطان ، فلقد هدانا الله إلى دينه الحنيف لإنقاذنا من متاهات الضياع التي أصابت الديانات السابقة على الإسلام من تحريف وتبديل وتغيير وتشويه وهو دين الحق الذي حاربه أنصار الكفر والجهل وأعلنوها صراحة ، وأخذ هذا الصراع يزداد مع مرور الزمن

في صور شتى وأشكال متعددة ولا تقبل إلّا بشيء واحد هو القضاء على هذا الدين الذي ارتضاه الحق سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين ، لذلك كان من أخطر الأساليب العدوانية التي أرادت النيل من الإسلام والمسلمين ما عرف بالنشاط المسيحي الذي يهدف إلى صرف المسلمين عن دينهم ، وتحريف هذه العقيدة السمحاء ، وزلزلتها في نفوس أصحابها ومحاولة نشر المسيحية المحرفة وقد وجدت لذلك فرصتها في الدول الإفريقية لما لها من الأهمية وما تحتويه من ثروات طبيعية ، سواء أكانت زراعية أو حيوانية أو بترولية أو معدنية مما كشفت عنه الدراسات الحديثة والحركات التبشيرية والمذاهب الهدامة والفتن والقلاقل فضلا عن الترويج للمسيحية ، ثم تكاتفت قوى الشر والطغيان من شيوعية حاقدة تريد أن تصول وتجول في عمق هذه القارة لتفرض سيطرتها عليها وليعتنق أبناؤها الشيوعية ، ومن صهيونية بغيضة حاولت أن تستغل ظروف القارة لصالحها . ومن استعمار متلون يخرج من الباب ليدخل من النافذة كي يدعم وجوده وسيطرته بأشد مما كان إلى تنصير سافر يلبس ثياب الرهبان ومسوح الرحماء ليتخفى في ظلال لا تكاد تستر أهدافه لحظة إلا وتكشف عنها الحقائق ولكنها تحاول بكل قوة وضراوة أن تتغلغل في أعماق القارة وتبسط سيطرتها ونفوذها عليها مستغلة العقيدة المسيحية لتعمل على فتنة المسلمين وصرفهم عن دينهم الحنيف وشريعتهم السمحاء .

وتعتبر نقطة التحول في هذا الموضوع بدءًا من الانقلاب الخطير الذي حدث في موازين التاريخ البشري بالصحوة الأوربية التي أقامت دولها من رقدتها وسباتها العميق ، مما جعلها تعمل على تشجيع المسيحية والحملات التنصيرية ولتذيق العالم الإسلامي خاصة وبلدان إفريقيا وآسيا عامة ويلات الحروب وتعمل جاهدة بكل ما أوتيت من قوة على تنصير هذه الشعوب مستغلة كل ما أتيح لها من ظروف هذه الصحوة الأوربية التي حقدت على الإسلام والمسلمين وهالها تاريخه المشرق وسعى هؤلاء الحاقدون إلى تحقيق طموحاتهم بالسيطرة على مقدرات العالم الإسلامي أجمع وسقطت في أيديهم بلاد الأندلس المسلمة التي ما زالت آثارها تحكي عظمة المجد الذي ظل يرفل فيه الإسلام والحضارة الإسلامية التي بلغت شأوًا كبيرًا من التقدم والرقي خلال العصور الزاهية للمسلمين على أيدي حكامها من أبناء الإسلام . وبعد أن سقطت الأندلس جاء دور التطلع الاستعماري مع مطلع القرن الخامس عشر الميلادي ليعرف مدى خطورة الإسلام في هذه البلدان الإفريقية خاصة بالنسبة لمستقبل الصليبية وتم لهم تنصير بلاد الأندلس بعد أن فر منها من فر وبقي فيها من بقي ليعيش في ظل المسيحية معلنًا مسيحيته ، وتعتبر هذه الحركة أول مجزرة سافرة في تاريخ البشرية ثم بدأ بعدها ركب التنصير ينطلق زاحفًا إلى كل مناطق الإسلام في إفريقيا وتحركت الغزوات الاستعمارية لاحتلال هذه الآفاق المسلمة ونهب خيراتها واستعباد أهلها وتكاتف الجميع على محاربة الإسلام وأهله باسم الصليب أو ما عرف بالحروب الصليبية ، ولقد آزرت الكنيسة هذه الخطوات وعقدت الاجتماعات واللقاءات وجمعت الملايين للإنفاق على هذه

الأهداف وتحقيقها تحت إشراف الكنيسة وكان التخطيط بطبيعة الحال لعشرات السنين كي يرسوا خلالها القواعد الثابتة والخطوات المحددة التي يسيرون عليها من أجل تحقيق أغراضهم وتنصير المسلمين وفتنتهم عن دينهم ومن أهم قواعد التنصير التي ظلت سائدة إلى يومنا هذا ما ذكره الأستاذ محمد أحمد مشهور الحداد الحسيني في كتابه (إفريقيا بين التوحيد والتثليث) حيث تناول قادة المنصر القديم (لورانس براون) والتي بقيت قاعدة أساسية للتنصير حتى اليوم يقول كتابه :

(إنه لم يحدث انتقال واسع من الإسلام والنصرانية في قطر ما إلا بعد أن يتبدل ذلك القطر بحكومته الإسلامية حكومة غربية مسيحية وذلك فقط إذا كانت الحكومة الغربية المسيحية تنتهج سياسة فعالة في مساعدة الإرساليات) .

ومن القواعد الأساسية كذلك قاعدة القس (سيمون) والتي ترتكز على أساس أنه إذا كان الدين الإسلامي قد أثبت وحدته التي تجمع آمال الشعوب ، كل الشعوب، فيجب فورًا أن يكون التنصير عاملًا مهمًا في كسر شوكة المسلمين أيًّا كان في إفريقيا وآسيا . أما القاعدة الأساسية الثالثة التي وضعت من أجل التنصير فهي قاعدة المنصر العالمي الشيطاني (وطسون) والتي تدعو جميع الحكومات الغربية المسيحية إلى التكاتف والتعاون بشتى الطرق لمنع انتشار الإسلام بين القبائل الوثنية في إفريقيا حتى تسهل مهمة التنصير بين هذه القبائل لأنه بذلك ينتهي عامل المنافسة بين الدعوة الإسلامية والتنصير لأنه معروف لديهم قبل غيرهم أن الإسلام هو الحق وهو دين الفطرة وستكون الغلبة له إذا دخل في مجال منافسة معه ومن هذه المنطلقات الثلاثة بدأت حركات التنصير عملها مستظلة بهذه الدراسات التي وجدت أهداف الدولة المسيحية الغربية والتي انضمت إليها بعض دول الأمريكتين فيما بعد وكانت هذه الحرب الشعواء على بلاد المسلمين وعلى القبائل الوثنية أيضًا في إفريقيا خاصة لصرفها إلى النصرانية وليتحقق هدفهم الذي من أجله بذلوا الكثير من النفس والنفيس .

جهود خارقة من أجل التنصير في إفريقيا :

لقد استطاع دعاة التنصير أن ينجحوا في بعض الأحيان لأنهم يعملون بكل جد وإخلاص لفكرتهم ويأملون في تحقيق هذه الغاية بكل إصرار وعزيمة لأن الحقل الذي يعملون فيه ونوعية البشر التي يتعاملون معها قد خيل إليهم أنهما صالحتان لإتمام النجاح .

يقول المؤرخ ارنولد توينبي في كتابه (دراسات في التاريخ) :

(إن العالم اليوم يتجه إلى نشوء جمهورية مسيحية حيث يكون الزنوج الخدم المخلصين للمسيحية لأنهم يملكون نفوسًا نقية خالية من أي حضارة سابقة يمكن التأثير بها أو في تلوين معتقداتهم الحديثة ولذلك فإن الأمل بهم والأمل فيهم في أن يجنبوا الحضارة السائرة إلى التدهور) .

وهكذا سار التخطيط والعمل والانطلاق في مجال التنصير ، لذا لم يكن غريبًا أن يتخذ الغربيون ومن آزرهم في مجال التنصير وسائل شتى وينفقوا الأموال الطائلة لصرف الأفارقة عن دينهم الإسلامي الحنيف أو العمل بين القبائل الوثنية لاجتذاب العديد منهم في صفوف النصارى .

فإذا استطاعت الجمعيات التنصيرية استقطاب العديد من الوثنيين فليس معنى هذا أنه نابع عن إيمان هؤلاء الداخلين في النصرانية بهذا الدين ولكن هذا نتيجة سخاء الإنفاق والإغراءات المادية التي يقع فريسة لها هؤلاء الإفريقيون تحت ضغط الحاجة الملحة والظروف التي يمر بها أبناء هذه القارة من سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وغيرها ويشجعهم على ذلك أيضًا ما يقومون به من إنشاءات للمدارس والمستوصفات والمراكز الصحية وما يقدمونه لهم من أموال وطعام وغير ذلك من المغريات التي تجذب ضعاف النفوس فيكونون أيضًا ضعاف نفوس فيما دخلوا فيه من النصرانية التي لا تشبع حاجات الإنسان الفطرية التي لا يصلح لها سوى الإسلام .

يقول أحد المنصرين الهولنديين وهو (جوزيف ماريو) ويعمل في منطقة اللاجئين الصوماليين ضمن بعثة الصليب الأحمر الهولندي ما معناه :

(إن حكومتي تسعى لبذل كل ما لديها من قض وقضيض لتنشيط الحملة التنصيرية في المنطقة) .

وكل ذلك يدل على مدى ما يبذله أمثال هؤلاء الغربيين والاستعماريين اليهود من أجل إنجاح أهدافهم وتحقيق آمالهم .

وتؤكد المعلومات الموثوقة عن نشاط هذه الهيئات التنصيرية أن مديرها في معسكرات اللاجئين بالصومال وهو (أندريه سبين) البلجيكي الجنسية قد التمس من الهيئات المسيحية الدولية ومجالسها الدورية توفير مبلغ أربعين مليون دولار أمريكي كنفقات سنوية لتنفيذ مخططه التنصيري ، وقد قوبل هذا بالترحيب من الهيئات المعنية بأمر التنصير .

ومن ذلك أيضًا ما ورد في رسالة وجهها البابا بول الثاني منذ عامين تقريبًا شرح فيها أهمية الدور الذي تلعبه الكنيسة في مجال التنصير وقد أوضح البابا أنه إذا لم يكن هناك تعهد وضمان من الكنيسة بسير أساليب التنصير بالمؤازرة والتعضيد فإن الكنيسة لا تكون قد أدت دورها ولا يصح أن تكون متكاملة أو صحيحة .

وقد حث البابا في خطابه جميع الأغنياء في العالم لمد يد العون والتبرع السخي من أجل تعاليم المسيح في ربوع المعمورة وأكد البابا في خطابه هذا على أن التنصير الفردي لا بد وأن يؤازره لأنه يحتاج إلى مجهود كبير ودعم مادي وهذا النداء الذي وجهه البابا قد جعل أحد رجال الكنيسة يصف هذا اليوم بأنه (يوم التنصير العالمي) .

وقد استعان دعاة التنصير في إفريقيا بكل وسائل العصر المتاحة من إذاعة وتلفاز وبرامج تنصيرية سمعية كانت أو بصرية وعملت على نشر آلاف الكتب والمطبوعات التي تحوى تعاليم المسيح وترجمات حديثة للإنجيل الصادرة عن جمعية ترجمة الإنجيل في إفريقيا والتي بلغت حوالي ٤٤٢ ترجمة وتخصيص إذاعات خاصة لبث تعاليم النصارى عن طريق البرامج المعدة لذلك إعدادا جيدا كالإذاعة التنصيرية في سيشل وغيرها .

وهكذا وجد التنصيرفرصته سانحة للانتشار عبر هذه الأجهزة الحديثة ولكن هيهات أن يبلغ ما أراد إذا ما توحدت الجهود الإسلامية وتضافرت على رد كيده في نحره وكشف زيفه ومهاتراته لأن الغلبة للحق ولدين الله تعالى الذي يقول :

﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (سورة محمد آية ٧) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (سورة آل عمران آية ١٢٦) .

***

المراجع

١ – د . عبد العزيز كامل : دراسات في إفريقيا المعاصرة .

٢ – د . عبد العزيز كامل : نحو تخطيط علمي لدراساتنا الإفريقية .

٣ – محمد أحمد مشهور الحداد الحسيني : إفريقيا بين التثليث والتوحيد .

٤ – أرنولد توينبي : دراسات في التاريخ .

٥ – أنور الجندي : الإسلام والدعوات الهدامة .

٦ – د . إحسان ظهير : القاديانية .

٧ – محمد محمود الصواف : رحلاتي إلى الديار الإسلامية ، القسم الأول (إفريقيا المسلمة) .

٨ – محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية المكافحة للإسلام .

٩ – د . حسين مؤنس : تاريخ المغرب والأندلس .

١٠– الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي ، تقرير مقدم إلى الدورة العشرين ، سنة ١٣٩٨ هـ .

١١– نفس المصدر ، ملحق التقرير .

١٢– رابطة العالم الإسلامي : مجلة شهرية تصدر عن إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي ، ربيع الأول ١٤٠٤ هـ .

****

الأورومو الجالا
دراسة تحليلية

للأستاذ حسن مكي محمد أحمد
المركز الإسلامي الإفريقي
بالخرطوم



فاتحـة

هذه الدراسة المختصرة تعنى بأمر شعب الأورومو ، هذا الشعب المجهول الذي لا يكاد العالم يعرف عنه شيئًا ، علمًا بأنه يكوّن مجموعة من أكبر المجموعات البشرية ليس على نطاق أثيوبيا وإنما القارة الإفريقية ، إذ يقف حسب تقديرات تعداده ، في صف واحد مع الفولاني والهوسا .

حاولت في هذه الدراسة تلمس قضايا وثقافة وهموم هذا الشعب في سياق تاريخي وتوصلت إلى أن شعب الأورومو يمر حاليًا بمرحلة تاريخية دقيقة أسميتها مرحلة الانعتاق من التخلف وقد يكون لهذه المرحلة دلالاتها وأبعادها الخطيرة بالنسبة لأثيوبيا . وخلصت إلى أن خلاص أثيوبيا ، قد يكون في الاستجابة لتطلعات هذا الشعب في إطار عقد اجتماعي سياسي جديد ، ينهي طغيان القومية الأمهرية . كما كان حادثًا طيلة القرن السابق ، ويستوعب حركة القوميات على أساس من التفاهم والتراضي .

لا تطمع هذه الدراسة في الإحاطة بقضايا وتاريخ الأورومو ولكنها فقط تحاول أن تتلمس بعض جوانب هذا التاريخ ولعلي مدرك تمامًا لنقطة الضعف الأساسية في هذه الدراسة ، إذ أنني لم أعايش الأورومو في بلادهم معايشة الدارس كما ولعلي تأثرت بلقاءاتي بعدد من زعماء وشباب الأورومو في المنفى ولعلنا نعيد النظر في الدراسة إذا سمحت ظروف أثيوبيا بمعايشة هذا الشعب عن قرب ، ومهما يكن ، فقد حاولت توخي الموضوعية ، فإن أصبت التوفيق في بعض ما قلت فذلك من فضل الله وإن أخطأت فأرجو من الله الصفح والغفران وأن يجعلني في عداد من اجتهد فأخطأ .

والسلام .

الأورومو الجالا دراسة تحليلية

الأستاذ حسن مكي محمد أحمد

مدخل :

مع تهاوي الملكية في أثيوبيا منذ النصف الأول من السبعينيات يلاحظ نمو شعور جماعي وسط الأورومو ، الذين ينتمون لأكثر من مائتي قبيلة فرعية[1] وأخذ المهتمون بأمر المنطقة يلاحقون بانتباه ما يعرف بجبهة تحرير الأورومو كما راج الاهتمام بالدراسات الأثيوبية عامة والمتعلقة منها بشعب الأورومو خاصة وسط الأكاديميين في دوائر البحث العلمي العالمية ، وفي هذه الدراسة نحاول أن نتعرف على الأورومو (الجالا) من خلال تاريخهم الحضاري بأبعاده السياسية والثقافية وقد لا تكفي هذه الدراسة بالإحاطة بهذا الأمر ، خصوصًا أن مصادر الباحث وقدراته الحالية وعلمه بالتطورات الجارية في أثيوبيا محدود ولا تعدو هذه الدراسة أن تكون غير إسهام أولي بقصد طرح القضية للباحثين والسياسيين والمعنيين بأمر المنطقة من أهلها .

تعريف بالأورومو :

الأصل :

تتعدد النظريات في أصل الأورومو ، فمنها ما يقول إن الأورومو ظهر في القرن السابع قبل الميلاد في منطقة شرق إفريقيا وأنهم جاءوا من أرض ما وراء البحر – الجزيرة العربية[2] .

ونظرية تتبنى أطروحة أنهم أساسًا من منطقة جنوب أثيوبيا ونظرية أخرى تشير إلى أنهم ذرية لسبعة من أبناء الملك الحبشي ذارا يعقوب (١٤٢٤–١٤٦٨) ويعتقد الرحالة جيمس James Brouce أنهم جاءوا من منطقة سنار (مديرية النيل الأزرق الحالية خط ١٣ عرض) حيث دخلوا من المرتفعات الأثيوبية وغزوا منطقة بالي وداروا في اتجاه الجنوب . ونظرية أخرى تقول إنهم جاءوا

من الأجزاء الشرقية للصومال الحالي على وجه التحديد . وفي تصوري أن النظرية الأخيرة هي الأسلم ، إذ تشير الدراسات الأنثربولوجية ، أن شعب الأورومو ينتمي للمجموعات الحامية (الكوشية) وله صلات عرقية مع شعب الصومال والعفر كما أن لغة الأورومو تشترك في مفرداتها مع لغات هذه الشعوب .

التسمية والديانة :

يسمون أنفسهم (أورومو) وفي رواياتهم أنها تسمية مأخوذة من اسم جد مشترك لهم ، إلّا أن التسمية الشائعة لهم (الجالا) والتي لا يحبونها ، باعتبارها تحمل ظلالًا (في رواياتهم) تعني المرتدين عن الإسلام أو المنبوذين الذين ليس لهم أرض ، ولهم رواية أخرى تشير إلى أن الرسول ﷺ بعث برسالة إلى زعيم الأورومو (أمامودا) يدعوه فيها إلى الإسلام ويقال إن الزعيم (قال لا) فحرفت إلى كلمة (جالا) وعلى أية حال فالكلمة مشابهة للكلمة العربية (قلى) كما إن كلمة (قال) في الصومالية تعني (الكفرة) والدين الشائع وسط الأورومو الإسلام مع وجود جماعات نصرانية ووثنية . ويبدو أن دخول الأورومو للإسلام ابتداء منذ العصور الأولى ، بيد أن دخول الأوروميين الإسلام بالجملة ، بدأ حينما قدم المشايخ الدينيون الذين كرسوا حياتهم لخدمة الدين وواكب ذلك تدفق التجار المسلمين من الجزيرة العربية ، حيث استقروا بين الأوروميين كالشيخ داني في الشمال والشيخ أبادير عمر الرضى في الشرق والشيخ حسين أبا مدد في الجنوب ، كما أسهم قيام الممالك الإسلامية (إمارات الطراز الإسلامي) على الساحل (منطقة الصومال وجيبوتي وبعض مناطق المملكة الإسلامية السنارية في بداية القرن السادس عشر الميلادي ، في تقوية حركة الإسلام وسط الأوروميين ، وبلغ التحول نحو الإسلام مداه ، في ظروف جهاد الإمام أحمد إبراهيم القران (١٥٢٧-١٥٤٣) حيث تحالفت معه قبائل كاملة من شعوب الجالا ، ومن أبرز من حالفه من زعماء الجالا شيبينا (Shipena) الذي لم يكتف فقط بالجهاد ولكنه كذلك مهد الطرق وأقام الكباري التي ما تزال تحمل اسمه حتى يومنا هذا[٣] . هذا ويوجد الجالا الوثنيون في أثيوبيا الجنوبية والجنوبية الغربية حيث ما يزال بعضهم متمسكًا بدين آبائه ، معتقدا في إله أعلى مسيطر يسميه واق ويشرك معه ربين ذكرًا وأنثى ، هما دونه في الحول والقوة ويقدسون القمر وبعض الحيوانات مثل التمساح والزواحف كالحية والطير كالبومة وبعض الشجر[٤] . أما المسيحية فلها وجود على الأقل في مناطق واللجا ، حيث غزتها الإرساليات التبشيرية منذ الأيام الأولى لعهد منليك وأصبح حاكمها كومسا مسيحيا والمسيحية مزدهرة على الأخص وسط الطبقة التي تعلمت في المدارس التبشيرية .

مناطق وجود الأورومو :

يقطنون حاليًا في منطقة الجنوب الغربي لأثيوبيا الحالية ، التي تقع بين خط ٢ درجة شمالًا إلى ١٢ درجة جنوبًا وخط طول ٣٤-٤٤ درجة شرقًا وتحد هذه الرقعة جنوبا بكينيا

والصومال ومن الشمال المناطق المتاخمة للحدود الأمهرية ومن الشرق جيبوتي وغربا السودان . وتتكون هذه المنطقة من أقاليم ايلوابابور ، أروسي ، بالي زشوا ، هررجى ، ولو ، سدامو وأجزاء من أقاليم هفا وسدامو وجامو وجدقا جوجام ، وتتفاوت تقديرات مساحة هذه المنطقة ما بين ستمائة ألف كيلو متر إلى سبعمائة ألف كيلو متر ، أي أكثر من نصف مساحة أثيوبيا الحالية حسب أقل التقديرات . كما تتفاوت تقديرات تعداد شعب الأورومو ما بين ١٥-٢٢ مليون نسمة[٥] . وبهذا يعتبر الأورومو من أكبر الشعوب الأفريقية تعدادًا ، حيث يقف في صف واحد مع الفولاني والهوسا . ويتشعب الأورومو إلى ما يقارب المائتي قبيلة ، لكل قبيلة خصوصياتها ومميزاتها في إطار الانتماء العام ويمتد شعب الأورومو داخل أجزاء كينيا المتداخلة مع أثيوبيا الجنوبية . ويعيش حاليا ٩٠٪ من الأورومو في الريف ، حيث يعتمدون على الزراعة ويسكنون في قرى متناثرة دون نظام حديث للمواصلات والتنقل مع وجود بعض الرعاة . ومع فقر الأورومو فإن مزارعهم تنتج ما يقارب جميع السكر المستهلك في الحبشة و ٦٠٪ من الإنتاج الكلي للقطن و ٧٠٪ من البن ، أما بقية الـ ١٠٪ فيعيشون في المدن حيث تسود العطالة وحيث يعملون كذلك خدمًا في المنازل وعمالًا في المصانع القليلة وقد يشتغل بعضهم في التجارة[٦].

لغة الأورومو :

تعتبر اللغة الأورومية واحدة من اللغات الكوشية الأصلية في شمال شرق إفريقيا وهي شبيهة باللغات الكوشية الأخرى (الصومالية والعفرية) حيث تشترك مع الصومالية في ٣٠٪ من مفرداتها ، فمثلًا إن المفردات للأرقام من واحد إلى خمسة متماثلة . ومع أن لغة الأورومو غير مكتوبة إلا أننا نجد أن عدد المتكلمين بها أكبر من عدد المتكلمين بأي لغة أخرى في شرق أفريقيا قاطبة ، ويدور جدل منذ زمن وسط الصفوة الأورومية المتعلمة ، حول إيجاد حروف أبجدية لهذه اللغة حيث برزت عدة خيارات :

١ ـ أن تكتب بالحرف العربي ، حيث تستعمل منذ زمن في كتابة النصوص الدينية والأذكار والتراتيل والمدائح .

٢ ـ أن تكتب بالحرف اللاتيني ، وتمت ترجمة وكتابة الإنجيل إلى لغة الأورومو بالحرف اللاتيني وأول ترجمة للتوراة بالأورومية قام بها أورومي في أواخر القرن السابق يدعى أبا جمشيش .

٣ ـ كما ابتدع عالم أورومي (فقيه إسلامي) يدعى الشيخ أبو عثمان أبجديـة جديدة للغة الأورومية ، شبيهة في شكلها بالحروف الهندية ، بينما يحذو نظام الحركات فيها ، حذو الأبجدية السابية ، وتتكون من ٣٨ حرفاً وخمس حركات مميزة وقد

حاصرت السلطات الأثيوبية ابتداعه ، حيث حكمت عليه بالحبس المنزلي سبع سنوات .

اضطرت السلطات الأثيوبية للاعتراف باللغة الأورومية ، بعد أن بدأت الإذاعة الصومالية في بث برامج إذاعية موجهة للأوروميين بلغة الأورومو لمدة ساعة يوميًا علما بأن السلطات الأثيوبية الاشتراكية رفضت اقتراحا بكتابة اللغة الأورومية بالحرف اللاتيني ، بحجة أن ذلك سيفتح الأورومو على الماركسية وفي عام ١٨٤٠م ، رفض إمبراطور إثيوبيا كتابة لغة الأورومو بحجة أن ذلك سيفتح الأورومو على المسيحية الأوربية . هذا وقد أخذت تصدر حديثًا في أثيوبيا جريدة أسبوعية بلغة الأورومو تسمى (بريسا) وقد تكاثرت المطبوعات بلغة الأورومو في السنين الأخيرة ، حيث صدر في عام ١٩٨٠م ١٢ كتابا مختلفا بلغة الأورومو طبع منها مائة ألف نسخة، أكثر من مجموع ما طبع في الـ ١٤٠ سنة الأخيرة . هذا وبالرغم من أن جبهة تحرير الأورومو العلمانية ، قد استقر أمرها على استخدام الأبجدية اللاتينية في كتابة لغة الأورومو ، وأخذت تستعملها في رسائلها ومكاتباتها ومدارسها ، إلّا أن الجبهة الموازية والتي تعمل في المناطق الشرقية (هرر وما جاورها) وهي جبهة تحرير الأورومو الإسلامية ، لم تحسم خيارها في أمر الأبجدية التي تكتب بها لغة الأورومو .

النظام السياسى :

كان للجالا ، قبل قيام الإمارات الإسلامية وسطهم ، نظام سياسي مؤسس على ترتيب أعمار المجموعات (لوبا Luba) في إطار مجموعات زمنية مقسمة إلى ثمانية أو ستة أو خمسة أعوام حسب قانون القبيلة المعنية ، حيث يتم نسبة الفرد الذكر من الجالا إلى جيل زماني . وكل جيل له دورة زمانية تنقله إلى مرحلة ، وبعد أن يجتاز الفرد الذكر كل المراحل ، ينتقل إلى المرحلة الأخيرة ، مرحلة الكبار – التي تؤهل أصحابها للمنافسة على منصب الحاكم ، ولا تزيد دورة الحاكم عن ثمان سنوات حيث يخلي السبيل للجيل الجديد وهكذا تدور حركة الحياة السياسية[٧] . وفي هذا الإطار نبتت بعض العادات الاجتماعية كختان الرجال بعد الزواج والنساء قبله .

الفكر المسيحى الاثيوبى والجالا فى القرون الوسطى :

لعل كتاب الراهب أبا بحرى[٨]، تعبير جلي عن شعور العقلية الكنسية تجاه الجالا ، إذ بدأ كتابه قائلا : (شرعت في كتابة تاريخ الجالا ، حتى نعرف قبائلهم واستعدادهم لقتل الناس ووحشية أخلاقهم ...... وإذا قال قائل : لماذا نكتب تاريخ قوم سيئين ؟ سأجيب : ابحثوا في الكتب وستجدوا تاريخ محمد والمسلمين قد كتب .... إلخ)[٩] . ويبدو أن الخوف من الإسلام والأورومو قد سيطر على العقلية السياسية الأمهرية منذ بروز الإمارات الإسلامية ويزداد هذا الخوف – كما حدث في القرن السادس عشر – عند الإحساس بزيادة فرص اتحاد الاثنين .

وقد سيطرت هذه السياسة على ثيودور الذي ظن أنه لا تصلح غير المذابح للأورومو والمسلمين واعتبرهم مرتدين يجب إعادتهم للنصرانية كما أصدر أوامره لسكان المنطقة بإخلاء بلادهم والجلاء عنها ومن يبقى يصير طعمًا للسيف والخراب ، وقد انتحر ثيودور حينما فشل في غزواته ضد الأورومو وفي مجابهة الانجليز وقبل انتحاره في مجدالا أباد من معه من أمراء الأورومو وكانوا حوالي ألفي شخص .

وقد ارتبط تحالف الإسلام والأورومو ، في الذاكرة الأمهرية بالمجاهد الإسلامي الإمام أحمد إبراهيم الفزان ، حيث استطاع في سنوات محدودات أن يوحد قبائل الصومال وعددًا من قبائل الأورومو تحت قيادته ، وقد توالى في تلك الفترة خروج الجيوش تحت قيادته لنصرة الدين الإسلامي والقضاء على الدولة المسيحية ، حتى أنه حينما أطل عام ١٥٤٣م ، كادت الدولة المسيحية في أثيوبيا أن تمحى من الخارطة الحضارية لأثيوبيا وأن تلحق بأخواتها في السودان ، حيث أنهى تحالف الفونج والعبدلاب ممالك السودان المسيحية في ذات الفترة . ولكن مع الانتصارات الباهرة التي كسبها الإمام أحمد إبراهيم حيث أن جيوشه انتهت إلى منطقة التاكا في السودان الحالي ودمرت مراكز المسيحية في بيت أمهرة ولا بيلا واكسوم وغوردات إلا أن الفرج والإنقاذ لمسيحية أثيوبيا جاء على يد البرتغاليين بقيادة كرستوفر دي جاما . والعجيب في الأمر أن بعض قبائل الجالا ، التي لم تتحالف مع الإمام أحمد إبراهيم هي ذاتها التي انتصرت على نور بن مجاهد (١٥٤٢-١٥٦٧) أمير هرر وخليفة الإمام أحمد إبراهيم وأسهمت بالتالي مع البرتغاليين في إيقاف المد الإسلامي[١٠] .

علاقات شعب الأورومو بالإسلام :

بدأت هذه العلاقة ، منذ توطد أركان الإسلام في الأجزاء الساحلية لشمال شرق أفريقيا ، بين القرنين العاشر والثاني عشر الميلادي ، بما يعرف بمنطقة الطراز الإسلامي ، لأنها على جانبي البحر كالطراز له ، وقد اشتهر من هذه الإمارات أوفات ودوارو وأرابين وهدية وبالي ودارة[١١] ، ومن خلال هذه الإمارات أخذ الإسلام ينتشر ويكسب مؤيدين له وسط الأورومو ، حتى إذا ما جاء الإمام أحمد إبراهيم دخلت في بيعته قبائل كاملة ، وكان اعتناق الأورومو بطيئًا وتدريجيًا ، وقد كانوا على حذر شديد في أثناء احتكاكهم بالقبائل التي اعتنقت الإسلام منذ زمن طويل . وقد اعتنق عدد من أورمو الجنوب الشرقي لهرر الإسلام في القرن التاسع عشر ، وقد فسر بعض المؤرخين انتشار الإسلام وسط الأورومو كجزء من عملية الدفاع عن النفس ضد محاولات تنصيرهم وأمهرتهم . وأصبح الإسلام جزءًا من أيديولوجية البقاء والدفاع عن الذات ، والمذهب الشافعي أكثر المذاهب شيوعًا وسط قبائل الأورومو والطريقة التيجانية أكثر الطرق كلها نفوذًا بين الجالا .

في جيمة أبا جفار وجومة ولها أتباع بين بني شنقول ولكن مركز الإشعاع الإسلامي ظل في هرر حيث تتواجد مدارس اللغة العربية والفقه الإسلامي وحيث كان فيها تسعون مسجدًا ما تزال آثارها باقية . ومعظم الدعاة والفقهاء في مدينة هرر جاءوا من اليمن والجزيرة العربية واختلطوا بالسكان المحليين كما يوجد أحفاد الجيش المصرى حيث أصبحوا يعرفون – بالعدريين – .

الأورومو فى القرن التاسع عشر :

للطبيعة الجبلية أثر كبير في صياغة تاريخ الممالك الإسلامية في أثيوبيا ، إذ كونت كل أسرة حاكمة مع شعبها وحدة تميزت عن غيرها من الوحدات ، حتى طغت القومية الصغيرة أو القبيلة وأصبحت هي أساس الحياة الاجتماعية والسياسية في أثيوبيا ، وفي هذا الجو برزت في أرض الجالا ولايات أو ممالك إسلامية صغيرة مستقلة استقلالا يكاد يكون تامًا ، يحكمها ملوك مسلمون ، أشهرها (جما) وهي من أخصب بقاع أثيوبيا وكانت (جما) سلطنة وثنية وأسلم أهلها في النصف الأول من القرن الماضي على يد تجار مسلم ، وأصبحت سلطنة إسلامية وملكها السلطان محمود بن داوود المشهور باسم أب جفار ولم تلبث (جما) أن فقدت استقلالها ، إذ أعلن الإمبراطور منليك حمايته عليها عام ١٨٨١ م تاركًا لها استقلالها الداخلي كباقي ولايات أثيوبيا المسيحية وتوفى أبو جفار سنة ١٩٣٤ م أي في عهد الإمبراطور هيلاسلاسي الذي قام بدمج السلطنة نهائيًا في أثيوبيا[١٢] .

ظلت الحبشة عبارة عن عدة ممالك مسيحية قبل ظهور الإمبراطور ثيدورس عام ١٨٥٥ م حيث وحد تلك الممالك بمساعدة الإنجليز وكان أهم تلك الممالك (غوندر) ، (غوجام) ، (تجراى) ، وجزء من (شوا) و (ولو) وسماها أثيوبيا .

وجاء بعده (يوحنا) وكان مسيحيًا متعصبًا ، إذ قام بجمع مجمع الكنيسة في بورميدا Bourmieda في ١٨٧٨ ، حيث أصدر المجمع قرارًا يدعو فيه المسلمين إلى اعتناق المسيحية والانتماء للكنيسة الاثيوبية وأعطوا مهلة لمدة ثلاثة أعوام ، كما أمروا المسلمين ببناء الكنائس في مناطق سكنهم مع دفع العشور للقساوسة ، كما نص القرار ، أن على كل مسئولي الدولة إمَّا أن يتنصروا أو يستقيلوا ، مما أدى إلى تنصر بعض زعماء الأورومو وعلى رأسهم الإمام محمد علي والإمام ابيا –وأتنا من زعماء منطقة والو الجنوبية ، حيث تسمى الأول بميخائيل والثاني هايلي ماريام ، وقد سجلت إحدى الروايات أنهم في طريق عودتهم من الكنيسة بعد أن تم تعميدهم ، عرجوا على المسجد حيث أزالوا آثار التعميد على يد إمام المسجد[١٣] . وقد خلق تعصب يوحنا الظروف الموضوعية التي مهدت لمجيء الحملة المصرية بقيادة رؤوف باشا والتي كان من أهدافها ضم كل منطقة شرق إفريقيا بما فيها الصومال وأثيوبيا إلى دولة وادي النيل تحت التاج المصري ، وقد استطاعت الحملة بعد الاستيلاء على زيلع وبربرا العبور لمناطق الأورومو واحتلال هرر في عام

١٨٧٥ ، مما شجع مزيدًا من الأورومو على اعتناق الإسلام ومما خلق ظروف انطلاق حركة الإسلام والحرف العربي .

أدى قيام الثورة المهدية في السودان ، إلى انسحاب الحاميات المصرية من منطقة هرر ، بعد أن لحقت بها عدة هزائم من جيوش الحبشة بقيادة منليك مما يسر الأمر أمام منليك لهزيمة أمير هرر عبد الله بن محمد بن علي عبد الشكور ودخول منليك لهرر حيث قام بتعيين الرأس ماكونين – والد هيلاسلاسي – كحاكم لهرر وقد تزامن سقوط هرر ، مع هروب أعداد كبيرة من مسلمي أثيوبيا للحدود السودانية ، طلبا لحماية الثورة المهدية ، وقد أقامت هذه الجموع معسكرًا ضخمًا أسمته (تبارك الله) وفي هذه الظروف اندلعت الحروب بين المهدويين ويوحنا كما هو معروف ومات يوحنا مقتولًا في القلابات عام ١٨٨٩ م .

لم تكن مناطق الأورومو ضمن أثيوبيا حتى هذا العهد ، بل كانت لها ممالك مستقلة (إسلامية) حتى بدايات القرن التاسع عشر ، وبدأت توسعات الأحباش في مناطق الأورومو ، بعد مؤتمر برلين ١٨٨٤ – ١٨٨٥ م ، الذي مهد لتجزئة إفريقيا وتقسيمها إلى مناطق نفوذ أوربية ، حيث باركت القوى الأوربية المتصارعة دعم استيلاء أثيوبيا كقوة مسيحية إفريقية على مناطق الأورومو وبقية الممالك الإسلامية حتى حدود الصومال الحالي .

استيلاء منليك على هرر وبقية مناطق الأورومو :

تولى منليك حاكم شوا أمر المسلمين في الجبهة الجنوبية الغربية (مناطق الأورومو والصوماليين) بينما كان الإمبراطور يوحنا مشغولا بأمر المهدويين في الجبهة الغربية[١٤] وانتصر كما ذكرنا منليك على جيوش الأمراء المسلمين في هرر بقيادة الأمير عبد الله بن عبد الشكور وكان دحره لعبد الله في معركة تشكينكو قد رسم نهاية أربعمائة سنة من الحكم الإسلامي دون انقطاع . كما أحدث سقوط هرر صدمة في مشاعر المسلمين ، إذ تعتبر هرر بمساجدها التسعين مدينة إسلامية علمية عندها صفة القداسة في نفوس المسلمين ، خصوصًا وأنها كانت تمثل مركز الإشعاع الإسلامي بكل منطقة شمال شرق إفريقيا . وعندما دخل منليك هرر اعتلى قمة مئذنة المسجد الكبير وبال عليه وهدم الجامع[١٥] .

وباشر رأس مكونين والد هيلاسلاسي بناء كنيسة القديس جبرائيل فوق حطام المسجد ، كما حول منليك المسجد الذي بناه الأتراك وسط مدينة هرر إلى كنيسة سلاسي (الثالوث المقدس) .

منليك والرأس غوبينا :

دخل منليك في تحالف مؤقت مع الرأس غوبينا أحد أشهر زعماء الأورومو حينها ، كجزء من مخطط لاختراق مجتمع الأورومو من الداخل وتفتيت تماسكه الذي عبر عنه في نظامه

الاجتماعى السياسي المعروف (قادا) وكان الرأس غوبينا منتخبًا بموجب نظام (قادا) لمدة ثمان سنوات . أصبح الرأس غوبينا بموجب هذا التحالف قائدًا عامًا لجيوش منليك واستسلم زعماء الأورومو لرأس غوبينا باعتباره منهم وبذلك سقطت بلادهم وأموالهم في يد منليك ، الذي أحسن استخدامها وتوظيفها لدعم نفوذه في شوا وجيا ووالحا واللبابور المقاطعات الأربعة الغنية ، وهكذا استطاع منليك إخضاع الأورومو في أربع سنوات ، بعد أن فشل نظراؤه في إخضاعهم لمدة أربعة قرون . وقام منليك بترقية غوبينا بأن منحه لقب (نجاشي كافا) ولكن سرعان ما عزله وجرده من منصبه حينما شعر بخطورته ولم يفز بشيء غير زواج واحد من أبنائه بواحدة من بنات منليك ، وقضى غوبينا بقية أيامه قائدًا لعدد محدود من الجنود ، حيث أرسلهم منليك لإخضاع القبائل المجاورة للحدود السودانية .

وهكذا حقق منليك بعضًا من طموحاته التي عبر عنها في رسائله لملوك بريطانيا وإيطاليا وروسيا وألمانيا حيث ذكر : (أن الله إذا مد في عمره ، فسيمد حدود أثيوبيا حتى الخرطوم وبحيرة فكتوريا وكل مناطق الجالا[١٦] .

"If God grants me life and powr, I would like to colonize fromer Ethiopian territories as far as Khartoum, Lake Nyasa (victoria) and the Galla".

ولعل السبب الرئيسي في تفوق منليك على خصومه ، يعود لتسليح الدول الأوربية المسيحية له بالسلاح الناري المتطور الذي مكنه من إحراز تفوق نوعي عليهم (الأورومو وغيرهم) . وقد أدت غزوات منليك وحروبه في مناطق الأورومو عام ١٨٩٧ م وما صاحبها من مجاعات وكوارث إلى إبادة ثلثي السكان[١٧] ، كما قام منليك بتوزيع ثلثي أراضي الأورومو على المسيحيين مبقيا الثلث فقط لأهل البلاد ، كذلك قام بتوزيع أهل البلاد أنفسهم كغنيمة (رقيق أرض) على أعوانه وحاشيته وجنده وبلغ نصيب الأمير ألف عبد والجندي ٢٥ عبدًا ووصل نصيب منليك وزوجته سبعين ألف جندي .

احتل منليك سيدامو ما بين ١٨٩٤ — ١٨٩٥ وكفا وبالي ١٨٩٧ برغم الجهاد المستميت الذي بذله مسلمو أفات وبالي بالأخص تحت قيادة الشيخ محمد أبو عبد الله . وبعدها استسلمت بورونا في عام ١٨٩٩ ولم تكتمل عملية إخضاع كافة مناطق الأورومو إلا في هذا القرن بعد ضم مملكة جيما في عام ١٩٣٣م ويعيش الآن وريث عرش سلطنة جيما الأورومية (أبادولا جيفار) في المنفى بالسعودية في عقار ورثه عن جده .

في بعض مناطق الأورومو ، قام أعوان منليك بتقسيم أراضي الأورومو بين الدولة والكنيسة والجنود حيث تم تقسيم الأراضي بمن عليها من الأهالي المقيمين ، حيث أجبروهم على العمل خمسة أيام في الأسبوع لصالح المستوطنين الجدد (الأمهرة) وعلى أكتاف المستوطنين الجدد قامت مهام

حفظ الأمن والاستخبارات والإدارة والخدمات التعليمية ، وتواصلت سياسة الاستيطان هذه حتى أيام هيلاسلاسي الذي هجر ما يقارب نصف المليون من الأمهرة إلى بورقا ، ايل دي ، جوبا قوريث ، سيري ملكا اوادام ، وركا وغيرها .

بالطبع لم تكن انتصارات منليك سهلة ، إذ برغم التفوق الحاسم لمنليك ورجاله في السلاح الناري ، إلّا أن ثورات الأوروموا تواصلت ، ولا تزال الذاكرة الأوورومية تردد سيرة أبطالها الذين قاوموا الزحف الأمهري بقيادة منليك ، كغبريسا الذي أبى الانصياع لسطوة الحكام الجدد وفر للحجاز ومنها عاد للسودان ، حيث كون ما يشبه الجيش الجهادي ولكنه انهزم أمام رأس تسما وقد ظلت ميتته منحوتة في الذاكرة الأورومية ، إذ مات ممسكًا بمصحفه كرمز لاستمساك الأورومو بالإسلام ، وفي فبراير ١٩٠٩ م نشبت ثورة شارك فيها المزارعون الأوروميون ولكن هذه وغيرها تم القضاء عليها لأنها كانت حركات معزولة أشبه بالانفجارات وكانت تفتقر للتخطيط والنظرة الاستراتيجية طويلة المدى .

ثورات الأورومو فى عهد الإمبراطور هيلاسلاسى الأول :[١٨]

يعتبر عهد الإمبراطور هيلاسلاسي أعظم عهود الحبشة استقرارًا ، فليس أمرًا هيِّنًا أن يبقى ملك على عرشه خمسين عامًا ، جاءت في عصر الكشوفات وثورة الاتصال وفي زمن أخذت المدنية تقفز فيه بخطى سريعة إلى آفاق بعيدة ، فإن كان منليك هو الذي مد حدود الحبشة إلى ما هي عليه ، فإن هيلاسلاسي هو الذي حافظ على هذه الحدود وجعلها أمرًا واقعًا وأضفى عليها المشروعية والدولية ، بل إنه مد هذه الحدود داخل الصومال لتشمل مناطق عجز منليك نفسه عن السيطرة عليها .

لقد بنى هيلاسلاسي مجده وعظمته ، على أساس التمكين للقومية الأمهرية والثقافة المسيحية ، لذا فقد مثل عهده ظلمًا لا يمكن إغفاله بالنسبة للقوميات الأخرى ولعل أشد أعماله ظلامًا وظلمًا وقع على المسلمين ، باعتبارهم خارجين على عقيدة الدولة وباعتبارهم من غير القومية الأمهرية ، وقد بنى هيلاسلاسي خطته على توحيد الدين واللغة بمعنى سيادة المذهب اليعقوبي واللغة الأمهرية وعلى هذا الأساس سارت سياسته التعليمية ، وحينما أحس المسلمون (أورومو وغيرهم) بأن أولادهم الذين يتم إرسالهم للمدارس الحكومية ، يتم تنصيرهم باعتبارهم أن الكنيسة تسيطر على المدارس ، هجروا التعليم الحكومي واكتفوا بتعليم الخلاوي والمساجد على يد المشائخ ومعلمي اللغة العربية وحتى هؤلاء لم ينجوا من اضطهاد وتعقب رسل الإمبراطور-وهكذا حرم أبناء المسلمين من ثمار التعليم الحديث وأصبح سيادة الأمهرة على جهاز الدولة أمرًا واقعاً وأصبحوا متفوقين بالتعليم والسلاح الناري بتحالفهم مع القوى الأوربية بينما ظل المسلمون في حياتهم التقليدية كعبيد للأرض .

تميز هيلاسلاسي بالذكاء والدهاء والمعرفة التي لا تجارى في تسيير أمور الحكم كما زادته الأيام والخبرات حنكة على حنكة ، وقد استعمل كل ذلك في محاربة المسلمين والقوميات غير الأمهرية ، حيث سلط عليهم سلاح الإهمال والنسيان والحرمان ، حيث كان محرمًا على المسلم ومعظم المسلمين من الأورومو تولي الوظائف أو الالتحاق بالجيش أو الخدمة بالشرطة أو التمتع بوسائل التعليم الحديثة[١٩] . علمًا بأن الإمبراطور كان يخشى حتى من المتعلمين الأمهرة وحيث لم تزد نسبة المتعلمين طيلة عهده عن ٥٪ أي ما يقارب الـ ٢٠ ٪ وسط الأمهرة .

ولم يكتف هيلاسلاسي بهذا التوجه السلبي في حرب القوميات الأخرى بل عمد إلى العنف والإبادة في إخماد عدد من حركات الأورومو بل إنه عمد لاستخدام سلاح الطيران لأول مرة في تاريخ أثيوبيا ضدهم ، وحينما اجتاح الإيطاليون أثيوبيا في عام ١٩٣٦م وفر هيلاسلاسي فإن الأورومو برغم تظلمهم من هيلاسلاسي إلَّا أنهم رفضوا استبدال سيد بسيد ، إذ قام ٣٣ من قادتهم بعد الغزو الإيطالي بتكوين ما يشبه الحكومة الأورومية لعموم الأورومو بقيادة Diejaz Mach Habte Marrim ، وقد خاطبت هذه الحكومة بريطانيا وهيئة الأمم ولكن لما لم تجد عونًا سقطت على أيدي الغزاة الإيطاليين وبرغم ذلك فإن الوجود الإيطالي لم يكن كله وبالًا على الأورومو وقد عبر عن ذلك شكيب أرسلان في تنديده بالذين تباكوا على احتلال إيطاليا للحبشة قائلا (أفلا تذكرتم سلطنة هرر الإسلامية ، التي أغار عليها منليك الثاني النجاشي السابق ، فسلبها استقلالها وذبح من أهلها خمسة آلاف رجل في شوارع هرر وضبط أموال كثير من المسلمين وجعل مسجدهم الأعظم كنيسة ، ومنع استعمال اللغة العربية في هرر ، التي كانت من أعظم كراسي الإسلام والعروبة . ثم في أثناء الحرب العالمية عاد تفرى هذا (هيلاسلاسي) فحمل على أهالي هرر بتهمة ميلهم إلى ليخ باسو امبراطورهم المسلم السابق ، وذبح منهم عددًا عظيمًا ... وهلا تذكرتم أن مسلمي الحبشة هم نصف سكان تلك المملكة بل يزيدون ، وأنهم مع ذلك محرومون من كل حق في مناصب الدولة وأنه يوجد في الحبشة عشرات الألوف من العبيد ، أكثرهم مسلمون والباقي منهم وثنيون وأن النجاشي تفرى نفسه ، كان عنده ألفا عبد من هؤلاء ، أفلا تذكرتم كيف أصدر النجاشي يوحنا سنة ١٨٨٢ م أمرًا جازمًا بتنصير جميع مسلمي الحبشة بلا استثناء أو يرحلوا عن البلاد ، فتنصر منهم ألوف ورحل مئات الألوف وخرجت مدن إسلامية[٢٠] .

الاحتلال الإيطالى لأثيوبيا والمسلمون :

أسهم الاحتلال الإيطالي في إنعاش البلاد الأثيوبية عامة وتحسين ظروف المسلمين بخاصة ، وكان من أهم الإنجازات التي تمت في تلك الفترة القصيرة ١٩٣٩ - ١٩٤١ تلك الشبكة العظيمة من الطرق ، خصوصًا ذلك الطريق العظيم بين أسمرة وأديس أبابا ووديانها

(١٠٨٠ كلم) وبفضل الإيطاليين أصبح الوصول إلى هرر وجيما ولينمتي وبحيرة تانا ممكنًا بالسيارات لأول مرة في تاريخ أثيوبيا . عامل الإيطاليون المسلمين وعلى الأخص الأورومو على قدم المساواة مع المسيحيين ،حيث سمح لهم بإقامة مساجد جيدة البناء بل وأسهموا في بنائها وترميم المصدع منها ، ومن أهم إنجازاتهم في هذا المجال ، مسجد أديس أبابا الكبير ، وهرر وديرداوة وعدد آخر في مقاطعات الجالا الأخرى ، وبنيت هذه المساجد من أموال الأوقاف الإسلامية المجمدة والتي أطلق لها الإيطاليون حرية العمل . كما قامت الحكومة الإيطالية بالسماح بتعيين القضاة الشرعيين وأدخلت تدريس اللغة العربية في جميع المدارس التي أنشئت للمسلمين كما ساهمت في إنشاء كلية دار العلوم الإسلامية في جيما ، وبإمعان النظر في تلك الإجراءات نجدها لا تعدو أن تكون تصريحًا للمسلمين بمباشرة شئونهم الدينية على نحو كانوا محرومين منه في السابق .

هيلاسلاسى والأورومو فى عهده الثانى :

مع أن تاريخ هذه الفترة لم يكتب ولم يتجاوز طور الهمس والروايات الشفهية إلّا أن اليسير قد يفيد في التبصير ، ففي عام ١٩٤١م ثار أورومو منطقة هرر وفي عام ١٩٤٨م قامت السلطات لأسباب مجهولة بحملة اعتقالات وتصفيات جسدية في منطقة هرر ، مما دفع آلاف المسلمين الأوروميين للفرار حيث لجأ بعضهم لمصر مستغيثين بالملك فاروق ملك مصر حينها ، ولكن لم يعرهم أحد انتباهًا ، إذ مصر ذاتها كانت في أشد حالات الانحطاط والارتباك والخضوع للهيمنة الأجنبية ، وكانت مشغولة بمخطط تصفية جمعية الإخوان المسلمين الشهيرة ، وتجددت ثورات قبائل الأورومو المسلمة في عام ١٩٥٠ بمنطقة دادي حيث كسر الحرس الإمبراطوري ثورتهم ولعل ثورات الأورومو ظلت متصلة ولكن أهم حركة ذات بال ظهرت في الستينيات وهي حركة ميتشا – توليما .

حركة ميتشا - توليما للنهوض بالأورومو :

من قادة هذه الحركة البارزين الأورومي تاديس بيرو الذي كان يعمل ضابطًا كبيرًا في قوة الشرطة الأثيوبية ثم في الجيش الإقليمي وتم تصعيده لوقوفه مع العرش في المحاولة الانقلابية ضد العرش عام ١٩٦٠م . وقد ظنه رئيس الوزراء الأثيوبي اكليلو هابتي أمهريًا علمًا بأنه من أورومو شوا الوسطى المسيحيين ويحمل اسمًا أمهريًا لذا فقد أحاطه رئيس الوزراء بالاستراتيجية العامة التي فحواها أن نسبة الأورومو ، يجب أن تبقى محدودة في قبول وترفيع الجنود ، وقد صدم تاديس بهذه الاستراتيجية ثم ما لبث أن استرد وعيه بذاته وبقوميته وانخرط بعدها في رابطة متيشا تولاما للعون الذاتي التي ركزت على محو الأمية وبناء المستشفيات وانضم إليها مليونان من الأورومو ، ولكن سرعان ما انتبهت السلطات لها وقامت بحلها في عام ١٩٦٧م واعتقلت قادتها بتهمة

ملفقة ، دارت حول وضع قنبلة في إحدى دور السينما وقد شنق اثنان من قادتها وهما كابتن مامو ميزمير ، وهيلي ماريام كامادا[٢١] . وذهب تاديس للسجن حيث لم يشفع له ماضيه في خدمة الإمبراطور ، كما توافق مع ظهور حركة ميتشا-تولاما اندلاع ثورة بالي المسلحة والتي ظلت مستعصية على الإخماد طيلة فترة ١٩٦٣ - ١٩٧٠م وتعتبر الفترة من ١٩٦٧ - ١٩٧١م من أتعس الفترات التي مرت على شعب أورومو حديثًا ، حيث اغتيل في هذه الفترة عدد من شيوخ الأورومو المسلمين كالشيخ عبد الحكيم حاج علي (ولي) في مقاطعة شوا والشيخ أحمد أبا في مقاطعة جما وهكذا .

جبهة تحرير الأورومو الإسلامية :

التجارب التاريخية العميقة التي مرت على شعب الأورومو بالإضافة إلى خبراته المكتسبة من تجربة توشيما-ليما للعون الذاتي ، مثلت الخلفيات التي انطلقت منها حركات الأورومو الحديثة في السبعينيات ، حيث استفادت هذه الحركات من البنية الأساسية التي أسستها حركة ميتشا-توليما والحركات الأخرى .

ولدت جبهة تحرير الأورومو حينما هرب عدد من شباب الأورومو المتحمسين للخارج لطرح قضيتهم ، وكان من أبرز هؤلاء عبد الكريم إبراهيم حمد الملقب (جارا) وهو من أورومو هرر وابن شيخ قبلي ، نال تدريبًا عسكريًا في سوريا وعدن ثم دخل لمنطقة هرر حيث استطاع أن يؤلف في فترة وجيزة حركة عسكرية قوامها اثنا عشر ألف مقاتل ولكنه في ظروف الكر والفر دخل الصومال واعتقل ، لرفضه العمل داخل الاستراتيجية الصومالية التي تعتبر كل منطقة أثيوبيا الشرقية (منطقة هرر والأوجادين) جزءا من الصومال المفقود . مما ساعد السلطات الأثيوبية على تشتيت وتصفية هذه الحركة ، نسبة لغياب زعيمها واعتقال واغتيال عدد من قادتها . في عام ١٩٧٥م تم إطلاق سراح الشيخ عبد الكريم حيث نشطت جماعته من جديد ، خصوصًا في ظروف الحرب الصومالية الأثيوبية ١٩٧٧ - ١٩٧٨م حيث استطاعت تحرير مدن بأكملها ولكنها انحسرت مع الدعم الروسي لأثيوبيا والهزيمة الصومالية ، وظل شيخ عبد الكريم يتنقل بين مؤيديه في هرر وجيبوتي ، إلى أن استقر أخيرًا في منطقة هرر وسط مقاتليه حيث ما يزال يقود جبهة تحرير الأورومو الإسلامية كجبهة موازية لجبهة تحرير الأورومو العلمانية[٢٢] .

جبهة تحرير الأورومو العلمانية :

تكونت هذه الجبهة في عام ١٩٧٣م من أبناء منطقة ميجا وتولاما وبالي وولاجا ونشطت أساسًا وسط مثقفي واللجا ، نسبة لوجود نسبة عالية ، من شباب الأورومو المسيحي المتعلم تعليمًا حديثًا في المدارس التبشيرية وجلهم من اليساريين وقد اكتسبت الجبهة مؤيدين وأنصارًا في

ظروف مجاعة ١٩٧٣م التي أودت بحياة ربع مليون نسمة من والو وعفار وتيجري ، وتصاعد مد حركة الجبهة في ظروف الحركة العامة التي نبتت في هذه الظروف في أثيوبيا وقوضت صرح الامبراطورية حيث استلمت لجنة التنسيق بين وحدات القوات المسلحة الأثيوبية السلطة عمليا في أكتوبر ١٩٧٤م وقد بدأت شرارة حرب التحرير الشعبية التي أعلنتها الجبهة في جرجر في عام ١٩٧٤م ثم انتشرت في الأعوام التالية إلى مناطق واللجا وبالي وعروسى .

وعلى خلاف الجبهة التي يقودها عبد الكريم جارا ، فإن هذه الجبهة اهتمت بالجوانب الفكرية والثقافية ، حيث أصدرت عددًا من الدوريات والمنشورات والدراسات بلغة الأورومو واللغات العالمية ، مما خلق اهتمامًا عالميًا بالحركة كما اهتمت بتطوير الدراسات المتعلقة بثقافة شعب الأورومو ولغته وأساليب حياته ، كما نجحت في مخاطبة الرأي العالمي عبر شبكة اتحادات طلاب الأورومو في أمريكا وأوربا وأنحاء متفرقة من آسيا وإفريقيا .

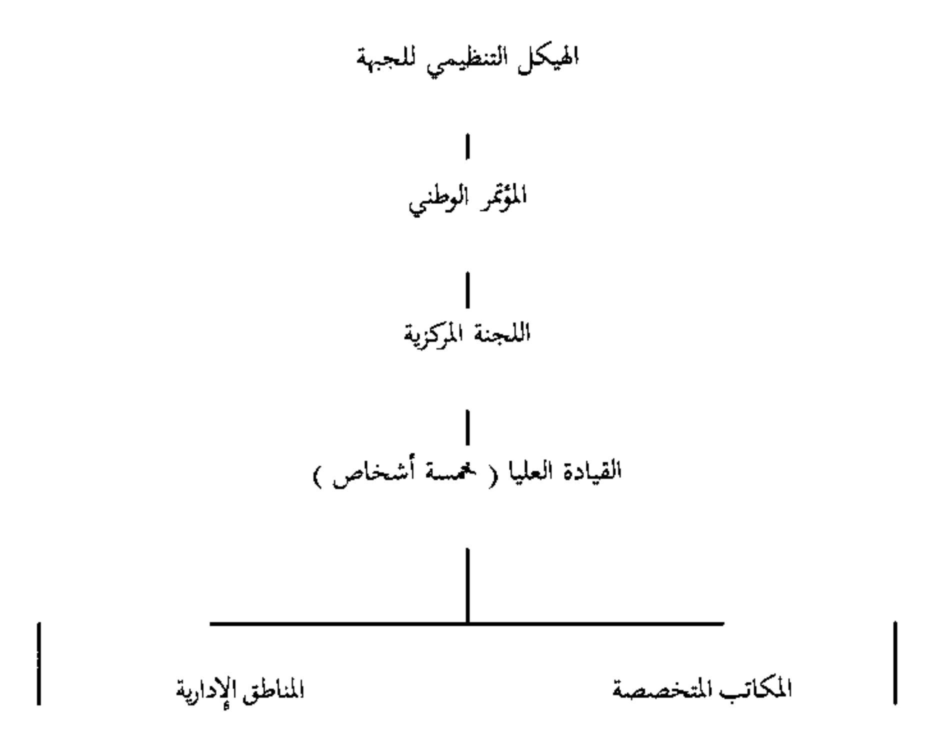
أعدت الجبهة برنامجها العام في أكتوبر ١٩٧٤ م في (فني فني) اسم أديس أبابا بالأورومية ثم عدلته في يونيو ١٩٧٦م ويشير البرنامج إلى أن الهدف العام من النضال هو (تحقيق تقرير المصير الوطني لشعب الأورومو وتحريره من الاضطهاد والاستغلال بكل أشكالهما ، وهذا لا يمكن الوصول إليه إلا عبر القيام بثورة ديمقراطية جديدة ناجحة ، من خلال شن نضال مضاد للإقطاعية ومضاد للاستعمار ومضاد للإمبريالية ، وبإقامة جمهورية أوروميا الشعبية الديمقراطية[٢٣] .

يتم ذلك تحت ظل حكومة علمانية وتقوم السياسة الخارجية للجبهة على :

تقبل المساعدات العينية والمعنوية من كل الحكومات الديمقراطية والمنظمات والأفراد الذين يؤمنون ويدعمون القضية العادلة لشعب الأورومو[٢٣] .

التكوين التنظيمي :[٢٤]

أخذت الجبهة شكلها التنظيمي النهائي في عام ١٩٧٤م حيث أصبح لها مؤتمر وطني تنبع منه لجنة مركزية هي مكان وضع السياسات ثم تنبع منها قيادة سياسية وعسكرية من خمسة أشخاص (رئيس ، نائب رئيس ، سكرتير وعضوين) وللقيادة مكاتب متخصصة كالمكتب العسكري والمكتب السياسي والمكتب المالي ومكتب العلاقات الخارجية كما أن هناك مكاتب الأقاليم على المستوى الأفقي وسط صفوف الشعب ، حيث تم تقسيم القطر الأورومي إلى سبع مناطق إدارية ويرأس اللجنة القيادية حاليًا (جلاس دبليو) مسيحي وتوجد للجبهة مكاتب في السودان والصومال مع انتشار تنظيمات المثقفين الأوروميين التابعين للجبهة على امتداد العالم .



تحفظات حول الجبهة :

مع اتساع حركة جبهة تحرير الأورومو العلمانية ، إلَّا أنْ لبعض الأورومـو المسلمين تحفظات عليها أهمها : (٢٥)

١ ـ القضية مطروحة من منظور قبلي والمطلوب تشكيل جبهة خلاص لكل مسلمي أثيوبيا .

٢ ـ هناك تضخيم في أدب الجبهة لماضي الأورومو وميراثهم الحضاري غير الإسلامي مع تجاهل الثقافة الإسلامية السائدة والتي أعطت الغالبية العظمى لشعب الأورومو صياغتهم النهائية وعلى الأخص في مناطق هرر وديرداوة ، حيث سادت إمارات حكمت بالشريعة الإسلامية وازدهرت في كنفها اللغة العربية .

٣ ـ القيادة الحالية للجبهة مسيحية وبالتالي غير مؤتمنة على الميراث الحضاري للأغلبية المسلمة التي هي صاحبة القضية الأساسية ، باعتبار أن كل الظلم التاريخي وقع عليها وحدها ، كما أن معظم المقاتلين في المستويات القاعدية من

المسلمين . وهذه القضية وإن ظلت غير مثارة إلّا أنها ستصبح يومًا ما القضية المحورية داخل المقاومة .

نظام الثورة وقضايا القوميات ١٩٧٣ - ١٩٧٨ م :

تم تصفية نظام الإمبراطور هيلاسلاسي على مراحل ، المرحلة الأولى تمت في ظروف المجاعة ، حيث شهدت المدن الأثيوبية سلسلة من أعمال العصيان المدني والغليان الشعبي والإضرابات والمظاهرات ، وفي وقت شاخ فيه الإمبراطور وأصبح عاجزًا عن تصريف الأمور ، مما خلق فراغًا ، أغرى العسكريين بالتكتل وتكوين لجنة التنسيق بين الوحدات العسكرية في بداية عام ١٩٧٤م وجاءت هذه اللجنة بالانتخاب الحر من كل الوحدات العسكرية بما فيها الشرطة وحرس الحدود ، وانتخبت هذه اللجنة مجلسًا إداريًا تنفيذيًا مؤقتًا لمخاطبة الإمبراطور ومساعدته في إدارة البلد .

وفي ١٠ ابريل ١٩٧٤م خرجت أضخم مظاهرة شهدتها أثيوبيا في تاريخها الحديث وكان قوام هذه المظاهرة المسلمون الذين رفعوا مذكرة من عشر نقاط ، طالبت بالمساواة بين الأديان وفصل الكنيسة عن الدولة وإنشاء مجلس إسلامي أعلى لرعاية أمور المسلمين وكفالة حقوقهم في التعليم والأحوال الشخصية والأعياد وغيرها . خروج المظاهرات بهذه القوة أثبت للعسكرين تلاشي هيبة الإمبراطور ، لذا فرضوا على الإمبراطور تعيين الضابط الأرتيري المعتدل المتقاعد أمان عندوم قائدًا للجيش في يوليو ١٩٧٤م كما تبنى الضباط جزئيًا مطالب المسلمين ، لذا لم تلق مذكرة الكنيسة التي رفعتها في أغسطس ١٩٧٤م أي ترحيب من قبل العسكريين وكانت مذكرة الكنيسة تطالب أساسًا برفض مطالب المسلمين[٢٦] . وفي ١٢ سبتمبر ١٩٧٤م تم عزل الإمبراطور وأصبحت كل الأمور في يد الحكومة العسكرية المؤقتة لأثيوبيا برئاسة أمان عندوم ونص بيان الإطاحة بالإمبراطور على إيقاف العمل بدستور ١٩٥٥م المعدل ووعد بوضع دستور جديد يعكس الفلسفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لأثيوبيا ويضمن الحقوق المدنية للشعب كما وعد بتشكيل مجلس شعب قانوني ليصادق على الدستور الجديد .

وفي نوفمبر ١٩٧٤م أعلن لأول مرة ، عن اسم منجستو هيلي ماريام ، رئيسًا للجنة التنسيق بين الوحدات العسكرية ونائبًا لأمان عندوم في رئاسة المجلس العسكري الإداري المؤقت . وفي ٢٢ نوفمبر ١٩٧٤م تم عزل أمان عندوم وقتله مع ٥٩ من أعوانه لإصراره على حل سلمي لقضية أرتيريا عبر عنه برفضه التوقيع على أمر بإرسال خمسة آلاف جندي لتطويق الموقف المتفجر هناك وفي ٢٨ نوفمبر ١٩٧٤م تم تنصيب الحاكم العسكري لأرتيريا تفري بنتي من أمهرة كوجام رئيسًا للمجلس العسكري الإداري المؤقت .

وفي فبراير ١٩٧٥م صدرت قرارات تأميم الأراضي الزراعية وتوزيعها على الفلاحين وتضرر من ذلك كبار الملاك والإقطاعيين من الأمهرة والكنيسة الأثيوبية التي كانت تملك وحدها ما يقارب ثلث الأراضي الزراعية بينما كان الفلاح الأورومي المستفيد الأول وبعد أن عادت لفلاح الأورومو أرضه ، أخذ يفكر في إعادة حقوقه السياسية والثقافية والاجتماعية الأخرى .

وفي إبريل ١٩٧٦م أعلن الرفيق منجستو هيلي ماريام وكان حينها نائبًا لرئيس المجلس الإداري العسكري المؤقت (برنامج الثورة الوطني الديمقراطي)[٢٧] . بنقاطه العشرة وكانت النقطة السادسة حول (تأكيد المساواة المطلقة وحقوق القوميات المختلفة في تأكيد ثقافتها) .

"Ensure absolute equality and right of identity of nationalities"

وأعلنت السلطات الأثيوبية بعد ذلك (برنامج العفر للحكم الذاتي) ولكنه كان مجرد مناورة لتعويق استقلال جيبوتي ودمجها في أثيوبيا لأن هذا البرنامج طوى مع استقلال جيبوتي في منتصف عام ١٩٧٧م .

ومع أن برنامج الثورة الوطني الديمقراطي ، صاحبته دعاية مكثفة ، إلّا أنَّ الطبقة العسكرية الحاكمة ظلت من غلاة الوطنية الأثيوبية في إطارها الأمهري ، وبمجيء صيف عام ١٩٧٧م تم القضاء على كل العناصر التي ساهمت في صياغة (برنامج الثورة الوطني الديمقراطي) حيث سالت في نوفمبر أنهار من دماء المعارضين والمؤيدين للبرنامج وفي هذا الصراع تم تصفية تفري بنتي وأعوانه وأصبح البرنامج ورجاله في خبر كان حيث نبذته الصحافة وأصبح في عداد مخلفات الثورة المضادة والغريب أن الرفيق منجستو هيلي ماريام صعد قائدًا للجيش ورئيسًا للمجلس العسكري الإداري المؤقت ، علمًا بأنه طرح نفسه في البداية نصيرًا للبرنامج وأدى الوضع إلى تفجر الأحداث في أرتيريا وتيجري ومناطق الأورومو والصومال حيث تأكد لقيادات هذه القوميات بأن سياسات لجنة التنسيق العسكري في جوهرها تأكيد لمد حركة الأمهرة التاريخية ، التي يعد ثيودور ومنليك وهيلاسلاسي أعظم أبطالها في العصر الحديث . وإن لم يكن ذلك كذلك ، فلماذا تمجد الثورة المتحالفة مع روسيا منليك ويوحنا وثيودور ، علمًا بأن الثورات العالمية الحديثة أدانت عهود الأباطرة والقياصرة ، فالروس قامت ثورتهم على رفض حكم القياصرة ، والصينيون على رفض حكم الأباطرة ، بينما الثورة الأثيوبية اكتفت بوضع نجمة حمراء على التاج .

مضت لجنة الرئيس منجستو في سياسات الدمج القومي وسياسة الحديد والنار في إطار الاستراتيجية السوفيتية الداعية لتوحيد شعوب القرن الإفريقي في محور الشيوعية العالمية تحت لواء البرولتاريا الأثيوبية . أدت هذه السياسات إلى الحرب الصومالية–الأثيوبية في بداية ١٩٧٨م التي أسفرت عن تدفق مليون لاجيء أوجاديني وأورومي للصومال ، كما أخذت أعداد من القوميات الأخرى في التدفق إلى السودان (تجراي ، أورومو ، أرتيريين) .

لاجئو الأورومو بالسودان :

مع أننا قابلنا عينات من لاجئي الأورومو في الخرطوم ومقديشيو وجيبوتي إلّا أننا اخترنا منطقة الدمازين لإجراء استبانة شاملة لمعرفة ميول واتجاهات الأورومو وشملت الدراسة استجواب ٥٨ أورومي ينتمون لاثنتي عشرة منطقة من مناطق الأورومو ، وحين سؤالهم عن جنسياتهم أجاب جميعهم بأنهم أورومو ولم يشر أيٌّ منهم لا إلى قبيلته الفرعية ولا إلى أنه أثيوبي . مما يؤكد تأصل الشعور القومي بينهم . ومن أصل ٥٨ كان عدد المسلمين ٥٢ والمسيحيين ٦ والوثنيين لا شيء ، مما يدل على انتشار الإسلام وسط الأورومو ، خصوصًا أن معظم المهاجرين للسودان من المنطقة الغربية التي تتركز فيها المسيحية والوثنية علمًا بأن أورومو هرر وما جاورها مسلمون وحسب معطيات هذه الاستبانة فإن ٨٩٪ من الأورومو المهاجرين مسلمون، أما في مجال العمل والتعليم فالوضع على النحو التالي :

العدد الكلي	طلاب	مزارعون	عمال	تجـار	موظفون	قوات نظامية
٥٨	٤٣	١٨	٣	١	١	١
التعليم	أمي	خريج خلوة	ابتدائي	أوسط	عالي	جامعي
	١٠	٢٧	٧	٥	٧	٢
الديانة	مسلم	مسيحي	وثني			
	٥٢	٦	لا شيء			

الحاصل الكلي لجمع المستجوبين في الجدول الأول ٦٧ لأن بعض المستجوبين يجمع بين مهنتين كمزارع وطالب وتاجر وطالب . نسبة المتعلمين وسط المستجوبين المسيحيين كبيرة إذ من أصل الجامعيين الاثنين واحد مسيحي والآخر مسلم ، المسلم لم يكمل دراسته بعد إذ لا يزال في ثانية اقتصاد ومن أصل طلاب الثانوي العالي السبعة ثلاثة مسيحيون ومن أصل طلاب المرحلة المتوسطة الخمسة مسيحيان اثنان . والقادم الوحيد من القوات المسلحة مسيحي (راجع

الجدول حسب معطيات هذه الاستبانة فإن نسبة التعليم وسط المسيحيين المهجرين في حدود ١٠٠٪ بينما هي في حدود ٨٠٪ وسط المسلمين مع مراعاة الفارق النوعي في التعليم إذ تعليم المسيحيين نظامي حديث ومعظم تعليم المسلمين ديني تقليدي (٥٣٪ من المسلمين المستجوبين تعلموا في الخلاوي فقط) والنتيجة العامة أن الغالبية العظمى من المستجوبين (٨٣٪) متعلمين ، مما يشير إلى أن هناك علاقة جدلية بين الوعي والنزوح ، إذ كلما زاد تعليم الأورومي كلما زادت عنده قابلية الهجرة والشعور بالظلم ، الذي يبلغ التعبير عنه مداه في ترك الديار والأهل والفرار للحفاظ على النفس دون ضمانات أو خطط . والمعلوم أن أكبر نسبة غير متعلمة وسط القوميات الأثيوبية توجد بين الأورومو إذ لا تتجاوز نسبة المسلمين بينهم ٥٪ مما يؤكد فرضية الارتباط بين التعليم والهجرة (اللجوء) كما أن نسبة طلاب الخلاوي لمجمل المهاجرين المستجوبين تعادل ٤٦٪ مما يدل على ازدياد معدل السخط وبالتالي الهجرة وسط المتعلمين تعليمًا إسلاميًا .

العدد الكلي المستجوب (٥٨)	
الذين هاجروا للسودان بأهلهم	صفـــر
الذين هاجروا للسودان وتركوا أهلهم	٥٨
الذين ينحدرون من عوائل تمتهن الزراعة	٤٥

وظاهرة الهجرة بدون الأهل تدل على أن المهاجرين يعتبرون نزوحهم هذا مؤقتًا أو ربما كان بعضهم ينتظر ظروفًا ما لتهجير أهله ، وكثير من الأورومو يقيمون في السودان داخل المساجد والخلاوي إما لتعطشهم للمعرفة الدينية أو لسهولة المأوى ولربما للعاملين معًا .

أجمع المستجوبون على أن احتياجاتهم تتلخص في الغذاء والكساء والمصاريف والمأوى وخلف كثير منهم وراءه في المهجر مواشي وزراعة .

أجمع جميع المستجوبين بأنهم نزحوا بسبب الاضطهاد وفصل بعضهم فربط الاضطهاد بالتجنيد الإجباري ، لأن ذلك يقود للانخراط في الجيش الشعبي ، الذي يقوم بمهام حفظ الأمن

وسط المكان ومحاربة حركات القوميات ، كما ربط بعضهم الاضطهاد بظروف الحرب التي تخلق حالة من الخوف ولا تسمح بالاستقرار وأشار بعضهم إلى منعهم من مواصلة التعليم وإغلاق خلاوي تعليم القرآن وأشار اثنان إلى أنهما هربا بسبب إجبارهما على العمل في المزارع الجماعية ونتيجة لمنع الإرث والزكاة وآخران فرّا ليتمكنا من أداء فريضة الحج ولم يسجل أي منهم أنه هرب بسبب عوامل غير سياسية أو نزح نزوحًا عاديًا بسبب الجفاف أو بحثًا عن عمل أو غيره .

انظر الجدول التالي

	العدد الكلي المستجوب	٥٨	النسبة المئوية
١	الذين هاجروا بسبب الاضطهاد وأسباب أخرى	٥٨	١٠٠ ٪
٢	الاضطهاد (اعتقال الشيوخ) إغلاق الخلاوي طلبًا للعلم	١٧	٢٨٫٥ ٪
٣	الاضطهاد (التجنيد الإجباري)	١٦	٢٧ ٪
٤	الاضطهاد دون تفصيل	١٢	٢١ ٪
٥	الاضطهاد (ظروف الحرب ضد النظام وعدم الاستقرار ولم يجد عملًا) .	٦	١١٫٥ ٪
٦	الاضطهاد (المنع من أداء فريضة الحج)	٢	٣٫٥ ٪
٧	الاضطهاد (العمل في المزارع الجماعية ومنع قانون الإرث والزكاة) .	٢	٣٫٥ ٪
٨	الاضطهاد (أخذت أرضه)	١	١٫٥ ٪
٩	الاضطهاد (اعتراض السلطات له في الشارع) .	١	١٫٥ ٪
١٠	الاضطهاد (واتهامه بأنه سياسي)	١	١٫٥ ٪
	الجميع	٥٨	٩٩٫٥ ٪

في إجابتهم لسؤال لماذا اختاروا (السودان) ؟ تفاوتت إجاباتهم ، فبعضهم اختار السودان لقربه وسلامة الطريق المؤدي إليه ولاستقبال حكومته اللاجئين ، ولأن أهل السودان مسلمون .

ولأن بعض معارفهم قد سبقوهم للسودان . وأجاب واحد منهم لأنه كره بلاده ، وآخر لأن الحكومات الأخرى لا تساعد وآخر لأنه سمع بأن معاملة السودانيين طيبة وأجاب ٧٠٪ منهم بأنهم اختاروا السودان للتسهيلات التي تقدمها حكومته .

٧٨٪ من اللاجئين ينحدرون من أسر تمتهن الزراعة ، ويلي الزراعة الرعي ثم التجارة ويوجد واحد فقط سليل أسرة تمتهن العسكرية وآخر ينتمي لأسرة تمتهن الحكم بمعنى أن أهله كانوا حكامًا وآخر من أسرة دينية يعمل أهله في تعليم القرآن .

٩٠٪ من المستجوبين جاء خالي الوفاض ولم يحضر أي منهم شيئًا من مهجره . وبقية الـ ١٠٪ نفد ما أحضروه معهم من مال أو أثاث[٢٨] . ومعظم الأورومو المهاجرين لا ينتمون لأي من حركات تحرير الأورومو والبقية ينتمون لجبهة تحرير الأورومو العلمانية .

والخلاصة أن الظروف الموضوعية تتهيأ في مناطق الأورومو للانخراط في حركة سياسية لخلاص الأورومو ، ولعل ذلك يعود للظروف التي خلقتها الثورة ويعود لأن شعب الأورومو يمر بمرحلة معينة من مراحل الانعتاق من التخلف وهي المرحلة التي تسبق حركة الانطلاق والنهضة وحينما تصبح هذه المرحلة في قيد الإمكان ، يصعب إيقافها أو عدم الاستجابة الإيجابية لها ومن هنا يبرز مأزق القومية الأمهرية .

مأزق القومية الأمهرية أم الثورة الأثيوبية تعيش ؟

الثورة الأثيوبية في إطارها الأمهري مرحلة فاصلة[٢٩] ، يصعب تجاوزها دون اللجوء للخيارات التاريخية الصعبة . إن غلاة القومية الأمهرية – الساعين في درب إخضاع القوميات الأخرى على هدى منليك ، يتجاهلون أن الظرف قد تغير وأن القوى التي أعطت القومية الأمهرية فاعليتها في التاريخ ، إذ الكنيسة الأثيوبية التي كانت واحدة من أوعية القومية الأمهرية تم فصلها وإبعادها عن دائرة مكونات القومية (الدولة الأثيوبية) كما تم القضاء على العائلات الأمهرية الإقطاعية ، كما أن طبقة الأمهرية المثقفة انقسمت حول توجهات النظام ، ودخلت قوميات أخرى مدفوعة بفكرة الدولة الحديثة في إطار الأمهرة وأخذت تعمل من الداخل في تقويض نفوذ الأمهرة والمنافسة على مواقع اتخاذ القرار .

إن نظام الثورة بسياساته الأولى (الإصلاح الزراعي) تصفية الإقطاع فتح فرص العمل في الجيش والجيش الشعبي على الأخص في المستويات القاعدية للقوميات الأخرى – وصلت نسبة الأورومو في الجيش الشعبي ٧٠٪ – فاختل التوازن التاريخي بين القوميات مما أضر بوضعية الأمهرة التاريخية وهز بعنف الأرض التي كانوا يستندون عليها .

لا شك أن النظام الأثيوبي الجديد ، قد كسب حينًا من الدهر ، الصفوف القاعدية لهذه القوميات ، على الأخص الأورومو ، ولكن ما إن نالت هذه القوميات المكاسب التي نالتها ، كان

من الطبيعي أن تأخذ وضعًا جديدًا وتتطلع لمكاسب جديدة وهذه بدورها تنقلها إلى وضع آخر فيه قابلية التطور حتى تتساوى مع وضعية القومية المسيطرة ، لذا حينما لجأ النظام الأثيوبي لإلجام هذه القوميات وإيقافها عند حدها ، أطلت نذر الحرب الأهلية[٣٠] . (ثورة الأورومو ، الصومال الغربي ، التجراى ، بالإضافة إلى نزيف الثورة الأرتيرية وانفجارات وسط قوميات صغيرة أخرى) .

لجأت الصفوة الأمهرية الحاكمة إلى معالجات غير حكيمة ، تجسدت في سياسات تسليط الجالا على الجالا والجالا على الأرتيريين ، والأرتيريين على الصوماليين والأمهرة على الجميع ، أدت هذه السياسات إلى تدفق اللاجئين الأثيوبيين على الصومال والسودان وجيبوتي وكينيا ، ونشطت الحركات السياسية وسط هذه التجمعات ، مما أدى لسوء العلاقات بين هذه الدول حتى تستعملها كأوراق ضغط لتجبر هذه الدول لإيقاف نشاط اللاجئين الأثيوبيين السياسي ، وقد تمثل ذلك في احتضان أثيوبيا لقبيلتي إسحاق وام الجرتين الصوماليتين وتحريضها على الثورة المسلحة ضد النظام الصومالي واحتضانها للمعارضين من الجنوبيين السودانيين والشماليين وتسليحهم مما خلق شبه ظروف حرب بين دول المنطقة . كما أن الوضع الداخلي المتفجر في أثيوبيا أدى إلى إفقار أثيوبيا واستنزاف مقدراتها ، مما جعلها تقف مشلولة وعاجزة في وجه المجاعة التي حصدت أرواح مئات الألوف وتهدد الملايين . كما أن الظروف الداخلية ستقودها إلى ارتهان قرارها السياسي للقوى الدولية .

مفتاح الحل عقد اجتماعي جديد لأثيوبيا بقومياتها :

خلاصة الحديث أنه في طيلة القرن السابق ، عاملت القومية الأثيوبية الحاكمة ، شعب الأورومو باعتباره أمة مستعمرة وليس كشعب أثيوبي ، وسعت للقضاء على هذه الأمة ، بالقضاء على ثقافتها وتاريخها ومحو آثار حضارتها كما ظلت القومية الحاكمة تنكر وجود ما يسمى شعب الأورومو ، بخصائص متميزة وتاريخ خاص . ولكن مع ذلك أخذ يبرز كيان جديد للأورومو ، ويحسن بهذا الكيان أن لا يحصر نفسه في إطار الظلم الذي وقع فيه ، بمعنى أن اجترار تاريخ المهانة والظلم ووضع القضية مجرد تصفية حسابات مع الأمهرة لن يسهم في النهوض بالأورومو ، كما أن اجترار التاريخ وحده غير كاف في ظروف القرن العشرين لإضفاء الشرعية الدولية مهما كانت عدالة القضية ، ومع أن هناك استحالة مادية في أن يظل وضع الأورومي كما هو عليه دون تحريك (اللهم إلّا أنْ يرثوا هم النظام الأثيوبي بقومياته) فإن هناك استحالة مادية كذلك في قيام جمهورية لهم مستقلة ولعل بين الخيارين يبرز خيار العقد الاجتماعي الجديد ، الذي يستجيب لكل أثيوبيا بقومياتها المختلفة ، ولعل في وسع العبقرية الأثيوبية أن تستنبط شيئًا جديدًا مناسبًا لظروفها ، مستلهمة التجارب العالمية بعموميتها والإفريقية بخصوصيتها ، ولعل في تجربة تنزانيا (تنجانيقا وزنجبار) والحكم الإقليمي نيجيريا والسودان وغيرها ما يعين أثيوبيا الجديدة في تلمس دروبها في ظروف القرن العشرين .

الهوامش

(١) Richard V. Weeks, **Muslim Peoples A World Ethnographic Survey.** (Green Wood press. 1978). P. 301

(٢) Ulrich Braukamper, ''Oromo Cuntry of Origin A Reconsideration of Hypotheses.''

بحث مطبوع بالرونيو بمكتب جبهة تحرير أورومو بالخرطوم وبمكتبة المركز الإسلامي الإفريقي .

(٣) Some Records of Ethiopia 1593-1646, Being Extrcta from: **The History of High Ethiopia,** by Manoel De Alemediz together with Bahrey's **History of the Galla.**

Translated and edited by F. Beckingham and G.W. B. Hunting Ford Printed for the Hakluy society London 1959. p. l.

(٤) المصدر السابق ص ٧١ انظر كذلك النشرة الموجزة عن شعب أورومو الصادرة عن اتحاد طلاب أورومو في السودان ، مكتبة المركز الإسلامي الأفريقي .

(٥) حسب تقدير عام ١٩٧٧م لتعداد شعب أورومو ، المأخوذ من :

World Population Data Sheet (Population Reference Bureau, Inc Washington, D.C. 1977.)

يبلغ تعداد شعب الأورومو نسبة ٤٠٪ من تعداد الشعب الأثيوبي البالغ تعداده ٢٩٫٨٠٠٫٠٠٠ نسمة أي ١١٫٧٦٠٫٠٠٠ نسمة وحسب الإحصاء السكاني لأثيوبيا لعام ١٩٨٤م فإن تعداد الشعوب الأثيوبية ٤٢ مليون نسمة إذا أخذنا نسبة الأورومو ٤٠٪ فإن تعدادهم يصل ١٦٫٨ مليون ولكن مصادر الأورومو تصر بأنهم لا يقلون عن نصف سكان أثيوبيا . انظر ص (٥٠٤) Weeks, Muslim Peoples

(٦) حسن محمد جوهر : أثيوبيا ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م ، ص ٧١ — ٧٢ .

(٧) Bahrey, History of the Galla, p. 2-5

(٨) المصدر السابق ص ٢٠٥ .

(٩) المصدر السابق ص (١١١) وما يسترعي الانتباه في هذا الكتاب الذي كتب ما بين عامي ١٥٨٨–١٥٩٣م إحساس الكاتب الشديد بخطورة شعب الجالا . بل إن القضية المحورية في هذا الكتاب هي ظهور الجالا كخطر داهم على الدولة الأثيوبية في القرن السادس عشر .

(١٠) شهاب الدين الجيزاني : الشهير بعرب فقيه ، تحفة الزمان أو فتوح الحبشة لا يوجد أثر للجزء الثاني من هذا الكتاب الذي يعد من أهم مصادر تاريخ الإسلام في الحبشة . تحقيق فهيم محمد شلتوت ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٩٧٤) م .

(١١) دكتور عبد الرحمن زكي : الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا ، مطبعة يوسف بالقاهرة ، الدكتور يوسف فضل : انتشار الإسلام في أفريقيا .

(١٢) جوهر ، أثيوبيا ، ص ٧٥ ، مصدر سابق .

(١٣) T. Spencer Trimingham, **Islam in Ethiopia** (Frank Cass and Company Limited, third Imp. p. 176

(١٤) في عام١٨٧٦ م تمت مصالحة (تسوية) بين يوحنا ومنليك حيث كانا يتصارعان حول حكم أثيوبيا وبمقتضى الصلح أصبح الأول امبراطورًا عامًا والثاني حاكمًا على منطقة شوا .

(١٥) بيركيت هابتي سيلاسي، الصراع في القرن الإفريقي، ترجمة عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية – ش.م. ١٩٨٠م ص١١١ .

(١٦) **The Oromo Nation under Amhara Colonial administration Past and Present, and Oromo Resistance to Colonial Oppression.**

(١٧) Trimingham, **Islam is Ethiopia** p. 124-125.

(١٨) قفزنا من عهد منليك مباشرة إلى هيلاسلاسي باعتبار أن عهد الإمبراطور ليج ياسو الذي فصل بين منليك وهيلاسلاسي ، كان قصيرًا ولم تسجل ملامحه إذ جاء في ظروف الحرب العالمية الأولى ، حيث لعبت الدول الأوربية بأقدار البشرية وقصة الإمبراطور ليج ياسو نلخصها في أنه ابن للرأس محمد علي ملك أورومو (ولو) الذي مرت علينا قصته ، حيث تنصر مكرها وتسمى الرأس ميخائيل ورأى منليك أن يوطد علاقته معه ليكسب ولاء شعب الأورومو فزوجه من ابنته (اراجاش) حيث رزق منها (ليج ياسو) أي قلب يسوع ، وعندما توفى منليك في عام ١٩١٣م أوصى بالعرش لحفيده ليج ياسو ، وكشف هذا إبان توليه العرش وكان عمره سبعة عشر عامًا عن إسلامه وتزوج بمسلمة ، وكان ذلك في ظرف حرج توافق مع الحرب العالمية ، مما هدد استراتيجية الدول الأوربية المتحالفة ضد تركيا وألمانيا ، لذا تحفزت القوات الانجليزية في بربرة والفرنسية من جيبوتي ، والإيطالية من مصوع وتحالفت مع أمراء مقاطعة شوا والكنيسة حيث أفلحوا في عزل (ليج ياسو) بعد مؤامرات وحروب وجاءت بعده الإمبراطورة زاديتو ابنة منليك ولكنها كانت مجرد رمز بينما كانت الأمور في يد معاونها هيلاسلاسي الذي توج إمبراطورًا في عام ١٩٣٠م بعد وفاة زاديتو . (انظر كمثال المراجع التي عالجت هذه القضية ، المهندس فتحي غيث ، الإسلام والحبشة عبر التاريخ مكتبة النهضة المصرية ص٢٥٤ ، ٣٥٤) .

(١٩) المصدر السابق ص ٣٣ .

(٢٠) المصدر السابق ص ٢٨١ نقلا عن المقدمة التي قدم بها شكيب أرسلان كتاب الأستاذ تيسير ظبيان الكيلاني ، المسلمون في الحبشة .

(٢١) بيركيت هابتي سيلاسي ، الصراع في القرن الإفريقي ص ٩٣ .

(٢٢) المعلومات عن هذه الجبهة جمعناها عن طريقة اللقاءات الشفاهية بعدد من شباب الأورومو المتصلين بالحركة في كل من جيبوتي والصومال والسودان .

(٢٣) انظر مثالا لذلك نشرة (Oromia Speaks. Vol. 4, No.1 and 2) وأية أعداد أخرى وكذلك بيركيت هابتي سيلاسي ، الصراع في القرن الإفريقي ص ٩٠ – ٩٥ .

(٢٤) مقابلة مع المحامي طه علي ، أحد قادة مكتب جبهة تحرير الأورومو بالخرطوم في ١٩٨٤/٥/١٢ .

(٢٥) مقابلات مع بعض طلاب أورومو بالمركز الإسلامي الإفريقي وعدد من أعضاء جبهة تحرير الأورومو الإسلامية في الصومال وجيبوتي .

(٢٦) **Africa Year Book and Who's Who 1977, (Africa Journal Limited** 1976.) Page 390 p. 39.

(٢٧) Graham Hancock Africa Guide, **World of information 1980.** p. 118.

(٢٨) ساهم في إعداد وتوزيع هذه الاستبانة د. علي الطيب أخصائي الجراحة بمستشفى الدمازين ، الأستاذ عبد اللطيف سعيد المركز الإسلامي الإفريقي والباحث عبد العظيم سليمان بمعهد الدراسات الإفريقية والآسيوية وعدد من طلاب المركز الإسلامي الإفريقي .

(٢٩) من ضمن الـ ١٦ عضوًا للجنة العسكرية ١٥ من أصل أمهري ولا يوجد بينهم مسلم واحد ، وأما أعضاء المجلس الإداري العسكري المؤقت الحاكم فإن تسعتهم من الأمهرة ومن أصل ٣٧ وزيرًا ووكيلًا يوجد ٣١ أمهريًا و ٩٠٪ من قادة الجيش والشرطة والجهاز الدبلوماسي من الأمهرة وكذلك فإن ١٠٩ عضو من أعضاء اللجنة المركزية لحزب عمال أثيوبيا أمهرة من أصل ١٢٣ عضوًا علمًا بأن الأمهرة يشكلون ١٦٪ فقط من سكان أثيوبيا .

(٣٠) في ظروف الحرب الصومالية – الأثيوبية عام ١٩٧٨م وفي أعقاب السيطرة على الموقف بعد جسر الإمدادات السوفييتي الجوي ، شاع أن الأورومو هم سبب الهزيمة ، لتعاونهم مع الغزاة وأصبح الشعار (ماذا فعل الصوماليون لنا) إنهم الجالا الذين تسببوا في هزيمتنا وفي هذه الفترة ظهرت (جبهة الصومال ابو) بقيادة المحارب الأورومي القديم واكوغوتو ، الذي قاد كثيرًا من حركات المقاومة في نهاية الستينات ، والذي فضل العمل في إطار الاستراتيجية الصومالية بعد التجارب التي مر بها .



أضواء على أوضاع المسلمين واللغة العربية في جنوب أفريقيا

الأستاذ عمر الصديق عبدالله

معهد تعليم اللغة العربية

في جامعة الملك سعود

أضـواء عـلى أوضـاع المسلمين واللغـة العربيـة في جنـوب أفريقيـا

للأستـاذ عمـر الصـديـق عبـدالله

ملخص البحث :

يحاول هذا البحث أن يضع أمام الأخوة المؤتمرين صورة عامة لأوضاع المسلمين واللغة العربية في جنوب أفريقيا ، مركزا على الجذور التاريخية لهؤلاء المسلمين ومتتبعا لهجراتهم من بلدانهم الأصلية في أندونيسيا ، الهند ، وشرق أفريقيا واستقرارهم في جنوب أفريقيا ، كما يكشف عن الظروف القاسية التي تعرض لها أولئك المهاجرون في مقرهم الجديد .

وتناول البحث أوضاع المسلمين الحاضرة في ظل القوانين العنصرية السائدة الآن في البلاد ، وانعكاس تلك القوانين على حياتهم .

أما فيما يتعلق بوضع اللغة العربية في جنوب أفريقيا ، فإنه قد تناول بالتفصيل الواقع اللغوي فيها مبينا موقع اللغة العربية في خارطة ذلك الواقع .

كما تعرض كذلك إلى التحديات التي تواجه اللغة العربية وكيفية التغلب عليها وأشار البحث إلى المنظمات الإسلامية والمؤسسات الأكاديمية التي تعمل على نشرها .

وأختتم البحث بإلقاء نظرة فاحصة على مستقبل المسلمين في هذا الجزء من العالم مشيرا إلى بعض العوامل الأساسية التي ينبغي على المسلمين الأخذ بها إذا أرادوا لدينهم المنعة والانتشار .

تمهيد :

يحتوي هذا البحث على عدد من النقاط الهامة ، حول أوضاع المسلمين واللغة العربية في جنوب أفريقيا ، نضعها أمام الرأى العام المسلم بهدف تنويره بالمعلومات اللازمة عن هذا الموضوع الذي لم تهتم به وسائط الإعلام الإسلامى التى انساقت وراء أجهزة الإعلام الأخرى في تحليلها لأوضاع جنوب أفريقيا ، في ضوء التفرقة العنصرية دون أدنى اهتمام بأوضاع المسلمين الخاصة .

والبحث لايدعي الكمال ولا الإحاطة الشاملة بكل جوانب الموضوع ، وإنما هو قراءة متأملة لكثير من الحقائق والملامح التى غيبها عن الناس قصورنا الإعلامى وقد اعتمدنا في إعداد هذا البحث على الزيارة الميدانية وعلى عدد من المراجع في اللغة الإنجليزية بالإضافة إلى المقابلات الشخصية مع عدد كبير من شباب جنوب أفريقيا الذين يدرسون اللغة العربية في البلاد العربية .

ويسعدني وأنا أمهد لهذا البحث أن أسجل شكري العميق لمنظمة الشباب المسلم في جنوب أفريقيا وكل الإخوان الذين جعلوا إعداد هذا البحث أمراً ممكناً .

١ - خلفية تاريخية :

تشير معظم الدراسات التي تتناول الحياة في جنوب أفريقيا الي أن عدد السكان يبلغ حوالي ٣٠ مليون شخص ، وطبقا للقوانين العنصرية السائدة في البلاد ، فإن السكان يصنفون الى أربع مجموعات عرقية هى :

أ – الســـود	٢٢ مليونا
ب – البيـــض	٦ ملايين
ج – الملونيـن	٢,٥ مليونا
د – الهنـــود	٨٠٠,٠٠٠,- الفا

والمسلمون في جنوب أفريقيا ينتمون إلى كل هذه الفئات العرقية ولكن انتماءهم الأساسي يتجذر في مجموعتي الملونين والهنود لأسباب تاريخية سيرد ذكرها فيما بعد .

١-١ مسلمو مقاطعة الكاب :

كانت مقاطعة الكاب هي المنطقة الأولى التي تصل إليها طلائع المسلمين المستعبدين في عام ١٦٥٢ من أرخبيل اندونيسيا الواقعة في ذلك الوقت تحت سيطرة الهولنديين الذين كانوا يعملون لصالح شركة شرق الهند ذات السمعة السيئة .

ويشهد التاريخ بأن الأوروبيين الذين كانوا وراء تجارة الرقيق قد أثروا ثراء فاحشا وأنهم كانوا على قدر كبير من البربرية والتوحش في تعاملهم مع ضحاياهم ، فقد كان الواحد من العبيد يجلب قسرا ويباع دون أدنى مراعاة للعلاقات الأسرية وغيرها من الروابط الإنسانية ، وكان الواحد منهم أيضا يعاقب أشد العقاب لو أخطأً بغض النظر عن حجم ذلك الخطأ بل قد بلغ الاستغلال البشع مداه الى درجة أن يرهن العبد إلى حيث أن يسدد سيده ما عليه من ديون .

إن هذه المعاملة السيئة ستظل إلي الأبد عارًا في وجوه الأوربيين ولن يشفع لهم ما يبذلونه من جهد للتنصل منها وإلصاقها بغيرهم .

وقد عمل البيض ما في وسعهم – كعادتهم دائما – على تغيير عقيدة عبيدهم المسلمين إلى الدين المسيحي ولم يكتفوا بذلك وإنما عمدوا أيضا الى تغيير أسماء العبيد فالعبد الذي كان يسمى داود يحول اسمه إلى دافيد ويحول اسم إبراهيم إلى إبراهام .. الخ .

ولكن هذه السياسة البشعة لم تفلح فى زحزحة هؤلاء المسلمين المستعبدين قيد أنملة عن عقيدة الإسلام بل صمموا على الولاء واستطاعوا أن يحافظوا على إرثهم الثقافي وشخصيتهم الإسلامية ، فقد ظلوا بالرغم من ضراوة الظروف يعيشون في ظلها يتجمعون سرا في بعض بيوت قادتهم لكى يؤدوا الصلاة في جماعة ويقرأوا القرآن ويعملوا على نشر تعاليمه حتى أعلنت حرية الاعتقاد في عام ١٨٠٤ م .

وقد أفرزت هذه المرحلة القاسية من تاريخهم شخصيات إسلامية عظيمة لعبت دورا متميزا في تاريخ الدعوة الإسلامية في هذه البقعة المجهولة من خريطة الأمة الإسلامية .

وعند الحديث عن هذه الشخصيات تبرز إلى الذهن شخصية الشيخ يوسف (١٦٢٦ - ١٦٩٩) بزخمها الثقافي الكبير الذي أضاء بنوره الثاقب ظلمة الاستعباد والقهر والاستلاب الثقافي . والشيخ يوسف لم يكن عبدا وإنما كان أميرا وعالما كبيرا منفيا من بلاده جافا .

ومن هذه الطائفة القائدة الكريمة نذكر بالاعتزاز الدور الإسلامى الكبير الذي لعبه الإمام عبد الله قاضي عبد السلام (١٧١٠) . وترد على الذاكرة أسماء كثير من العلماء والشهداء الذين قدموا حياتهم وعلمهم في سبيل المحافظة على توهج العقيدة في نفوس إخوانهم .

وقد انتهت تجارة الرقيق في هذا الجزء من العالم عندما أصدر البرلمان البريطانى في أغسطس عام ١٨٣٣ م قرارا يقضي بتحريم تجارة الرقيق في كل أنحاء الإمبراطورية وكان عدد المستعبدين فى ذلك الوقت في مقاطعة الكاب يقدر بحوالي ٣٩,٠٠٠ شخص .

إن مسلمي مقاطعة الكاب الآن هم أحفاد أولئك العبيد الأحرار الذين استطاعوا البقاء علي عقيدة الإسلام بالرغم من كل الممارسات البربرية التي استهدفت مسخ عقيدتهم وثقافتهم . وشيدوا أول مسجد لهم حوالي ١٨٠٤ م في كيب تاون ليكون نقطة الارتكاز التى تدور حولها حياتهم ، وهم يصنفون حسب قوانين البلاد ضمن مجموعة الملونين .

١-٢ مسلمو مقاطعة نتال :

كانت القارة الهندية هي المصدر الثاني الذي رفد جنوب أفريقيا بأعداد كبيرة من الناس فى عام ١٨٦٠ وقد تمت هجرة أولئك الناس على النحو التالي :

كان المستوطنون البريطانيون في مقاطعة نتال يزاولون زراعة قصب السكر

ولكنهم لم يحققوا نجاحا يذكر في هذا المجال لعدم توفر الأيدي العاملة من المواطنين السود مما حفزهم إلى البحث عن مصدر آخر للعمالة .

ولم يطل بهم الانتظار إذ بدأوا يلاحظون ازدهار مزارع السكر في الجزر القريبة منهم مثل جزيرة موريشيوس واكتشفوا أن السبب المباشر في ذلك الازدهار يرجع أساسا لمهارة العمال الهنود الذين جلبوا خصيصا لهذا العمل .

وتلقائيا تقدمت حكومة نتال بطلب لحكومة الهند تلتمس فيه الموافقة على إرسال عمال زراعيين الى مقاطعة نتال ، وبعد محادثات بين الحكومتين وافقت حكومة الهند على طلب حكومة نتال .

ووصلت أول دفعة من هؤلاء العمال الى نتال في يوم ١٨٦٠/١١/١٦ م ، على ظهر سفينة تسمى (ترورو TRURO) ، وتبعت هذه الدفعة دفعات أخرى وبفضل هؤلاء العمال ازدهرت صناعة السكر في هذه المنطقة وتحولت مقاطعة نتال تدريجيا من منطقة قاحلة الى أرض خضراء زاهية .

وفي هذا الوقت قرر أبو بكر أحمد وهو تاجر مسلم يعمل بالتجارة في موريشيوس بأن يمد نشاطه التجاري إلى نتال فتقدم الي حكومة نتال برجاء يطلب فيه الإذن له بالدخول في البلاد وقد سمحت له الحكومة بذلك .

وكانت كل المتاجر والوظائف التجارية في ذلك الوقت في أيدي حفنة من التجار البيض لا يجدون حرجا في استغلال السكان الأفريقيين أصحاب البلاد .

أما أبو بكر أحمد فلم يكن تاجرا مسلما متمسكا بعقيدته فحسب ، بل وإنما كان أيضا تاجرا أمينا صادقا في تعامله مع الآخرين ولذلك وفقه الله توفيقا باهرا ونجحت تجارته وانتشرت أخبار ذلك النجاح حتى وصلت إلى أهله وعشيرته في بورباندر فى الهند مما دفع الكثيرين منهم إلى الهجرة من كوجرات وسورات وغيرها إلى نتال .

ويتضح من هذا السرد أن هناك فئتين من المهاجرين الهنود الذين قدموا إلى جنوب أفريقيا . فالفئة الأولى هى طبقة العمال الزراعيين الذين استجلبوا من الهند بناء على الاتفاقية المبرمة بينها وبين حكومة نتال والتى كانت تقضي بأن يمضى هؤلاء العمال خمسة أعوام في نتال يمكنهم العودة بعدها إلى بلادهم إذا رغبوا في ذلك أو البقاء فى جنوب أفريقيا .

وقد فضلت الغالبية العظمى منهم البقاء فى نتال حيث اتجهوا إلى الزراعة والعمل الوظيفي والتجارة لكسب لقمة العيش .

أما الفئة الثانية من المهاجرين الهنود والذين يطلق عليهم عادة (المسافرون الأحرار Free - Passengers) فقد وصلت إلى نتال بموجب قوانين الهجرة العادية بعد أن

دفعوا الرسوم المقررة ومعظم هؤلاء المهاجرين كانوا من المسلمين . وبنهاية عام ١٨٨٥ م كان حوالي ٤,٠٠٠ من الهنود قد استقروا في ديربان وماحولها .

إن المسلمين الهنود من مقاطعة نتال شأنهم شأن إخوانهم مسلمي مقاطعة الكاب كانوا على بصيرة ووعى بذاتيتهم الإسلامية ولذلك عملوا منذ البداية على المحافظة على تعاليم دينهم وقيمهم الثقافية .

وقبل نهاية القرن التاسع عشر استطاعوا أن يبنوا مسجدا في موقع اشتراه لهم أبو بكر أحمد وفي هذا الموقع بالذات يقف الآن أكبر مسجد في نصف الكرة الجنوبي وفي مدينة ديربان وهو المسجد الذي يسمى (Jumma Masjid) وبمرور الوقت أنشئت مساجد أخرى ومدارس إسلامية لتسد حاجة هذا المجتمع المتجدد في مجال العلوم العربية والثقافة الإسلامية .

وفيما بعد انتقل بعض المسلمين من مقاطعة نتال الى مقاطعة ترنسفال واستوطنوا فيها .

ويصنف أحفاد هؤلاء المهاجرين الهنود حسب قوانين جنوب أفريقيا ضمن فئة الآسيويين .

١-٣ مسلمون من أصول أفريقية :

لم تقتصر هجرات المسلمين إلى جنوب أفريقيا على الهند أو أرخبيل أندونيسيا فقط وإنما كانت هناك هجرات أخرى لمسلمين من أصول أفريقية جاءوا إلى جنوب أفريقيا من زنزبار في شرق أفريقية في عام ١٨٣٧ م واستوطنوا في منطقة ديربان ويبلغ عدد المسلمين الذين ينحدرون من أصول أفريقية حوالي ٣,٠٠٠ شخص تقريبا .

إن سكان جنوب أفريقيا الوطنيين يعتنقون المسيحية ولكن حوالي ١٥,٠٠٠ منهم يدينون بالإسلام وهم يعيشون في عوز شديد[1] .

٢ - التوزيع العرقى والجغرافى للمسلمين :

يشكل المسلمون حوالي ٢ ٪ من عدد السكان في جنوب أفريقيا البالغ عددهم ٣٠ مليون شخص وهم ينتمون أساسا الى الهنود الملونين مع أقليات تنحدر من أصول أفريقية كما نلاحظ في الجدول التالي :

الفئة	العدد	ملاحظات
الملونون	٣٠٠,٠٠٠	من أصول ماليزية
الآسيويون	٢٧٨,٠٠٠	من أصول هندية
البيض	٢,٠٠٠	
السود	١٥,٠٠٠	
السود الأجانب	٥,٠٠٠	من زنزبار وملاوي وموزمبيق

يستقر المسلمون بشكل مكثف في مقاطعات الكاب ونتال وترنسفال ويقل وجودهم في مقاطعة الأورنج الحرة (Orange Free State) نتيجة لأسباب تاريخية ترتبط بظروف هجرتهم .

يعيش ٩٠ ٪ من المسلمين في المدن الكبيرة مثل كيب تاون وجوها نسبرج وديربان كما نلاحظ في الجدول التالي :

اسم المدينة	عدد السكان من المسلمين	ملاحظات
كيب تاون	٢٠٠,٠٠٠	أكثر من ٩٠ ٪ منهم من ماليزيا
ديربان	١٥٠,٠٠٠	أكثر من ٩٠ ٪ من أصول هندية
جوها نسبرج	١٠٠,٠٠٠	أكثر من ٧٠ ٪ من أصول هندية

٣ - مجالات عمل المسلمين :

شارك المسلمون مشاركة فعالة على مدى الزمن في دفع عجلة التطور في البلاد في كل مجالات الحياة بالرغم من العقبات التي تكبح طموحهم ، ففي نتال مثلا يلعب المسلمون دورا رائدا في مجال التجارة وتقف أسواق ديربان خير شاهد على عظمة العقلية الإسلامية في إدارة الأعمال التجارية الناجحة التى تقف ندا قويا أمام الأعمال التى يديرها البيض .

ويساهم المسلمون في الكاب في كل الأعمال والحرف التى تحتاج إلى مهارات

خاصة مثل أعمال البناء ، والنجارة ، والحدادة ، وصناعة السجاد والحياكة .. الخ . وقد بلغوا في هذا المجال شأنا عظيما من ناحية الإتقان والفن وهم الذين جعلوا من كيب تاون مدينة تفوق مدن العالم جمالا وبهاء بالرغم من الحزن النبيل الذي يظلل الحياة فيها في ظل القوانين العنصرية السائدة والجدول التالي يلقي الضوء على مجالات العمل التي برع فيها المسلمون[٢] .

نوع العمل	النسبة المئوية	ملاحظـــات
مجال التجـــارة	٣٠ ٪	في نتال وترنسفال
صناعـة البنـــاء	٣٠ ٪	فى الكاب غالبا
أعمـال حرفيــة	٣٠ ٪	
قطاع الخدمـات	١٠ ٪	التدريس والطب والمحاماة والمحاسبة

٤ - الوضع القانونى للمسلمين :

تعتبر القوانين التي تنظم الحياة في جنوب أفريقيا قوانين عنصرية جائرة تفتقر إلى البعد الإنساني وروحه لأنها قوانين تهدف إلي تقسيم سكان البلاد إلي مجموعات عرقية حسب ألوانهم دون أدنى اهتمام لأية اعتبارات إنسانية أخرى .

وهذه القوانين تعمل على تمكين البيض من السيطرة على البلاد وحرمان المجموعات الأخرى من التمتع بحقوقها ، فالعنصريون البيض الذين تحكمهم عقدة التفوق غير مستعدين للتنازل عن أبراجهم العالية لكي يتعاملوا مع مواطنيهم على قدم المساواة .

وظلوا في طغيانهم يعمهون لاتثنيهم عن ذلك قوانين إلغاء الرق منذ أكثر من قرن في مقاطعة الكاب ، ولكون أن كثيرا من الهنود جاءوا إلى جنوب أفريقيا بمحض اختيارهم ولم يشفع لديهم ذلك النداء المتواصل الذي ظل يوجهه لهم الضمير الإنسانى منذ عشرات السنين لوقف كل الممارسات العنصرية . بل عملت حكومة جنوب أفريقيا على استصدار مزيد من تلك القوانين العنصرية التى تبث الفرقة والكراهية بين السكان .

ففي ١٦٨٥ م مثلا أجاز النظام قرارا يحرم الزواج بين البيض والفئات العرقية الأخرى(*) وفي عام ١٨٩٧ م قرر النظام العنصري تقليص الهجرة من شبه القارة الهندية وعمل على الحد من حرية التحرك بالنسبة للهنود في مقاطعات البلاد المختلفة .

* قررت الحكومة العنصرية تحت ضغط المعارضة القوية في البلاد إلغاء هذا القانون في شهر مارس عام ١٩٨٥ .

ويتضح لنا من استعراض هذه اللوائح والنظم أن البيض عمدوا منذ البداية إلى تكريس سيطرتهم على الأجناس الأخرى وبخاصة المواطنون الأفريقيون من خلال هذه التشريعات الفاسدة التي تسبب كثيرا من الشقاء والحرمان للمسلمين وغيرهم من المواطنين الذين يكتوون بنارها .

إن المسلمين في جنوب أفريقيا بنص القانون مواطنون أفريقيون يحملون جوازات سفر جنوب أفريقيا ولكن هذه القوانين الجائرة تقسمهم إلى مجموعات عرقية يصعب التواصل بينها .

ويهدف النظام العنصري عن طريق هذه القوانين الى وضع كل مجموعة عرقية داخل إطار معين بحيث تنغلق على نفسها وتعمل على تطوير مناشطها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية حتى تأخذ شكلا متميزا يطلق عليه عبثا كلمة (شعب Nation) .

والمسلمون أكثر الناس تضررا بهذا النمط التعسفى من القوانين لأنه يحول بينهم وبين التوحد في كيان عقدي وثقافي واحد يمنعهم من الذوبان والتلاشي في خضم الكيانات الثقافية الأخرى ونخص بالذكر القوانين التالية :

١ – قانون تسجيل السكان .
٢ – قانون الزواج المختلط .
٣ – قانون مناطق المجموعات .
٤ – قانون التوظيف .
٥ – مجموعة اللوائح التى تنظم السياسة التعليمية والاجتماعية والثقافية[٣] .

٥ – التعليم الإسلامى في جنوب أفريقيا :

تنعكس عنصرية النظام في جنوب أفريقيا بوجهها الكالح انعكاسا واضحاً في السياسة التعليمية التي تفرضها على المجموعات العرقية الأخرى ، فهى لا تسعى إلى وضع برنامج تعليمى موحد شامل يمكنها من صياغة المواطن الصالح كما تفعل معظم دول العالم اليوم وإنما تعمل على إفراد برنامج تعليمي لكل مجموعة عرقية يبدأ بالمرحلة الابتدائية وينتهى بالمرحلة الجامعية .

والبرنامج في كل مفرداته برنامج علمانى يقدم الحقائق من خلال منظور عنصري وهو يتجاهل التربية الروحية تجاهلا كاملا .

وقد تنبه المسلمون لخطورة هذا النوع من التعليم على عقيدة صغارهم وقيمهم الثقافية فعملوا على نشر المعرفة الدينية من خلال عدة قنوات نذكر منها على سبيل المثال الآتى :

٥-١ المدارس الدينية :

التى تنتشر في مناطق المسلمين وتقدم هذه المدارس مبادئ الإسلام الأولية للتلاميذ وتعلمهم كيف يقرأون القرآن ويحفظونه دون فهم لمعانيه .

وتعاني هذه المدارس من عدة عقبات مثل ندرة المعلمين المدربين تدريبا سليما على استخدام طرائق التعليم الحديثة بالإضافة إلى رداءة الكتب المدرسية وضعفها التربوي ، كما أن وقت الدراسة الذي يبدأ عادة بعد انتهاء اليوم الدراسي في المدارس الحكومية غير مناسب إطلاقا للتلاميذ الصغار مما يسبب لديهم نفورا شديدا من الدراسة الإسلامية .

ويمكن التغلب على هذه الصعاب بأن يفكر المجتمع المسلم في إنشاء مدارس إسلامية حقيقية تعني بالعلوم الإسلامية وعلوم الحياة من خلال منظور إسلامي وهذا هو نهج الإسلام فى التربية . وتنفيذ هذا الاقتراح ليس بالأمر الصعب إذا خلصت النوايا وأحسن التخطيط والإعداد .

٥-٢ المعاهد الدينية :

التى تشرف عليها بعض الجماعات الإسلامية وتهدف هذه المعاهد الي تخريج بعض الدعاة وخير مثال لهذه المعاهد دار العلوم في نيوكاسل ومعهد السلام في ديربان .

٥-٣ المساجـــد :

التى تنتشر بأعداد كبيرة في أحياء المسلمين تنشر المعرفة الدينية بين الناس وهى تقف شامخة بمآذنها العالية تكبر الله كثيرا معلنة للملأ صمود الإسلام أمام كل الأساليب الماكرة التى حاولت يوما ما اقتلاعه من أعماق بنيه فى هذا الجزء من العالم .

٥-٤ الدعم الخارجى :

الذي يأتى من دول الشرق الأوسط والهند ويتمثل هذا الدعم في فتح المجال أمام الشباب المسلم من جنوب أفريقيا لتلقي دراساتهم الإسلامية في معاهد وجامعات تلك الدول ولكن هذا الدعم الخارجي لايخلو من بعض السلبيات الواضحة التى يمكن ملاحظتها في سلوك المبتعثين العائدين من الهند . وموقفهم

من نشر اللغة العربية في أوساط المسلمين أكبر دليل على سلبية سلوكهم إذ أنهم يعملون على إفساح المجال أمام نشر اللغة الأردية على حساب اللغة العربية بحجج واهية سنشير اليها في مكانها .

٦ - الخلفية اللغوية لمسلمى جنوب أفريقيا :

لاشك أن الوضع اللغوي لمجتمع المسلمين في جنوب أفريقيا وضع شائك يحتاج الي دراسة مستقلة تبرز إلى دائرة الضوء ذلك التعقيد الذي يحول دون توحيد المسلمين لسانا أو لغة .

وأبرز سمات هذا الوضع اللغوي تعدد اللغات التي تسود المجتمع فهناك لغات رسمية يعمل النظام العنصري على تمكينها وفتح المجال أمامها وهناك لغات ثانوية ينحصر أثرها في بعض الفئات دون الأخرى . كما توجد أيضا لغات تستخدم في البيوت .

وسنحاول فيمايلى الكشف عن جوانب هذا الوضع اللغوي لعلنا نأتى بقبس يضىء للعربية طريقاً في هذه السراديب الموحشة .

٦-١ اللغات الرسمية :

١ - اللغة الانجليزية

٢ - لغة الافريكانز (AFRIKAANS) .

وهاتان هما اللغتان الإجباريتان في المدارس الحكومية وبهما تتم كل المداولات الحكومية .

٦-١-١ اللغات الثانوية :

٦-١-٢ اللغات الأفريقية المحلية :

مثل لغة الزولو وسوثو (Sotho) وهى لغات تعلم في مدارس السود وأشهر هذه اللغات لغة الزولو وقد تمت ترجمة معاني القرآن إليها حديثا وهي ترجمة مجازة من الجهات المختصة .

٦-١-٣ اللغة الأردية :

تعتبر اللغة الأردية اللغة الأولى ضمن اللغات المحلية التي تسود حياة المسلمين الذين يتحدرون من جذور هندية وتعلم اللغة الأردية على

مستوى المدارس الدينية للتلاميذ الذين تتراوح أعمارهم بين ٦ - ١٣ سنة وهى تستخدم كذلك في إلقاء خطب الجمعة في كثير من المساجد التى يخطب فيها أئمة تخرجوا من المعاهد الدينية في شبه القارة الهندية .

٦-١-٤ اللغة العربية :

يرجع تاريخ اللغة العربية في جنوب أفريقيا إلى لحظة وصول الموجات الأولى من المسلمين الي شواطئ جنوب إفريقيا في منطقة الكاب ١٦٥٢ م .

ومن الطريف حقا أن لغة الأفريكانز - وهى لغة البلاد الرسمية - كانت تكتب فى أول عهدها بحروف عربية وأن أول مصحف كتب في جنوب افريقيا قد كتب من الذاكرة وعندما تم فحصه لم توجد به أية أخطاء سوى خطأين يتعلقان باستخدام حركات الإعراب ، ولكن بالرغم من هذه العراقة فإن اللغة العربية لم تجد حظها من الذيوع والانتشار وإنما ظلت حبيسة المساجد والمدارس الإسلامية .

وتعلم اللغة العربية في المدارس الدينية بهدف تعليم التلاميذ قراءة القرآن . كما أنها أدخلت حديثا كمادة اختيارية (Ex,- Subject) على مستوى المدارس الثانوية التابعة للهنود والملونين .

٦-١-٥ اللغات التى تستخدم في البيوت :

يميل المسلمون إلى استخدام كلا من اللغة الإنجليزية والأفريكانز في البيوت في المقام الأول ، ولكن هذا لاينفي وجود لغات أخرى مثل :

أ) كوجاراتى .
ب) أردو .
ج) ممون (لغات هندية) .
د) ككن .

ويشير هذا الواقع الى غياب اللغة العربية عن السلوك اللغوي داخل البيت المسلم(٤) .

٦-٢ موقع العربية فى خريطة الواقع اللغوى :

يستطيع الدارس لموقع اللغة العربية في خريطة الواقع اللغوي لمسلمي جنوب أفريقيا استخلاص النقاط التالية :

١ – ارتباط اللغة العربية الوثيق بتاريخ المسلمين في هذه المنطقة .
٢ – تنوع قنوات تعلم العربية .
٣ – سيادة المنهج التقليدي في تعليم العربية .
٤ – إدخال اللغة العربية حديثا على مستوى المدارس الحكومية الخاصة بالهنود والملونين بوصفها مادة اختيارية (Op . Subjest) .

ويعتبر هذا نصرا كبيرا للمنظمات الإسلامية مثل حركة الشباب المسلم (MYM) وجماعة دراسة العربية (Arabic Study Circle) التي مارست ضغطا متواصلا على السلطات التعليمية حتى وافقت أخيرا على مبدأ إدخال اللغة العربية في المدارس الحكومية .

٥ – تم تكوين شعبتين إحداهما للغة العربية والثانية للدراسات الإسلامية في جامعة وستفيل في ديربان في عام ١٩٧٤ م . يرأس شعبة اللغة العربية حاليا البروفسير حبيب الحق ندوي وهو كاتب ومفكر إسلامي حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة هارفرد ، ويشرف على شعبة الدراسات الإسلامية الأستاذ سليمان الندوي وهو أيضا حاصل على درجة الدكتوراه من إحدى الجامعات الأمريكية .

تقدم شعبة اللغة العربية برامج دراسية في اللغة العربية والأردية والفارسية . وتصدر مجلة بحثية فصلية ، وتعاني هذه الشعبة بالرغم من الجهد الكبير الذي يبذله القائمون على أمرها من الفقر الشديد في مناهجها إذ مازالت تعلم العربية بطريقة تقليدية يتخرج الطالب على أثرها وهو لا يستطيع التحدث باللغة العربية .

وتحتاج هذه الشعبة إلى إصلاح جذري يتناول سياستها في تعليم العربية ويرفدها بمعلمين متدربين على استخدام الطرائق الحديثة في تعليم العربية ويزودها بالكتب الدراسية التي تستجيب لرغبات الدارسين وتساعدهم على تحقيق أهدافهم .

٦ – تأسست حديثا شعبة للغة العربية فى جامعة الكاب الغربية (Western Cape University) تحت إشراف اثنين من خيرة شباب الإسلام هما محمد هارون ويسين محمد وهما من خريجي معهد اللغة العربية في جامعة الملك سعود .

وهذه الشعبة بالرغم من حداثتها من أفضل أقسام اللغة العربية في جامعات جنوب أفريقيا من حيث مصداقية توجهها .

وهى تحتاج إلى دعم مادي عاجل على المستوى المحلي وعلى مستوى المنظمات الإسلامية التى تعمل على نشر اللغة العربية للأقليات المسلمة في العالم الإسلامى .

٧ – تقوم الجامعات التابعة للبيض بتدريس العربية بوصفها لغة سامية لطلاب ينتمون غالبا إلى الشريحة اليهودية داخل مجموعة البيض وتتخذ هذه الجامعات من دراسة اللغة العربية مدخلا لدراسة اللغات السامية المنقرضة مثل الآرمية لأسباب دينية ويتقلد أعباء

التدريس في أقسام اللغة العربية عصبة من اليهود . وفيما يلي كشفا بأسماء هذه الجامعات :

١ ـ جامعة جنوب أفريقيا في بريتنوريا وهي أكبر جامعة للمراسلة في العالم .

٢ ـ جامعة راند أفريكانز في جوهانسبرج ويوجد بهذه الجامعة مركز إسلامي مازال في طور التأسيس تحت إشراف الأستاذ/نوديا وهو بروفسير في الساميات . درس العربية في ألمانيا وقد استطاع أن يقيم علاقة قوية بين مركزه وبين أقطاب المجتمع المسلم في جوهانسبرج .

٣ ـ جامعة بورت اليزبيث وتقع هذه الجامعة في مدينة بورت اليزبيث ويشرف على قسم اللغة العربية بروفسير من أصل سويدي .

٨ ـ استمرار الصراع بين أنصار اللغة العربية وبين أنصار الأردية داخل شريحة الهنود المسلمين حول أي اللغتين أولى بالدعم فمثلا يثير أنصار الأردية الحجج التالية :

أ) أن حوالي ٩٠٪ من الكتب الإسلامية قد تمت ترجمتها إلى اللغة الأردية .

ب) صعوبة تعلم اللغة العربية .

ج) انتشار اللغة الأردية بين المسلمين الذين ينحدرون من أصول هندية .

إننا لا نوافق على هذه الحجج ولا نرى أنها كافية لتقديم اللغة الأردية على اللغة العربية ونعتقد أن الدافع الحقيقي وراء إثارة هذه الحجج الواهية دافع عرقي محض نرجو الله أن يزيله من النفوس .

٩ ـ اتجاه بعض المنظمات الإسلامية المحلية إلى تبني اللغة العربية ضمن برامجها التعليمية مثل :

أ) الصندوق المركزي الإسلامي (Central islamic Trust) .

ب) اتحاد مسلمي لانيزيا (Lanisia Muslim Association) .

٦ ـ ٣ المنظمات التي تعمل على نشر العربية :

هناك عدد من المنظمات والمعاهد والجامعات التي تهتم باللغة العربية وتعمل على نشرها ودراستها وهي على درجات متفاوتة من ناحية الأهداف ووسائل تحقيق تلك الأهداف .

وقد أدى غياب التنسيق بين هذه المؤسسات المختلفة إلى تشتيت اتجاهاتها وبعثرة مجهوداتها وطمس معالم تجربتها مما تسبب في إرباك أجهزتها وشل قدراتها .

ولا يمكن إصلاح الحال إلا بتضافر وتعاون هذه المؤسسات تعاوناً مثمراً يقود إلى توحيد أهدافها وينسق بين أساليب عملها .

ونحن نقترح قيام أمانة عامة تنحصر عضويتها في رؤساء ومدراء هذه المؤسسات بهدف التنسيق بين الأجهزة المختلفة ورسم خط عملي واضح المعالم لنشر اللغة العربية بين المسلمين .

وقيام هذه الأمانة العامة كفيل بإزالة التضارب والفوضى المنهجية التى تسم معظم برامج تعليم العربية .

وفيمايلى نقدم كشفا بأسماء طائفة من هذه المؤسسات :

أولا : المنظمات الإسلامية :

١ – حركة الشباب المسلم .
٢ – جماعة دراسة العربية .
٣ – الصندوق الإسلامي المركزي .
٤ – اتحاد مسلمي لانيزيا .
٥ – مجلس القضاء الإسلامي .
٦ – المجلس الإسلامي لجنوب أفريقيا .
٧ – مركز الدعوة الإسلامية .
٨ – دار العلوم .
٩ – معهد السلام .
١٠ – معهد فاترفال الإسلامي .
١١ – معهد دراسات الشريعة الإسلامية .
١٢ – معهد آزاد فل .
١٣ – مجلس الشورى الإسلامي .
١٤ – نور الإسلام التابع لمكتب رابطة العالم الإسلامي .

ثانيا : الهيئات الأكاديمية :

١ – جامعة ديربان وستفيل .
٢ – جامعة غرب الكاب .
٣ – جامعة راند أفريكانز .
٤ – جامعة بروت اليزبيث .

٥ - المدارس الدينية الملحقة بالمساجد .
٦ - المدارس الحكومية التابعة للهنود والملونين .
٧ - جامعة جنوب افريقيا (يونيسا) .

٦-٤ التحديات التى تواجه اللغة العربية :

ويبدو لنا من استعراضنا لواقع اللغة العربية ولقائمة المنظمات الإسلامية والهيئات الأكاديمية التي تتولى نشرها أنها بدأت تكتسب موقع قدم في ساحة الواقع اللغوي المتشابك ، ولكن هذا التطور تقف في سبيله عدة تحديات يمكن اختصارها في الملاحظات الآتية :

١ - افتقار بعض شرائح المجتمع المسلم إلى الدافعية التي تجعلهم يقبلون على تعلم اللغة العربية .

٢ - عدم وجود المعلمين المدربين على استخدام الطرائق الحديثة في تعليم العربية بوصفها لغة أجنبية .

٣ - عدم وجود المعاهد المتخصصة التي تخرج ذلك النوع من المعلمين .

٤ - الحواجز العقلية والسيكولوجية التي تمخضت عن المقولة الجائرة عن صعوبة اللغة العربية .

٥ - الافتقار إلى الكتب التعليمية المناسبة لمن يرغب فى تعلم اللغة العربية بوصفها لغة اتصال .

٦ - معاناة معلمي اللغة العربية من تردي أحوالهم المادية لأن عملهم لايدر عليهم الكثير ولا يتيح لهم التسهيلات التي يوفرها العمل في القطاعين العام والخاص .

٧ - الموقف السلبي لكثير من العلماء حول نشر اللغة العربية .

٨ - المنافسة الشديدة التي تجدها اللغة العربية من قبل اللغة الأردية وهى منافسة تميل لصالح الأردية للأسباب التالية :

١ - لقد استطاع بعض العلماء الذين تخرجوا من شبه القارة الهندية إقناع كثير من بسطاء المسلمين بأن حوالى ٩٠ ٪ من كتب الثقافة الإسلامية مترجمة إلى الأردية .

٢ - واستطاعوا كذلك كتابة كل الكتب المقررة في المدارس الإسلامية عن الفقه ومبادىء الإسلام وسيرة المصطفى ﷺ باللغة الأردية (في مقاطعة ترنسفال ونتال) .

٣ - يستخدم كثير من الأئمة اللغة الأردية في خطبهم في المساجد .

٤ - يحرص كل العلماء الزائرين من الهند وباكستان على التحدث باللغة الأردية في محاضراتهم العامة خلال زياراتهم للبلاد .

٥ – أهمية اللغة الأردية للطلاب الراغبين في السفر إلى الهند للتخصص فى العلوم الشرعية .
٦ – تدرس العربية فى حوالي ١٠ ٪ من المدارس الإسلامية وتركز هذه المدارس على تدريس قواعد اللغة العربية بطريقة مختلفة (Parrot Fashion) وتستخدم اللغة الأردية كلغة وسيطة في تدريس العربية .
٧ – عدم وجود الظروف الملائمة لممارسة اللغة العربية .

٦-٥ كيفية التغلب على التحديات :

يمكن التغلب على كثير من التحديات التي أشرنا إليها آنفا عن طريق التخطيط السليم والجهد المنظم ووضوح الأهداف وتحديدها سلوكيا في إطار العمل الجماعي الذي يهدف إلى خير المجتمع المسلم كله دون أدنى تحيز لأى فريق دون الآخر .

والاقتراحات التالية يمكن الاهتداء بها في تطوير تعليم العربية على المدى القريب والبعيد .

١ – العمل على إقناع بعض شرائح المجتمع الناشرة عن طريق وسائل الإعلام المتاحة بضرورة تعلم العربية لأنها مفتاح لفهم القرآن ولقدرتها على توحيد المسلمين لسانا وثقافة وحمايتهم من الغرق في بحار الثقافة الوافدة .
٢ – الإيمان بقابلية اللغة العربية للتعلم ومن ثم لابد من سقوط الحواجز السيكولوجية الوهمية حول صعوبة العربية لأن القرآن نفسه يؤكد على يسر العربية .
٣ – دعم أقسام اللغة العربية والدراسات العربية في كل من :
أ – جامعة ديربان وستفيل (Durban Westville University) . بالمدرسين المدربين على تعليم العربية ، وبالكتب الدراسية المناسبة .
٤ – الاستمرار في الاستفادة من المنح الدراسية المقدمة من العالم الإسلامي وتوزيعها بالعدل بين مقاطعات المسلمين المختلفة حسب الكثافة السكانية لكل مقاطعة .
٥ – تأسيس معهد محلي تحت إشراف هيئة أكاديمية عربية بهدف تخريج معلمين مدربين في تعليم العربية ودور الهيئة الخارجية هو الإشراف الفني والتأكد من صلاحية المتخرجين لتدريس العربية في المدارس الحكومية والمدارس الإسلامية .
٦ – مواصلة الضغط على السلطات التعليمية المحلية من أجل مزيد من الانفتاح على اللغة العربية .

٧ – التوغل في أقسام اللغة العربية في الجامعات التابعة للبيض بهدف تعديل مسارها وإنقاذها من الهيمنة اليهودية عليها .

٨ – إتاحة الفرصة للمعلم المحلي للاحتكاك بالمعلم الخارجي عن طريق دعوة الأخير لزيارة البلاد من وقت لآخر .

٩ – إنشاء دائرة للغة العربية والدراسات الإسلامية في كل الجامعات المحلية عن طريق الدعم المحلي والخارجي .

١٠ – التعاون مع المعاهد العربية عن طريق برنامج لتبادل المعلمين .

١١ – الاعتراف بشهادات المعلمين الذين يتخرجون من المعاهد العربية .

١٢ – إنشاء أمانة عامة يقع على عاتقها التخطيط لتعليم العربية على مستوى البلاد .

١٣ – تكوين اتحاد لمعلمي العربية على مستوي البلاد .

١٤ – زيادة عدد المنح لاستيعاب أكبر عدد من الراغبين في الدراسات العربية والإسلامية .

١٥ – دعم المكتبات الإسلامية القائمة بالمطبوعات العربية الإسلامية عن طريق الشراء والإهداء .

١٦ – تكثيف الدعوة حول عالمية اللغة العربية بوصفها لغة الأمة الإسلامية .

١٧ – الاستفادة من الوسائل السمعية والبصرية في تعليم العربية .

١٨ – إجراء دورات قصيرة لتعليم العربية تحت إشراف الأمانة العامة المقترحة في أماكن المسلمين في المدن الكبيرة .

١٩ – توفير الفرص للراغبين في تعليم العربية – غير المتفرغين – عن طريق فتح مايعرف بفصول عطلة الأسبوع . (Week - end Classes)

٢٠ – إجراء دورات تنشيطية لمعلمي اللغة العربية .

٢١ – الاستفادة من الكتب الدراسية التي أعدت في المعاهد العربية لتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها .

٢٢ – تأسيس جامعة للمراسلة على غرار جامعة جنوب أفريقيا للمراسلة .

(يونيسا) للطلاب الذين لايستطيعون الانتظام في الدراسة . وهذا النوع من المؤسسات يحتاج إلى تخصص دقيق في فن الاتصال .

٢٣ - استخدام قائمة شيوع مفردات القرآن في إعداد الكتب الدراسية لأن معظم الطلاب يعرفون كثيرا من الألفاظ القرآنية وهذا رصيد هام لابد من توظيفه في عملية تعليم العربية .

الخاتمـــة

تشهد جنوب أفريقيا منذ وقت طويل صراعًا حادًا بين الأفريقيين أصحاب البلاد الأصليين وبين الأقلية البيضاء وهو صراع سيحسم سواء عاجلا أم آجلا لصالح أصحاب الحق مهما تنوعت أساليب البطش والإرهاب التي يتعرضون لها من قبل البيض .

ونحن لانقول هذا الكلام جزافا أو انطلاقا من نظرة متحيزة قاصرة ولكننا نستند فيما نقول على حقائق التاريخ وسنة الله في خلقه ، فالشر مهما طال به الأمد فإنه لا محالة مهزوم أمام صلابة الخير وأن الحق يعلو ولا يعلى عليه (ويبقى ما ينفع الناس) .

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا هو :

ما مصير المسلمين واللغة العربية مستقبلا ضمن معطيات الرؤية الواقعية المتكاملة لنتائج الصراع المتوقعة بين أصحاب الحق السليب وبين قوى الاستكبار المتجسدة في الأقلية البيضاء الشائهة ؟

لاشك أن مصير المسلمين يرتبط ارتباطا وثيقا بعدد من العوامل التي نوجزها على النحو التالي :

أ – العامل الأول هو موقف المسلمين السياسي من طرفي الصراع الدائر على ساحة العمل السياسي .

إن الفطنة السياسية توجب على الحركة الإسلامية بكل فصائلها أن تؤكد وقوفها بحزم إلى جانب إخوانهم الأفريقيين في كفاحهم المرير ضد الظلم والاستغلال حتى يخلو لهم وجه بلادهم الناضر وتنقشع إلى الأبد سحابة الاستبداد .

والتقاعس عن اتخاذ مثل هذا الموقف الاستراتيجي من قبل الحركة الإسلامية سيضعها تلقائيا في مواجهة ثورة إخوانهم الافريقيين وحينئذ لن يفيد الندم وما حدث في روديسيا قابل للتكرار في جنوب أفريقيا .

وعليه فإن الحركة الإسلامية مدعوة لشحذ الهمم وتنظيف صفوفها من

الأصوات الخانعة ذات النظرة الأنانية الضيقة التي استهوتها السلامة الزائدة وركنت إلى الدعة التي توفرها الظروف الاقتصادية المؤقتة .

إن الانخراط في تأييد ثورة المستضعفين لايعني التهور والتهريج السياسى واتخاذ المواقف الهوجاء التى تقود الى الانتحار السياسى والاجتماعي . إن المواقف المطلوبة هى تلك المواقف التى يمليها علينا الإسلام بوصفه منهج حياة كامل يرفض الذل .

أما العامل الثاني فيتعلق بموقف المسلمين من الدعوة للإسلام وتوسيع مداها في دوائر السود بالكيفية التي حددها القرآن الكريم ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(النحل ـ آية ١٢٥)

إن انتشار الإسلام بين الأفريقيين يشكل ضمانة أكيدة لمستقبل المسلمين في جنوب أفريقيا وعلى الدعاة لله أن يحسنوا الدعوة وأن يجعلوا من أنفسهم قدوة صالحة وعليهم أن يعلموا أن الطريق ممهد أمامهم بعد أن فقدت المسيحية مصداقيتها على أيدي البيض .

ولا شك أن الإسلام سيدعم موقفهم فهو دين الله الكامل ومنهجه الكفيل بمعالجة المشاكل المستعصية التي يعاني منها البشر وبخاصة في جنوب أفريقيا .

والعامل الأخير هو زيادة عدد المسلمين عن طريق التوالد الطبيعى فمن الملاحظ أن عدد أفراد الأسرة المسلمة قليل جدا إذا قورن بعدد أفراد أسرة غير مسلمة .

ويعزى السبب في ذلك الى تأثر كثير من الآباء والأمهات بالثقافة الغربية الغازية والتي تدعو إلى فكرة تحديد النسل وخلافها من الأفكار التي تعارض تصور الإسلام للحياة .

إن انكماش الأسرة المسلمة يشكل خطورة كبيرة على مستقبل المسلمين والمطلوب زيادة النسل وإكثاره . والكثرة المقصودة ليست كثرة غثائية متقاعسة كما هو الحال الآن في كثير من بقاع عالمنا الإسلامي الكبير .

ومصير اللغة العربية لا ينفصم عن مصير المسلمين وهو يرتبط مدًّا وجذرًا بمدى جدية المسلمين في الاهتمام بهذه العوامل التى أشرنا إليها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

Reference

1 - Achmat Davids, **The Mosques of Bo-Kaap: A Social History of Islam at the Cape** (Cape town: Athlone. The South African Institute of Arabic and Islamic Research.)

2 - Arabic Studies VII 1983. Dept. of Arabic, Urdu and persian University of Durban Westville.

3 - F.R. Bradlow, and Margaret Cairns: **The Farly Cape Muslim.** (Cape-Town: A.A. Balkema, 1978).

4 - Suleman Essop Danger, **A Critical Biography of Shaykh Yusuf** (University of Durban-Westville: Centre for Research in Islamic Studies, 1982.)

5 - Internal Relations Committee of the Islamic Council of S. Africa Meet the Muslims in South Africa. Compiled and prepared by IRC of the ICSA.

6 -Dr. Kifhayetullah Dowery
Appraisal of Arabic in South Africa,

7 - L.W. Lanham, and K.P. Prinsloo **Language and Communication Studies in South Africa.** (Cape Town. Oxford Unversity Press, 1978.)

8 -Muhammed Ajam. **Focus on Muslim Mission Schools.**

9 - Muhammad Ajam. **Muslims and Missionaries in the 19th Century Cape Town.**

10- **Al-Qalam:** Special issue on Arabic. January, 1984.

11- Rashid Omar and Abu Bakr Asmal. "Situational Report on Muslims in General and Islamic Movement in South Africa"- Presented to Leadership Training Program in Pakistan, 6th July-6th August 1984.

12- Dr. Sulayman Nuruddin "Arabic - The home Language for Muslims." A report with comments on a sohrt preliminary survey on Arabic teaching in Cape Town. 1404H/1983 C.

13- T. Hargayt. **Muslims in South Africa: A critical Commentary.**

14- Shell, Robert C.H. from Rites to Rebellion. **Islamic Conversion at the Cape, 1808 to 1915.**

الهوامش

(1) Islamic Council of South Africa, **Meet the Muslims in South Africa.**

(2) Situational Report on Muslims in General and Islamic Movement, jointly prepared by Brs, Rashid Omer and Abu Bakr Asmal بتصرف .

(3) Islamic Council of South Africa, **Meet the Muslims in South Africa.**

(4) **Arabic in South Africa,** a report by Zinual Abdien Cajee.



مشكلة تعليم المسلمين في أوغندا

عباس كيمبا



مشكلة تعليم المسلمين
في أوغندا

عباس كيمبا

مقدمـــة :

إن الموضوع الذى أود أن أتحدث فيه أمام هذا المؤتمر العالمى السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامى الموقر هو « مشكلات تعليم المسلمين فى أوغندة » وقد لايبدو هذا الموضوع لأول وهلة وثيق الصلة بهذا المؤتمر باعتبار أنه تحليل لمشكلات بلد من بين بلاد كثيرة غير أننا لو أعدنا النظر والتمعن فى الأمر لوجدنا أنه ليس هناك شيء أكثر صلة بهذا الاجتماع من نظرة إعلامية صريحة تتطلع إلى مناقشة مشكلات واحد من المجتمعات الإسلامية مثل مجتمع أوغندة الذي يحمل على عاتقه مسئولية خلاص المجتمع روحيًا واجتماعيًا فى سبيل تحقيق الرفاهية البشرية . ويمكن أن أبدأ الحديث بحقيقة بسيطة وهى أن المسلمين فى أوغندة أقلية ولذلك فهم مع بقية إخوانهم فى كل أنحاء العالم يشكلون الفكرة التي تدور حولها مداولات هذا المؤتمر ومناقشاته . ومن خلال الخبرة التي اكتسبتها خلال ثلاث سنوات في إلقاء أحاديث لتجمعات إسلامية فقد كنت دائما أكرس جهدى للحديث عن هذا الموضوع أمام جمهور المستمعين فى أوغندة وخارج أوغندة في تنزانيا . والواقع أننى اخترت التحدث عن نفس الموضوع أمام هذا المؤتمر لسببين رئيسيين الأول نابع من شعوري بأنه طالما أن المؤمن أخو المؤمن فإننى على ثقة من أن هذا الموضوع سوف يستهوي عددا كبيرا ممن يرجون الخير للمواطنين المسلمين فى أوغندة ، والسبب الثاني هو أن مخالطتي

لبعض الإخوة المسلمين في كينيا وتنزانيا وملاوى ورواندا وبورندي وغيرها من البلاد الذين قابلتهم فى مؤتمرات إسلامية علمتنى أن مشكلة التعليم ليست قاصرة على مسلمي أوغندة وحدهم ولكنها إحدى السمات المؤلمة السائدة فى عدد من المجتمعات الإسلامية في كل أنحاء العالم وكذلك فإن الحديث عن مشكلات المسلمين في أوغندة في هذا المؤتمر ، إنما هو حديث عن مشكلات عدد من البلاد فى أنحاء العالم . وإننى أتحرق شوقا للاستماع لمشكلات البلدان الأخرى ومناقشتها . واسمحوا لي أن أوكد لهذا المؤتمر أن المشكلة التي أتحدث عنها إنما هى مشكلة تثير اهتمام المسلمين في أوغندة وقلقهم . بل ربما بعض غير المسلمين أيضا من ذوي النوايا الطيبة . وقد استعنت في هذا البحث الذى أقدمه بملاحظات أبداها البعض في كتب منشورة وأبحاث أكاديمية ومقابلات وخطب عامة .

مفهوم التعليم فى أوغندة :

يرتبط المفهوم الأوغندى للتعليم بتجاربنا التاريخية تحت الحكم الاستعمارى البريطانى . وعندما يتحدث المرء عن التعليم فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو أنه لابد من الإشارة إلى التعليم الغربى ، لأن هذا هو النظام التعليمي الذى خلفه لنا المستعمرون . وحيث أنه لا يخفى عليكم جميعا بعض الجوانب التي تنطوى عليها الحضارة الغربية ، فإنكم بالتالي تدركون أن هذا النظام التعليمى يعاني من ضعف أخلاق ، ولكن بالرغم من مواطن الضعف فيه فإن الأوغنديين من المسلمين وغير المسلمين يتدفقون للالتحاق به . ومن خلال رحلة المرء عبر فترة التعليم في أوغندة ، يمكنه أن يتعرف على المجتمع الأوغندى ، كما أن فرص الحياة في أوغندة وفى خارجها بالنسبة للشخص الأوغندى تعتمد على مدى تميزه ونبوغه في هذا النوع من التعليم . وينبغى أن أشير هنا إلى أن هذا النظام هو الذي أتاح لي فرصة تعلم لغة أجنبية أستطيع أن أخاطب بها هذا المؤتمر . ومن سوء الحظ أن هذا النظام عادة مايستخدم كمقياس لتحديد ما إذا كان الشخص متعلما أم غير متعلم .

ومن خلال محاولة المسلم العادى الاستفادة من هذا النظام فإنه يكتشف أنه نظام قاصر ولذلك فبالإضافة إلى ذلك فإنه يحاول الحصول على تعليم أعلى يفتح له أبواب المعرفة الإسلامية . وعلى ذلك فإن المسلم الأوغندى المتعلم يجد نفسه منضويا تحت لواءين من ألوية التعليم : الأول هو التعليم الغربى الذى ترعاه الدولة والذى يشار إليه لهذا السبب على أنه تعليم دنيوى . والنوع الثاني هو التعليم الإسلامي . ويحدث فى حالات كثيرة أن يتفوق المسلم فى أحد النوعين ويفشل فى النوع الثاني ويشار إلى هؤلاء المسلمين الذين يتفوقون فى التعليم الغربى على أنهم الصفوة العلمانيون، وأحيانا

يكون جهلهم بالإسلام شديدا لدرجة أنهم لا يعرفون تأدية الصلاة ويختلف جهلهم بالإسلام باختلاف اهتمام الآباء بتربية أبنائهم وتنشئتهم على الإسلام . وعندما تسوء الأمور مع تلك الصفوة العلمانية وينكشف أمرها بالنسبة لمعرفتها بالإسلام فإنها لا تملك القدرة على استجماع شجاعتها للجلوس مع تجمعات المسلمين وقد ينتهى بها الأمر إلى الابتعاد نهائيا عن الإسلام .

ولا زال التفوق فى التعليم الإسلامى قاصرًا على فئة قليلة متميزة ، غير أن هؤلاء الذين يتخصصون فيه غالبا ما يشار إليهم على أنهم « غير متعلمين » لأنهم لا يتحدثون الإنجليزية وهي اللغة الرسمية للتعليم فى أوغندة بل إنهم أنفسهم يعانون من مركب نقص يجعلهم ينعزلون عن مجتمعات الصفوة العلمانيين ويقبلون أن ينظر إليهم على أنهم فى وضع أدنى بالنسبة لزملائهم المواطنين ونتيجة لذلك فإن الجماعتين الإسلاميتين (المتعلمين تعليمًا علمانيا والمتعلمين تعليما دينيا) لم يتمكنوا من أن يعملوا معا بانسجام . وإن مانحتاج إليه فى أوغندة هو وسيلة تزود الصفوة العلمانية الغربية بالمعرفة الإسلامية وتزود الصفوة الدينية بالمعرفة العلمانية . وهذه أيها الإخوة في الإسلام هى مشكلة التعليم الإسلامي في أوغندة .

الإسلام هو الدين الأول فى أوغندة : « نعمة من نعم التجارة » .

الإسلام هو أول دين يدخل أوغندة منذ عام ١٨٤٤ ، أى قبل ٣٣ سنة من وصول أول المبشرين المسيحيين ، وعلى ذلك فهو أول دين يعلم أوغندة درسا في الحقوق الإنسانية بالاعتراض على القتل العشوائى الذى يمارسه الملك كاباكا أحد ملوك المملكة القديمة فى أوغندة ، ولقد قمت باستحداث اصطلاح « نعمة من نعم التجارة » وأحاول أن أعممه في كل فرصة تتاح لى للكلام عن هذا الموضوع لكي أجابه به التسمية سيئة السمعة التي التصقت بالإسلام فى أوغندة وهى أنه « صدفة من صدف التجارة » . وحقا إن أوائل التجار العرب الذين ذهبوا إلى أوغندة كانوا يمارسون الدين الإسلامى ولم يجلسوا لتعليم الإسلام غير أن مجيء الإسلام إلى أوغندة كان فى حد ذاته نعمة ولم يكن صدفة . والواقع أننا فى أوغندة لم نعرف كيف نحافظ على هذه النعمة فعلى سبيل المثال فإن أحد ملوك أوغندة وهو « مونيسا » قد اعتنق الإسلام ومارس تعاليم الإسلام وعرض أن يجعل كل مملكته مسلمة بشرط عدم ختانه لأن القانون القديم للمملكة يمنع الختان غير أن التجار المسلمين الذين استشارهم فى الأمر رفضوا ذلك وكان هذا أول إهدار لهذه النعمة (نعمة الإسلام) وكانت النتيجة أن النصارى الأوغنديين الذين وصلت

ديانتهم إلى أوغندة بعد ٣٣ سنة بعد الإسلام (إذ كان وصول البروتستانت فى عام ١٨٧٧ والكاثوليك فى عام ١٨٧٩) سبقونا واستمر سبقهم لنا .

أساس التعليم الغربى فى أوغندة :
وصول المبشرين المسيحيين :

رغم وجود بعض الفئات من المسيحيين الذين درسوا اللاهوت لكي يصبحوا من رجال الكنيسة فقد كان الفرق بين التعليم الغربي والتعليم الدينى فرقا بسيطا لايكاد يذكر ، واستمر على هذا الحال لفترة طويلة وعندما جاء المبشرون المسيحيون إلى أوغندة جاءوا باعتبارهم رجال دين رسميين لهم هدف واضح محدد ، وقد أدركوا ما لم يدركه المسلمون وهو أن التعليم متطلب أساسى من متطلبات دعم الدين فأقاموا المدارس لهذا الغرض وقاموا بتعليم أنصار دينهم ولم يقتصر الأمر على تولي خريجي هذه المدارس للمراكز القيادية فى الدولة بل إن مدارسهم نفسها كانت تعتبر من المدارس الممتازة فى الدولة ، ويصبو إلى الالتحاق بها المسلمون وغير المسلمين ، ولكن الإسلام لا يعرف نظام المبشرين المحترفين

فقد كان العرب الذين قاموا بتدريس الإسلام - فى بادىء الأمر - يستخدمون المدارس والمنازل لهذا الغرض وكانوا يعلمون المسلمين تلاوة القرآن ، وإقامة الصلاة وفى نفس الوقت كان المبشرون يقومون بتعديل التعليم لكي يكون أداة التشكيل الشخصى وفقا للنموذج الذى يصممونه ، واستطاعوا أن يقدموا للحكومة الاستعمارية موظفين ليشغلوا المراكز الحساسة فى الحكومة ويقول واحد من العلماء المسيحيين :

« إنهم استخدموا المدارس أيضا كأدوات أيديولوجية للقضاء على الإسلام ومجابهة النفوذ الشرقى »[١] .

وكان عدد من المدارس التى أنشأها المبشرون محجوزة لأبناء وبنات رؤساء القبائل ، ولم يكن من بينهم مسلم واحد وبعض هذه المدارس يعتبر من المدارس القيادية فى أوغندة مثل كنجز كوليج بودو ، وبوسوجا كوليج مويرى ومدرسة جايازا الثانوية وغيرها ويشير أحمد عبد الله إلى أن هذه المدارس كانت فى مقدمة مدارس النظام التعليمى فى أوغندة فيقول إنها :

« لم تكن تقوم بتخريج أوغنديين متعلمين ولكنها كانت تقوم بتخريج كاثوليك وبروتستانت ، وهو عمل عاهدوا أنفسهم على القيام به »[٢] .

رد فعل المسلمين تجاه التعليم الغربي/ التنصيرى :

يتضح من الرد السابق أن ما عرف باسم التعليم الغربى وفيما بعد باسم التعليم العلمانى إنما كان في الواقع تعليما تنصيريا ولم يكن هذا التعليم متعاطفا مع الإسلام بل كان فى معظم الأحوال معاديا لمطامح المسلمين ، ويجب ألا ننسى أنه كان للمسلمين أيضا قيمهم التي يتمسكون بها ، ويودون أن ينقلوها للصغار والناشئة ، ولذلك كان على عاتقهم عبء مزدوج ، فمن ناحية عليهم عبء مقاومة النفوذ المسيحي ومن ناحية أخرى عليهم عبء تنشئة أولادهم تنشئة إسلامية ولذلك فإن رد فعلهم تجاه التعليم الغربى معروف ومتوقع ويقول « مطيبة » :

« الواقع أن عدم التوصل إلى اتفاق حول الهدف الخاص بالتعليم لكلا الطائفتين (الإسلامية والمسيحية) هو الذى جعل المسلمين يمتنعون لفترة طويلة عن الالتحاق بالمدارس المسيحية »[٣].

وإن عدم الالتحاق بالمدارس المسيحية فى ذلك الوقت لم يكن خطوة سلبية بشكل إجمالي فإنه قد شكل حماية للأمة الإسلامية إذ يمكن للمسلم فى وقتنا الحاضر أن يلتحق بمدرسة مسيحية ويتخرج منها دون أن يصيب إسلامه شائبة بينما يحصل على قدر طيب من التعليم ، ولذلك كان الأمر مختلفا حينئذ غير أن الأطفال الذين تعلموا حروف الهجاء العربية في صغرهم وجدوا أنه من الصعب عليهم التآلف مع حروف الهجاء الأجنبية ، على أسوأ ما في أمر هذه المدارس هو أن ٦٠٪ مما يتلقاه الطلاب من تعليم فيها هو تعليم ديني مسيحي وكانت الحكومة الاستعمارية راضية بأن تترك التعليم في أيدي المبشرين (المنصرين) وهذا يخالف مصلحة المسلمين .

وقد اتخذ المسلمون موقفا صارما جداً تجاه التعليم الذي تقدمه الهيئات التبشيرية المسيحية وخير مثال على ذلك هو حالة الأمير الحاج بدرو كاكونجولو وهو رجل مسن وأحد الشخصيات الإسلامية البارزة ويعمل حاليا رئيساً للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في أوغندة وفي أحد لقاءاته مع طلاب الجامعة المسلمين (وكان كاتب هذا البحث واحدا من هؤلاء الطلاب) أخبرهم أن أباه الأمير نوهو مبوجو منعه من تلقي أي تعليم علماني[٤] وقد التحق الأمير بدرو فيما بعد بمدرسة كنجز كوليج بودو حيث تلقى تعليما علمانياً ، ومع ذلك تخرج منها وهو على إسلامه وعاش والأمة الإسلامية في أوغندة تفخر به ، غير أن كثيراً غيره من المسلمين الذين رفضوا أن يتلقوا تعليما علمانيا لم ينالوا نفس حظ الأمير بدرو فقد أداروا ظهورهم للتعليم الغربي ـ ولكنهم أيضا وفي عدد من الحالات الشاذة ـ أداروا ظهورهم أيضا للتعليم الإسلامي ذاته .

وكانت النتيجة الرئيسية لعدم الاهتمام بالتعليم ـ والذي مازال موجودًا حتى في وقتنا هذا ـ

هو أن المسلم يعتبر الآن مواطناً أوغنديا من الدرجة الثانية ولا يختلط مع الطبقة المثقفة وعندما يحقق انجازاً بارزاً ، أو عندما ينجح في أن ينخرط في عمل داخل أنظمة علمانية مثل التدريس في الجامعة فإن كلا من المسلمين والمسيحيين على السواء يعجبون ويندهشون من وجوده في هذا المجال ، وهذا بالتالي يحط من قدر المسلم الأوغندي ويفرض عليه شعورا بالعجز عندما يقارن نفسه بزملائه المسيحيين .

التعليم الغربي هو التعليم الرسمي للدولة ، والتخلف العام للمسلمين :

مسح عام للعوامل التي تسهم في ذلك التخلف :

إذا عرفنا المكانة المهمة التي يوليها الإسلام للتعليم ، وإذا أخذنا في اعتبارنا حقيقة أن للإسلام نظامه التعليمي المستقل المتكامل ، فقد يبدو من الظلم أن نرجع عدم قدرة المسلمين على التفوق في مجال التعليم الغربي إلى تخلف المسلمين العام ، ولذلك ينبغي أن أركز على نقطتين :

الأولى : أنه حتى بالنسبة للمعرفة الإسلامية فإن المسلم الأوغندي العادي يظل عادة بدون تثقيف فيها ، والثانية : أن النظام العلماني غربي وهذا يعتبر بدوره السبيل للوصول للمؤسسات الموجودة في البلد ، إذ ليس من حق المسلم فقط أن يتلقى هذا التعليم بل إن هذا واجب عليه ، ويمكن اعتبار المسلم متعلما إذا كان قد تلقى قدرا معقولا من التعليم الديني والعلماني فإذا تلقى قدرا معقولا من أحدهما فقط فإنه يعتبر شبه متعلم ، فإذا لم يتلق أي منهما يعتبر جاهلا ، وقد أهمل المسلم الأوغندي أمر التعليم الغربي وفشل في أن يتقن التثقيف الإسلامي ، وهذا ما يفهمه الأوغندي العادي حينما يربط بين اللفظين « المسلم » و« التعليم » وهذه هي مشكلة تعليم المسلمين في أوغندة .

هذه المسألة تثير اهتماماً كبيراً مستمراً في أوغندة ، فكل من المسلمين والمسيحيين قد نقبوا في تاريخنا وحاولوا أن يجدوا أسباباً لتخلف المسلمين في التعليم ، وترى أحد مدارس الفكر التي رعاها غير المسلمين وبعض الصفوة العلمانية من المسلمين أن المسلمين الأوائل الذين جاءوا إلى أوغندة كانوا غير بعيدي النظر ومحافظين على القديم ولذلك كان رد فعلهم سلبياً بشأن التعليم الغربي ، ونحن نرد على ذلك نفس الرد ونقول : من الخير أنهم كانوا محافظين على القديم في ذلك الوقت فلولا ذلك لما كانت هناك أمة إسلامية في أوغندة ، ولتحولوا جميعا إلى المسيحية عن طريق التعليم الغربي . ونضيف أيضا بأننا وقد أثبتنا اليوم وجودنا هنا فإننا سوف نتلقى التعليم الغربي ولكننا سنظل نتمسك بالقديم بشدة طالما أنه من الإسلام وتعاليمه . وهناك مدرسة فكرية أخرى تلقى باللوم على عدم وجود مبشرين مسلمين

متخصصين وقد يبدو ذلك أمراً معقولاً إذا أدركنا أن الإسلام دخل أوغندة قبل المسيحية بثلاث وثلاثين عاماً ، وعلى ذلك كان لدى المسلمين الفرصة ليس فقط لأن يعلموا أهلهم ، ولكن أيضا أن يرسخوا نظام التعليم الإسلامي في البلد . وهناك أيضا مدرسة فكرية ثالثة توجه اللوم إلى نظام مدارس تحفيظ القرآن لأنها لم تزود المسلم بأي شيء بخلاف قراءة القرآن وتعليمه إقامة الصلاة ، وهناك الكثير مما يمكن أن يقال حول هذا الموضوع ، وسوف نناقش هذا الأمر بالتفصيل في فصل مستقل من الفصول التالية ، ويرى بعض العلماء أن اللوم بالنسبة لتخلف المسلمين يقع على عاتق الانقسامات والمشاحنات الموجودة بين المسلمين الأوغنديين منذ العشرينيات من هذا القرن . وقد اعمتهم هذه الخلافات عن معرفة الأولويات التي ينبغي أن يوجهوا لها عنايتهم ، وهناك مدرسة فكرية أخرى ممن يرعاها المسلمون ترى أن اللوم يقع بالكامل على عاتق الحكومة الاستعمارية والتي مع علمها التام بنوايا الهيئات التبشيرية المسيحية تجاه المسلمين فإنها تركت أمر نظام التعليم في يد هذه الهيئات غير أن هناك من يذكرون أصحاب هذا الرأي بأن الحكومة الاستعمارية نفسها كان لها نصيب الأسد من هذه النوايا السيئة تجاه المسلمين ذلك لأنه في العشرينيات من هذا القرن استخدمت تلك الحكومة العسكرية حشودها العسكرية لوقف انتشار الإسلام ، وهناك رأي شائع الآن يرى أن هناك صحوة إسلامية وأنهم لم يبدوا اهتماما بالتعليم لأنهم فضلوا عليه الأعمال التي تدر عليهم دخلا مثل التجارة وقيادة سيارات التاكسي وإدارة محلات الجزارة غير أن أعداء الإسلام لا يعطون لهذا الرأي حقه من الاهتمام ، مع أنه لسوء الحظ حقيقي إلى حد ما ، فقد تجد في بعض الأحيان أن يسحب أحد أثرياء المسلمين ابنه من المدرسة وهو في سن الصبا وذلك لكي يساعده في الأعمال التجارية . ولا يمكن لأي من الآراء السابقة المذكورة أن يكون وحده هو الرأي السليم فيما يختص بالتخلف التعليمي للمسلمين . ولابد أن يكون الجواب موجودا في مجمل هذه الآراء . وفي الإجابة تكمن الاقتراحات الخاصة بالعمل المستقبلي من أجل محاولة حل مشكلة تعليم المسلمين في أوغندة مع التصميم على ألا ينتقل الماضي والحاضر إلى المستقبل .

مدرسة القرآن عامل من عوامل تعليم المسلمين :

بدأ المسلمون تدريس دينهم بأن جمعوا الأطفال فى أحد الأماكن التى يقيم بها أحد الشيوخ من ذوى المعرفة أو ما كان يعرف باسم المعلم وكانت الدروس تقترن بقيامهم بأداء بعض الأعمال اليدوية للشيخ مثل أعمال الحرث فى حديقته أو تنظيف المكان الذى يقيم به وبازدياد عدد الأطفال الراغبين فى تعلم أمور الدين كان يتم تشييد مبنى صغير بالقرب من منزل الشيخ أو بالقرب من المسجد . وبدأ التوسع المستمر فى عملية التدريس ومن هنا بدأ إنشاء ما يعرف فيما بعد باسم مدرسة

القرآن ، وبكل الإنصاف ينبغى على المرء أن يشير إلى أن هذه المدارس قد خدمت الأمة الإسلامية فى أوغندة خدمة جيدة كان عدد من المشايخ القادة فى أوغندة قد بدأوا حياتهم التعليمية فيها ثم تابع بعضهم تعليمهم فى البلاد الإسلامية الناطقة بالعربية .

كما أن بعضا من المسلمين الأوغنديين البارزين الذين برزوا في نظام التعليم العلمانى يدينون لهذه المدارس القرآنية بمعرفتهم لتلاوة القرآن وبالكثير من معلوماتهم عن الإسلام . وبمعنى آخر فإن نشأة مدارس القرآن هذه قد أسهمت بشكل كبير بالحالة الطيبة للأمة الإسلامية التى نجدها عليها الآن فى أوغندة . وعلى أية حال فقد كان هناك عيبان فى هذه المدارس ، أولهما : أنه لم يكن لها منهاج متطور متكامل يضمن تخرج مسلمين علماء فى الدين بعد تخرجهم منها فقد كان التركيز الكبير فى هذه المدارس على حشو الرءوس بالمعلومات وتلاوة القرآن الكريم ثم بعد ذلك إعطاءهم دروسا فى الجوانب العامة للفقه مما يحتاجون إليه من وقت لآخر خلال حياتهم الإسلامية ، ولم يلق تدريس اللغة العربية التى هى لغة القرآن الاهتمام الذى يستحقه . ولذلك فبينما كان المبشرون (المنصرون) المسيحيون يستخدمون نظامهم التعليمى لإيجاد إنسان آلى متعلم ، فإن مدارس القرآن كانت تهتم بتخريج أناس قادرين على تلاوة القرآن . والأمر الثانى : بالنسبة لمدارس القرآن هو أن التعليم بها لم يكن ليوفر للمسلمين فرصة الاندماج فى الأنظمة القومية التى بدأت تظهر فى ظل الإدارة الاستعمارية .

وإن عزو سبب الوضع الراهن للمسلمين إلى هذه المدارس مسألة خلافية بين أوساط المتعلمين فى أوغندة ، وقد كانت وجهة نظر عبده كاسوزى وهو محاضر سابق فى قسم التاريخ بجامعة ماكيريرى هى أن :

..« المسلمين كانوا شغوفين أكثر من أى شيء آخر بمدارس القرآن ولهذا السبب فإنهم بعثوا بمعظم – إن لم يكن بكل – أولادهم لهذه المدارس بدلا من إرسالهم إلى المدارس الابتدائية الحديثة[٥] » .

ولذلك فهو يعتبرهم مسؤولين عن تخلف المسلمين ، وهناك آراء أخرى تعارضه وتؤكد أن مدارس القرآن لم يكن لها ذنب فى تخلف المسلمين وهذه الآراء ترى أن مدارس القرآن ببساطة ، إنما كانت هى الملجأ الأخير بعد أن سدت فى وجوه المسلمين السبل للوصول إلى نظام تعليمى أفضل .

وبالنسبة لعدد من الآباء المسلمين فإن مدارس المسلمين كانت توفر لأطفالهم فرصة للهرب من الجو غير الإسلامى السائد فى مدارس المبشرين (المنصرين) لأنه فى هذه

المدارس إذا لم يقبل المسلم الخضوع للعزلة والهوان والاضطهاد[٦] ، فإنه يمكن أن يواجه ماهو أقسى من ذلك وهو تنصيره أى تحويله إلى الديانة المسيحية وهناك مثال بارز على ذلك لطالب مسلم ارتد عن الإسلام وتحول إلى الديانة المسيحية خلال دراسته فى مدرسة كنجزكوليج بودو وهو الأستاذ يوسف لولى الذى أصبح فيما بعد رئيسا للجمهورية .

الشعور الازدرائى والعداوة من جانب المبشرين المسيحيين تجاه الإسلام :

إن الزعماء الدينيين لمختلف الأديان فى أوغندة يسلكون فى هذه الأيام سبيلا يتجنب الإفصاح عن نواياهم السيئة أو عداواتهم تجاه أعضاء الديانات الأخرى ، ولم يتمتع المسلمون خلال الحكم الاستعمارى بمثل هذا الجو فقد واجههم المبشرون بعداوة علنية وكانوا يخشون من أن يسود الدين الإسلامى فى شرق القارة الأفريقية . وفى عام ١٩٠٠ بعد فترة قصيرة من استيلاء المستعمرين على أوغندة كتب المطران الإنجليزى خطابا إلى الحاكم يطلب منه حماية إقليم بوسوجا من الإسلام[٧] وفى عام ١٩٠٤ عبر القسيس ويليس الذى أصبح فيما بعد المطران الإنجليزى لأوغندة – عن مخاوفه من أنه فى خلال بضع سنين فإن أوغندة بأكملها سوف تسير على هدى دين محمد (عليه الصلاة والسلام[٨]) وفى عام ١٩٠٦ شكا نفس القسيس من أن قطار السكة الحديد القادم من ساحل شرق إفريقيا يجلب معه إلى أوغندة فيضانا من التغلغل الإسلامى وأنه لذلك يحذر المبشرين الذين يعملون فى أوغندة بأن عليهم الاستعداد لمجابهة « الخطر المحمدى »[٩] ، وفى عام ١٩٠٧ فإن القسيس كرابترى قام بالضغط على عدد أكبر من المبشرين العاملين بالإقليم الشرقى من أوغندة لكى يعملوا على مجابهة انتشار الإسلام[١٠] وقد كافح القسيس رولنج الذى يعمل فى ناميرمبى من أجل إلغاء استخدام اللغة السواحلية (وهى لغة أهل شرق إفريقيا) فى التعليم لأنها سوف تزيد من انتشار الإسلام فى البلد[١١] .

ويقول المطران جيسيان :

« إن المسلمين ليس لديهم أخلاقيات وإنهم مخادعون وإنه لا فائدة من تعليمهم وإنهم يتعاونون مع الحكومة مدفوعين بعامل الطمع فقط »[١٢] .

وبهذه الروح حاول المبشرون جهدهم أن يقفوا فى سبيل تعليم المسلمين وفى عام ١٩٠٥ اقترح جورج ويلسون حاكم أوغندة إنشاء مدرسة للمسلمين ، غير أن المطران الإنجليزى تاكر قدم احتجاجا شديدا إلى الحكومة الاستعمارية فى أوغندة وإلى الحكومة البريطانية وقال إن إسهام الحكومة فى التعليم ينبغى أن يوجه للمدارس التبشيرية الكائنة

كما أن القسيس ويلس الذى خلف تاكر عارض أيضا فكرة أريك هسى فى إنشاء مدارس ابتدائية ومتوسطة للمسلمين ، وأكد على أن المسلمين لم يفعلوا شيئا من أجل الحكومة ، وعلى ذلك فلا داعى لإنشاء مدارس لهم[١٣] . وكان سوء نية المبشرين تجاه تطور تعليم المسلمين له آثاره التي لازالت أصداؤها موجودة حتى الآن ، وكأن هذا لم يكن كافيا فإنهم فى معظم الأحيان لم يقبلوا المسلمين فى مدارسهم ولم يكن المسلمون فى ذلك الوقت يدركون أهمية التعليم العلمانى ولذلك فإنهم تركوا إدارة النظام التعليمى فى أيدى المبشرين المسيحيين وكان معظم الذين يلتحقون بهذا النظام التعليمى هم الأطفال المسيحيين الذين أصبحوا فيما بعد زعماء لأوغندة المستقلة .

التحاق المسلمين من جديد بالتعليم العلمانى : خطوة هامة للمسلمين الحاليين :

إن وجود شخص مسلم متعلم تعليما علمانيا يعتبر شيئا نادرا فى أوغندة ، غير أن المرء أحيانا ما يصاب بالدهشة عندما يدخل أحد المكاتب ليجد أن الموظف العمومى هو شخص مسلم مسن ، ولكن قد يحدث ذلك لأنه فى الوقت الذى قاطع فيه المسلمون التعليم الغربى قام بعض الآباء خلسة بإلحاق أبنائهم بمدارس المبشرين وتحول بعضهم إلى المسيحية كما أشرنا من قبل ، ولكن من ظل منهم على دينه أصبحوا الآن مصدر فخر للأمة الإسلامية فى أوغندة ، وقد بدأ المسلمون يتحركون ببطء شيئا فشيئا وهم يحاولون الالتحاق بمدارس المبشرين وقد صادفهم النجاح أحيانا والفشل أحيانا أخرى .

ولم يحدث أن فكر غالبية المسلمين فى الالتحاق من جديد بنظام التعليم الغربى إلا فى عام ١٩٤٤ عندما تم القيام بمشروع تعليمى كبير ، وقد نتج عن هذا النظام إنشاء ما يعرف اليوم باسم **مدارس الاتحاد التعليمى للمسلمين الأوغنديين « أوميا »** وكان هذا الاتحاد هو القائم بالمشروع الذى أدى إلى توحيد الجماعات الإسلامية المتصارعة ، وقد أعطت الحكومة للمشروع منحة مبدئية مقدارها ٢١٣ جنيها من إجمالى الميزانية القومية للتعليم التى تبلغ ١٣٤,٠٠٠ جنيه لعام ١٩٤٤ ، وفى عام ١٩٦٣ حقق الاتحاد التعليمى للمسلمين الأوغنديين إنجازا يستحق الثناء ، فقد قام بإنشاء ١٨٠ مدرسة ابتدائية و ٨ مدارس ثانوية متوسطة ومدرسة ثانوية عليا وكلية للمعلمين . غير أن أبواب هذه المدارس كانت مفتوحة للجميع وكان ما أثار دهشة المسلمين هو أن غالبية الطلاب فى بعض المدارس كانوا من غير المسلمين وعلى العموم فقد أعطى المشروع دفعة قوية للأمام فى نظام التعليم وإن ما يجب أن نلاحظه بالنسبة لهذه المدارس – حتى لانسيء الفهم – هو أنه بالرغم من أنها أنشئت وأديرت بواسطة المسلمين فإن منهاجها

كان علمانيا غربيا ، وبالطبع كان يتم تدريس الإسلام ولكن ليس بالمدى الذى أدمج فيه المسيحيون المسيحية فى المنهج فى مدارسهم ، وكانت المشكلة هى أنه عندما ينهى المسلمون دراستهم فى المدارس الابتدائية التابعة للاتحاد التعليمى للمسلمين الأوغنديين فإنهم لا يجدون إلا عددا قليلا من المدارس المتوسطة التى أنشأها المسلمون ، وعلى أية حال فإن توفير مدارس ابتدائية ـــ إسلامية لهم قدم لهم حماية أساسية فى المراحل التى كان من الممكن أن يتعرضوا خلالها للتحول إلى المسيحية ، وقد تبلور الإنجاز الذى قدمته هذه المدارس فى تحرير الأطفال من مركب النقص أكبر مما تبلور فى الإنجاز الخاص بتلقينهم المعرفة الإسلامية .

ولعل من المناسب أن نوجه الشكر إلى رواد التعليم الإسلامى فى أوغندة حقهم ، ومن بينهم الأمير بدرو كاكونجولو ورمضان جاوا والشيخ أ. ميفول ، وجمعة مجروا ماساجازى وأمير مالندا وموسى موسوك(١٤) وقد استفادت الأمة الإسلامية فى أوغندة استفادة كبيرة من جهودهم ، غير أن النضال الأكبر هو النضال الذى ينتظرنا .

عواقب تخلف المسلمين فى التعليم :

عندما قام أجدادنا بمقاطعة ما أسموه « تعليم الرجل الأبيض » فإنهم لم يدركوا أن هذا الأمر سيكون موضوع جدل بعد مائة عام وأن تجربتنا الحالية فى أوغندة لهى أكبر تذكرة لأبناء جيلنا إن ما نفعله اليوم سوف ينعكس على المستقبل ، فإن آثار التخلف التعليمى بين المسلمين الأوغنديين – والتى هى فى حد ذاتها سر علنى – تنضح علينا بآلامها . وسوف أقوم فى هذا البحث بتصنيف هذه الآثار فى أربع مجموعات لكل منها عنوان فرعى كمايلى :

أ – المسلم غريب فى بلده :

لقد ذكرت من قبل أنه إذا برز شخص مسلم فإن ذلك يثير الدهشة حتى بين أقرانه المسلمين الذين يفخرون بما حققه من إنجاز ولكن فى نفس الوقت ينظرون إليه على أنه شخصية غير عادية ، ولا زال المسلمون حتى الآن يمثلون نسبة قليلة فى المجالات ذات الحساسية مثل البنوك والخدمة العامة والمجال الدبلوماسى وفى المدارس والمعاهد العالية وفى أماكن أخرى غيرها ، يتطلب العمل فيها تميزا تعليميا ، أما المجال الذى برز فيه المسلمون فهو مجال التجارة ، ولكن حتى فى هذا المجال فإنهم يمارسون التجارة فى أدنى مستوياتها وذلك بإدارة مخازن

عامة للبضائع بينما جوانب التجارة الأخرى التى تتطلب مهارات عالية قد تركت فى أيدى زملائهم المواطنين المسيحيين الأكثر تعلما .

وأحب أن أوضح هذه النقطة بأن أذكر جامعة ماكيريرى وهى الجامعة الوحيدة فى البلد مثالا على ذلك إذ يوجد فى هذه الجامعة حوالى ٧٠٠٠ طالب ، ولأن عدد المسلمين فى هذا البلد يبلغ حوالى ٣ ملايين نسمة من حوالى ١٢ مليون أوغندى فإن المرء يتوقع وجود نفس النسبة من المسلمين فى الجامعة ، أى أننا نتوقع أن يكون عدد المسلمين فى الجامعة حوالى ١٧٥٠ طالبا غير أن عدد الطلاب المسلمين يبلغ ٢٠٠طالب فقط أى أنهم لايكادون يبلغون حتى $\frac{1}{8}$ العدد المتوقع ، وعلى ذلك فالحصة المخصصة للمسلمين تظل شاغرة بحوالى ١٥٥٠ مقعدا للطلبة ، وهذه النسبة تتكرر فى عدد من المؤسسات وفى مجالات القطاع العام .

وأحب أن أوضح هذه النقطة فليست المشكلة متمثلة فى أن هناك من يبعد المسلمين عن هذه المناصب مع أحقيتهم لها ، فإن أوغندة اليوم تختلف عن أوغندة فى ظل الاستعمار ، وإذا برز أحد المسلمين فإنه يجبر المجتمع على الاعتراف به وعلى إعطائه المنصب أو المركز الذى يستحقه ، ولكن الحقيقة المرة هى أن المسلمين لا يستحقون هذه المناصب ، فقد تعلن إحدى الإدارات الحكومية عن وظيفة ويذكر الإعلان مايلى « نقبل طلبات توظيف من أوغنديين مؤهلين لوظيفة ... وأدنى حد من المؤهلات هى درجة الليسانس أو البكالوريوس .. » وإذا ظهر ٢٥ إعلانا عن وظائف بهذا الشكل ففى ٢٤ وظيفة منها يكون الأوغندى المؤهل مسيحيا ويحصل على الوظيفة بسهولة وباستحقاق ، وهناك مثال آخر وهو أنه إذا أعلن مسجل الجامعة بأنه خصص ٥٠٠ مكان للمسلمين ولكنه أصر على أن يكون الالتحاق بهذه الأماكن لمن يحصلون على تقديرات عالية فى امتحانات المستوى المتقدم فإن المسلمين لن يأخذوا كل هذه الأماكن بسبب عدم وجود الطلاب المؤهلين لذلك . وإن عجز المسلم عن الحصول على المزايا الممنوحة له فى بلد حر هو الذى جعله غريبًا فى بلده ولا يمكن إزالة هذا الشعور ما لم نثبت جدارتنا ونسبق غيرنا من المواطنين بالتفوق فى التعليم .

ب – مركب النقص :

إن التخلف التعليمى للمسلم إنما يعنى بالضرورة أنه يقبل مركزا اجتماعيا بسيطا ويشعر تبعا لذلك بالهوان وهو يقارن نفسه بزميله المسيحى ، وقد أدى ذلك إلى شعور المسلم بالخجل من هويته الإسلامية وإذا ما اكتشف أمره فإنه يشعر

بالحاجة لإبداء العذر لكونه مسلمًا بأن يبين أنه ليس شخصًا متعصبًا وأنه شخص تقدمى وأحيانا تعنى هذه التقدمية أن يقلد المسلم المسيحيين باحتساء قليل من الخمر ، أو الامتناع عن أداء الصلاة .

وفى المدارس يظهر مركب النقص هذا فى وجود رغبة عامة للتشبه بالمسيحيين ، ومثلما يحدث فى بلاد أخرى كثيرة فإن مسلمى أوغندة يتخذون لأنفسهم أسماء عربية ليميزوا أنفسهم عن غيرهم ، وهذه الأسماء العربية تعتبر مصدر فخر لنا لأنها قاصرة علينا وتزودنا بوسيلة سريعة مباشرة للتعرف على بعضنا البعض ، وأحد المظاهر البارزة فى الرغبة بالتشبه بالمسيحيين هو تعديل الأسماء بطريقة تخفى الهوية الإسلامية ، فعلى سبيل المثال يتم تغيير اسم « هارون » بسهولة إلى « هارى » وبذلك لاتظهر الهوية الحقيقية لصاحب الاسم فى وسط المجتمع المسيحى الكبير ، وكذلك يمكن تعديل اسم « حنيف » إلى « هانى » و « إدريس » إلى « ايدى » وهكذا ، وقد تولد هذا الشعور بالنقص بين المسلمين الأوغنديين لأنهم الأقلية فى كل مكان . ولكن الأدهى من ذلك هو أن الإنجاز التعليمى للأجداد لايبعث على الفخر فضلا عن أن عددا من المسيحيين غير المتعلمين يتحدثون عن الإسلام بسخرية ويعتبرون أنفسهم فى منزلة أفضل من المسلمين غير المتعلمين بالرغم من أنهم هم أنفسهم غير متعلمين .

جـ - التكوين الطبقى فى الأمة الإسلامية :

إن التفاوت فى التعليم غالبا ما يحدث فجوات اجتماعية بين الشعب ولا تشذ الأمة الإسلامية الأوغندية عن غيرها فى هذا الشأن . ولقد انبثقت من الطريقة الشائكة التى حصلنا بها على التعليم ، أربع مجموعات متميزة من المسلمين ولسوء الحظ ، نراها فى بعض الأحيان مجموعات متعادية فى الخفاء . والمجموعة الأولى هى لهؤلاء المسلمين الذين برزوا فى التعليم العلمانى ولكنهم يعرفون القليل — أو لعلهم لا يعرفون شيئا – عن دينهم وهم يتباهون بما حققوه من إنجاز ، ويتصورون أنهم فى وضع أسمى . وهذا هو السبب فى احتقارهم لإخوانهم المسلمين الأقل منهم حظا فى التعليم . المجموعة الثانية هى مجموعة أولئك الذين تلقوا تعليما دينيا ، أى الذين درسوا الدين الإسلامى دراسة جيدة ولكنهم لا يستطيعون تدريسه فى نظام التعليم الذى يستخدم اللغة الإنجليزية ومعظم طلابنا يلتحقون بهذا النوع من التعليم (المجموعة الثانية) وتشعر تلك النخبة من علماء الدين بمركب نقص عندما تقارن نفسها بالمسلمين الذين تلقوا تعليما علمانيا ويتحول مركب النقص هذا بالتدريج إلى عداوة تؤدى فى النهاية إلى أن ينعزل كل منهما عن الآخر وهو تطور خطير بالنسبة

للإسلام . أما المجموعة الثالثة فإنها تتكون من تلك الفئة النادرة المرغوبة التى تفوقت فى التعليم الدينى والعلمانى ، ويشعر هؤلاء بالثقة فى أنفسهم إذا ما اختلطوا بأى من الفئتين الأخريين ولا يشعرون بالخجل من أى شيء ، وهم عادة مايبرزون كقادة وزعماء بين أى مجموعة يوجدون بها ، وهؤلاء هم المسلمون الذين ينبغى أن نهتم بتكوينهم فى أوغندا لأنهم يمثلون الحل لمشكلة تعليم المسلمين فى أوغندة . أما المجموعة الرابعة والتى تزهد فى وجودها فهى مجموعة أولئك المسلمين الذين لم يتموا تعليمهم الدينى أو العلمانى ولا يمكن تصنيفهم فى أى من الطبقتين . ومثلما هو متوقع فإن هذا النوع من المسلمين لا يشكل نفعًا كبيرا للأمة الإسلامية ، بل إنهم يمثلون ضررا على الأمة الإسلامية حينما يشرعون فى المجادلة عن جهل حول أمور الدين .

وهذه الحالة المحزنة للتكوين الطبقى فى الأمة الإسلامية إنما هى نتيجة لعدم وجود سياسة تعليمية سليمة للمسلمين والتى بسببها سنتعرض للمعاناة لفترة أطول .

د - مشكلات الزعامة (القيادية) :

إن مشكلات الزعامة فى أوغندة تحتاج إلى بحث مستقل . أما بالنسبة لهذا الموضوع الذى نتحدث عنه فأود أن أبين أن مشكلات التعليم كانت لها آثار عكسية على الزعامة فى الأمة الإسلامية ، وذلك من ثلاثة جوانب رئيسية والجانب الأول هو أن المسلمين الأوائل الذين حصلوا على قدر قليل من التعليم وجدوا الفرصة مهيأة أمامهم لكى يقتطعوا من الأمة الإسلامية أتباعا لهم ، وهم لا يهتمون بشيء قدر اهتمامهم بالمحافظة على زعامتهم ، وينظرون إلى الطبقة الجديدة التى ظهرت من المتعلمين الجدد نظرة خوف وحذر . أما المشكلة الثانية فترجع إلى أن عدم التحاق هؤلاء الزعماء بالتعليم العالى جعلهم لا يفكرون فى التخطيط له وبذلك تسببوا فى أن يكون زعماء الأمة الإسلامية من أنصاف المتعلمين . والمشكلة الثالثة هى أن هؤلاء الذين تولوا منصب الزعامة بسبب تعليمهم العالى استغلوا هذه الفرصة لكى يخضعوا الجميع لسيطرتهم وفى فلكهم . وهم لذلك كانوا يخشون من وجود منافسين لهم على نفس درجتهم من التعليم ولذلك لم يهتموا بمجال التعليم . وعلى ذلك فإننا ندور فى دورة مفرغة من الزعامة والمشكلات التعليمية . إن الخلفية التعليمية السيئة تنتج قادة ضعافا ، والزعماء الضعاف لا يأبهون بالتعليم وبذلك يستمر التخلف التعليمى .

الشيوخ الجدد خريجو الدول الإسلامية :
بعد جديد فى التعليم الأوغندى والممارسات :

لقد شهدت السنوات الخمس الماضية ظهور شيوخ جدد ممن تلقوا تعليمهم فى بلاد إسلامية ويتحدثون بالعربية وقد عادوا إلى أوغندة بحماس شديد لإحداث الإصلاح المنشود . ويتلقى هؤلاء الشيوخ رواتبهم فى معظم الأحيان بالدولار من رابطة العالم الإسلامي ومن غيرها من الهيئات الإسلامية ، ونحن فى أوغندة نعتبر ذلك تطورا مفيدا فى التعليم وفى الممارسات الروحية . فهؤلاء الشيوخ الجدد يقولون ما كان يخشى أن يقوله الشيوخ القدامى ، فهم يناقشون أمور البدع التى دخلت الإسلام ، ويدينون دخول أساليب ثقافية وثنية فى الإسلام وقد جاء وجود هؤلاء الشيوخ فى وقت زاد فيه الجدل حول التمييز بين الثقافة الأفريقية التقليدية وبين الإسلام كما جاء به الرسول ﷺ لقد أخبر هؤلاء الشيوخ الناس بأن عليهم أن يدخلوا فى الإسلام ليتطهروا ، وأنه حيثما يوجد تناقض بين ثقافتهم وبين الإسلام فإن تعاليم الإسلام هى التى تسود وتطبق ، وتحتاج هذه النقطة إلى توضيح أكبر وإننا نكن التقدير والاحترام لأية مساعدة نتلقاها من العالم الإسلامى بالنسبة لتعليم فريد من الشيوخ .

وعلى أية حال فإننا نشير هنا إلى أنه بينما نرى هذا التطور أمرا طيبا فله نقائصه ومواطن الضعف الخاصة به ، إن الحماس الذى ارتبط بعمل الشيوخ كان ينقصه الاستفادة من حكمة الرسول عليه السلام . وهم يتطرقون دائما إلى المواضيع ويعالجونها بطريقة مباشرة لايتحملها المستمعون ويسمون الناس بالحمقى لانغماسهم في أساليب غير إسلامية وبالتالى نفروهم منهم إلى الأبد .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن هؤلاء الشيوخ تلقوا تعليمهم فى بلاد إسلامية عربية وهم بذلك يتقنون اللغة العربية مما يجعلهم يفهمون الكتب العربية التى يقومون بتدريسها ، ولكن ينقصهم شيء هام واحد هو إتقان اللغة الإنجليزية وهى اللغة الرسمية للتعليم ، ولهذا السبب لم يتمكنوا من التدريس فى المدارس الثانوية الحكومية التى يوجد بها معظم الطلبة المسلمين وبسبب وجود عدد قليل من المدارس الإسلامية الدينية فإنهم أصبحوا زائدين عن الحاجة واتجهوا للتجارة باعتبارها الوسيلة المعقولة للاستفادة من الدولارات التى تدفعها لهم الرابطة . وإن دعوتنا لأصدقائنا فى العالم الإسلامى الذين يرغبون فى مساعدتنا – للتغلب على مشكلاتنا التعليمية – تتلخص فى أن يعقدوا لهؤلاء الشيوخ دورات فى تعلم اللغة الإنجليزية فهذا هو السبيل لتيسير سبل الاستفادة منهم بدرجة أكبر وأعم . وإنه لأمر محير أن نرى على سبيل المثال – مع وجود عدد كبير

من العمالة العاطلة – نصرانيا يقوم بتدريس الإسلام فى جامعة ماكيريرى لأننا عجزنا أن نجد شيوخا متعلمين يتقنون الإنجليزية للقيام بهذه المهمة .

اللغة العربية عامل من عوامل تعليم المسلمين فى أوغندة :

إن مكانة اللغة العربية فى الإسلام أمر لا يحتاج إلى جدل فقد نزل القرآن الكريم بهذه اللغة ومن المعروف استحالة ترجمته إلى لغة أخرى بنفس الدقة . ولذلك فمن الواضح أنه إذا أراد شخص ما أن يتفهم الإسلام فهما جيدا فعليه أن يلم باللغة العربية . ومن سوء حظ الرواد الأوائل من المربين المسلمين أنهم ركزوا على تجويد تلاوة القرآن وأهملوا أمر تدريس اللغة . ولازالت المشكلة حية بيننا حتى الآن فإن عدد من يلم باللغة العربية من المسلمين الأوغنديين يبلغ أقل من ٢ ٪ ، ولذلك فمن واجبنا أن نجد سبيلا إلى إدخال تعليم اللغة العربية لأى برامج لتعليم المسلمين يقوم بالتخطيط لها ، ولهذا فإننا نناشد الدول العربية فى العالم الإسلامى أن تزودنا بالمعلمين والمعدات اللازمة لتحقيق ذلك ، وهناك نقطة تستحق الذكر هنا وهى أن هناك وظيفة شاغرة لمحاضر لغة عربية فى قسم اللغات بجامعة ماكيريرى وهذه الوظيفة قد مضى عليها الآن ست سنوات وهى شاغرة بسبب عدم وجود شخص له المقدرة والرغبة فى تدريس اللغة العربية بالجامعة . وقد تكون هذه فرصة ينبغى اقتناصها فمن هنا يمكن أن ينتشر تدريس اللغة العربية فى المدارس الثانوية وبعدها فى المدارس الابتدائية .

تعليم البنات المسلمات في أوغندة :

من المفيد أن يتحدث المرء بشىء من التفصيل عن تخلف تعليم المسلمين ولكن عندما يكون الحديث بشكل عام فإن الانطباع الذى يحدث هو أن كلا من البنين والبنات يتقاسمون هذه المشكلة . ولكننى أؤكد بأنه إذا كنا قد أهملنا فى أمر تعليم البنين فإن إهمالنا مضاعف فى أمر تعليم البنات بالنسبة للتعليم الدينى أو التعليم العلمانى ، ولقد تعودت فى المناسبات التي ألقي فيها بأحاديث عامة أن أبين أن ذلك يشكل سابقة خطيرة للأمة الإسلامية فى المستقبل . وفى الوقت الحالى لا يوجد غير مدرسة واحدة مخصصة للبنات في أوغندة وهى مدرسة نابيسونسا الثانوية . ولكن هذا شىء اسمى فقط لأن غالبية الطالبات فى الوقت الحاضر فى هذه المدرسة هن من غير المسلمات . كما أنه من بين طلاب الجامعة المسلمين البالغين ٢٠٠ طالب يوجد ٣٠ طالبة ، وهذا الإهمال فى تعليم البنات قد حكم على الأمة الإسلامية بأن يكون الأمهات فيها جاهلات . وعندما يحدث أحيانا أن يبحث

الرجل المسلم عن امرأة متعلمة ليتزوجها فإنه لا يجد ضالته إلا فى امرأة غير مسلمة وهو أمر يثير الحسرة .

ولذلك فإننى أطالب كل المسلمين في أوغندة بأن يساعدونا فى حل هذه المشكلات الحساسة حتى يمكن أن ننقذ الأجيال القادمة من المشكلات التى انتقلت إلينا من أجدادنا فى هذا المجال وينبغي أن يتغير ذلك الاتجاه القديم القائل بأن الزوج هو الذى يعلم زوجته أمور الدين لأنه لايحدث وفق ماهو مرغوب فيه .

شعاع من الأمل للمستقبل :

إننا لانريد أن نخدع أنفسنا أو نخدع العالم . فالوضع الحالي لتعليم المسلمين في أوغندة سيء . فمن بين إجمالي عدد المسلمين الذين هم فى سن الالتحاق بالمدرسة يوجد أقل من ٥٠ ٪ بالمدارس ، ومع ذلك فعدد من هؤلاء الأطفال موجودون فى مدارس فقيرة وليس أمامهم أمل لمتابعة التعليم . وهناك عدد من المدارس التى أسسها المسلمون ولكن الكثير منها من نوعية سيئة بل وحتى أفضل هذه المدارس تعانى من سوء التنظيم . ومن بين حوالى ثلاثين مدرسة ثانوية أسسها المسلمون برز منها ست مدارس فقط وأصبحت على مستوى المدارس التى أسسها المسيحيون وهذه المدارس الست هى مدرسة كيبولى الثانوية ، ومدرسة ماساكا الثانوية ، ومدرسة نابيسوتسا للبنات ، ومدرسة كمبالا الثانوية ، ويمكن أن تضيف لهذا العدد من المدارس الجيدة معهدين للمعلمين هما معهد المعلمين فى كيبولى ومعهد المعلمين فى كابوكونجى . غير أن هذين المعهدين يعانيان من قلة عدد المدرسين إذ يوجد عدد قليل من المدرسين المسلمين المؤهلين فى البلد ولذلك تضطر المدارس لتعيين مدرسين غير مسلمين يقومون بعملهم بنصف الحماس المطلوب فضلا عن العيوب الأخرى المتوقعة . ومما ينفطر له الفؤاد أن يوجد خمسة مدرسين مسلمين فقط من بين (٧) مدرسين يعملون فى المدارس التى أسسها المسلمون .

ولكن بينما نرسم هذه الصورة المؤلمة الحزينة فإن مما يطمئن بالنا ، الشعور بأن المستقبل ليس حالكا تماما . والآباء المسلمون بدأوا يشعرون أكثر من ذى قبل بهذه المشكلة وبدأوا يستجيبون لنداء عدد قليل من المسلمين المتعلمين لإلحاق أولادهم بالمدارس .

وهناك صحوة ملحوظة بين الطلاب فإنهم يتطلعون بشوق للالتحاق بالمدارس الدينية والعلمانية وفى حالات كثيرة يصممون على حماية دينهم من الظلم الذى وقع عليه . ولم يعد تحويل المسلم عن دينه أمرا سهلا بل أصبح فى ذمة الماضى السحيق ، وبدلا عن ذلك يتحول عدد من المسيحيين عن دينهم ويدخلون فى دين الإسلام ويحدث

ذلك حتى فى الجامعة نفسها . ويتجمع المسلمون بشكل منتظم فى الندوات الطلابية الداخلية التى يتحدث فيها كبار المسلمين ويناقشون فيها مشكلاتهم العامة .

وإن الاستبشار والوعد بإنشاء جامعة إسلامية فى أوغندة (امبالى) يعتبر شعاعا آخر من أشعة الأمل ، بل إن غير المسلمين قد بدأوا ينظرون بترحيب إلى ذلك الأمر وكأنه مخرج لأزمتنا . وإننا نتطلع شوقا إلى اليوم الذى تفتتح فيه هذه الجامعة لأننا نشعر أنها ستقربنا من مصادر المعرفة وتدفع بجمهور المسلمين فى أوغندة إلى التطلع نحو التعليم العالى وسيكون ذلك بمشيئة الله تعالى من أسلحتنا التى نناضل بها فى سبيل مستقبل مشرق .

اتحاد الطلاب المسلمين فى جامعة ماكيريرى :

فى نهاية هذا البحث أجد من الملائم أن أتحدث عن هذا الاتجاه الذى يجمع الطلاب المسلمين فى أعلى معهد للتعليم العلمانى فى أوغندة ، وهو بذلك الاتحاد الوحيد من هذا النوع فى البلد وقد ذكرته هنا لسببين :

الأول : أنه يجمع المسلمين الذين سيصبحون فى القريب العاجل من العاملين المرموقين فى البلد . والسبب الثانى : أنهم يمثلون رأس الحربة لصحوة الطلاب المسلمين التى ذكرتها من قبل .

ورغم أن اتحاد الطلاب المسلمين فى جامعة ماكيريرى يضم عددا قليلا من الطلاب فى عضويته ، إلا أنه كان له تأثير واضح على المجتمع المسلم فى أوغندة ، وأصبح له صوت مسموع فى المحافل الإسلامية الدولية ، وقد تحقق ذلك نتيجة لحماس الاتحاد والهدف الجاد الذى يعمل الاتحاد من أجله فى سبيل دفع أمر تعليم المسلمين فى البلد قدما إلى الأمام .

وقد تأسس الاتحاد فى عام ١٩٧٢ بهدف جمع شمل الطلاب المسلمين فى الجامعة غير أن الاتحاد يعتبر أن وظيفته ومهمته تمتد إلى خارج حدود معسكر الجامعة . وقد بدأ تلك الرسالة بعمل تنظيم للطلاب المسلمين وتشجيعهم على أن يزيلوا من أذهانهم مركب النقص وأن يواظبوا على ممارسة تعاليم الإسلام ، كما يقوم الاتحاد بتنظيم دورات خاصة لتعليم مبادئ الإسلام ، بل إنه أيضا يقوم بتدريس اللغة العربية للأعضاء فى مسجد الجامعة وذلك إدراكا من الاتحاد بأن اللغة العربية هى أساس فهم الكثير من أدبيات الإسلام وبأن تعلم اللغة العربية هو خطوة إلى الأمام فى سبيل التعمق فى الإسلام وإجادة فهم شعائره وممارستها .

ويمتد نشاط الاتحاد إلى الآباء ، وواجبه هنا أن يقوم بتعريف الآباء بأهمية تعليم أبنائهم من أجل تحقيق مستقبل أفضل للمسلمين ، وينتقل أعضاء الاتحاد من مسجد

إلى مسجد ليتحدثوا للآباء حول هذا الموضوع غير أنه من المتوقع أن تتحقق النتائج الإجمالية لهذه الجهود على المدى البعيد ولكن يهمنا فى هذه المرحلة أن نؤكد على أن الاستجابة تبدو مطمئنة .

وأكبر مجال لنشاط الاتحاد يتمثل فى المدارس الثانوية والمعاهد العالية ، فهناك يقوم الأعضاء بتنظيم وعقد الندوات الإسلامية . وفى تطور حديث لنشاط الاتحاد فإن الأعضاء يقومون ببحث مشكلة جهل المسلمين بدينهم ، ويرسلون فرقا من طلاب الجامعة لهذه المدارس ليقوموا بتدريس تعاليم الإسلام ، وهم يتنقلون بين جميع المدارس حسبما تسمح به الموارد المالية وسبل الانتقال وكانت الاستجابة لهذه الحملات فورية إذ يتزايد عدد طلاب المدارس الثانوية الذين يعتزون بانتسابهم للإسلام ، بينما يشكو كثيرون غيرهم من عدم شمولهم فى هذه البرامج ، غير أن الاتحاد باعتباره منظمة طلابية يعتمد على الهبات يجد نفسه قاصرا عن تلبية كل الاحتياجات ، كما أن الاتحاد يساعد الطلاب المعوزين ويزودهم بالمصروفات الدراسية وبمواد الدراسة . وعلى سبيل المثال فإن الاتحاد حاليا مسئول بالكامل عن دفع المصروفات الدراسية ومصاريف الإعاشة لإحدى الطالبات فى مدرسة كيبولى الثانوية كما أنه يساعد غيرهم بالكتب الدراسية والكراسات والأقلام وغيرها ، كما أن الاتحاد يقوم باستلام كتب إسلامية ويوزعها على المدارس ويقوم الاتحاد بنشر مقالات إسلامية فى مجلته الدورية التى تصدر باسم « ذى ماكاكريريان مسلم » وتنتهز أى فرصة لنشر الإسلام . وللقيام بكل هذه الأعباء فقد استورد الاتحاد حافلة صغيرة لتسهيل مهمة المواصلات والتنقل .

وإننى أعتقد أن ظهور هذا الاتحاد بهذا المستوى ، يعتبر نقطة تحول صحية للأحداث الخاصة بتعليم المسلمين ففى الماضى كانت الجامعة تمحو الشخصية الإسلامية للطلاب المسلمين ، أما الآن فإن الأمة الإسلامية تتحدث بفخر واعتزاز عن الطلاب المسلمين فى الجامعة وتجد لديها الحافز لتبعث بأطفالها إلى المدارس . وبسبب العبء الكبير الذى يقوم به الاتحاد والمشكلات التى تجابهه فإنه يحتاج إلى الكثير من عون المسلمين داخل البلد وخارجه .

الخاتمـــة :

هـذه هى المشكلة الحالية لتعليم المسلمين فى أوغندة وكما سبق وأن قلت فإن هذه المشكلة واقعة في بلاد كثيرة أخرى ، وخاصة فى القارة الأفريقية . وهى تبدأ بسرد للأحداث ثم تعقب لأصل المشكلة مما يؤدى إلى مناقشة الوضع الحالى من أجل البحث عن حلول وينتهى الأمر بطلب العون الذى قد يكون ماديا أو قد يكون فى شكل آراء عن طريقة مجابهة المشكلة . وأهم مافى الأمر أننا قد وضعنا أيدينا على الاحتياجات الفعلية وهى تكثيف حملات محو الأمية وتشجيع الناس على الالتحاق بالتعليم الدينى والعلمانى ولكى نقوم بهذا العمل فإننا نحتاج إلى عزيمة قوية وتصميم على وجود روح المساعدة الذاتية بين مسلمى أوغندة ، غير أننا فى نفس الوقت نحتاج إلى معاونة المسلمين الذين يتعاطفون مع قضيتنا فى جميع أنحاء العالم . ومن الضرورى أن نكرس جهودنا لهذا العمل الذى يمكن أن يسهم فى تخليص الأمة الإسلامية فى أوغندة ويسهم في تخليص أجيالها القادمة من مشكلة تعليم المسلمين وهو مانرجو أن يتحقق لكل الأقليات والأكثريات المسلمة فى أنحاء العالم كافة .

NOTES

1 . Semakula-Kiwanuka, **From Colonialism to Independence,** 1973. p. 70.

2 . Ahmed Abdallah, "The Ambivalence of African Muslim Education", East African journal, Feb. 1965, p. 8.

3 . Amin Mutyaba **Muslim Education in Uganda,** (1974), p . 10 .

4 . Prince Nuhu Mbogo is an honoured Muslim, pioneer in Uganda, who turned down the offer to become King of Buganda because it was subject to the condition that he denounces Islam .

5 . Abdu kasozi "The Impact of Quranic Schools on the Education of Muslims in Uganda", **Dini na Mila** Vol. 4. No. 2, May 1970, p. 7.

6 . Idea adopted from Amin Muyaba, **Muslim Education Uganda,** 1973, p. 13 .

7 . Entebbe Archieves "E.S.A." A/II .

8 . J. J. Wills, ibid August 1905 .

9 . J. J. Wills, ibid August 1906 .

10 . Grabtree, Uganda Notes Feb . 1907 .

11 . J. C. **Sakamwa History of Education in East Africa,** 1971 .

12 . C. Spiss in "**Tanganyika notes and Records**" No. 62/63, 1964 .

13 . Amin Mutyaba **Muslim Education in Uganda,** 1973, p. 20 .

14 . Kakungulu and Kasozi **Abaasiimba Obusiraamu mu Uganda,** Kampala 1977 .

طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر ــ الهاتف : ٤٩٨٣٣٩٢ ــ الرياض